منبر الإسلام

مع العدد
- المنتخب من السنة النبوية
- "الفردوس" مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٥ قرشا

العدد ٢ • السنة ٣٥ • صفر ١٣٩٧ • فبراير ١٩٧٧

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ٢ - السنة ٣٥ - صفر ١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتـــويات العـــدد

- لقاء على طريق التضامن العربى بين الرئيس أنور الســادات وجلالة الملك حسين . . . .
- تفسير سورة آل عمران . . — الاستاذ أحمد حسين
- « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . . . . — الشيخ عبد الجليل عيسى
- خصائص القصة القرآنية . — الاستاذ فتحى رضوان
- من أمثال القرآن . . . . — الشيخ أحمد كامل الخضرى
- من نطفة خلقه فقدره . . — الدكتور أحمد حسنين القفل
- من أحكام الشريعة الاسلامية — الشيخ محمد خاطر
- المتوكلون والمتواكلون . . . — الاستاذ عبد العظيم منصور
- سجود التلاوة . . . . . — الشيخ أحمد منصور
- القصاص فى الفكر الاسلامى — الدكتور فكرى عكاز
- العودة الى الدين طريق خلاص الانسان . . . . — الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
- وحدة الصف اعزاز للمسلمين — الدكتور جمال الدين عواد
- النسيج فى العصر الاسلامى — الاستاذة ثريا نصر
- المرأة العربية فى ظل الاسلام — المستشار أحمد محمود خليل
- قراءات جديدة لكتب قديمة — الاستاذ صبرى أبو المجد
- الطب بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة . . — الدكتورة ابتسام عبد الحليم
- رجل ومعارك « قصة العدد » — الاستاذ محمد صالح

العنـــوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عماره بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ — تلغرافيا : الاسلام — القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية — ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين ..

معالم الطريق

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

لقاء على طريق التضامن العربى

بين الرئيس المؤمن محمد أنور السادات وجلالة الملك حسين

٢٣ المحرم ١٣٩٧ ● ١٣ يناير ١٩٧٧

فى زيارة لجمهورية مصر العربية وصل الى أسوان « الخميس » ١٣ - ١ - ١٩٧٧ الملك حسين ملك الاردن حيث أجرى مع الرئيس السادات مباحثات فى غاية الاهمية وقد تركزت هذه المباحثات أساسا حول أربعة موضوعات رئيسية هى :

١ - زيادة التنسيق وتعزيز علاقات التضامن بين دول المواجهة الثلاث مصر وسوريا والاردن .

٢ - مناقشة التحركات القادمة لحل مشكلة الشرق الاوسط فى ضوء الدعوة الى مؤتمر جنيف للسلام .

٣ - مسألة انشاء دولة فلسطينية والعلاقات المستقبلة بين هذه الدولة وجيرانها العرب .

٤ - وسائل تطوير ودعم العلاقات الثنائية بين مصر والاردن فى مختلف المجالات بما يعزز هدف التنسيق والوحدة سياسيا وعسكريا واقتصاديا .

وقد صحب الملك حسين فى زيارته لمصر الملكة علياء ووفد اردنى على مستوى عال يضم مضر بدران رئيس الوزراء .

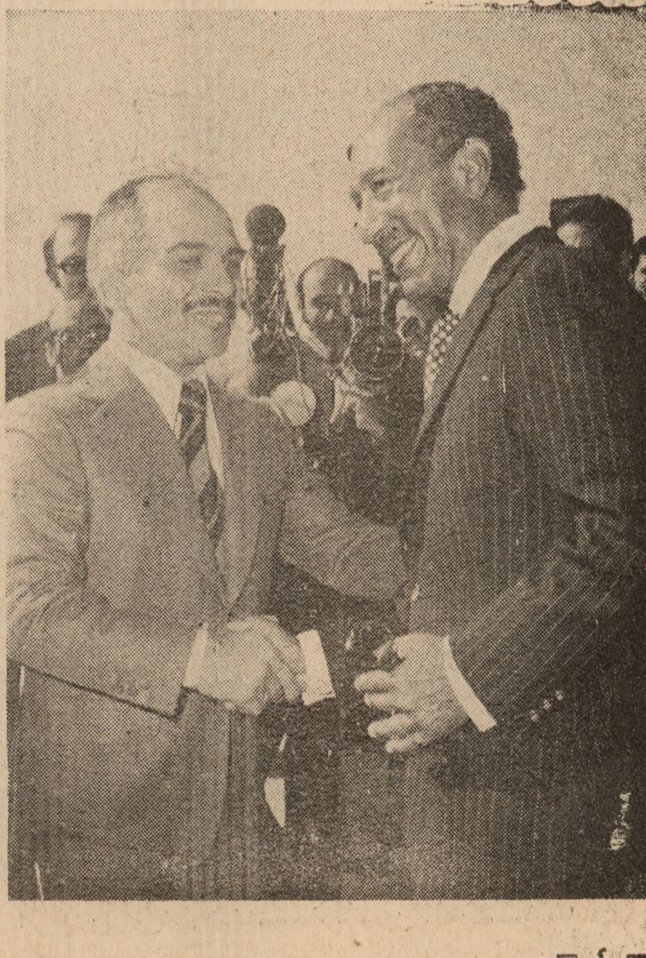

● الرئيس السادات يصافح الملك حسين عند وصوله الى أسوان

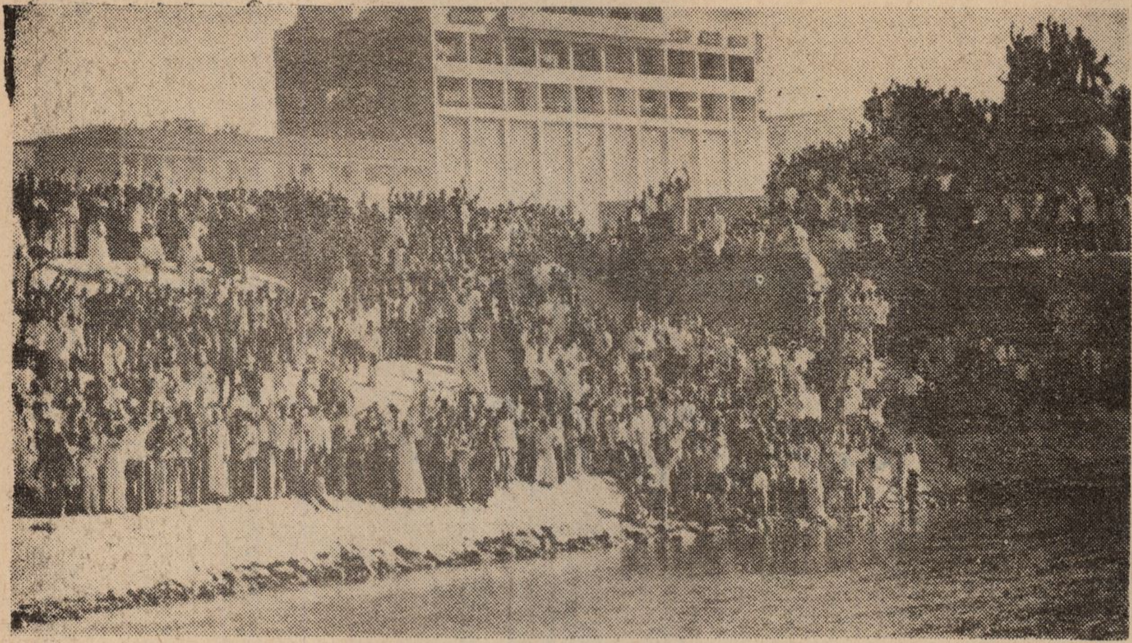

● الجماهير الغفيرة تحتشد على ضفة النيل بأسوان لتحية الرئيس السادات وضيفه الكبير جلالة الملك حسين

اتفاق بتام بين السادات وحسين على خطوات التحرك السياسي في المرحلة القادمة

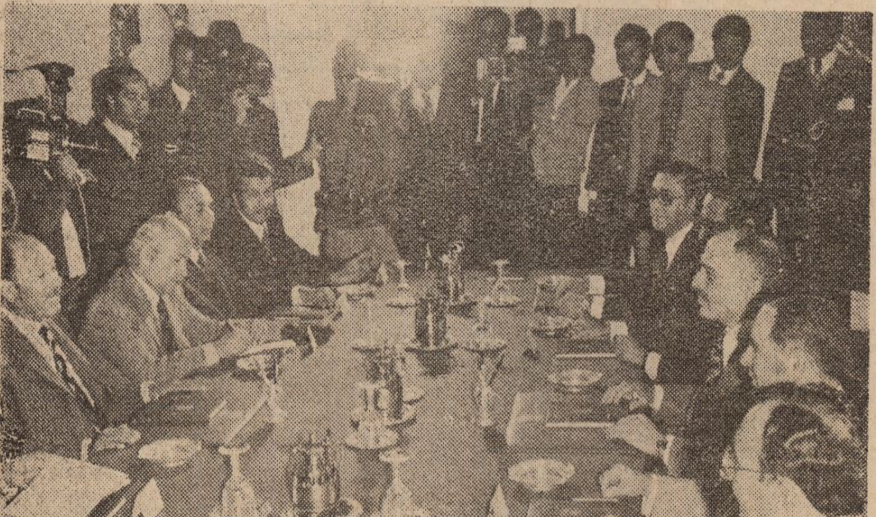

● جانب من المباحثات الرسمية التي تمت في أسوان بين الوفدين المصري والاردني برياسة الرئيس السادات والملك حسين

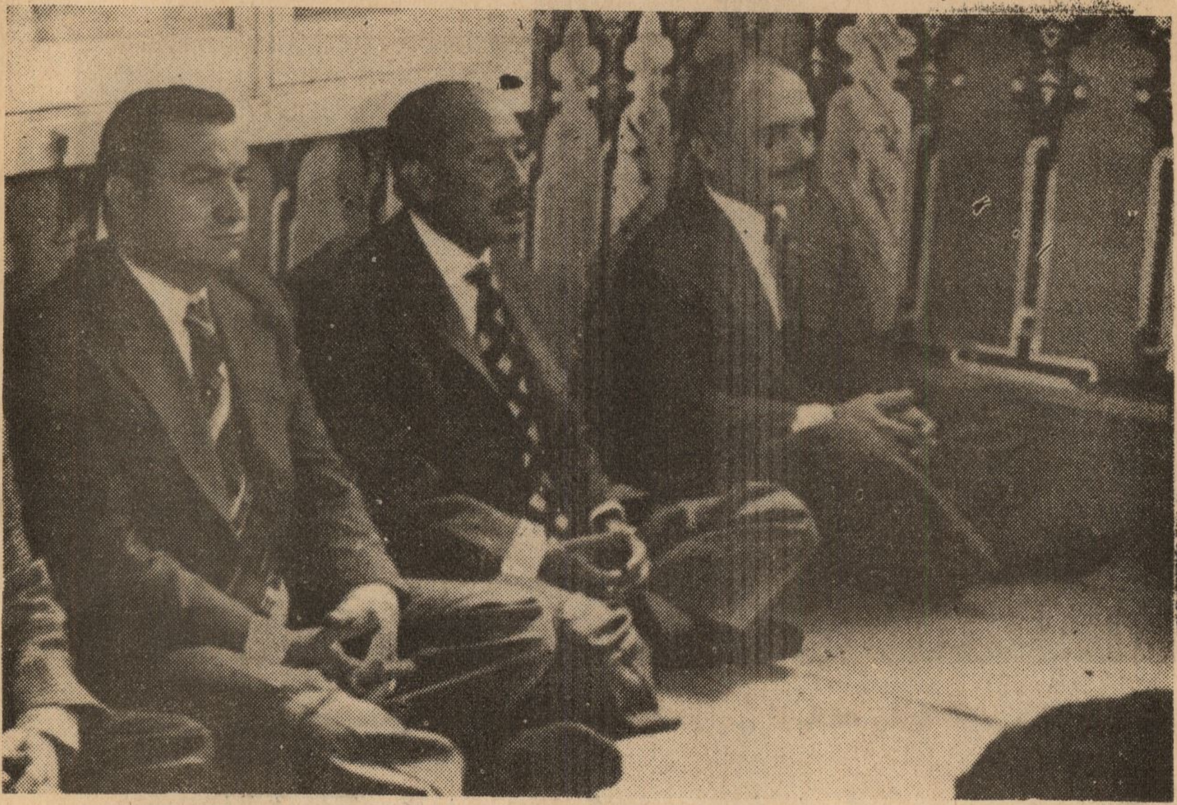

■ الرئيس السادات والملك حسين يؤديان صلاة الجمعة قبل بدء المباحثات ومعهما السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية

وكان الملك حسين قد وصل الى أسوان فى الساعة الثانية الا ربعا من بعد ظهر الخميس ١٣ - ١ - ١٩٧٧ تصحبه قرينته الملكة علياء وكان الرئيس أنور السادات والسيدة قرينته فى استقبالهما ، كما كان فى استقبالهما السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية وكبار المسئولين فى الدولة والعديد من القيادات الشعبية والتنفيذية والالاف من جماهير أسوان .

وبعد انتهاء مراسم الاستقبال الرسمية اصطحب الرئيس أنور السادات ضيفه الى استراحة المطار حيث أمضيا بعض الوقت ثم توجها الى فندق « أوبروى أسوان » حيث أقام جلالة الملك حسين خلال الزيارة .

وقد ادى الزعيمان صلاة الجمعة فى مسجد صغير فى طريق الخزان بجوار الاستراحة الكبرى فى اسوان .

وكان من المقرر ان يؤدى الزعيمان الصلاة بمسجد النصر فى أسوان ولكن الجولة الاولى من المحادثات استغرقت وقتا اطول من المحدد لها ، فلم يكن هناك متسع من الوقت للذهاب الى مسجد النصر . وقد فوجىء المصلون فى المسجد الصغير بوجود الرئيس والملك بينهم .

ثم استانفا محادثاتهما مرة أخرى بعد الصلاة حيث تم الاتفاق بينهما على خطوات التحرك فى المرحلة القادمة ، وشمل الاتفاق ضرورة التنسيق بين مصر والاردن وبين دول المواجهة والفلسطينيين بما يحقق الاستراتيجية العربية التى تمت الموافقة عليها فى مؤتمر الرباط .

واكدت المحادثات التى بدأت فى الحادية عشرة من صباح الجمعة وحضرها اعضاء الجانبين المصرى والاردنى ، ثم استؤنفت فى الواحدة الا الثلث بعد الظهر بعد أن أدى الرئيس السادات والملك حسين صلاة الجمعة وجود تطابق فيما يتعلق بالحل السلمى العادل الذى يستند أساسا واستراتيجيا على شقين هما انسحاب اسرائيل الكامل وقيام دولة فلسطين .

وقد عقد الرئيس السادات والملك حسين اجتماعا ثنائيا مغلقا فى المساء استمر من السابعة والنصف مساء حتى التاسعة والنصف .

وغادر الملك حسين اسوان ظهر السبت ١٥ - ١ - ٧٧ عائدا الى بلاده بعد اختتام زيارته لمصر التى استمرت ثلاثة أيام .. وقد وجه جلالته الدعوة للرئيس السادات لزيارة الاردن قبل بدء الجلسة الاولى للمحادثات .

دراسات قرآنية

تفسير سورة آل عمران

الآيات من ٥٩ - ٦٧

الأستاذ احمد حسين

- منطق القرآن لا منطق "أرسطو"
- انزلاق بعض المسلمين فى منطق أرسطو
- الحوار بين الإسلام والنصرانية
- التعايش السلمى بين الأديان
- أكاذيب الصليبيين فى العصور الوسطى ضد الإسلام وكيف انقلبت على مروجيها
- الله مع المسلمين فى نزاعهم ضد اليهود فى الحرم الإبراهيمى

ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ● الحق من ربك فلا تكن من الممترين ● فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ● ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ● فان تولوا فان الله عليم بالمسدين ● قل يا أهل الكتاب تعالؤا الى كلمة سواء بيننا وبيبكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فأن بودوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ● يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ● ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ● ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ● ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ●

القرآن والمنطق

نزل القرآن الكريم عربيا يخاطب العرب بلغتهم ، والعرب كسائر الشرقيين بعامة وسكان الصحارى منهم بخاصة يتميزون بالحس الدقيق والمشاعر الحارة والفطرة السليمة ، وهذه كلها تنتهى الى مجموعة من البديهيات والمسلمات التى يتقبلها العقل البشرى فى بساطة واقتناع كامل ويرى سخفا ما بعده سخف ، ان يشغل انسان نفسه بما لا طائل تحته كأن يقيم البرهان على امر لا يحتاج الى برهان وتتقبله الفطرالسليمه كماتتقبل كل حقائق الحياة ، ولكن سكان المناطق الشماليه حيث الغيوم وقلما تشرق الشمس اقل ارهاقا فى الحس وأضعف فى المشاعر وبالتالى أصبح عندهم ميل الى تعقيد الامور ، وسموا هذا التعقيد بالعلم النظرى ، حيث العلم الحق ما ثبت بالتجربة او جاء عن طريق الوحى لخالق الكون ، وخالق كل من فيه ، وواضع فيه بعض اسراره وعلمه

من باب أولى

نقول ذلك بمناسبة هذه الاية التى نحن بصددها والتى تثير احدى مسلمات العقل البشرى وهى قضية من « باب أولى » وهى مسألة أحسب ان أى صبى مميز ، وربما حتى قبل ان يكون مميزا لا يمكن ان لا يدركها ، وهى أنك مادمت تقدرعلىالاكثرفانتعلى الاقل أقدر ،فمن كان فىحوزته عشرة قروش فهو يعرف انه يحوزما دون العشرة ومن كان يستطيع ان يرفع مائة كيلو فهو يعرف انه من باب أولى يستطيع ان يرفع الخمسين وهكذا ، هذه المسلمات والبديهيات المسلحه فى كل نفس كقولك ان محمدا هو محمد وان الكل اكبر من الجزء ، وان الشىء لا يمكن أن يكون حاضرا او غائبا ، بمعنى ان يكون موجودا او معدوما ويستحيل ان يكون الاثنين معا ، هذا هو ما اصطلح على تسميته بالمنطق اى لغة العقول . ومن يولد الانسان اى انسان فان هذه المدركات تولد معه فهى محور انسانيته ، فالانسان ليس انسانا الا بالعقل والبديهيات والمسلمات هى اساس هذا العقل وعلى هذا الاساس نزل القران الكريم يخاطب العقل الانسانى ويفهم اى عقل عادى حجه القران ودليله ويصدع فى غير مناقشه فالعقل مثلا لا يستطيع ان يتصور حدوث حادثة بغير محدث ، اى « سبب» كما لا يستطيع ان يتصور ان ينشأ الموجود منالمعدوم ومن هنالفحم القرآن مشركىقريش بقوله : « **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون** » ولا يجرؤ عقل بشرى ان يقول انه جاء من العدم ، كما لا يجرؤ ان يقول انه هو الذى خلق هذا الكون ، فلميعد هناك مناص من التسليم بوجود قبل وجودنا هو الذى خلقنا ، وهو ما صدعت به العقول البشرية فى كل زمان ومكان

منطق ارسطو

وكان رجل اسمه ارسطو ، صاغ من هذه الظاهرة الانسانية ما أسماه علم المنطق وأحمد الله أننى ما وقعت فى احابيه ابدا حتى لقد تصورت نفسى غبيا بليدا ، فقد كان المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق يعلمنا هذا العلم بعد أن برع فيه بعض علماء المسلمين ، فأشهد اننى لم افهم حرفا واحدا مما كان يقال لنا ، ذلك ان نفسى كانت ترفض هذه المصطلحات ولازالت ترفضها ، وان مثلها فى ذلك مثل هذا الرجل « الجاهل » الذى راحوا يعرفونه بعلم المنطق حتى اذا نجحوا أخيرا فى افهامه حقيقة المنطق ، اذا به يقول حقا كم أنا جاهل لقد عشت طول حياتى اتكلم بالمنطق وانا لا أدرى .

ولذلك فلست اتردد بكل تواضع وانا بكامل المسئوليه فى أن أطلب من الشباب ان لا يقعوا فى أحبولة المنطق الارسطى الذى نقله العرب فى عهد الترجمة الاول وفتن به بعضهم فكانت مدرسة المتكلمين التى أخرجت العقيدة الاسلامية من نصاعتها وشفافيتها وبساطتها الىالتعقيد والعتامةوالسفسطة وما قولك فى أن هذا المنطق الارسطى بالذات كان هو سلاح علماء المسيحيين لاثبات ان الثلاثه هم الواحد والواحد هو الثلاثة .

عيسى وآدم فى منطق القرآن

فعندما نتحدث عن منطق القرآن ، فهو يخاطب به الفطره الانسانية وما استقر فيها من حقائق ومن بين هذه الحقائق قاعدة « من باب اولى » حجه المسيحيين فى أن المسيح اله ، كونه وجد من غير أب فلابد أن يكون الله هو ابوه اذان البشرية لا تعرف انسانا بغير اب ، فيقول لهم القران وماذاتقولون فى آدم وقد ولد من غير اب ولا ام فلا مناص من أن يقولوا ان الله على كل شىء قدير ، فمن يقدر على خلق انسان من غير أم واب فهو على خلق انسان من غير أب اقدر ولنشرع بعد هذا التمهيد فى استعراض الايات :

« انمثل عيسى عند الله كمثلآدم خلقه منترابثم قال له كن فيكون »

هذه هى المحاجة القرآنية للمسيحيين ، فهمها ويفهمها كل من يخاطب بها ، فالمسيحيون مسلمون ومعترفون بأن آدم خلق من تراب ، فاذا كان المسيح قد ولد من انسانه فليس هذا بأغرب ممن اوجد من التراب ذلك أن اله سبحانه وتعالى اذا اتجهت مشيئته الى احداث امر فشانه ان يقول له كن فيكون ، فليس بلازم ان يكون المسيح هو الله لكونه ولد من غير أب .

كن فيكون

وقد سبق ان نبهنا الى أنه ينبغى ان لا يتصور متصور ان الامر يتم من الله سبحانه وتعالى بلفظ وجرس وانما هو ككل تعبيرات القرآن الكريم مقصود بها مخاطبتنا على قدر ما نفهم والمعنى انه متى اتجهت مشيئة الله الى أحداث امر فهو يحدث .

ويتساءل بعض الفضلاء لماذا كان التعبير عن أمر تم وانتهى « خلق آدم » بكلمة فيكون بدلا من « فكان » وعند هؤلاء الافاضل « والتعبير بالمضارع بدل الماضى — فكان — لتصويره بصورة الحاضر المشاهد ايذانا بغرابته » . ومادام وا قد أدركوا من التعبير هذا المعنى فيحتمل ان يكون هو المقصود ، وفى رأينا ان الامر قد انتقل من الحكاية عن شىء مضى الى تقرير أبدى . سنن الله الدائمة فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وأنها هى التى عملت بالنسبة للمسيح كما عملت بالنسبة لادم وكما ستعمل دائما .

الحق من ربك فلا تكن من الممترين

ان ما نقوله لك أيها المخاطب بالقرآن لهو الحق ، وكل ما عداه هو الباطل فحذار ان تتلجلج أو تتردد فى اعتباره كذلك . « الممترين » المتشككين او المجادلين والكلمة من المراء ، اى الشك او الجدل .

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين .

لا جدال :

بعد أن حسم القرآن الكريم قضية عيسى ابن مريم وأنه عبد الله ورسوله ، علم سبحانه وتعالى ان ذلك لن يحسم القضية عند المخالفين الذين تقوم مصالحهم على الخلاف ، فالخلافات تنشأ لتعصب كل صاحب رأى لما يرى فيه مصلحته . فيقول القرآن الكريم لنبيه ويخاطب فى شخصه كل مؤمن الى يوم الدين : « فمن حاجك » أى من جادلك فى شأن المسيح بعد ما تبين لك الحق من امره فلا تمض معه فى الجدل فان ذلك سيكون عديم الجدوى ولن يؤدى الى أيه نتيجه . وهنا نعود لننبه الى منطق أرسطو وكيف أن المتجادلين فيهم يستطيعون الجدل الى ما لا نهاية فى ظل الصيغ وصور الكلام « الارسطى » وكل يدعى أن الحق الى جانبه ، ومن هنا فان القرآن الكريم يقول لنبيه « لقد ذكرت الدليل العقلى الذى يقر به كل عاقل ، وهو أن من خلق آدم من تراب أى من غير أم وأب معا ، فمن باب أولى يخلق عيسى من أم ولكن بغير أب ، فان راحوا يجادلونك بعد هذه الحجة القاطعة فلا تمض معهم فى اللجاجة ، بل ادعهم « ان كانوا مؤمنين » ان تفوضوا الامر لله ، فتدعونه بعد أن تحتشدوا لذلك أنتم وأولادكم ونساؤكم ، أن ينزل لعنته على الكاذب منكم ، وفى البخارى ومسلم أن وفد نجران المسيحى قد أحجم عن هذا الدعاء خوفا وخشية من الله سبحانه وتعالى واليك نص الحديث : « جاء العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه ، فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لو كان نبيا فلاعناه ، لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قالا انا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ، ولا تبعث معنا الا أمينا فقال : لابعثن معكم رجلا أمينا حق أمين ، فاستشرف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **هذا أمين هذه الامة** . وقد ورد هذا الحديث بروايات مختلفة ولكنا آثرنا ما جاء فى الصحيحين وفى بعض الروايات أن سيدنا عمر كان يتمنى أن يكون هو الذى يختاره لهذه المهمة ، كما ورد فى بعض كتب السيرة وبعض الاحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا سيدنا على والسيدة فاطمة والحسن والحسين باعتبارهم من عناهم القرآن الكريم بانهم ابناء النبى ونساؤه ، ويعنينا نحن فى مقامنا هذا أن سيدنا محمدا دعا من يخالفنا نحن المسلمين فى شأن المسيح أن « يباهلنا » أى يدعو الله فى اجتماع حاشد أن ينزل لعنته على الكاذبين .

وعندنا ان هذا الذى حدث فى أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، سيظل يحدث الى أبد الابدين ، فلست أتصور أن يقبل أى جماعة مسيحية متدينة هذا التحدى ، فيقبلوا ان يطلبوا من الله ان ينزل لعنته على الكاذبين .

بينى وبين قس أمريكى :

وقد وقعت لى أنا شخصيا واقعة مع قس أمريكى قد أكون رويتها من قبل ، ولا بأس من ايرادها هنا ثانية فقد حدث عندما كنت فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٤٧ أن دعانى قس أمريكى لالقى فى كنيسته محاضرة عن الاسلام فحرت ماذا أفعل ولما كان معى أحد كتب ترجمة معانى القرآن بالانجليزية فقد رأيت أن تقتصر محاضرتى على ترجمة معانى سورة مريم فلما شرعت أتلوها من الترجمة الانجليزية ، استوقفنى القس بعد قليل وقال لى : أى شىء هذا الذى تقرأ علينا منه ، فقلت له : ترجمة معانى القرآن وسكت ، ومضيت أقرأ فى سورة « مريم » . فلم يتمالك القس نفسه عن أن يعاود السؤال : ما هذا الذى تقرأ فيه

فقلت انه القرآن الكريم كتاب الاسلام ، وأسرع الرجل في لهفة يأخذ الكتاب من يدى ليتحقق من صدق ما أقول ، وأعاد الى الكتاب وهو يقول متعجبا : اذا كان هذا هو الاسلام . فما هو الفارق بين الاسلام والمسيحية ، فأجبته لا فرق الا أن الاسلام لا يرى في المسيح الا أنه رسول الله ، أما أنتم فتقولون ان المسيح هو الله فصرخ الرجل ، ان علماءنا لا يقولون ذلك .

هذا كلام قاله لى رئيس احدى كنائس الولايات المتحدة على ملأ من أتباع كنيسته عندما أفحم بكلام القرآن على سيدنا عيسى ، ولعل ذلك يدعم تصورنا من أن القسس لن يقبلوا الى أبد الابدين أن يدخلوا فى « مباهلة » مع المسلمين ان ينزل الله لعنته على الكاذبين فى شأن المسيح .

ان هذا لهو القصص الحق ، وما من اله الا الله وأن الله لهو العزيز الحكيم ● فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين ●

ويؤكد القرآن لسامعيه أن ما يقرره عندما يعرض لقص أمر من الامور انه هو الحق المبين ، ولا عجب فى ذلك فهو كلام الله القديم ، « **وما من اله الا الله** » ويكرر القرآن جوهر الرسالات كلها ومحورها وهو التوحيد والتوحيد الصارم « **لا اله الا الله** » « **وان الله لهو العزيز الحكيم** » وصفة هذا الاله ، انه فوق كل شيء ، وأعلى وأعظم وأقدر من كل شيء وأمره غالب على كل شيء ، « العزيز » وهو لا يخبط خبط عشواء ولا حيثما اتفق وانما كل شيء عنده بمقدار وميزان وهدف فهو « **حكيم** » أى مدبر .

« **فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين** »

أى فان أعرض كائن من كان عن جادة الحق التى نقولها ونؤكدها ونكررها ، فان الله « **عليم بالمفسدين** » أى يعلم فساد قلوبهم وسوف يتولى شأنهم .

قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ●

كلمة سواء بيننا وبينكم : أى واضحة صريحة محددة ، مستوية عادلة ، بحيث نتفق عليها جميعا .

عظمة القرآن :

طالما طالبت قرائى ان يسمحوا لى أن أستغفر الله عن مثل هذه التعبيرات من مثل « **عظمة القرآن** » فالقرآن باعتباره كلام الله ونحن نؤمن بذلك ، فلم يعد فى حاجة الى أن نصفه بالعظمة . ومع ذلك فنحن بشر ، ولا سبيل للتعبير عما فى نفوسنا من اعجاب يصل الى درجة « الانبهار » الا أن نعبر عن انبهارنا بمثل هذه التعبيرات « **عظمة القرآن** » أنظر الى هذا السياق وهذا التدرج فى مواجهة بين المسلمين والمسيحيين :

أولا ـ الدليل العقلى :

ففى بادىء الامر ساق الدليل والبرهان العقلى الذى يمسك بتلابيب أى انسان يتصف بالعقل ، فليس بلازم لكون المسيح قد ولد من غير أب أن يكون الها لان آدم قد خلق من غير أبوين والمسيحيون يؤمنون بكيفية خلق آدم ولا يتشككون فى قدرة الله على فعل ذلك فاصبح لا فكاك لهم من التسليم أن القدرة التى فعلت هذا لن تعجز عن فعل ذلك .

ثانيا ـ ولما كان القرآن الكريم تنزيل من لدن خالق الانسان فهو يعلم أنه فى الامور الدينية يتجاوز الانسان أحكام العقل الصارمة الى الوجدان والعاطفة فدعاهم الى تحكيمها عن هذا الطريق الذى شرحناه : طريق المباهلة وهو موضوع وجدانى بحت .

ثالثا ـ حتى اذا أحجم نصارى نجران عن سلوك هذا السبيل ، على ما تقول الروايات من أنها سبب نزول هذه الايات ، فقد جاء القرآن الكريم بالحل الثالث للخلاف بين المسلمين والمسيحيين واليهود وكل من يقول انه يتبع كتابا أنزل عليه من السماء وهو ان نتفق على قدر متيقن نجمع عليه جميعا لنعيش معا فى سلام ووئام وتعاون ، وهو ما يسمى بلغة عصرنا « التعايش السلمى » حيث يلتقى المتخالفون على قدر يجمع بينهم وهى الرغبة فى السلام . فانظر الى هذا التدرج فى موقف الاسلام من بقية الاديان تعلم لماذا اعتذرنا عن وصفه بالعظمة لانه شيء فوق العظمة وفوق كل مدح وثناء ، فهو أمل البشرية فى كل زمان ومكان ، أن تتعايش رغم اختلاف أديانها ، وسنكشف لك بعد قليل كيف أن هذا الامر أصبح من أوجب الواجبات فى عصرنا الحاضر ، ولكننا قبل ذلك نريد أن نوضح هذا القدر المشترك الذى دعا الاسلام أصحاب الكتاب أى الديانات السماوية الاخرى للالتفاف حوله :

« **أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله .** »

١ ـ عبادة الله .

٢ ـ عدم الاشراك فى عبادته .

٣ ـ عدم اتخاذ بعض البشر أربابا .

هذه هى الاصول الثلاثة التى دعا الاسلام أصحاب الديانات الاخرى للالتقاء حولها ، وهى أصول تجمع عليها الكتب السماوية المعروفة وهى التوراة والانجيل ، ونحن المسلمين لا نعترف بما فى يد اليهود والنصارى ، فالقرآن وقوله الحق يقرر أن كلا من اليهود والنصارى قد حرفوا كتبهم وبدلوا ، وعندما يقرر القرآن فهذا يكفينا نحن المؤمنين ، ومع ذلك فلا بأس أن نضيف لغير المؤمنين ، ان هذه حقيقة تاريخية وعلمية فبولس الرسول الذى عاصر المسيح يحدثنا عن « انجيل المسيح » حيث الذى فى يد المسيحيين ، أناجيل كتبت بعد ذلك بكثير ، ولابد أن تكون قد كتبت بلغة غير التى وجدت مكتوبة بها ، أما ما يسميه اليهود تقرر أنها كانت قد فقدت ثم اعاد كتابتها بعض عن سيدنا موسى ، وهو ما لا يتجاوز عشر من الكتاب الذى يسمونه التوراة فهو لا يعدو أن يكون فصولا تاريخية ، وحتى هذه الفصول فالتوراة كما هى فى يد اليهود تقرر أنها كانت قد فقدت ثم أعاد كتابتها بعض الكهان ، والخلاصة أن ما فى يد اليهود والنصارى ليس هو الذى يسميه القرآن « التوراة والانجيل » ومع ذلك وبالرغم من كل شىء سوف ترى أن ما فى هذه الكتب هو التحدث عن التوحيد وعن افراد الله بالعبادة أى الابتعاد عن الشرك .

فسوف تطالع فى كتاب اليهود : « **أن الرب الهك ، لا يكن لك الهة أخرى ، أمامى لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ومما فى الارض من تحت ، وما فى الماء من تحت الارض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن** » .

فالتوحيد والنهى عن الوثنية هو اصل من أصول اليهودية ، وهو أصل كذلك من أصول المسيحية فالمسيح يقول « **ما جئت لاهدم الناموس ولكن لاكمله** » وهذا النص الذى نقلناه سوف تجده فى أى كتاب مقدس فى يد المسيحيين حيث ضموا كتاب اليهود واسموه « العهد القديم » الى كتابهم وأسموه العهد الجديد ، واطلقوا على الكتابين معا « الكتاب المقدس » .

ماذا فى كتاب المسيحيين

وقد كان للمسيحيين عشرات ومئات من الكتب يطلق عليها اسم الانجيل ، ثم شاءت الكنيسة أن تضع حدا لهذه الفوضى فأمرت بحرق هذه الاناجيل باستثناء أربعة صيغ منها وهى المنسوبة الى « متى ومرقص ولوقا ويوحنا » وبالرغم مما بين هذه الروايات الاربعة لقصة حياة المسيح من خلاف فى التفاصيل وزيادة هنا ونقص هناك ، فان جوهر ما ينسب للسيد المسيح فى الاناجيل الاربعة واحد ، وهو يدور حول التوحيد وعدم الاشراك بالله وبشرية المسيح حيث لا يشار اليه مرارا وتكرار الا انه « **ابن الانسان** »

وقد حوى ما يسمونه « انجيل يوحنا » نصا صريحا فى وحدانية الله وأن عيسى رسوله ، واليك هذا النص الصريح : فى يوحنا « ١٧ ـ ٣ »

« **وهذه هى الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى ارسلته** » فانت ترى ان هذا التعبير يساوى تماما « **لا اله الا الله محمد رسول الله** » فالاله واحد والمسيح رسوله ولكن هكذا شاء انحراف الكنيسة ان جعلوا الواحد ثلاثة ولما كان التوحيد أصل من أصول المسيحية شأنها فى ذلك شأن اى دين آخر فقد حرصت الكنيسة وهى تتحدث عن ثالوث أن تنهى الامر بالقول : « الكل اله واحد » وليس أدل على أن التوحيد وعدم الشرك بالله أصل من أصول المسيحية أن البابوات عندما أرادوا استثارة النصارى ضد المسلمين فى الحروب الصليبية وصفوا المسلمين بأنهم كفار بالله وانهم وثنيون مشركون يعبدون « محمد » ولذلك اطلقوا على المسلمين اسم « المحمديون » أى من يعبدون محمدا حيث حوى القرآن آية تكفى وحدها لاثبات صدق سيدنا محمد ولا أقول عظمته بل رسالته من رب العالمين وذلك هى قوله تعالى « **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** » الاية وسوف تزد علينا هذه فى هذه السورة « آل عمران » وسوف نقف أمامها طويلا ، وقد كانت هذه الاية هى التى استند عليها سيدنا أبو بكر يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم عندما قال للناس « **ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فان الله حى لا يموت** » .

فليس يوجد فى تاريخ البشر قديما أو حديثا من صرف عن تفكير الناس أى ميل لعبادته بعد موته من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وذلك بفضل القرآن الكريم ، بحيث انفرد المسلمون بأنهم الموحدون توحيدا خالصا من دون العالمين .

انقلاب المسيحيين ضد البابوية

ومن هنا فلم يكد الصليبيون الاوائل يستقرون فى الشرق ويحتكون بالمسلمين حتى ادركوا ان المسلمين :

١ ـ اكثر عبادة وتوحيدا وتنزيها لله منهم

٢ ـ أكثر حضارة منهم

ونقل الصليبيون حضارة المسلمين ، ونقلوا أفكارهم فى محاربة الوثنية وتأليه البشر وليست

الحركة البروتوستانتية سوى مظهر ذلك حيث أعتمدت ثلاثة مبادىء للاصلاح المسيحى كلها اسلامية وهى :

١ ـ محاربة التماثيل فى الكنائس

٢ ـ السماح لاى مسيحى بمطالعة الكتاب المقدس .

٣ ـ اسقاط التداسة عن البابا التى وصلت به الى مرتبة الالوهية .

وفى ظل هذا الاصلاح الدينى الذى قام بوحى من الاسلام بدأت أوروبا نهضتها العارمة التى آذنت بالزوال .

مرة أخرى على أصحاب الاديان أن يلتقوا على دعوة القرآن

وهاهو القرآن الكريم يرينا فى كل مناسبة انه دعوة خالدة فى كل زمان ومكان لا يصلح الكون الا بها ، فهذه الدعوة الى أهل الكتاب أن يتفقوا مع المسلمين على :

١ ـ ان لا يعبدوا الا الله

٢ ـ وأن لا يشركوا به شيئا

٣ ـ وان لا يتخذوا بعض البشر أربابا .

هذه الاصول الثلاثة هى ما يجب ان يتجمع حوله المؤمنون من اى دين ، لان الامر لم يعد مسلم او مسيحى ، وانما مومن بالله والغيب او غير مؤمن ، فموجه الكفر بالله والالحاد هى التى اصبحت تهدد البشرية بما جرته وراءها من استهانه بالبشر وتحويلهم الى مجرد ذرات يدوسهم من يدوسهم ، ويعذبهم من يعذبهم ، بمقولة انه يعمل لخير الانسانية لكى تنعم الاجيال المقبلة بحياة اسعد ، وقد جعلوا من قالوا لهم هذه الاوهام أربابا من دون الله فاصبح ماركس ولينين وماوتسى تونج أربابا ولو قلت ذلك لشيوعى لقال لك نحن لا نعبدهم ولا رد لنا الا مارد به سيد الخلق سيدنا رسول الله ، ففى حديث لعدى بن حاتم أورده الترمذى وكانه اعترض على القول باتخاذ بعض البشر أربابا فقال : ما كنا نعبدهم يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : اما كانوا يحللون لكم **ويحرمون . فتاخذون بأقوالهم قال نعم فقال صلى الله** عليه وسلم : هو ذاك . فالرب هو السيد المربى الذى يطاع فيما يأمر به وينهى عنه .

واليوم لم يعد المؤمنون بالاديان يتخذون من أى **انسان ربا يحلل ويحرم بقدر ما اصبح الملحدون هم** الذين يفعلون ، فما أحرى رجال الدين « اى دين » ان **يستجيبوا لداعى القرآن :**

١ ـ يوحدون الله

٢ ـ ولا يشركون به شيئا .

٣ ـ ولا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله **فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون**

وكما قال الله لنبيه منذ أربعة عشر قرنا فهو يقوله للمسلمين اليوم وغدا وبعد غد ، فلتكن هذه دعوتكم لغير المسلمين من أصحاب الديانات الاخرى فان استجابوا لكم فبها ونعمت أما ان اعرضوا واحجموا فامضوا أنتم فى طريقكم ، طريق توحيد الله وعدم الاشراك وافراده بالالوهية والربوبية معا وهذا هو الاسلام .

يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت **التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ● ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ● ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ● أن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين .**

سيدنا ابراهيم أبو الانبياء

سيدنا ابراهيم عليه السلام هو أب الانبياء أنبياء بنى اسرائيل الذين ظلوا يتسلسلون حتى انتهوا الى المسيح وقد روى القرآن اهتداء سيدنا ابراهيم الى التوحيد منذ صباه ، ثم حدثنا عن أولاده ، اسحق فيعقوب فيوسف ومجىء بنى اسرائيل الى مصر وقد كانوا لا يزيدون عن أسرة اسرائيل « الذى هو يعقوب وتكاثر بنو اسرائيل فى مصر وكان من شانهم ما كان ، الى أن بعث الله من بين صفوفهم سيدنا موسى وهاجر باليهود من مصر قاصدا فلسطين ، وفى فلسطين لم يوجد لهم ملك الاخلال بضع عشرات من السنين ، انقسموا بعدها الى دولتين يناصبان بعضهما العداء حتى أفنيا بعضيهما ، وقد بقى منهم قسم وقع فى حكم الرومان ومن هذا القسم ظهر المسيح عليه السلام ، وبظهوره انتهى هذا الفرع من الانبياء والرسل من فرع سيدنا اسحق وابنه يعقوب من بعده .

اسماعيل . بن ابراهيم

وحيث كان هذا الفرع من أبناء سيدنا ابراهيم يأخذ طريقه ، كان سيدنا ابراهيم «على ما يحدثنا به كتب اليهود بالذات » قد تزوج هاجر المصرية ورزق منها باسماعيل وجاء ابراهيم بزوجته هاجر المصرية وابنه منها « اسماعيل » الى بلاد الحجاز ، وتركهما فى هذه البلاد لتحقق بذلك مشيئة الله فى أن تقوم الكعبة فى هذه البلاد ، وان ينشأ من نسل اسماعيل فى خاتمة المطاف نبى يكون هو خاتم الانبياء ولا يكون كأولاد اسحق أنبياء لبنى اسرائيل ولكن ليكون للبشر كافة الى أبد الابدين وذلكم هو سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

دين ابراهيم

ولقد عرضنا لك هذا التاريخ لتتضح لك أبعاد هذا الحوار ، فقد كان هناك اجماع على أيام سيدنا محمد على أبوة سيدنا ابراهيم وعلى اجلاله واحترامه ، فالمشركون من عبدة الاوثان كانوا يزعمون أنهم على دين ابراهيم ، وكان اليهود يزعمون أن ابراهيم كان يدين بالتوراة كما يفهمونها ويطبقونها ، فى ذات الوقت كان النصارى يقولون : بل كان ابراهيم نصرانيا يدين بالنصرانية كما يدين بها النصارى ويفهمونها ويطبقونها فانظر يارعاك الله كيف يواجه القرآن كل هذه الاقاويل أو بالاحرى التخرصات .

يا أهل الكتاب : وهم هنا اليهود والنصارى .

لم تحاجون فى ابراهيم : أى لم تجادلون وتتقولون على ابراهيم ويزعم اليهود أنه كان يهوديا ، والنصارى أنه كان نصرانيا .

وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده

مع أن التوراة التى جعلت اليهود يهودا والانجيل الذى جعل النصارى نصارى قد أنزلا من بعد ابراهيم ، فكيف يكون المتقدم تابعا لشئ لم يوجد بعد .

الصهيونية واليهودية : وتظهرنا هذه الاية على التضليل الذى حولت به الصهيونية ان تغرق به العالم فى غفلة من الزمان فزعمت أن اليهودية قومية وليست دينا ، وها هو القرآن الكريم يكذبهم ولذلك فسيكون مالهم الخزى والعار ، شأن أى كاذب أثيم . وقد هبت اليوم بعض عناصر يهودية تدحض زعم الصهيونية فتعلن أن اليهودية دين ، وليست قومية .

أفلا تعقلون

وتنتهى الاية الكريمة بما يعد سمة القرآن من حيث هو معجزة عقلية فهو دعوة مستمرة من اوله الى آخره لاستعمال العقل البشرى فيما خلق من اجله ، وهو التفكير المنظم لفهم الحياة والكون وكل ما يتصل بهما ، ذلك انه من خلال الفكر والتدبر يصل الانسان حتما الى الخالق الواحد المدبر المهيمن القادر على كل شىء وهو بكل شىء عليم .

ها أنتم هؤلاء حاجتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ● ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ●

ويمضى القرآن الكريم بعد أن أفحم اهل الكتاب يقرعهم ويسجل عليهم الزيغ فيقول لهم اذا كنتم جهلاء بما بين أيديكم من العلم فانتم عما ليس فى ايديكم أجهل ، فاذا كنتم قد زعمتم على رغم الحقائق التاريخية المتوفرة بين أيديكم ما زعمتم ، فلا يحق لكم ولا يليق ان تنكروا علما لا تعلمونه وهو هذا الوحى الذى أنزل على سيدنا محمد متمثلا فى هذا القرآن الكريم « **والله يعلم وانتم لا تعلمون** » ونفى الله سبحانه وتعالى نفيا قاطعا ونافيا عن سيدنا ابراهيم انه كان يهوديا او نصرانيا او كان من المشركين « كما زعمت قريش » .

ولكن كان حنيفا مسلما

حنيفا : من الحنف وهو الميل لغة ويصبح معنى حنيفا من حيث اللغة اى المائل عن الباطل وكل ما هو زائف وباطل ولكن الكلمة أصبحت ولها معنى ومدلول اسلامى ، عبرت عنه كل آيات القران ابتداء من هذه الايه ، حيث وصفت سيدنا ابراهيم بانه « **حنيفا مسلما** » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « **بعثت بالحنيفية السمحاء** » فأصبح دين سيدنا ابراهيم هو هذه الحنيفية السمحاء ، وهى جوهر الدين والرسالات المستكنة فى الفطرة السليمة قبل أن تشوبها الشوائب وتفسدها الانحرافات .

ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا والله ولى المؤمنين

وكما قطع القرآن الكريم من قبل : ان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولم يكن من المشركين فها هو ذا يفصح بان أحق الناس بالانتساب الى شريعته هم هؤلاء الذين تبعوه فى حياته وبعد مماته لا يحيدون عن تعاليمه فى التوحيد الخالص .

وهذا النبى : اى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والذى أعاد للتوحيد صفاءه وحارب الاوثان والشرك فى كل صوره .

والذين امنوا : اى كل من آمن بسيدنا محمد ورسالته فى التوحيد

ما يدور اليوم فى مدينة الخليل

ولقد عكست تفسيرات القرآن الكريم على مر العصور ملامح عصرها ونرجو أن لا يشذ تفسيرنا عن هذه القاعده ، ففى أيامنا الحاضرة ، يزعم الصهاينة الذين استولوا على بيت المقدس وكل ما يحيط به بما فى ذلك مدينة الخليل حيث دفن سيدنا ابراهيم ، يزعمون انهم اصحاب الحق باعتبارهم يهودا فى التمسك بالحرم الابراهيمى وهاهو القرآن الكريم يكذب دعواهم ، ويقول وقوله الحق الذى يعلو ولا يعلى عليه أن المسلمين الذين آمنوا بسيدنا محمد هم أولى الناس بابراهيم .

والله ولى المؤمنين

وسوف ينصر الله سبحانه وتعالى المسلمين المؤمنين ، وان غدا لناظره قريب .

يتبع

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

جرائم بني إسرائيل
كما قصها القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

الجريمة ٥٨

شدة بغض اليهود للمؤمنين من غير سبب وتمنيهم لكل مؤمن النكبات ، والعجب أن المؤمنين لا يشعرون نحوهم بسوء مع أن كل حياتهم مع المؤمنين مشحونة بنفاق شديد عصر قلوبهم بحسرات لعدم تمكنهم من ايذائهم .

قال اللهتبارك وتعالى فى ذلك : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبرقد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ● ها أنتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلواعضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ● أن تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط » الايات ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ من سورة آل عمران .

المفردات :

« **بطانة** » بطانة الرجل خاصته الذين يطلعون على سره .

من دونكم » متعلقة بتتخذوا ومعنى دون » هنا غير اى غير المسلمين .

لا يألونكم خبالا » : يقال : « الا » الرجل يألو بوزن غزا يغزو اى اذا قصر وأهمل وضعف و خبالا » الخبال هو الشر والفساد وهو منصوب على انه تمييز مبين لما به الافساد - قال القرطبى المعنى لا يتركون الاجتهاد فى افسادكم بل يجتهدون فى كل ما يضركم .

ودوا » :أى تمنوا - « **ماعنتم** » العنت الوقوع فى أمر شاق وفعله عنت بوزن طرب والمتعنت طالب الوقوع فى الزلة والخطأ لخصمه والمعنى ان اليهود يتمنون لكم الوقوع فى المشقة .

وما » فى ماعنتم » مصدرية اى بجعل الفعل بعدها بمعنى المصدر « **العنت** » ومعنى الجملة : **تمنوا** مشقتكم وشدة اضراركم .

بدت » ظهرت - « **البغضاء** » اى الكراهية لكم - « **من أفواههم** » المراد فى كلامهم « **والافواه** » **جمع فم** جاء فى المصباح : والفم من الانسان والحيوان أصله فوه بفتحتين ولهذا جمع على افواه مثل سبب وأسباب وثنى على لفظ المفرد فيقال فمان وهو من غريب الالفاظ التى لم يطابق مفردها جمعها واذا اضيف الى الياء قيل فى بالفاء المكسورة وياء المتكلم المشددة . ويقال **أيضا فمى** « **وما تخفى صدورهم** » : أى من البغض .

أكبر : أى أقوى وأشد مما يصدر من اللسان لان كثيرا مما يصدر من اللسان ليس عن روية ولذلك كثيرا ما يقولون هذه فلتة لسان .

قد بينا لكم الايات : الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة المؤمنين والاحتراس من الكافرين ،

ان كنتم تعقلون : هذه الجملة شرط جوابه مقدر تقديره فلا تطلعوا غير المؤمنين على اسراركم وبالاخص الاسرار الحربية . وقال سبحانه فيما يشبه ما هنا « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير** » آل عمران وقوله تعالى « **الا أن تتقوا منهم تقاة** » اى

الا فى حال خوفكم منهم أن يؤذوكم بشىء تتوقعون حصوله منهم . فلكم حينئذ ان توالوهم ظاهرا بقدر ما يدفع عنكم ضررهم فهى فى الحقيقة موالاة ظاهرية وليست المنهى عنها .

ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم : صدرت هذه الجملة بحرف التنبيه وهو) ها (اظهارا لكمال العناية بمضمونها . و « أنتم » مبتدأ وجملة « تحبونهم » خبره و « أولاء » منادى كأنه قال ها انتم يا هؤلاء تحبونهم ولا يحبونكم ويكون المعنى : أنتم اولاء المخطئون فى موالاتهم وقوله تحبونهم ولا يحبونكم (بيان لوجه الخطأ فى موالاتهم .

بالكتاب كله : المراد بالكتاب هنا جنس الكتاب فيشمل كل كتب الله المنزلة كالتوراة والانجيل الصحيحين .

عضو عليكم الانامل : الانامل هى أطراف الاصابع والكلام كناية عن شدة الغيظ . **قل موتوا بغيظكم** : دعاء عليهم بشدة الغيظ .

ان تمسسكم حسنة تسؤهم : معنى هذا ان اى نعمة من ربكم مهما كانت قليلة تسؤهم أى تحزنهم فيقينا ان الحسنة الكبيرة كالالفة واجتماع الكلمة والنصر تقتلهم غيظا .

وان تصبكم سيئة : اى محنة كاصابة العدو منكم يفرحوا أى يبتهجوا بها . هم يظنون ذلك لجهلهم ان المؤمن يقابل الشدائد بالصبر ولا ييأس فينجح .

المعنى : نزل فى رجال من المسلمين كانوا يوالون رجالا من اليهود لما كان بينهم من قرابة أو جوار او محالفة فى الجاهلية ، ولما كان فى المبالغة فى هذه الموالاة خطر على سلامة المسلمين ، حذر سبحانه منها فقال : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » اى غير أبناء ملتكم المؤمنين . ثم وصف البطانة المنهى عنها بانهم لا يقصرون فى افساد أمركم وانهم يحبون ويتمنون ضرركم ، وقد ظهرت علامات بغضهم لكم من كلامهم ، فهى لشدتها عندهم يصعب عليهم اخفاؤها ، وما تخفيه صدورهم من البغض لكم أقوى وأشد مما يفلت من ألسنتهم .

قد بينا لكم العلامات الفارقة بين من يصح أن يكون من خاصتكم وبين من لا يصح ان كنتم تعقلون ، فاعتبروا ولا تأمنوا على أسراركم خصوصا الحربية من كان من هذا النوع .

ونزل فى اليهود أيضا قوله تعالى هاانتم هؤلاء تحبونهم لقرابة أو صداقة ولا يحبونكم لشدة تعصبهم لدينهم الباطل ، فلا يصح أن يكونوا فى باطلهم أحرص منكم على حقكم ، وأنتم تؤمنون بكل كتب الله المنزلة وهم لا يؤمنون بشىء من كتابكم .

واذا لقوكم قالوا آمنا معكم ليغرروا بكم ، واذا خلوا أى فارقوكم وخلا بعضهم الى بعض عضوا أطراف أصابعهم من شدة غيظهم منكم وعجزهم عن اهلاككم ، قل لهم « **موتوا بغيظكم** » ليس المراد النطق بشىء بالمراد أمر للنبى والمؤمنين أن يدعوا على اليهود بدوام الغيظ وزيادة قوة الاسلام وأهله والله عليم بما فى صدوركم أيها اليهود من الغيظ الذى تحاولون اخفاءه فلا يمكنكم من اضرار عباده المخلصين وبلغ من شدة بغض اليهود لكم أيها المؤمنون أن الحسنة التى تأتيكم من الله كنصر أو غنيمة أو كثرة من يدخل معكم فى دينكم تحزنهم ، وان تصبكم سيئة كهزيمة أو جدب أو شدة يفرحوا بها فهم بالغوا النهاية فى عداوتكم ، فكيف توالونهم وتصافونهم ؟

الجريمة ٥٩ :

تبجح اليهود بارتكاب أفظع انتقاص للمقام الاعلى سبحانه وتعالى وهذه جريمة لم يرتكبها انس ولا جن من عهد آدم بل والى قيام الساعة .

قال تعالى فى ذلك « **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ● ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد** » . آية ١٨١ و١٨٢ سورة آل عمران .

المفردات :

« **سنكتب ما قالوا** » هذا التعبير يتضمن التهديد والوعيد لهم على ذلك القول القبيح الذى قالوه أى سيكتب فى صحائفهم ويعذبون عليه يوم القيامة .

« **ذوقوا عذاب الحريق** » ذوقوا : تألموا ـ عذاب الحريق معناه العذاب المحرق اى عذاب النار .

« **قدمت أيديكم** » المراد ما قدمتم وعبر سبحانه عن الانسان باليد لان اكثر الاعمال تزاول بها .

المعنى :

وروى ابن كثير عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا** » آية ٢٤٥ البقرة قال رجل من اليهود تهكما على القرآن والرسول أن الله فقير ونحن اغنياء والا لما طلب منا قرضا .

قال المنار : والظاهر أن هذه المجازفة فى القول قد وقعت من غير واحد من يهود وما يقوله البعض ويجيزه الجمع يسند الى القائلين والمجيزين جميعا .

ونظير ذلك قوله تعالى فى سورة الشمس فيمن قتل ناقة صالح عليه السلام « **كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها** » أى أقدم أشقى رجل فى ثمود لقتل الناقة : ثم قال الله تعالى « **فكذبوه فعقروها** » فعقروها بالجمع فالمعنى قتلها الاشقى بارادة الجميع فكأن الجميع قتلوها .

ولقد هدد الله سبحانه اليهود بقوله : لقد سمع الله قول الذين قالوا ... الى قوله سنكتب ما قالوا اى نأمر الملائكة بان تسجل عليهم فى صحائفهم هذا الجرم، ونسجل ايضا قتلهم الانبياء بغير حق ونقول لهم يوم القيامة على لسان خزنة جهنم : ذوقوا عذاب النار المحرقة ، ونقول لهم ايضا : ذلك الذى أنتم فيه من العذاب بسبب أن الله ليس بصاحب ظلم لعباده ، أى أن هذا العذاب اصابكم بذنوبكم وبكونه تعالى عادلا فى حكمه لا يظلم فيعاقب غير المستحق للعقاب ، ولا يجعل الفاسق كالمؤمن ، ولا الاشرار كالاخيار .

والبحث متصل ان شاء الله

خصائص القصة القرآنية

الأستاذ فتحي رضوان

قتل موسى عليه السلام ، قبطيا أو مصريا ، عندما استغاثه رجل من شيعته ، أي اسرائيلي . وفي اليوم التالي ، راى هذا الاسرائيلي ذاته ، في شجار جديد ، وما كاد هذا الاسرائيلي المطبوع على حب الشجار يرى موسى عليه السلام . حتى هتف يطلب النجدة . وأدرك موسى . ان هذا الرجل وان كان من شيعته : وهي شيعه من المستضعفين ، الا أنه يكاد يكون الشيطان نفسه ، فانه نجح في اغوائه ، وتحريضه . على ارتكاب اقبح الجرائم التي ينهى عنها الله ، ويعاقب عليها باشد العقوبات ، فاصم أذنيه عن ندائه ، ولعنه بقوله : « انك لغوى مبين » .

ويقول الله تعالى في سورة القصص في هذه الواقعة :

« فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى « انك لغوى مبين ، فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ، قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس » .

وأرى ان في هذا الموضع من السورة الكريمة تقديم وتاخير ، اذ لابد أن يكون موسى ، قد هم بنجده الاسرائيلي جريا على ما جبل عليه من نجدة الضعيف واغاثة الملهوف ، مع تمتعه بالقوة البدنيه ، التي سنرى من آياتها في حياة موسى ، مثلين أو ثلاثة ، حتى لقد وصف على لسان فتاة في « مدين » بأنه القوى الامين : ولكنه ما لبث ان أدرك ، أن في مزيد العون لهذا الرجل ، منزلقا يؤدى الى شر ، فضبط نفسه ، وانصرف عنه ، ثم لعنه بقوله : « انك لغوى مبين » ، ولا يصح في العقل ، أن يقول عنه ذلك ثم يهم بالبطش بعدو هذا الغوى المبين .

وكان موسى عليه السلام ، قد طلب عقب قتله المصري في اليوم ، قال « رب انى ظلمت نفسى ، فاغفر لى ، فغفر له ، أنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على ، فلن أكون ظهيرا للمجرمين » .

ويتساءل المفسرون ما قصد موسى عليه السلام من قوله بما أنعمت على » . فقال بعضهم ان المقصود من هذا الكلام ، ان موسى يشكر ربه على ما منحه من المعرفة والحكم والتوحيد ، وقال القشيرى ، ولم يقل بما أنعمت علي من المغفرة ، لان هذا قبل الوحى ، وما كان عالما أن الله غفر له ذلك القتل ، وقال الماوردي بما أنعمت علي فيه وجهان ، أحدهما من المغفرة ، والوجه الثاني من الهداية .

وقال الزمخشرى ، قوله تعالى بما أنعمت علي : يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف بمعنى انه اراد : اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن ، فلن اكون ظهيرا للمجرمين ، وان يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين . وقال بعضهم أن قول موسى عليه السلام ليس خبرا ، بمعنى أنه لا يخبر ربه ، بما قام فى نفسه من العزم ، ان غفر له ، وانما هو دعاء .

والحق أن الانسان ليحار فى شدة غرام المفسرين القدامى فى البحث عن الغريب الشارد من المعنى ، لعبارات معانيها واضحة وجلية ، فموسى عليه السلام ، يعلم يقينا أنه ينتمى الى طائفة مستضعفة ، وأنه عند مولده ، كان فرعون يتعقب كل ذكر ، من ابناء ملته وشيعته ، فيذبحهم وهم فى المهد لا يدرون شيئا ، ومع ذلك فقد نجاه الله من هذا المصير ، فعاش ، ثم ادخله الى بيت الملك ، فقربه اليه ، الملك ودلله ، واحبته الملكه وغمرته بعطفها ورعايتها ، وكبر ، فى هذه النعمة السابغه ، خلافا لمقتضى الاحوال السائدة ، **وسوء العلاقة بين الملك ، صاحب السلطة المطلقة وبنى اسرائيل ، فلم يعفه الله من الاضطهاد والمذلة ، والخوف من أعوان الحاكم ، وعيونه ، بل جعله قريبهم ، بل وسيدهم ، يأتمرون بأمره ، ويتحرون رغباته ، ويتنافسون على تحقيق مرضاته ، ثم أنه فوق ذلك شب قوى البدن ، يضرب الرجل الضربة الواحدة فيعينه ، ويستغيثه الضعفاء ، وهم يعرفون الكثير عن قوته ، ونجدته ، وشدة بأسه : ثم هو عرف دين الملك ، ووقف على خباياه ، وافضى اليه الكهنه بما عندهم من علم ومعرفه ، لا فى شوون دينهم وعقيدتهم وعناصرها واسسها ، بل فى حقائق العلم الذى كانوا اساطين أى فى الرياضة والفلك : والكيمياء والهندسة ، اذ أن الكهنة كانوا هم اساتذة الملك وحاشيته والشعب ، فى علوم الدنيا ، ولا سيما ما كان منها متصلا بالطقوس ، كتحنيط جثث الموتى : الأمر الذى كان يميزهم بالاستئثار بأسرار العلوم . فاذا قال رجل ، تقلب فى نعم الله على هذه الصورة ، منذ طفولته ، الى اكتمال شبابه ، حتى بلغ الرجولة : « رب بما انعمت علي » فكلامه يعنى كل هذا .**

ويقول القرطبى بعد ذلك فى تفسير قول الله تعالى : فأصبح فى المدينه خائف يترقب » والانبياء صلوات الله عليهم ، يخافون ردا على من قال غير ذلك ، وان الخوف لا ينافى المعرفة بالله والتوكل عليه ، وسواء أكان خوفه من قتل الرجل أن يؤخذ بهده الجريمة ، أو أن خوفه كان من قومه ان يسموه ، فانه « خف » ومن الخير ان يعرف الناس من كلام الله ، ان انبياء الله « يخافون » . ذلك لانهم بشر ، والحكمة فى اختيارهم لرسالات الله من البشر ، أن يعانوا ، ويعرفوا ما يعانى منه ويعرفه سائر البشر من المشاعر ، من خوف وحزن ، وفرح وألم ، ذلك لانهم بهذه الصفة البشرية يكونون أقدر على مداراة نفوس الناس ، وعلى ضرب المثل لهم ، وحسن قيادتهم ، اذ لو امتنع عليهم الشعور بما يساور نفوس الاخرين من بنى دم ، لكلفوا اتباعهم فوق ما يطيقون ، ولعجزوا عن الوقوف على طاقاتهم ومدى استعداداتهم ، وما يميلون اليه ، وما يصدفون عنه .

على أن ايمان موسى عليه السلام بربه ، واتكاله عليه ، ومعرفته به سبحانه ، خليقة بأن تزيد من خوفه من الله ، عند وقوع المعصية منه ، فهو أجدر الناس بأن يعرف ان قتل النفس بغير الحق ، جرم عظيم يؤاخذ الله به عباده ، وهو لشدة تقواه ، لا يلتمس لنفسه المعاذير ، بل يشدد عليها ، فى حين أن غيره كان يترخص فى أعماله ، ويجد لكل خطأ يتورط فيه ، مبررا .

ولكن هذه البحوث كلها ، لا تصرفنا عن الغاية من هذه الدراسه ، فقد اردت منذ البدايه ، ان اقدم الدليل من كل ما ورد من انباء الرسل واخبارهم فى القران الكريم ، على ان هذه الانباء والاحاديث ، لا تساق ، لبيان الخبر فى ذاته ، أو قصه ، على الوجه الصحيح ، حتى لا يشيع بين النـــاس ، الرواية المكذوبة ، فهذا شان المؤرخ ، انما الغايه ان يعرف الناس من هذه الانباء والاحاديث ، أن الانبياء ، جاءوا يبشرون لعقيدة صالحة ، سليمة ، هى عقيدة التوحيد ، وانهم على كثرة ما صادفوا من المتاعب ، وما انطوت عليه حياة بعضهم ، فى بعض أطوارها ، من الالام الصعاب نجحوا فى نشر العقيدة التى أرسلوا بها ، ونجحت هذه العقيدة .

ثم قال الله تعالى :

« وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى ، قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ، ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين ، فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين » .

تتجلى حكمة الله فى ايراد أنباء الرسل ، والاقوام الغابرين ، فى كتابه الكريم ، أجمل ما تتجلى فى هذا الموضع من سورة القصص ، فموسى عليه السلام ، احس بأن الارض ضاقت عليه بما رحبت ، وانه قد احيط به ، بعد الجريمة التى ارتكبها ، عن غير عمد ، فساق الله اليه ، فى هذه اللحظة ، ما يدل ان الله لا يترك عباده الصالحين ، ليتخبطوا فى دياجير اليأس والقنوط ، فقد جاء رجل ، على غير انتظار ولا توقع من أقصى المدينة ، لينبه موسى عليه السلام ، بأن القوم قد اجمعوا أمرهم ليقتلوه وانه ينبغى له ان يبادر بمغادرة المدينة ، حتى لا يضعوا أيديهم عليه ، وينفذوا فيه ، قصدهم السىء ، ولم يذكر القرآن الكريم ، اسم هذا الرجل كما يقضى بذلك منهج القرآن الثابت ، فى عدم التوقف عند أسماء الاشخاص والمواضع ، اكتفاء بايراد جوهر الواقعة ، للاسباب التى بسطناها فى موضع سابق من هذه المباحث ، ولكن المفسرين ، يحفلون كثيرا بهذه - أسماء الرجال ، وصفاتهم ويطلبون فى هذا الصدد ، بغير سند ، فى الاغلب الاعم ، لذلك قال اكثر أهل التفسير كما يقول القرطبى ، ان هذا الرجل هو حزقيل بن صبورا ، مؤمن آل فرعون ، وقال انه كان ابن عم فرعون ، وقيل طالوت ، وقالوا ، شمعون ، بل شمعان ، وواضح بغير عناء ، ان حزقيل بن صبورا ، لا يمكن ان يكون فرعونيا ، فهذا اسم عبرى ، لا صلة له بأسماء المصريين القدماء ، وينسحب هذا على بقية هذه الاسماء .

ثم قال الله تعالى :

« ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل »

وتظهر هنا خاصية من ابرز خصائص الاسلوب القرآنى بعامة ، واسلوب الحكاية والرواية فى أنباء الغيب والدول الغابرة ، وأحاديث الرسل والانبياء عليهم السلام ، وهو خاصية الايجاز المعجز ، الذى ينقل اليك المعنى كاملا ومؤثرا ، وحيا وموحيا ، ولكن فى اقل القليل من الالفاظ ، مع اسقاط مئات من التفاصيل الجزئية التى كانت تشغل حتما اى كاتب مهما بلغت قدرته فى الابانة ، وتحكمه فى القلم والعبارة . فقد انتقل كتاب الله العزيز ، من واقعة انذار موسى عليه السلام ، بأن القوم يأتمرون به ، وانهم منتوون قتله ، الى رحلة موسى الى مدين ، وفراره من مصر ، نجاة بنفسه من حكومة فرعون ، فأنت تفهم من عبارة « **ولما توجه تلقاء مدين** » . أن موسى عليه السلام ترك مصر ، وذهب الى موقع من الارض اسمه « مدين » ، وانه كان لا يعرف سبيله اليها ، ومن ثم فقد قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل .

ولم يلتفت القرآن الكريم الى بيان موقع مدين من الارض ، ولا كيف خرج منها موسى ، ولا لماذا اختارها ، من بين البلدان الواقعة شرق وغرب وجنوب مصر ، ولا يستطيع كاتب فى الدنيا كلها ، أن يستطلكل هذه الحقائق الصغيرة ، خشية الا نفهم ، ولكنا نقرأ الان ولما توجه تلقاء مدين ، عقب قول الله تعالى « **فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين** »

فهذه العبارة الموجزة ايضا ، صورت لنا حالة موسى النفسية بعد أن وصل اليه النبأ الذى انذره بأن خطرا جسيما يتهدد حياته ، فلفظا «خائفا» ، «**يترقب**» **على التتابع استطاعا أن** يبرزا لنا صورة رجل ، اشتد قلقه ، وأصبح حائرا لا يدرى الى من يلجأ ، ولا الى أين يتجه ، ثم ان دعاءه القصير ، « **رب ، نجنى من القوم الظالمين** » مؤثر ، ومعبر فى آن واحد . فانه يمس شغاف القلب ، رحمة وجزعا لهذا الرجل الذى امتحن فى هذه المحنة القاسية ، وهو فى أعلى درجات حياته سعادة وعزة وراحة بال . وقد دهمته الكارثة من حيث لا يحتسب أولا ، وأحاطت به ، لانه أراد أن يدفع ظلما ، ويحمى مظلوما ، ويلبى داعى المروءة والنجدة ولا يهم بعد هذا كله ان يعرف السامع او القارىء أن مدين فى فلسطين أو فى سوريا ، أو فى غيرهما كما لا يهم ان يعرف ما اذا كان قد خرج ليلا أو نهارا ، وحده أو مع آخرين ، راكبا أو راجلا ، مستخفيا لكيلا يعرفه احد من اهل السلطة ، أو اهل بيت فرعون .. فهذه التوافه تبدو عظيمة ، وتدل على قدرة المؤلف القصصى الحديث ، ذلك لانها رأسمال القاص المعاصر ، وفيها تبدو براعته ، وبوساطتها ، يحلل الوقائع ، ويستبطن معانى الاحداث ثم يستظهرها ، **أما القرآن الكريم ، فله حكمة أخرى من حل هذا الذى يرويه ، وقد نبهنا اليها كثيرا ، فغايته أن ترى كيف تتوالى الاحداث ، فى الاتجاه الذى حددته عناية الله سبحانه ، وكيف تتقاذف المحن والمصائب ، الرجل الذى وقع عليه اختيار الخالق ، ليكون رسوله الى العالمين ، حتى يظن السامع والقارىء ، ان الرجل قد انتهت حياته ، ولم يعد ثمة سبيل لنجاته من جهة ، ولاداء دور خطير وعظيم من بعد . فالرواية هنا : كاملة غير منقوصة لا تحتاج مع قلة الالفاظ ، وقصر الجمل ، أن تسأل عن شىء . فقد وضح انه لم يكن ثمة مفر ، من أن يترك موسى عليه السلام مصر بلا تريث ولا تمهل ، وأن عليه أن يختار مكانا ، لا يخضع لسلطة حاكم مصر الاعلى ، وحسب الانسان أن يعرف عن مدين هذا .**

ومن هنا ، فقد اتسع مجال المفسرين ، يقولون ما شاءوا ، بسند أحيانا قليلة ، وسند أحيانا كثيرة ، وقد

قالوا فعلا إن موسى - على ما يقول القرطبي - خرج موسى عليه السلام، فارا بنفسه منفردا خائفا، لا شيء معه من زاد ولا راحلة، ولا حذاء، نحو مدين، للنسب الذي بينه وبينهم، لان مدين من ولد ابراهيم، وموسى من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم.

ثم قال: روي أنه كان يتقوت من ورق الشجر، وما وصل حتى سقط خف قدميه وهذا كله سائغ ومعقول، ولكن قال ابو مالك: وكان فرعون وجه في طلبه، وقال لهم اطلبوه في ثنيات الطريق، فان موسى لا يعرف الطريق، فجاءه ملك راكبا فرسه، ومعه عنزة، قال لموسى اتبعني فاتبعه فهداه الى طريق، فيقال انه أعطاه العنزه فكانت عصاه، ويروى أن عصاه انما أخذها لرعي الغنم من مدين. وقال مقاتل والسدي: ان الله بعث اليه جبريل.

ولعلك، لا تجد صعوبة، في ان تتبين كيف هبط وفار القصة، وضعف أثرها: بذكر هذه التوافه، التي قد يرفض بعضها الذوق، ويرفض بعضها الاخر، العقل: وهي في الحالين، لا تقدم كثيرا ولا قليلا، في جوهر الواقعة.

ثم قال الله تعالى: **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى الى الظل: فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير»**

وكالعهد بمنهج القرآن، لم يضع حرفا واحدا، في ذكر او بيان، ما جرى لموسى عند وصوله الى مدين، فاتصل القول مباشرة، بالواقعة التي كانت أساس حياة موسى في مدين. ومدين هي مدينة في رأي، وقبيلة في رأي آخر، ونرى انه لا تناقض بين القولين، فقد تكون المدينة محطا لقبيلة، فعرفت باسم القبيله التي تعيش فيها، وفي مصر، بلاد عرفت بالقبيلة فيها كبني سويف، وبني مزار، وأولاد علي، وقد وصل موسى الى المكان الذي تقضي به طبيعة البلد التي قصدها، فهي في أرض صحراوية، ومصدر الحياة في الصحراء، هي البئر التي يسقى فيها الناس وقد تنبت حولها اشجار، وقد تجمع حولها خيام البدو، فتتفرع منها دروب الحياة، من تجارة، وصناعة وعند هذا الماء وجد موسى، قوما او جماعة من الناس تسقي ماشيتها من ابل وأغنام وربما ابقار أيضا، ورأى بين الرجال فتاتين وصفهما القرآن الكريم بأنهما امرأتان، باعتبار ان المراة، هو الاسم الذي يطلق على الجنس المغاير لجنس الذكور، وكلتاهما كانتا قد تجاوزت سن الصبا، واصبحتا صالحتين للزواج ؟ بدليل ما سيأتي حالا من الاحداث.

ولا يهم ما اذا كان المقصود من لفظ «تذودان» ما أنهما كانتا تذودان الناس عن ماشيتهما، أما تذودان ماشيتهما عن الماء، أي تمنعان الماشية عن البئر، وتدافعانها عن الماء، حتى لا يغضب الرجال، وينالون الماشية أو صاحبتي الماشية بالاذى، وقد اثار هذا المنظر نفس موسى والذي يتابع وقائع هذه الرواية، يعرف جيدا أن هذا هو المتوقع من موسى، فقد هب لنجدة رجل يضرب، وبلغ من شدة تأثره بما رآه من الظلم والعدوان، ان قتل المعتدي، فغضبه لابد ان ان يكون أقوى لرؤية فتاتين، ضعيفتين، تنزويان جانبا، وتبعدان عن مورد الماء، والرجال الاقوياء، لا تأخذهم بهما رأفة، ولا يحسون بحق الضعفاء، أو الضعيفات عليهم، ماضون في سقي أغنامهم وماشيتهم، ويصيب الفتاتين، ما يصيبهما من ملل الانتظار، ومرارة الشعور بالضعف، ولذلك فقد تقدم لفوره، يسأل هاتين الفتاتين، عن سر تخلفهما عن سقي اغنامهما، بقوله «ما خطبكما»، اي ما «امركما»، وهذا السؤال واجب، فرب لهاتين الفتاتين قريب من الرجال امرهما بانتظاره حتى يأتي فيسقي الماشيه في موعد يراه ليعود بها وبالفتاتين، أو ربما كان تخلفهما عن عمد لسبب لا يعرفه هو لانه وافد الى هذه المنطقة، ولا يعرف شيئا عن عادات أهلها، فقالت له السبب الذي يبادر الى ذهنه، اذ قالتا في جملة واحدة لم يصل عدد كلماتها الى العشره: لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وابونا شيخ كبير»، اذن هما فتاتان من المستضعفين، وابوهما لا يقوى على سقي اغنامه، فيستعين بابنتيه على قضاء حوائج الدنيا. وهي حاله من الضعف تثير الرثاء حقا. اذ لو كان لهذا الشيخ الكبير ابن من الرجال، لما الزم ابنتين ضعيفتين ان تزاحما الرجال، ولما احسا بمذلة الضعف بين هؤلاء الاقوياء الذين عدموا الاحساس السليم، فسقى لهما ثم تولى الى الظل، **فقال ربي اني لما أنزلت الي من خير فقير.**

وقد أسرف بعض المفسرين في وصف حالة الضعف التي وصل بها موسى الى مدين الى حد أن بعضهم قال ان البقل كان يظهر من وراء جدار بطنه لشدة ضعفه. ولكن هذا الرجل الذي انهكه الضرر وقلة الطعام، والخوف من المطاردين. ومن مخاطر طريق لم يطرقها من قبل، استطاع ان يلزم الرجال احترام امره، فافسحوا للفتاتين فسقتا وعادتا الى ابيهما. هذه الواقعة البسيطة، رويت في كلمات، وبدت من خلال هذه الكلمات صورة واضحة غاية الوضوح، صورة في طرف المدينة تقوم فيه بئر، ويجتمع فيه

رعاء ، ومن حولهما قطعان الماشية تصدر عنها اصواتها من رغاء الابل ، وصهيل الخيول ونهيق الحمير ، ونباح الكلاب المرافقة لقطعان الماشيه ، والملازمة لها ، وفي جانب من هذه الصور ، فتاتان ، خجولتان ، تتواريان عن الانظار ، حتى لا تقتحمهما عيون الرجال والشبان الذين يتقدمون عليهما .. ثم يأتي من خلف الصورة رجل غريب قوى البدن ، أمر ، وواثق من نفسه ، يمد لهما يد المساعدة ، عن غير غرض ، وبغير كلام كثير ينهى عملهما ، وتعودان مبكرتين الى ابيهما ، حتى ينكر عليهما هذا التبكير فيسالهما عن سره ، فيحكيان له ، في جذل وفرح ، قصة الغريب الذى لا يعرفانه ثم انصرف الى حاله ، بعد ان مد لهما يد المساعدة ، لا ينتظر جزاء ولا يطوى الصدر على مأرب ، كما هو شان اكثر الرجال ، اذا راوا فتاتين عاجزتين وحيدتين ، لا حول لهما ، ولا سيما اذا كانتا او كانت احداهما على شيء من الملاحة او الحسن .

ولم يدع بعض المفسرين هذه الفرصة ، ليسوقوا ما أملوا ان يعولوه من عجائب وغرائب التفصيلات . فقال احدهم انه كان في الموقع الذى جرى فيه لقاء موسى بالفتاتين ، بئران احدهما مكشوف . والاخر مغطى بحجر ، يرفعه الا سبعة من الرجال الاشداء . ونقلوا عن ابن جريج بل عشرة ، وعن ابن عباس ، ثلاثون : وعن الزجاج اربعون ، واختلف الشراح في هل كانت بئرا ام بئران . ومن قال انها بئر واحدة ، قال ان الرعاء بعد ان سقوا اعادوا غطاء البئر دون ان يعبئوا بوجود الفتاتين فكان ذلك امعانا في الاذى ، ومبالغة في احتقار هاتين الضعيفتين ، ولسنا نرى في هذه الوقائع : ما يزيد من فضل موسى عليه السلام : اذ حسبه هذه القوة النفسية التي جعلته قادرا وهو غريب ، أن ينجد فتاتين ضعيفتين : بلا غرض ولا مارب ، على مرأى من رجال أشداء ، تربطهم صلات الجوار ، والبلد الواحد ، والعمل الواحد ، فلا يستطيعون ان يمنعوه او يتصدوا لمبكلمه ، وفي نجدة موسى للفتاتين ، تانيب ضمنى وتوبيخ ، لهؤلاء الذين فاتهم ان يؤدوا واجبا صغيرا تفرضه شهامة الرجال .

وقد حرص القرآن الكريم وهو يروى هذه الوقائع ، أن يصور الرجل الذى سيشرفه الله بالرسالة ، على أحسن ما يكون عليه الرجل زهدا وتقوى .

فانه ادى واجبه ، ثم « **تولى الى الظل** » ، وهذه حال رجل مطمئن ، قد زال عنه الخوف ، ولم يعد قلقا على مستقبله ، فهو يخاف ، لانه انسان ، ولكنه يخاف من شر واقع ، لا يتخيل ، ولا تذهب نفسه شعاعا . الانسان السليم نفسا ، يخاف ويفرق مما يدعو الى الخوف والفرق . ثم يتخذ لما يهدده ، أسباب الحمايه ، ولا يسقط في يده ، ولكنه لا يضيف الى الاسباب الداعيه الى الخوف ، اسبابا ، لا يبعثها في نفسه ، الا جبنه ، وضعف نفسه ، وما انتابه من حيرة وثب عليه اعداء لا وجود لهم ، وقد يبقى خائفا لاخر العمر ، بسبب خطر جسيم فاجأه ، ورأى نفسه عاجزا امامه ، ولكن حينما تزول أسباب الخوف يهدأ ويسكن ، ويدع امره الى الله . وقد فعل ذلك موسى ، فقد اوكل امره الى الله ، وطلب الى خالقه ، ان يمنحه مما عنده من خير كثير . والخير تنطلق الى المال والطعام : وكل ما يشتهيه الانسان ، في حالة العوز والحرمان . واثبات هذا الدعاء القصير البسيط : جزء من حكاية القرآن الكريم ، لوقائع حياة موسى عليه السلام ، في هذه المرحلة ، لنرى كيف يتصرف انبياء الله في الشدة ، اطمئنانا الى فرج الله : والى رعايته ..

ونكمل الحديث باذن الله في حلقة قادمة .

من أمثال القرآن

ـ ٣ ـ

تحت هذا العنوان تكلمنا على أمثال القرآن الكريم . وذكرنا بعض الامثال التى ذكرها المولى سبحانه وتعالى فى سورة البقرة .

ونحن هنا ـ بفضل الله سبحانه وتوفيقه ـ نتابع الكلام على بقية الامثال المذكورة فى هذه السورة الكريمة . فنقول وبالله التوفيق :

فضيلة الشيخ احمد كامل الخضرى

يقول جل ذكره « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبةوالله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .. الاية ٢٦١

فهذا مثل ضربه الله للذين ينفقون أموالهم فى سبيل مرضاة الله تعالى . كالانفاق فى الجهاد وفى سائر أبواب الخير ـ فان الله تبارك وتعالى يضاعف لهم الاجور ويجزل لهم الثواب .

وفى الكلام محذوف مقدر . أى مثل نفقة الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة الخ ـ او يكون التقدير . مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله . كمثل زارع حبة الخ ـ فعلى التقدير الاول . يكون الحق تبارك وتعالى قد مثل النفقة التى تنفق فى سبيله ومرضاته . بالحبه التى تزرع . فتنبت حبت كثيره ـ وعلى التقدير الثانى . يكون سبحانه قد مثل المنفق فى سبيله . بالذى يزرع حبه أنبتت حبت كثيرة . . فذلك قوله تعالى « **مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله** » اى من غير ان يتبعوا هذا الانفاق بمن او أذى . كما يدل عليه قوله تعالى فى الايه التاليه ـ ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولاذى ـ فيمنون بالاعطاء والانفاق . ويؤذون من أعطوه بالتعبير والتعالى . فهذا يضيع ثواب الانفاق . ويذهب فضله « **كمثل حبه انبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة** » الحبة معروفه . كحبة القمح والفول والشعير والذرة ونحوها ـ والسنبلة واحدة سنابل الزرع ، وهى معروفة . يعنى أن الله يعطى العبد المنفق فى سبيله من الثواب والاجر . أجرا مضاعفا يبلغ سبعمائة ضعف . كما تعطى الحبه الواحدة بالزراعة سبعمائة حبة « والله يضاعف لمن يشاء » أى يزيد على السبعمائة ضعف لمن يشاء من عباده . بحسب اخلاصه وصدقه فى النفقة . وكونها من الحلال الطيب ـ فالجزاء والاجر يتفاوت . ويزيد وينقص بحسب النية والقصد . وبقدر الاخلاص والصدق . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «**انما الاعمال بالنيات** » ولا يعلم مقدار ذلك الثواب المضاعف . ولا حقيقة قصد المنفق ونيته . الاالله ـ ولذلك قال سبحانه « **والله واسع** » اى واسع الغنى والفضل . قادر على المجازاة والاعطاء من غير حدود « عليم » اى بنيات المنفقين ، وبتفاوتهم فى درجات الصدق والاخلاص . فيجازى كلا منهم بحسب ما يستحقه . وما يتفق مع فضله وكرمه وعدله سبحانه .

وهذا التمثيل الرابع . ويوضح لنا مقدار الاجر والثواب . الذى يمنحه رب العزة سبحانه . لاولئك المنفقين فى سبيله الذين يرجون فضله واحسانه . سواء اكان ذلك الانفاق بالنسبه للزكاه الواجبة . التى هى ركن من أركان الاسلام . لا يتم اسلام المرء الا باخراجها واعطائها للفقراء ـ أم بالنسبة للصدقة المندوبه التى ينفقها العبد طمعا فى رضوان الله تعالى . ولاسيما اذا كانت خالية من الرياء .. وفى سرية تامة ـ يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « **صدقة السر تطفى غضب الرب** » **ويقول « سبعةيظلهم الله فى ظل عرشه يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله » . وذكر منهم ورجل تصدق بصدقة**

فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » فهذه خطوة كبرى . ونعيم عظيم .

وفقنا الله تبارك وتعالى للوصول الى هذه الدرجة الرفيعه . فهو وحده الموفق والمعين . وهو صاحب الحول والقوة اذا اراد شيئا قال له كن فيكون ..

ويقول سبحانه « يا ايها الذين آمنـوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين » الاية ٢٦٤

ففى هذه الاية الكريمة . نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين عن ابطال صدقاتهم واضاعة ثوابها بالمن والاذى .. ولا سيما المن على رب العزة سبحانه وتعالى . الذى لايمن عليه بشىء ابدا . لانه هو مصدر كل خير . وسبب كل نعمة . وشبه من يفعل ذلك بالذى يبطل ثواب نفقته بسبب مراءاته الناس وسمعته . وحبه أن يقولوا عليه . ويسمعوا عنه أنه سخى كريم . وبين أن هذا ليس من شأن المؤمنين . الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر . بل هو من شأن المنافقين: الذين يظهرون الايمان . ويخفون الكفر ..

وضرب لهذا المرائى بصدقته وباعماله . مثلا رائعا . وهو انه كصفوان وهو الحجر الاملس . عليه تراب . فنزل عليه وابل هو المطر الكثير الغزير .. فاحال هذا التراب عن الحجر وجعله صلدا .. اى خاليا من التراب . لا ينتفع منه بـزرع ولا انبات . « والله لا يهدى القوم الكافرين » أى الذين سبق فى علمه تعالى أنهم اختاروا الكفر وأصروا عليه . وماتوا عليه .

فالله سبحانه وتعالى ضرب مثلا للمنافق والمرائى والمنان بصفوان عليه تراب فالناس فى الدنيـا يرون ان لهم أعمالا حيرة - فاذا جاء يوم القيامه بطلت اعمالهم . لانها لم تكن خالصه لله تعالى . كما يذهب المطر التراب من فوق الحجر الاملس .

فهذا المثل يوضح ان النفاق والرياء والمن يضيع الاعمال ويذهب ثوابها . كما يضيع المطر التراب الذى فوق الصفوان . ومعلوم ان الرياء هو الشرك الخفى .

ويقول صلى الله عليه وسلم «انما أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر . قالوا يا رسول الله . وما الشرك الاصغر قال الرياء .. يقال لهم يوم نجازى العباد باعمالهم . اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا . فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » أخرجه البغوى رحمه الله بسنده .

وروى الامام مسلم رحمه الله . عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «قال الله تبارك وتعالى . أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه معي غيرى . تركته وشركه » .

نسأله سبحانه وتعالى أن يعصمنا من هذه الصفات الذميمة . وأن يملأ قلوبنا بالايمان الصادق الخالص له وحده . وأن يجعل أعمالنا كلها بريئة من شوائب الرياء والنفاق .

ويقول عز وجل « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » الاية ٢٦٥ .

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين الصادقين فى يمسهم الذين ينفقون أموالهم راجين بهذا الانفاق رضوان الله تعالى . مصدقين ومعتقدين انه تعالى يجازيهم على هذا الانفاق خير الجزاء . وقد ثبت هذا فى انفسهم وفى عقيدتهم . فبين أنها كمثل جنة عظيمة على ربوة عالية . فانها تثمر ثمرا كثيرا ضعف الثمر العادى . سواء أنزل عليها مطر غزير . أم نزل عليها مطر قليل ...

فدلت قوله تعالى « ومثل الذين ينفقون أموالهم » أى صفتهم راضين . طيبه نفوسهم بهذا الانفاق « ابتغاء مرضاة الله » اى راجين بهذا الانفاق رضوان الله تعالى . طالبين منه الخير الكثير . والجزاء الوفير « وتثبيتا من انفسهم » ، أى أنفقوا وقد ثبت فى نفوسهم . واستقر فى افئدتهم . ان هذا الانفاق طاعة لله تعالى . وانه يجزى عليه الجزاء الوفير . سواء أكان هذا الانفاق للزكاة المفروضة . أو للصدقة المندوبة . او فى سائر وجوه الخير « كمثل جنة »أى بستان « بربوة » أى على مكان مرتفع عال . والمعروف أن الزرع بالمكان العالى يكون ثمره أزكى وأطيب وأحسن « أصابها وابل » أى نزل عليها مطر كثير غزير « فآتت أكلها ضعفان » أى أعطت ثمرا كثيرا مضاعفا « فان لم يصبها وابل فطل » الطل المطر الخفيف - اى أن هذه الجنة لجودتها وحسنها تعطى الثمر الكثير المضاعف سواء أنزل عليها مطر كثير غزير « أم نزل عليها مطر خفيف قليل « والله على ما تعملون بصير » أى أنه سبحانه لا تخفى عليه خافية . فهو يعلم حالة المنفق الصادق فى انفاقه . الخالى من الرياء والمن والاذى . وحالة غير الصادق . الذى يقترن انفاقه بالرياء والمن والاذى ...

فهذا التمثيل الرائع يبين لنا فضل المنفقين الصادقين فى انفاقهم . ويدعو الى الصدق والاخلاص فى الانفاق . وابتغاء وجه الله تعالى ورضوانه ..

ويقول سبحانه « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها

خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » الايتان ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

وهذا مثل ضربه الله تعالى لاولئك الذين يتعاملون بالربا - أعاذنا الله من ذلك - بانهم يوم القيامة يكونون عند بعثهم وقيامهم من قبورهم مثلهم كمثل من يصرعهم الشيطان ويصيبهم بالجنون ..

فذلك قوله عز وجل « **الذين يأكلون الربا** » اى يتعاملون بالربا . وانما عبر عن هذا التعامل بالاكل . لان المقصود الاول من المال انما هو الاكل « لا يقومون » اى لا يبعثون من قبورهم « الاكمايقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » أى الا كما يقوم الذى يصرعه الشيطان ويصيبه بالجنون - وأصل الخبط . الضرب على غير استواء - ومنه قولهم - يخبط خبط عشواء - للرجل الذى يتصرف فى الامور على غير هدى - فمعنى تخبطه الشيطان . اى اصابه بالخبل والجنون . والمس هو الجنون - يقال مس الرجل بالبناء للمجهول اذا اصيب بالجنون « **ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا** » أى هذا العذاب الذى ينزل الله بالمرابين . بسبب قولهم ان البيع مثل الربا . مستحلين الربا . زاعمين أن زيادة الثمن فى العاجل بالبيع . مثل زيادة الثمن فى الاجل بالربا . فرد الله عليهم بقوله « **واحل الله البيع وحرم الربا** » يعنى أن الله احل الربح فى التجارة بالبيع والشراء . وحرم الربا الذى هو زيادة المال بسبب التأخير فى الاجل « **فمن جاءه موعظه من ربه فانتهى فله ما سلف** » اى فمن اتعظ ورجع عن التعامل بالربا » طاعة لله تعالى . فانه لا يؤاخذ بما سلف منه . لانه تعامل بالربا قبل نزول التحريم « **وأمره الى الله** » اى يحكم فيه يوم القيامه بما يشاء . وليس لكم ان تطالبوه برده « **ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** » اى من تعامل بالربا بعد نزول التحريم . مستحلا له . فانه يكون كافرا مخلدا فى نار جهنم والعياذ بالله : لانه احل شيئا وقع الاجماع على تحريمه « **يمحق الله الربا** ؛ اى ينقصه ويهلكه ويذهب ببركته « ويربى الصدقات » اى ينميها ويزيدهـــا ويبارك فيها فى الدنيا . ويضاعف آجرها فى الاخرة « **والله لا يحب كل كفار** » اى عظيم الكفر بسبب استحلاله الربا « اثيم » متماد فى الاثم بتناوله وأكله ..

فهذا مثل ضربه الله تعالى ليوضح لنا شناعة حال الذى يتعامل بالربا وفضيحته يوم القيامة وسوء حاله ...

والربا من كبائر الذنوب ... روى الامام مسلم رحمه الله فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه انه قال «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . وقال هم سواء » يعنى فى الحرمة والطرد من رحمة الله تعالى ...

وانما حرم الله الربا . لانه سبب لانقطاع المعروف والتعاطف بين الناس . بعدم القرض الحسن . فلما حرم الله الربا . طابت النفوس الكريمة لاقراض الناس . احتسابا لوجه الله تعالى . وطلبا للاجر والثواب .. وايضا لان الربا يقتضى اخذ مال الغير من غير عوض . لان الذى يبيع درهما بدرهمين . سواء كان نقدا او نسيئه . فقد حصل على مال بدون عوض وهذا ظلم . وكل ظلم حرام ...

وههنا امور ينبغى التنبيه لها :-

منها ، أن بعض الناس يزعم أن من أنفق المال الناتج من الربا فى وجوه الخير كالصدقه وصلة الرحم وغير ذلك . فانه يكون جائزا - وهذا باطل - لقوله صلى الله عليه وسلم « **من جمع مالا من مأثم فوصل به رحمه . او تصدق به . او انفقه فى سبيل الله جمع ذلك كله . فألقى فى جهنم** » ..

فهذا حديث صريح واضح فى التحريم .. يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم «**ان الله طيب لا يقبل الا طيبا** » ...

ومنها أن بعض الناس يظن أن المحرم فى الربا هو آخذه واكله . اما معطيه ودافعه فلا حرمة عليه - وهذا باطل بدليل حديث جابر رضى الله عنه . الذى اسلفناه لك . والذى رواه مسلم رحمه الله .

« ومنها » ان بعض الناس يزعم ان الزارع اذا أراد زرع ارضه ولم يجد مالا يعينه على ذلك . فانه يجوز له ان يقترض من البنوك ونحوها بالفائده . وهذا باطل شرعا . ولا يجوز - وقد شرع الله لنا بيع السلم . وهو يسد حاجة هذا الزارع وامثاله ...

ولقد نادينا مرارا بأن من الخير اعداد بنوك اسلاميه تبيع حبوب التقاوى للزراع . وتؤجر لهم او تبيع لهم الالات اللازمة للزراعة . فى ضوء أحكام الشريعه الاسلاميه الغراء . وفى ظل آدابهـا الرفيعة ..

اما ماتقوم به البنوك الان من القرض بفائدة قدرها كذا فى المائة .. فهذا حرام لا يجوز . وواجب المسلمين جميعا أن يقلعوا عنه ...

نسأله سبحانه وتعالى ان يتوب علينا من كافـة الاثام . وان يوفقنا لصالح الاعمال . وان يلهـم المسلمين جميعا السداد والصواب . وان يوفقهم الى طريق الخير والرشاد ...

والكلام متصل . فالى العدد القادم إن شاء الله ..

العلم في القرآن

من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره

الدكتور احمد حسنين القفل

ـ ٢ ـ

٢ ـ وماذا عن « التقدير » فى قوله تعالى « من نطفة خلقه فقدره » ؟

اذا أردنا أن نعطى لكلمة « فقدره » وزنها الصحيح ، فلنقرأ قول الله تعالى :

- **« الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى » ٢ ـ الاعلى**
- **وخلق كل شىء فقدره تقديرا » ٢ ـ الفرقان**
- **« قد جعل الله لكل شىء قدرا » ٣** الطلاق
- **« وكل شىء عنده بمقدار » ٨ ـ الرعد**
- **« انا كل شىء خلقناه بقدر » ٤٩ ـ القمر**
- **« وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » ١٠ ـ** فصلت

ويدرك القارىء لهذه الايات الكريمة أن « التقدير » هنا معناه تكوين الشىء بميزان وعندما يكون هذا التقدير من عند الله القدير فانه يعطى الشىء تركيبه وبناءه وصورته التى شاءها له بحيث تكون دقيقة وسليمة لا يستطيعها أحد غيره سبحانه .

وعندما تقرأ قوله تعالى « **من نطفة خلقه فقدره** » نلاحظ أن التقدير جاء بعد الخلق مباشرة ولشرح ذلك نقول :

١ ـ اذا كانت خلايا جسم الانسان ـ وغيره من الحيوانات ـ تنقسم تباعا أثناء نموه ، فان النطفة والبيضة « الامشاج أو الجاميطات » ينقسم كل منهما بطريقة مغايرة والانقسام الاختزالى » ليكون كل منهما فى النهاية وفى عرف العلم نصف خلية من الوجهة الوراثية بمعنى أن النطفة تحمل ٥٠ فى المائة من صفات الاب وأن البيضه تحمل ٥٠ فى المائة من صفات الام بوجه عام . وعندما يتم الاخصاب فتتكون اللاقحه ـ الخلق الاول ـ تجمع بين صفات الاب وصفات الام ، ومن ثم . يتكون الخلق الجديد مزيجا منهما وله صفاته الوراثية التى يتميز بها وحده . فمن تقدير الله وحكمته سبحانه أن يكون لكل انسان ذكرا كان ام انثى ـ تركيبه الوراثى المحدد لشخصيته ، فكل فرد ـ منذ أن خلق آدم وحتى يرث الله الارض ومن عليها ـ له « ذاتيته » بحيث لا يتشابه فردان تشابها كاملا من جميع الوجوه ابدا « **الا التوائم النموذجية وهى نادرة** » . **ومن هنا ندرك أن** الله قد قدر نوع الجنين وصورته وشخصيته الكاملة منذ بداية خلقه والى أن يموت .

يقول سبحانه :

- **« هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء ٦ ـ آل عمران**
- **« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم » ! ١١ ـ الاعراف .**
- **« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك ـ فى أى صورة ما شاء ركبك ٦ ـ ٨ ـ الانفطار**
- **« وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات » ٦٤ ـ** غافر

٢ - ومن التقدير أيضا أن الجنين وقد بدأ بخلية واحدة هى « اللاقحة » قد جعلها قادرة على أن تنتقل من قناة المبيض - حيث تم الاخصاب - لكى تستقر فى مكان امين - هو الرحم - الى قدر معلوم .

وفى الرحم تبدأ اللاقحة فى الانقسام المتواصل لتكوين الجنين بكل أطواره المعروفة لعلماء الاجنة والمذكوره فى آيات متعددة فى القرآن الكريم . واذا علم القارىء الكريم ان الخلايا الاولى التى تنقسم اليها اللاقحه تكون متشابهة تقريبا ثم علم بعد ذلك أن هذه الخلايا تتشكل بعد ذلك وتتميز وتختلف لتكون الانسجة والاجهزة المختلفة من عظم وعصب وعضلات ... الخ ومن جهاز دورى الى هضمى الى ... الخ . اذا علم كل ذلك لوقف أمام « تقدير » لا يستطيعه الا رب هذا الانسان . ومن التقدير أيضا أن يمر الجنين حين يتطور خلقا من بعد خلق فتغطيه اغشيه ثلاث ويتمدد الرحم بدوره رويدا رويدا منسجيا لنمو الجنين فى أطواره المختلفة . ومن التقدير أيضا ان يتغذى الجنين على حساب الام - من دمها - ولكن عن طريق جهاز خاص به - المشيمة - فلا يختلط دمه بدمها . ومن التقدير أيضا أن يستوفى الجنين مدة معلومه فى الرحم حتى اذا جاء الوقت المعلوم للولاده اعان الله الام على الوضع فخرج الجنين الى الدنيا للابتلاء حيث يتم بقية حياته التى تطول او تقصر حسب أجل مسمى يعلمه مولاه . يقول الله تبارك وتعالى :

● « **الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين - الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون** » ٢٠ - ٢٢ - **المرسلات** .

● « **يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا** » ٥ - **الحج** .

● « **الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** » ٨ - ٩ - **الرعد** .

● « **يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث** » ٦ - **الزمر** .

٣ - ومن التقدير أيضا ان يجيىء بناء الانسان منذ أن خلق جنينا على نسق تتعاون فيه أجهزته وأعضاؤه فى تآزر وتعاون يجل على الوصف ويضيق المقام عن شرحه فمجال ذلك علم وظائف الاعضاء والتشريح البشرى . وصدق الله حيث يقول :

● « **وفى أنفسكم أفلا تبصرون** » ٢١ **الذاريات** .

● « **وفى خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون** » ٤ - **الجاثية** .

● « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون** » - ٧٨ **النحل** .

٤ - يقول القرطبى فى معنى قوله تعالى « فقدره » :

« .... فى بطن أمه - كذا روى الضحاك عن ابن عباس : أى قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر ارابه وحسنا وكميما ، وقصيرا وطويلا ، وشقيا وسعيدا وقيل « فقدره » أى فسواه .... أو فقدره أطوارا اي من حال الى حال : نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه ... » انتهى .

٢ - وماذا عن قوله تعالى « **ثم السبيل يسره** » ؟ .

اذا كان « السبيل » بمعنى « الطريق » . وكان « التيسير » بمعنى « التسهيل » والتذليل » فان الله الذي « خلق فسوى . وقدر فهدى » قد خلق جميع الكائنات الحية - من حيوان ونبات - مختلفه فى صورها وأحجامها وبيئتها وسلوكها .. الخ ولكنها جميعا مهيأة ومكيفه وميسرة لما خلقت من أجله مصداقا للحديث الشريف « **كل ميسر لما خلق له** » بنجاح . وعلماء الاحياء - البيولوجيا - يوضحون فى دراساتهم عن هذه الكائنات هذا الوجه من التكيف للحياه . فالسمكة مثلا قد كيفها الله للحياة فى الماء - يسر سبيلها - بان حور أطرافها الى زعانف تيسر لها على الحركة والتوجيه وجعل جهازها التنفسى فى صورة خياشيم تيسيرا لاستخلاص الاكسيجين الذائب فى الماء .. وهكذا يمكن أن يقال عن جميع الكائنات .

واذن فماذا عن « تيسير السبيل » بالنسبة للانسان » ، الذى يقول الله عنه :

● « **ولقد كرمنا بنى ادم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » ٧٠ **الاسراء** .

١ - الانسان فى طوره كجنين يسر الله له سبيل الاستقرار فى الرحم . حتى اذا حان موعد ولادته يسر الله له سبيل الخروج الى الدنيا فوجد الام التى ترعاه وترضعه والاب الذى يحنو عليه . وتمتد رعاية الله له وحفظ الوالدين ودأبهما فى خدمته حتى يشب ويكبر . وشتان بين رعايه والدين عاقلين من الاناسى ورعاية والدين من الحيوانات الاخرى يرعيان مولودهما بالغريزة فقط وقد لا يستنكف احدهما أو كلاهما عن التهامه والقضاء عليه .. يقول سبحانه :

● « **والله جعل لكم من انفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات ، افبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله هم يكفرون** » ٧٢ - **النحل** .

٢ - وفوق تكييف جنين الانسان بالاعضاء والاجهزة التى بها يشق طريق حياته بعد ولادته فقد

سلحه الله بالحواس من سمع وبصر وحس وذوق وشم وجعل هذه الحواس تخدمه وتنمو معه . وهو بانسان يستخدمها استخدام العقلاء ليزيد من فعاليتها وهو بذلك محاسب على سلوكه فى استخدامها . يقول سبحانه :

● « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » ٧٨ النحل .

● « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » ٣٦ ـ الاسراء .

● « وهو الذى أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة » ٧٨ ـ المؤمنون .

● « قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به » ٤٦ الانعام .

● « وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ... » ٢٢ ـ فصلت .

٣ ـ ومن تيسير السبيل للانسان أيضا أن وهبه الله ـ دون سائر الكائنات ـ العقل فتميز به وأمكنه أن يفكر وأن يحل مشكلاته ثم كانت قدرة الانسان على الكلام أيضا دون غيره ـ دافعة له الى التطور الفكرى والرقى . حتى مع اختلاف اللغات . حقيقة ترتب على العقل المسئولية فالحيوانات تتصرف بالغريزة والفطرة بدون مسئولية أما الانسان حين يختار بعقله بين خير وشر فانه يكون مسئولا عما يفعل ، ولكى يلزمه الله الحجة بالنسبة للامور الدينية فقد أرسل له الرسل مبشرين ومنذرين . يقول المولى جل وعلا :

● « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان أنه كان ظلوما جهولا » ٧٢ ـ الاحزاب .

والامانة هنا هى التكاليف والمسئولية المترتبة على العقل .

٤ ـ ومن تيسير السبيل للانسان أيضا أن سخر له ما فى هذا الكون . والايات القرآنية فى هذا الصدد كثيرة جدا «الم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض » « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر » « وسخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا » « سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره » وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبيلا ـ والسحاب المسخر بين السماء والارض ـ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ـ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ـ هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ـ الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ـ الذى جعل لكم الارض ذلولا ـ والانعام خلقها لكم فيها دفء .. الخ

وبقدر ارتقاء الانسان العصرى عن الانسان الاول فى النواحى العلمية والتقنية «التكنولوجية» وبقدر ما سيتوصل اليه من مخترعات انسان آخر الزمان فكل ذلك من تيسير الله لسبله فى الحياة ، فالله سبحانه هو الذى يكشف تباعا عن آياته وأسراره لعبيده ، ليفيدوا منها أساسا ـ وان كان البعض يجنح الى الشر ـ يقول سبحانه :

● « خلق الانسان من عجل ، سأريكم آياتي فلا تستعجلون » ٣٧ ـ الانبياء .

● « سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ٥٣ ـ فصلت .

٥ ـ ومن تيسير السبيل للانسان أيضا أن جعل الله الناس متفاوتين لينفع بعضهم البعض الاخر ولو شاء لجعلهم أمة واحدة . يقول سبحانه :

● « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » ٣٢ ـ الزخرف .

● « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ١٣ ـ الحجرات .

٦ ـ ومن تيسير السبيل من الله للناس أن جعل عالم النبات وعالم الحيوان متكاملين فالانسان يلفظ فى تنفسه ثانى أكسيد الكربون ويخرج فضلاته من البراز والبول وكل ذلك يحتاجه النبات الذى يستخدم ثانى أكسيد الكربون فى بناء المواد الغذائيه ويمظ فى سبيل ذلك الاكسيجين وكلاهما أساس لحياة الانسان . ولو توقف هذا التبادل بين عالمى الحيوان والنبات لما كانت هناك حياة . فسبحان من له ملكوت كل شىء .

وأخيرا فان تيسير السبيل من الله للناس متعدد الجوانب ، متباين المسالك ان كنا قد سجلنا بعض جوانبه فان ما خفى كان أعظم . وحين يعلم الانسان ذلك ويتأمل فيه مليا ، فلا عليه الا ان يخر ساجدا لربه معترفا بفضله شاكرا لانعمه ، هو الذى اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . أما الذين يحيدون عن منهج الله ، فهم عن آياته صم بكم يمشون فى الظلمات .

« الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل ، له مقاليد السموات والارض ، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون . قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون . ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين . وما قدروا الله حق قدره ، والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون »
صدق الله العظيم

الفروق بين المتشابهات من الكلم في الآيات

الدكتور
محمد عبد المنعم القيعي

لكل كلمة من كلمات القرآن الكريم معناها ومدلولها ووضعها في مكانها المناسب لها ، بحيث لو استخدم غيرها من الكلمات مكانها لم يستقم المعنى ولم يتحقق الغرض الذي من اجله كان السياق .. ويمتاز القرآن الكريم بمراعاة ذلك في كل آياته .. وكيف لا وهو احسن الحديث الذي لا تنقضي عجائبه :

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » ..

والفروق بين المتشابهات من الدقائق التي يجب التنبه لها للوقوف على شيء من اسرار القرآن وخزائنه .. فهو زاد الاتقياء ، ومأدبة العلماء ، ومائدة الله في ارضه .. وعلى سبيل التمثيل لا الحصر نقف قليلا امام حرفين من احرف العطف من بين معانيهما : الابهام ، والتخيير ، والتفضيل — وهما : [او] و [اما] ..

اما استعمال : [اما] في الابهام .. ففي نحو قوله :

« وآخرون مرجون لامر الله ، اما يعذبهم ، واما يتوب عليهم . والله عليم حكيم » ..

ابهم هنا ليكون العبد بين مخافتين ، اجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه . واجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه .. وبين رجاء لما صنع في ماضيه ، وما سيفعله في مستقبله ..

ولكي لا يستبد به اليأس والقنوط ، ولا يعصف به التواكل والتكاسل — ابهم هنا : [اما يعذبهم واما يتوب عليهم] ..

وختم الاية بالعلم والحكمة وياله من ختام ، ليرفع بذلك كل توهم وايهام تثيرهما فكرة الابهام .. فلا يخلو عن مصلحة استأثر الله بعلمها ..

والكلام مع [اما] في حالة الابهام مقصود به الابهام من اول الامر . بخلاف [او] فانه يبنى الكلام معها اولا على الجزم ، ثم يطرأ الابهام . قال تعالى:

[ليجزى الله الصادقين بصدقهم،ويعذب المنافقين ان شاء ، او يتوب عليهم ، ان الله كان غفـورا رحيمـا] ..

فتعذيب المنافق مقطوع به ان شاء الله له ذلك ؛ وقد قال سبحانه :

[ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ، ولن تجدلهم نصيرا ، الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله ، واخلصوا دينهم لله ، فاولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما » ..

فبالنسبة للمنافقين — رجح جانب تعذيبهم ، ثم طرا الابهام حتى لا ييأس من كان منافقا وحدثته نفسه بالتوبه .. لم يزل امام مثل هذا الصنف من الناس فرصة الرجوع الى الله ، فهو غفور ، يغفر الذنوب جميعا .. وهو رحيم وسعت رحمته كل شىء ..

وتوبة الله على العبد توفيقه للتوبة وقبولها منه:

ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم] [وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات] ..

ولتضمن قبول التوبة معنى العفو — عد فعله بحرف الجر « عن » وهو الذى يتعدى به « يعفو » .. وجاء بعد قبول التوبه بالعفو عن السيئات ، ليقرر مرحلتين : مرحلة السـتر بقبول التـوبة ، ومرحلة محو الذنب بالعفو عن السيئات ..

ومثال ما استعملت فيه [اما] للتخيير قوله تعـالى :

[فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها] ..

والتخيير هنا مقصود من اول الامر للتوسعة على الامام فيما يراه مصلحة للمسلمين ، ولانتشار دعوة الاسلام . فان شاء ترك الاسير وحاله ، وان شاء اخذ فدية تعوض المسلمين ماقد يكون قد بذل وهم فى حاجة اليه . وتحمل الاسير بعض تبعات الحرب من غرامات مالية ، وتذكره بفضل من قام يحاربهم وقد أمكنهم الله من دمه ، فابقوا على حياته . ولتعلم درسا يستفيد منه أن المسلمين لا يرغبون فى سفك الدماء ..

ومثال التخيير بحرف [او] قوله تعالى :

[لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ماتطعمون أهليكم ، أوكسوتهم ، او تحرير رقبة] ..

وبناء على ان [او] يبنى الكلام معها اولا على الجزم ، ثم يطرا التخيير — يكون الاطعام فى كفارة اليمين المنعقدة هو الاصل ، وهو الذى يتمشى مع يسر الدين وسهولته ..

اما كسوة عشرة مساكين وان كانت أكثر تكلفة للحانث وأنفع للمساكين ، وكذلك تحرير الرقبه . فان اللجوء لهما تغليظ وتشدد على الحانث حتى يحترم يمينه ، ويمتلىء قلبه بخشية الله سبحانه ..

ولا شك ان التكفير بواحد من هذه الامور مقبول ، لان من ياتى بالاكثر تكلفة — كان اتيانه للاقل تكلفة أيسر عليه ..

ومن اجل ذلك قبل منه اى واحد من هذه الامور .. فان كفر بالاطعام — فهو الاصل ، وان كفـر بالكسوه أو التحرير — فله ذلك وهو مخير ..

ومثال ورود اما فى التفصيل قوله سبحانه :

« انا هديناه السبيل ، اما شاكرا واما كفورا »

فالتفصيل هنا مقصود من أول الامر . وكذا كل ما دخلت عليه أما مقصود من أول الامر . ولاجل هذا لا تاتى الا مكررة .. فاذا لم تتكرر لم تكن من هذا الباب . وانما هى [ان] المدغمة فيها [ما] كما فى قوله تعالى :

« فاما تثقفهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون] ..

وكانت للتفصيل فى قوله :

« اما شاكرا واما كفورا » ..

لبيان أحوال العباد . فقد بين الله سبحانه لجميع خلقه طريقى الخير والشر . وفصلت رسله سبيل الرشاد والغى .. والناس أمام هذا التفصيل اما محس بالنعمه عالم بمسديها ، لا تحجبه رؤية النعمة عن رؤية المنعم فيقوم بشكره وتادية ماعليه .. واما مفتون بها ، لا يعزوها لمسديها . تعميه النعمة عن القيام بحق المنعم ، يقول كما قال الله عنه :

« ثم اذا خولناه نعمة منا قال : انما أوتيته على علم] ..

وحقيقة الامر كما قال الله : —

بل هى فتنه ولكن اكثرهم لا يعلمون ، قد قالها الذين من قبلهم ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فأصابهم سيئات ماكسبوا ، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ماكسبوا وماهم بمعجزين ، أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون] ..

ومثال [أو] فى التفصيل قوله تعالى :

تلك امة قد خلت ، لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون ، وقالوا : كونوا هودا أو نصارى تهتدوا] ..

فالكلام من اليهود ، اذ الايات فيهم . وهم يقصدون الدعوة الى دينهم . فاذا لم يتيسر ذلك — دعوا الى دين غيرهم ، ابعادا للناس عن الاسلام ، فالجمهم الله بقوله :

[قل : بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ، قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم . لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون] ..

وياله من جواب مقنع يناقشهم فى المباهاة بأنسابهم . والتعلق الزائف بدعوات انبيائهم ورسلهم .. فابراهيم أبو الانبياء : [كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين] ..

والمسلمون جردوا عقائدهم من الشرك وهم لا يعادون أحدا من الانبياء ، بل يؤمنون بهم جميعا. لا يفرقون بين أحد من رسله . فاذا كانت الجنة لمن آمن بموسى ، أو لمن آمن بعيسى — فالمسلم يؤمن بهما ويؤمن بالجميع ..

واذا كانت الجنة لمن آمن بالجميع — فلا يتمتع بذلك الا من يدين بالاسلام ويتبع نهج محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين ..

وقوله تعالى :

« كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون] ..

فرمى الرسل واتهامهم من المشركين من اقوامهم — بالسحر ، هو المقصود الاصلى ، واتهامهم بعد ذلك للرسل بالجنون — ضرب من التخبط . اذ الواقع يبرهن على سلامة عقول الرسل ، وبراءتهم من الجنون .. وأما اتهامهم بالسحر — فدعوى يمكن للعقل ان يتأمل فيما تحمله تلك التهمة وفى المراد بها . أهو من سحر القلوب بما يقدمونه للناس من علاج يشفى مرضى القلوب من اسقامهم ، ومن المحال أن يستقيم المعوج بمختل ؟ أم هو من سحر العقول بما يقدمونه من جوامع الكلم فى أوجز أسلوب ؟ ..

ومع ذلك يحلون به أعتى القضايا تغلغلا فى البيئة ، وأشدها عمقا فى نفس الانسان ..

أم هو من سحر الاعين بما يظهره الله على أيديهم من معجزات تشتبه على أعداء الله بالسحر والشعوذة ؟ ..

وهل الرسول ساحر يزاول السحر بنفسه ؟.. أم متسلط عليه من الغير كما قال الظالمون :

[ان تتبعون الا رجلا مسحورا] ..

كل هذه الاحتمالات قائمة فى اتهام اعداء الله للرسل بالسحر ..

وأما اتهامهم بالجنون — فدعوى يكذبها الواقع. يرفضها من كان له شرف الصحبة بالوقوف على رشدهم ، وسلامة تصرفاتهم .. وياباها من استضاء قلبه بنور تراثهم .. ومع ذلك يبرىء الله خاتمهم من تلك الفرية ، وبراءته براءتهم :

[وقالوا : يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون] وأن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ، ويقولون : انه لمجنون » ..

وهاهو رد الحق سبحانه :

(ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وأن لك لاجرا غير ممنون ، وانك لعلى خلق عظيم] ..

وبعد .. فهذا أنموذج من نماذج عديدة ، أبانه الفرق بين حرف تكرر فى الجملة فقصد به مأجاء الحرف من أجله ، وبين حرف لم يتكرر فى الجملة فقصد الجزم بما تلاه أولا ، ثم عرض الابهام أو التخيير أو التفصيل ..

ولا يفوتنى أن أنبه أنه فى حالة التخيير بين كفارات اليمين . لا يمتنع الجمع كالشأن فى [أو] التى تفيد الاباحة كما فى قوله تعالى :

[أن تاكلوا من بيوتكم ، أو بيوت آبائكم ، أو بيوت أمهاتكم] الاية ..

الا أنه لو كفر بالاطعام والكسوة والتحرير جاز. ويكون واحد فقط هو الكفارة . ما عداه قربى يتقرب به الى الله ..

وأسأل الله أن يفقهنا فى ديننا .. وصلى الله على معلم الناس الخير ..

قضايا فكرية في فهم العربية

في الأسلوب القرآني

من فضل القول أن نؤكدأن القرآن الكريم كتاب معجز ، على الانسان أن يتدبر فهمه بما لا يصرفه عنه ، والمنهج الذى نراه : أن يكون التفكير فيه بعيدا عن الصوارف من حساب جمل كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وردت الاثار اللافتة عنه الى اعجاز عددى كان له مناصروه ومناهضوه ،ومن اعتماد على المأثور منهجا نقليا دفعهم الى التحرج والسكوت مالم يرد فيه نص الى اعمال للفكر منهجا عقليا دفعهم الى الوقوف ازاء المناهضين منطقة جدل وصراع حضارة ، ومن مناهج ادبية رمزيه لغـويه تحددالدلالهاللغويه وتوائمبينها وبين متطلبات العباد مصالح مرسلة ومراعاة اعتبار أو نهوضا من ماديات الواقع الى أدبيات المثال أو يرضى رغبات فرقه من الفرق وكلها قائم على اساس لغوى اويجنح الىمذاهب استشراقيه بعيده عن دنيا الشرع واسريعه الى دنيا الحق والحقيقه تجارب داميه الى ما فى الحواس من عجز عن ادراك دقائق المحسات : وقصـور التصورات عن استيعاب الغيبيات : الى منهج علمى يتحدث عن موافقة العلم لما جاء في كتاب الله ويكون النص ملويا لهذه الموافقة والعلم بعد قابل للتغيير والتجدد .

وما الدرس البلاغى الا خدمة لهذا الغرض وكشف عما يعتور جوانبه وما مصطلحـات البلاغيين القدماء الا معايير فكر وخلاصـة تصور وبيان للحكم الذى هو فرع عن ذاك التصور .

وهدفنا أن ننظر للنص القرآنى نصا معجزا لنرى ما نحن بصدده من تقرير ..

الدكتور محمد بدرى عبد الجليل

وأول ما يسترعى انتباهنا هذا الاسلوب الخاص بما يسميه النحويون التعبير عن العلة فى المفعول له أو المفعول لاجله او ما انتصب للعلة .. نجد قوله تعالى : « **واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى** ، ٢٨٢ م البقرة ٢ .

ذكر الضلال دون غيره وهو مناط النهى وكان من الممكن أن يكون المفعول لاجله الطرف الاخر وهو الاهتداء سببا فى استشهاد الناس بامرأتين عند عدم وجودرجل ، وانما ذكر القرآن مناطا لعلة وذكر فى الوقت نفسه مناط الخوف دون غيره مما قد يصلح مفعولا لاجله .

وهذا الشأن تجده فى قوله تعالى : « **فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم** » النساء ٤ كراهة أنتضلوا على قول البصريين ولئلا تضلوا على قول الكوفيين .

وانظر الى قوله تعالى : « والقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا » ٥ ك النحل ١٦ ، وفى قوله تعالى : « والقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة » ١٠ ك لقمان ٣١ .

وانظر الى قوله تعالى : « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا » ٤١ ك فاطر ٣٥ .

ذكر فى المفعول لاجله مصدر الخوف وهو بيان أثر النعمة ببيان الخوف من زوالها واقول فى هذا ان ذاك الامر نجده فيما يتصل بالسلوك الذى ينبغى أن ينتهج دنيويا وتعبديا ولذلك كان الاختيار المعنوى الملفت عن غيره هو بالتعبير بالعلة السالبة اى بيان النتيجة غير المحمودة حالة عدم الامكان .

ذلك أن بين النتائج الحسنة لا يغرى قدر ما يغرى التخويف ان جاز التعبير ببيان النتائج السيئة عند عدم حدوث المفعول لاجله وفيها الحث على دفع الضرر وتلافى الخطر لان النفس الانسانية تنبو عن الضرر قدر يفوق لجلبه النفع ، والوقوف على الضرر المدفوع اكثر بيانا لقيمة النفع المجلوب من ذكر النفع وحده .. العقاب دون الثواب .. التحذير دون الاغراء .

وهذا اللون من الاسلوب ليس له اقتضاء نحوى لهذا ولكنه اقتضاء بلاغى هو الملفت لبيان قدر النعمة السابغة على الانسان واذا كان قد قالوا الصحة تاج على رءوس الاصحاء لا يراه الا المرضى وتقدير النعمة يكون بعد زوالها وما الى ذلك .. فان القران الكريم سلبها اسلوبا لادراك قيمتها معايشة .

وقد أمرنا بتدبر هذا الاسلوب لندرك أبعاد هذا السلب ونتائج قيمة الشىء الا عند الحاجة اليه وها هو ذا أبو فراس الحمدانى يقول :

سيذكرنى قومى اذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ان الناس لينصرفون عن المدركات التى يعيشونها لان عمق المعايشة وكثرة المخالطة صارفة عن قيمة الشىء .. وبهذه الزاوية أو الزاوية الاخرى للجانب الاخر نفهم اقوال الله :

« ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » ١١٤ م البقرة ٢ .

« ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أن تبروا وتتقوا » ٢٢٤ م البقرة ٢ .

« ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ٧٣ م آل عمران ٣ .

« ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا » ٦ م النساء ٤ .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » ١٣٥ م النساء ٤ .

« وأن أحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون » ٤٩ م المائدة ٥ .

وجعلنا على قلوبهم آكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا » الانعام ٦ .

« وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت » ٧ ك الانعام ٦ .

ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » ١٥٦ ك الانعام ٦ .

« ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » ١٧٢ ك الاعراف ٧ .

« ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا » التوبة آية ٥١ .

« وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا » ٢ ك الاسراء ١٧ .

« وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى اذانهم وقرا » ٤٦ ك الاسراء ١٧ .

« انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا » ٥٧ ك الكهف ١٨ .

« ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم » ٦٥ م الحج ٢٢ .

« يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين » ١٧ م النور ٢٤ .

« لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين » ٣ ك الشعراء ٢٦ .

ولم يكن هذا قصرا على هذا اللون من ألوان التعبير بالمفعول لاجله ولكن كان أيضا فى الالوان الاخرى :

« يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » ١٩ م البقره ٢ .

« لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا » ٨٣ م البقره ٢ .

« بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده » ٩٠ م البقره ٢ .

« لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم » ١٠٩ م البقرة ٢ .

« الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس » ٢٤٣ م البقرة ٢ .

« احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة » ٩٦ م المائدة ٥ .

« وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه » ١٣٨ ك الانعام ٦ .

والى لقاء آخر ان شاء الله

هداية سورة الملك

لحسن الحال والمآل

فضيلة الشيخ
محمد مصطفى ابو العلا

روى الامام أحمد : عن أبى هريرة : رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : « ان سورة فى القرآن : ثلاثين آية - شفعت لصاحبها ، حتى غفر له : تبارك الذى بيده الملك

وتسمى هذه السورة : ايضا الواقية ، والمنجية والمانعة لانها تقى ، وتنجى ،وتمنع من عذاب الله جل علاه

وغنى عن البيان - أن تاليها بتدبر ، يفوز بخير كثير ، وأجر عظيم ، وتشرق نفسه بنورها ، وبتدبرها ، فيزداد ايمانا بربه ، وتوكلا عليه تعالى وثقة به : جل وعز ، فيسعد وتسعد به أمته ، وينال خيرى الدنيا والاخرة . وفى تفسيرها - عون : على تدبرها ، والفوزبالاعتبار بها :والسعادة بحسن الحال والمآل ، والغاية الشريفة ، التى تدعو اليها ، فصدق الله العظيم : اذ قال «تبارك » أى تنزه عن صفات المحدثين فتنزه عن أن يكون جسما ، او فى مكان ونحو ذلك ، من صفات المخلوقين ، وذلك التنزه على الدوام ، اذ فى مادة البركة - معنى الزيادة والنماء ، والدوام : « الذى بيده الملك »الله الذى بيده المملوكات ، وجميع الكائنات فى الدنيا والاخرة ، فهى جميعها بيده ، وقدرته تعالى : يتصرف وحده فيها كما يشاء ، ويريد : وفقا لما فى علمه القديم : « وهو »جل شأنه «على كل شىء قدير » الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا «فهو تبارك وتعالى انشأ الناس من العدم وجعل لهم حياة محدودة تنتهى بالموت ، ثم يحيى الناس بعد ذلك حياة أبدية : لا تنتهى فى جنة أو نار ، فقد جعل تعالى الحياة الاولى للاختبار بالاعمال ، لتجزى كل نفس فى الحياة الابدية ، وهى الحياة الاخرة - بما عملت فى الحياة الاولى الدنيا التى انتهت بالموت .

« وهو » تبارك وتعالى « العزيز » القاهر بالعذاب - لمن عصاه ، وخالف اوامره ونواهيه،« الغفور » الواسع المغفرة لمن تاب، واطاع ، وطلب رضا الله جل وعز ، القائل «وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .

وقوله تعالى « الذى خلق سبع سموات طباقا » يفيد أن السموات السبع - بعضها فوق بعض . من غير مماسة ، فبين كل سماء وسماء - بعد ، ويدل أيضا لذلك - حديث الاسراء والمعراج ، الذى رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما ففيه - عبر الرسول : صلى الله عليه وسلم : عن الانتقال من سماء الى سماء . بقوله « ثم صعد بى » . وقوله تعالى «ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت » أى من تباين وعدم تناسب « فارجع البصر ، أى فأعد البصر الى السماء «هل ترى من فطور » من شقوق أى خلل ثم ارجع البصر

كرتين » اى كرة بعد كرة ، ومرة بعد مرة ، وهو مثنى ، لا يراد به حقيقته ، بل المراد به التكثير . كما يقال لبيك ، اى اجابة لك بعد أخرى « ينقلب » يرجع « اليك البصر خاسئا » ذليلا لعدم ادراك خلل « وهو حسير » كليل عجز ، ثم قال تعالى **ولقد زينا السماء الدنيا** » أى القريبة من الارض « بمصابيح » بنجوم « وجعلناها رجوما للشياطين » ، أى فاذا استرق الشيطان السمع ــ انفصل شهاب عن النجم : يرمى به ذلك الشيطان : من الجن ، فيقتله أو يخبله ، ويفسد عليه ، فقوله تعالى « وجعلناها رجوما » اى وجعلنا شهبها : كما قال تعالى « الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » والشهاب جرم صغير مضىء منفصل عن النجم ، ينقض على الشيطان بهيئة شعلة من نار ساطعة ، والشهب هى المعروفة ــ فى العلم الحديث ـ بالنيازك ، ويقول ذلك العلم فيها : انها ــ تبقى بعد انفصالها عن النجوم سابحة فى الفضاء ، حتى اذا اتفق اقترابها من كوكب آخر ، أو من كوكبنا الارضى ، ودخلت فى منطقة نفوذه ــ جذبها اليه بسرعة هائله ، فتحترق ، وتتلاشى هباء منثورا ، او تبقى منها بقية تسقط على سطح الارض ، وهى ما يسمى الحجر النيزكى ، ثم قال تعالى « **واعتدنا** » اى واعددنا . وهيئنا « لهم » للشياطين ، ولفظ الشيطان ــ يطلق على كل متمرد ، عات ، سواء أكان انسيا ، أم جنيا ، أم دابة والمراد ــ هنا شيطان الجن ، وقوله تعالى « عذاب السعير » أى النار الموقدة ، أى بعد احراق اولئك الشياطين بالشهب فى الدنيا ــ لهم ــ فى الاخرة ــ عذاب السعير .

ومن تدبر الايات من أول السورة الكريمة الى قوله تعالى « **وأعتدنالهم عذاب السعير** » قرر الحقائق الاتية ،

١ ــ ان من نظر فى ملك الله تعالى ، وسبح فكره فى بديع صنعه جل شأنه ــ قرأ ــ فى كتاب الكون ــ آيات الجمال ، والكمال ، والجلال ، الدالة على العلم الواسع ، الذى لا يحد ، والقدرة الباهرة لمولانا الله الكبير المتعال ، وقال : اننا ــ مضطرون الى الاعتراف بأن الحادثات ــ مظاهر قدرة باهرة مطلقة ، متعالية عن الادراك هى قدرة من هو على كل شىء قدير .

٢ ــ وأن التفكير الصحيح يوحى ــ الى النفس ــ صادق العبودية وخالص الطاعة ويغرس ــ فى القلب ــ صحيح الايمان ، وعميقه ، ويهدى الضال الى سبيل الرشاد ، والسداد ، فللعاقل ــ ان يعجب لمن يتطلع الى السماء ، ويشاهد عظمة الخلق ، ثم لا يؤمن بالله .

٣ ــ وأن هذا الملك العظيم : بذلك النظام البديع ، الذى لا عوج فيه ــ يدعو الى توحيد خالقه الاعظم ، وتمجيد مالكه الاكرم ، (الذى أحسن كل شىء خلقه) ، (فتبارك **الله أحسن الخالقين**) ، (**انه هو الحكيم العليم**) .

وكم : فى الكون : من أسرار ، تهتف بعظمة الواحد القهار :

فياعجبا كيف يعصى الاله
ام كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له اية
تدل على انه الواحد

والله : تبارك . وتعالى ــ يقول : (**أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت . فذكر انما انت مذكر**) .

وكم فى القرآن الكريم : من موجهات الى أسرار الكون ، وعظمة مكونه : تبارك وتعالى .

وصدق الله العظيم ، اذ قال : (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون) : ولنتوجه جميعا الى ما وجهنا ــ اليه ــ قوله : تبارك ، وتعالى :) قل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون » .

ورحم الله من قال :

تأمل سطور الكائنات فانها
من الملا الاعلى اليك رسائل
وقد خط فيها لو قرأت سطورها
الا كل شىء ما خلا الله باطل

ثم قال : تبارك وتعالى : فى هذه السورة الكريمة : ذاكرا جزاء الكافرين) **وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير** (أى وبئس المرجع والمستقر عذاب جهنم :) **ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما** (، ثم قال تعالى :) **اذا ألقوا** (أى أولئك الكفار . . (فيها) ، فى جهنم : كما يطرح الحطب فى النار **سمعوا لها** » لجهنم « شهيقا » : صوتا منكرا كصوت الحمير (وهى تفور) تغلى ، وقال ابن عباس : رضى الله عنهما : الشهيق لجهنم : عند القاء الكفار فيها ــ تشهق اليهم شهقة البغل للشعير ، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد الا خاف ، وفى سورة هود ــ قال : تبارك وتعالى : (**فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق**) ، والزفير اخراج النفس ، والشهيق رده ، فالشهيق ــ يكون من النار : كما هو ظاهر الاية فى هذه السورة سورة الملك ، ويكون منها الزفير : لقوله تعالى : فى سورة الفرقان : (**سمعوا لها تغيظا وزفيرا**) ، ويكون الشهيق ، والزفير من الكفار فيها : كما هو ظاهر آية سورة هود .

ثم قال الله : تبارك وتعالى — تمثيلا لشدة اشتعال النار : (تكاد) أى تقرب النار (تميز من الغيظ) أى تميز ، وتتقطع من شدة غيظها على الكفار (كلما ألقى فيها فوج) جماعة من أولئك الجاحدين المكذبين : (سألهم خزنتها) حفاظها من الملائكة : مالك وأعوانه : من ملائكة العذاب : أولئك الموكلون بجهنم، ويسمون الزبانية ، ثم ذكر تعالى السؤال ، فقال : **(ألم يأتكم نذير)** : رسول ينذركم عذاب الله تعالى ، ثم ذكر سبحانه : الجواب ، قال : **(قالوا بلى)** : **حرف تصديق** : يقع بعد النفى ، فيفيد اثبات المنفى ، وقد صرح به هنا ،وهو : **(قد جاءنا نذير)** ، ثم ذكر : تبارك وتعالى — ما كان منهم : من أولئك الكفار : من قول للرسل ،الذين أنذروهم : **(فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم » : اى ما أنتم « الا فى ضلال كبير (أى ما أنتم الا بعيدون عن الحق بعدا شاسعا (وقالوا لو كنا نسمع) أى سماع تفهم (أو نعقل) أى عقل تفكر (ما كنا فى أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم — أى حيث لا ينفع الاعتراف ، حيث كان العذاب جزاء وفاقا لهم ، ولذلك — قال — تعالى : (فسحقا) : أى فبعدا (لاصحاب السعير)** ثم ذكر : سبحانه وتعالى — جزاء من يخافه فى دنياه ، وانه عظيم فى اخراه ، فقال :**(ان الذين يخشون)** يخافون (ربهم بالغيب) أى فى حال غيبتهم عن أعين الناس ، فيطيعونه سرا ، فيكون طاعتهم له تعالى علانية أولى : لان المادة — ان الانسان — يستتر عن الناس ، وان لم يخف الله : « أولئك الذين يخشون ربهم بالغيب — **لهم مغفرة واجر كبير »** : الا وانه : تبارك وتعالى لا تخفى عليه خافية : **(ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء) (عالم الغيب والشهادة) وقد جاء ذلك الوصف له تعالى فى سورة الملك : هذه : قال تعالى (وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) أى بما أضمرته القلوب ، فهو : تبارك ، وتعالى — عليم بالضمائر ، قبل ان يعبر عنها ، وبكل سر وجهر ، ومن آمن بذلك — سعد بضمير حى ، يجمله خيرا ، لا شريرا ، ولسان حاله — يقول :**

عندى ضـــمير لست أرضى بيعه
بجميـع ما فى الارض من أموال
وهنـا ضـمائر لو أردت شراءها
لشريت اغلاها بربع ريـال

ثم قال : تبارك وتعالى : « الا يعلم من خلق »

أى أينتقى علمه أنه خالق الشيء — لابد أن يعلم به : جملة ، وتفصيلا : (وهو اللطيف) العليم بدقائق الاشياء (الخبير) العليم بحقائق الامور كلها ، وروى أن المشركين — كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء ، فيخبر الله بها رسوله ، فيقولون : أسروا قولكم : لئلا يسمع اله محمد ، فنبه الله على جهلهم بهذه الاية الشريفة .

ثم دعا الله جل وعز — الى السعى ؟ والكسب ؟ معلنا أن التوكل عليه سبحانه لا ينافى الاخذ بالاسباب ، فقال تبارك وتعالى : **(هو الذى جعل لكم الارض ذلولا)** لينة ، سهلة للمشى فيها (فامشوا فى مناكبها (فى جوانبها) وكلوا من رزقه (: الذى أنعم الله تعالى به عليكم ، اذ سعيتهم اليه : متوكلين عليه جل شأنه ، وقد مر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوم ، فقال : من أنتم فقالوا : المتوكلون قال : بل أنتم المتاكلون : انما المتوكل رجل القى حبه فى بطن الارض وتوكل على الله عز وجل ، وقوله تعالى (**واليه النشور**) معناه واليه الرجوع فى الدنيا والاخرة ،فهو كما يشمل اتجاه انتشار الناس من قبورهم — يشمل اتجاه العبد الى الله ، واعتماده عليه فى سعيه ، وكسبه : لينجح قصده ، ويسدد خطاه ، وفى هذا تنبيه للغافلين ،الذين ينظرون فى سعيهم الى الاسباب الظاهرة ، ولم ينتهو الى أن الله وحده هو الرزاق ، الذى بيده مقاليد كل شيء ، ولم يتدبروا مثل قوله تعالى : « **افرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون** » اى لو نشاء لجعلناه نباتا يابسا لاحب فيه فظللتم تتفكهون ، أن تعجبون ، وتأسفون ، وان من آمن بأن مرجعه الى الله تعالى ، فى الاخرة ، للحساب والجزاء حرص على كسب الحلال وعلى النفقة فى مرضاة الله تعالى ، شكرا له جل شأنه ، وقد قال تعالى :) **واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد .**

ثم قال تعالى « **أأمنتم من فى السماء** » أى الذى فى السماء — سلطانه — وقدرته فالسماء محل سلطانه وقدرته ، وهو العالم العلوى ، وخص بالذكر ، وان كان كل موجود محلا للتصرف فيه ومقدور اليه تعالى لان العالم العلوى — أعجب ، وأغرب ،فالتخويف به — أشد من التخويف بغيره ،ولنتأمل قوله تعالى : **(وهو الله فى السموات وفى الارض** (،أو المراد بمن فى السماء الملائكة ، وأسند الفعل يخسف وكذا يرسل — ضمير الواحد : مراعاة للفظ : من ، ولا عجب فى خسف الملائكة بالجاحدين أو ارسال حاصب عليهم : باذن الله تعالى ، فهم جنده تعالى ، الذى يعذب به قال تعالى : **(أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض)** تبتلعكم كما صنع بقارون وبداره . فقد ابتلعتهما الارض : قال تعالى : فى سورة القصص : **(ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال**

الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين .

ثم ذكر تعالى هنا أثر خسف الارض ، فقال (فاذا هى تمور (تتحرك ، فان الارض عند الخسف بمن يخسف بهم - تتحرك بهم ، أى تجىء ، وتذهب كدوران الرحى على الحب ، فتنقلب وترتفع فوقهم ، وهم يخسفون فيها الى أسفل سافلين ، ثم بعد التهديد بالخسف - أضرب عنه ، وانتقل الى التهديد بارسال الحصباء ، وهى الحصا ، قال تعالى :) أم أمنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا « اى ريحا ترميكم بالحصباء كما رمى قوم لوط ، وأصحاب الفيل ، فهلكوا : (**فستعلمون كيف نذير**) كيف انذارى أى عند معاينة العذاب المهدد به : اذا وقع باستحقاقكم ، أى فستعلمون حينئذ أن انذارى حق ، ونافذ ، وواقع مقتضاه ، وهو التعذيب ، ثم قال تعالى : (**ولقد كذب الذين من قبلهم**) أى من قبل كفار مكة (فكيف كان نكير (.

اى فكيف كان انكارى على اولئك المكذبين من قبلهم - حقا : نافذا ، وواقعا مقتضاه ، وهو التعذيب ، وفى ذلك القول الكريم - تسلية للرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتهديد لقومه المشركين ، وليتأمل الدعاة الى الله تعالى فى تدبر ذلك القول الكريم ، الذى يملا النفس املا ، ويبعث العزم قويا . .

ثم تتابعت - بعد ذلك - آيات السورة الكريمة : تشحذ العزائم وتزيد الايمان بالله القادر العظيم وتبعث الهمم للحق ، وفى الحق تدعو الى الهدى والنور ، والسير على الطريق القويم ، والصراط المستقيم : لكسب الحياة الطيبة ، وحسن العاقبة ، واقامة المجتمع السليم ، الذى لذويه - الخير فى الدنيا والاخرة قال تعالى (**أو لم يروا الى الطير فوقهم**) أى فى الهواء وهى تبسط أجنحتها تارة وتقبضها تارة أخرى ، بدون ان تقع كما قال تعالى (**صافات ويقبضن** (وما يمسكهن عن الوقوع فى حالى البسط والقبض - الا الله تعالى بقدرته ورحمته ، وحكمته : فى خلقه قال جل شأنه : (**ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير**) فهو : تعالى - يعلم : كيف يخلق الغرائب ، ويدبر العجائب ، والمعنى العام : لذلك القول الكريم : أغفل اولئك الكافرون المكذبون ولم ينظروا الى الطير ، فى جو السماء ، وهى تبسط أجنحتها طورا ، وتقبضها تارة أخرى ، وتضرب بها جنوبها وقتا بعد وقت : تقويا على التحرك والدوران ، بدون ان تقع فيستدلوا - بذلك - على قدرة الله العظيمة ، وعلى واسع عمله ، وسابغ رحمته فيؤمنوا بأنه : جل وعز - قادر على أن ينزل بهم ما أوعدهم به : من الخسف وارسال الحاصب ، وغيره من العذاب .

الا ان من نظر - الى ذلك - نظرة معتبر - ازداد به تعالى - ايمانا ، وأخلص له - سرا ، واعلانا .

وكان الكفار يمتنعون عن الايمان ، ويعاندون رسول الله معتمدين على شيئين أحدهما : قوتهم بأموالهم ، وعددهم ، والثانى : اعتقادهم أن الاوثان ، يرونها شفعاء عند الله - توصل اليهم - جميع الخيرات ، وتدفع عنهم كل الافات ، فأبطل الله عليهم الاول بقوله : (**أمن هذا الذى هو جند**) عون (**لكم ينصركم من دون الرحمن**) أى **لا ناصر لكم من** دونه ، «**ان الكافرون الا فى غرور**» غرهم الشيطان ، وخدعهم ، فلا معتمد لهم ، ورد سبحانه وتعالى عليهم الشىء الثانى بقوله (**أمن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه**) أى ان أمسك الرحمن رزقه ، فلا رازق غير الرحمن ، تبارك وتعالى ، فلو كان الرزق موجود كثيرا ، سهل التناول ، فوضع الاكل لقمة فى فيه ، فأمسك الله تعالى - قوة الازدراد - لعجز أهل السموات ، وأهل الارض - عن أن يسوغوا تلك اللقمة « بل لجوا » تمادوا « فى عتو » تكبر وعناد (ونفور) تباعد عن الحق ثم ضرب جل شأنه مثلا للمشرك والموحد توضيحا لحالهما ، وتحقيرا لشأن مذهبهما فقال تعالى ، (أفمن يمشى مكبا على وجهه (واقعا عليه ، والفاء ، لترتيب ذلك على ما ظهر ، من سوء حال المشرك ، وسقوطه فى مهاوى الغرور ، فمثل المشرك فى الحياة الدنيا مثل من يعثر دائما فى مشيه ، ويخر على وجهه لوعورة طريقه ، فيشاهد يرجع عن الحق ، والصواب ، والمنفعة ، عند التشاؤم ، مثلا ، ويرى هلوعا ، جزوعا اذا مسه الشر ، ومنوعا اذا مسه الخير ، وكثيرا يجد متنفسا له ، عند الشدة سوى الانتحار ، وقسوة قلبه ، وضرر ذلك فى المجتمع ، ومساويه أمور واضحة كجبنه ، وخور عزيمته ، ثم قال تعالى ، (اهدى) أى أفذلك الذى يمشى مكبا على وجهه اهدى (أم يمشى سويا على صراط مستقيم (اى قائما مستويا سالما من العثار ، على طريق قويم وذلك مثل الموحد فى الحياة الدنيا ، فيرى الموحد شجاعا فى الحق ، نفاعا لا يضر أحدا ، يسعى فى سبيل الخير دائما : لاعتماده على ربه الواحد ، القوى ، العزيز ، وهو تبارك وتعالى - غايته ، ومطلوبه ، ورضاه مقصوده .

وقد جاء جزاء الموحد والمشرك . فى الدنيا والاخرة ، فى قوله تعالى : (**فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك**

اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة أشد وابقى » .

ثم أمر تبارك وتعالى باعلان وصفه ، الدال على شكره ، الذى كان يجب أن يكون عاما شاملا ، مستغرق الكثرة ، ولكن كان الواقع منه قليلا قال تعالى : (**قل هو الذى أنشأكم**) بدأ خلقكم (وجعل لكم السمع (لتسمعوا به الحق ، والموعظة الحسنة « والابصار » لتنظروا صنائعه ، ودلائل عظمته تعالى (والافئدة) والقلوب للتفكر ، والاعتبار (قليلا ما تشكرون) أى باستعمال هذه الاعضاء فيما خلقت لاجلها .

ثم أمر تبارك وتعالى باعلان انه هو الخالق ، فهو المالك المتصرف ، الذى لا يليق أبدا أن يعصى ، وكيف يعصى ، وهو المحاسب ، المثيب ، المعاقب . قال تبارك وتعالى :) **قل هو الذى ذرأكم فى الارض** (خلقكم فيها) **واليه تحشرون** (تجمعون : للحساب ، والجزاء : الثواب والعقاب .

ثم سجل الله على المكذبين للحشر قولهم للنبى والمؤمنين : **بينوا لنا وقت مجىء الحشر ، ان كنتم صادقين فيما تخبرون به من مجيئه . قال تعالى . (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)** . ثم رد جل وعز على قولهم هذا فقال . (**قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين**) اى وما انا الا رسول منذر بما أمرنى ربى بتبليغه ، ثم بين تبارك وتعالى حال الكفار ، عند الحشر ، فقال جل وعلا .) **فلما رأوه زلفة** (أى قريبا ما وعدوا به من الحشر ، الذى دل عليه قوله تعالى (**واليه تحشرون**) . (**سيئت وجوه الذين كفروا**) باتت عليها الكآبة . وظهر عليها السوء والقبح ، من شدة الحزن ، عند رؤية العذاب ، الذين حشروا اليه (**وقيل**) اى توبيخا لمنكرى الحشر ، وقد حشروا ، وبعثوا احياء بعد موتهم (**هذا الذى كنتم به تدعون**) ان لابعث بقولكم (**متى هذا الوعد**) .

وكان كفار مكة يدعون بالهلاك على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى من معه من المؤمنين ، فامر الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بجوابين : الجواب الاول : الاية الثامنة والعشرون من هذه السورة سورة الملك ، وهى قوله تعالى ، (**قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم** (اى قل يا أيها الرسول لاولئك الكافرين تقريعا ، وتوبيخا .. اخبرونى ان أهلكنى الله ومن معى من المؤمنين بعذابه ، أو رحمنا ، فلم يعذبنا ، أو ان أماتنا ، أو رحمنا ، فأخر موتنا الى أجل (**فمن يجير الكافرين من عذاب أليم**) اى لا مجير لهم منه ، فلا فائدة لهم فيما يتمنون للرسول ، ومن معه .

والجواب الثانى : الاية التاسعة والعشرون من هذه السورة ، سورة الملك أيضا (**قل**) يارسول الله لهم « **هو** » اى الذى أدعوكم اليه « **الرحمن** » الذى يرحم من آمن به ، ويدافع عنه ، ويحسن اليه ، وانا ومن معى (**آمنا به**) ولم نكفر كما كفرتم (**وعليه توكلنا**) ولم نتوكل على غيره كما توكلتم على رجالكم واموالكم) **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** (أى فنحن لا نخشاكم ولا نرهب قوتكم ، ثم قال تعالى فى ختام آية هذا الجواب الثانى) **فستعلمون من هو فى ضلال مبين** (اى فستعلمون ذلك عند نصر الله لحقنا ، وخذلانه لباطلكم فى الدنيا ، وعند معاينتكم العذاب فى الاخرة .

وآخر آيات هذه السورة المباركة سورة الملك قوله تعالى : « قل » يا أيها الرسول : « أرأيتم » يا أهل مكة » ان اصبح ماؤكم « ومنه ماء بئر زمزم (غورا) غائرا فى الارض ، وذاهبا فيها ، فلا تصل اليه دلاؤكم ، ولا آلاتكم (فمن يأتيكم بماء معين) قال ابن عباس رضى الله عنهما) معين (أى ظاهر تراه العيون ، ومعنى القول الكريم أنه لا ياتى بالماء المعين الا الله تعالى ، فلماذا اذا الاعراض عنه تعالى ، وعبادة غيره

وتليت هذه الاية عند بعض المتجبرين ، فقال تعقيبا على قوله تعالى : (فمن يأتيكم بماء معين) تأتى به الفؤوس ، والمعاول ، فذهب ماء عينه ، وعمى نعوذ بالله من الجراة على الله وآياته .

ويستحب أن يقول القارىء ، عقب لفظ معين ، والانتهاء منه ، والوقوف عليه ، الله رب العالمين ، اى هو تعالى الذى يأتى بالماء المعين ، وهو سبحانه المسئول ان يمن علينا بكل خير فى الحياتين) ان ربى لسميع الدعاء (.

من أخلاق القرآن

القصد

القصد خلق من أخلاق القرآن الكريم ، وفضيلة من فضائل الاسلام العظيم ، ولنعرف أولا معنى القصد فى اللغة . القصد فى الشىء ضد الافراط ، وهو ما بين الاسراف والتقتير، والقصد فى المعيشة ألا يسرف ولا يقتر . وقصد الانسان فى الامر : لم يتجاوز فيه الحد ، ورضى بالتوسط . وقصد فى أمره اعتدل وسلك مسلكا بين المغالاة والتقصير ، أو بين الافراط والتفريط . والقصد هو سلوك الطريق المعتدلة ، ولذلك قد يطلق عليه اسم الاعتدال ، وقد يسمى بالسداد ولذلك قالت اللغة العربية ان القصد بمعنى العدل .

والقاصد هو القريب ، ولذلك جاء فى التنزيل المجيد : « لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك » ، أى سفرا غير شاق ولا متناهى البعد . ومما يدل على أن القصد يزاد به استقامة الطريق قول الله تعالى : « وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين » أى على الله تبيين الطريق المستقيم ، والدعاء اليه بالحجج والبراهين الواضحة ومنها طريق جائر غير قاصد .

الدكتور احمد الشرباصى

وقد جاء فى تاج العروس للزبيدى : سدده الله تعالى أى وفقه للسداد ، وهو الصواب والقصد من القول والعمل ، ويقال : انه لاو سداد فى منطقه وتدبيره . والقصد بمعنى الاقتصاد أيضا ، ولذلك أضاف الزبيدى : من الاقتصاد ما هو ممدوح مطلقا ، وذلك فيما له طرفان :

افراط وتفريط ، كالجود فانه بين الاسراف والبخل ، وكالشجاعة فانها بين التهور والجبن ، واليه الاشارة بقوله تعالى : « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** » . ومنه ما هو متردد بين المحمود والمذموم ، وهو فيما يقع بين محمود ومذموم ، كالواقع بين العدل والجور ، وعلى ذاك جاء قوله تعالى « **فمنهم ظالم لنفسه ومنه مقتصد** » ..

وجاء قوله تعالى فى سورة المائدة : « **منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** » أى منهم فريق معتدل لا يشتط ولا يسرف ، والكثرة مفسدة ظالمة مسرفة ، وان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون .

وتفيد هذه الاية أن من أهل الكتاب أمة مقتصدة وهم المؤمنون – قيل كالنجاشى وسلمان وعبد الله بن سلام – اقتصدوا فلم يقولوا فى عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ما لا يليق بهما . وقد جاء فى تفسير « المنار » عن الاية الماضية قوله :

« **منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون** » أى منهم جماعة معتدلة فى أمر الدين ، لا تغلو بالافراط ولا تهمل بالتقصير . قيل هم العدول فى دينهم ، وقيل هم الذين أسلموا منهم . والمعتدلون لا تخلو منهم أمة ، ولكنهم يكثرون فى طور صلاح الامة وارتقائها ، ويقلون فى طور فسادها وانحطاطها . وهل تهلك الامم الا بكثرة الذين يعملون السوء من الاشرار ، وقلة الذين يعملون الصالحات من الاخيار وهؤلاء المعتدلون فى الامم هم الذين يسبقون الى كل صلاح واصلاح يقوم به المجددون من الانبياء فى عصورهم ،ومن الحكماء فى عصورهم ولما جاء الاصلاح الاسلامى على لسان خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم قبله المقتصدون من أهل الكتاب ومن غيرهم ، فكانوا مع اخوانهم العرب من المجددين للتوحيد والفضائل والاداب ، والمحيين للعلوم والفنون والعمران ، فهل يعتبر المسلمون بذلك الان ويعودون الى اقامة القرآن ، وأخذ الحكمة من حيث يجدونها ، وعدد الاصلاح والسيادة من حيث يرونها ، أم يفتأون يسلكون سنن من قبلهم فى طور الفساد والافساد شبرا بشبر وذراعا بذراع ، ومنه الغرور بدينهم ، مع عدم اقامة كتابه والتبجح بفضائل نبيهم على تركهم لسننه وآدابه » .

ومن مواطن ذكر فضيلة القصد فى القرآن الكريم ما جاء فى سورة النحل فى قوله تبارك وتعالى : « **وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين** » . والسبيل القاصد كما عرفنا هو الطريق المستقيم الذى لا ينحرف ولا يلتوى كأنه يقصد قصدا الى غايته فى اعتدال وسداد . بخلاف الطريق الجائر ، فهو المنحرف الذى لا يوصل الى الغايه ولا يقف عندها . ومعنى الاية أن الله سبحانه يبين الطريق المستقيم المعتدلة بالرسل والبراهين - وهى طريق الاسلام - ومن الطريق ما يكون جائرا ومنحرفا عن الحق فلا يهتدى به ، والمقصود بأهل الطريق الجائر والله أعلم هم أهل الاهواء المختلفه وأهل الكفر .

وجاء فى سورة فاطر قوله تعالى : « **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير** » .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : هذه الامه ثلاثه اثلاث يوم القيامة : ثلث يدخلون الجنه بغير حساب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ، وثلث يجيئون بذنوب عظام ، حتى يقول : ما هؤلاء ، وهو أعلم تبارك وتعالى . فتقول الملائكة : هؤلاء جاءوا بذنوب عظام الا انهم لم يشركوا بك ، فيقول الرب : أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى . وتلا عبد الله هذه الاية : « **ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** » .

وعن أبى سعيد الخدرى كما فى تفسير الطبرى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى هذه الايه : « **ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله** » قال : هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنه وعنى بقوله « **الذين اصطفينا من عبادنا** » الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم . وقوله « **فمنهم ظالم لنفسه** » يقول : فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا ، من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصى ، واقترافه الفواحش « **ومنهم مقتصد** » وهو غير المبالغ فى طاعة ربه : وغير المجتهد فيما الزمه من خدمه ربه . حتى يكون عمله فى ذلك قصدا « **ومنهم سابق بالخيرات** » وهو المبرز الذى قد تقدم المجتهدين خدمه ربه واداء ما لزمه من فرائضه فسبقهم بصالح الاعمال ، وهى الخيرات التى قال الله جل ثناؤه :

« **باذن الله** » يقول ، بتوفيق الله اياه لذلك » .

ولقد أحس صاحب « ظلال القرآن » ان صدر هذه الاية يحوى كلمات جديرة بأن توحى لهذه الامة بكرامتها على الله ، كما توحى اليها بضخامة التبعة الناشئة عن هذا الاصطفاء وتلك الوراثة فقد أكرمها الله بالاصطفاء والجزاء ، والفريق الاول ولعله تقدم فى الذكر لانه كثير فى العدد ، تزيد سيئاته فى العمل على حسناته فهو ظالم لنفسه ، والثانى هو الوسط المقتصد الذى تتعادل سيئاته وحسناته ، والفريق الثالث سابق بالخيرات باذن الله ، تربى حسناته على سيئاته ، وفضل الله يشمل الجميع ، فتهم ينتهى الى الجنة والى النعيم مع تفاوتهم فى الدرجات ، وأعظم به من جزاء ومن ثواب « **جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ، وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، ان ربنا لغفور شكور ، الذى أحلنا دار المقامة من فضله ، لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب** » .

وكذلك تعرض الرازى المفسر ، فقد ذكر المراتب الثلاث وأورد أقوال العلماء فى الظالم والمقتصد والسابق وجاء فى هذه الاقوال ذكر المقتصد بالخير والتوسط ، ثم انتهى الرازى الى أن المختار عنده هو أن الظالم من خالف فترك أوامر الله وارتكب مناهيه ، فانه واضع للشىء فى غير موضعه ، والمقتصد هو المجتهد فى ترك المخالفة وان لم يوفق لذلك ، وندر منه ذنب وصدر عنه اثم فانه اقتصد واجتهد وقصد الحق ، والسابق هو الذى لم يخالف بتوفيق الله ويدل عليه قوله تعالى « **باذن الله** » أى اجتهد ووفق لما اجتهد فيه وفيما اجتهد فهو سابق بالخير ، يقع فى قلبه فيسبق اليه قبل تسويل النفس ، والمقتصد يقع فى قلبه فترده النفس ، والظالم تغلبه النفس ونقول بعبارة أخرى من غلبته النفس الامارة وأمرته فأطاعها ظالم ، ومن جاهد نفسه فغلب تاره وغلب اخرى فهو المقتصد ، ومن قهر نفسه فهو السابق » .

وفى سورة لقمان جاء قول القرآن « **واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير** » تواضع فى مشيك اذا مشيت ولا تستكبر ، ولا تستعجل بل اعتدل واتئد . والقصد فى المشى يبين هنا المشية المعتدلة القاصدة التى تليق بالانسان وتنبغى له ، فالقصد من الاقتصاد ، وهو عدم الاسراف ، وعدم اضاعة الطاقة الحسية الجسمية فى التبختر والاختيال والتثنى ، فينبغى أن تكون المشية قاصدة الى هدف ، لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر ، بل تتجه الى غايتها ومقصدها فى انطلاق واعتدال .

ولقد قالت سورة لقمان قبل الاية السابقة : « **ولا تمش فى الارض مرحا** » وعدم ذلك قد يكون بضده ، وهو مشية المتماوت البطىء الذى يبدى من نفسه

الضعف تزهدا ، ولذلك قال : واقصد فى مشيك ، اى كن وسطا بين الطرفين المذمومين .

ولنلاحظ هنا أن القصد يكون فى كثير من الامور : فى التفكير ، وتكوين الرأى ، واصدار الحكم ، والعمل ، والقول ، والمشى والحركة ، والنوم ، والراحة .. الخ .

ويقول القرآن المجيد فى سورة لقمان أيضا : « **وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ، وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور** » اذا غشى هؤلاء موج كالظلل فخافوا الغرق ، فزعوا الى الله بالدعاء والطاعة، لا يشركون به هنا لك شيئا، ولا يدعون معه أحد سواه . ولايستغيثون بغيره ، فلما نجاهم من الغرق والهلاك فمنهم مقتصد ، وهو الذى على صلاح من الامر ، وما يكفر بآياتنا وحججنا الاكل غدار بعهده جحود للنعم .

• • •

وننتقل الى فضيلة القصد فى السنة . هاهو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **الاقتصاد وحسن السمت والهدى الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوة** » .

وقد ورد فى مسند الامام أحمد بن حنبل هذه الجملة من حديث : « وأما الذين اقتصدوا فأولئك **يحاسبون حسابا يسيرا** » كما جاء فيه أيضا : « **عليكم هديا قاصدا** » أى طريقا معتدلا ، قالها ثلاث مرات .

وفى الحديث : « **ما عال من اقتصد ولا يعيل** » أى ما أفتقر من لايسرف فى الانفاق ولايقتر .

وجاء فى صحيح البخارى : « **القصد القصد تبلغوا** » أى التزموا القصد .

وأخرج ابن ماجة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل يصلى على صخرة ، فأتى ناحية ، فمكث ثم انصرف ، فوجده على حاله ، فقام فجمع يديه ثم قال : « **أيها الناس عليكم القصد ، عليكم القصد** »

وروى ابن حبان ان **رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رهط من أصحابه وهم يضحكون فقال : «** لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، فأتاه **جبريل فقال : ان ربك يقول : لا تقنط عبادى . فرجع اليهم فقال سددوا وقاربوا ومعنى أمر النبى بالسداد والمقاربة أنه صلى الله عليه وسلم بعث ميسرا سهلا ، فأمر أمته بأن يقتصدوا فى الامور ، لان ذلك يقتضى الاستدامة عادة .**

وفى البخارى : « سددوا وقاربوا ، واغدوا وروحوا ، وشىء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا » اى الزموا الطريق الوسط المعتدل . واقصدوا السداد وهو الصواب . ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم فى العبادة ، لئلا يفضى بكم ذلك الى الملال فتتركوا العمل . والغدو السير اول النهار ، والرواح السير فى النصف الثانى من النهار ، والدلجة سير الليل .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب القصد فى الحياة ، ويضرب فى ذلك القدوة والاسوة كان يحب القصد فى الصلاة والخطبة ، فكانت صلاة رسول الله قصدا ، وكنت خطبته قصدا ، لاهى بالطويلة ولا بالقصيرة ، كما روى مسلم وابن حنبل .

وكان يحب القصد فى الطعام ، وهو القائل عليه الصلاة والسلام : « **ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ..!**

أما بعد ؟ فالهمنى الله واياك السداد فى القول ، والرشاد فى العمل ، والقصد فى الحياة .

تأملات في البيان القرآني

الصورة القرآنية

في المقال السابق قدم لنا البيان القرآني صورتين نرى في كل منهما جانبا من أحداث القيامة . وقد تبين لنا من تأملاتنا في هاتين الصورتين أنهما ترتكزان على المشاهد الكونية مع أيماءة خاطفة الى المحسوسين .

ونحن اليوم أمام لون آخر من الصورة القرآنية يبرز مشاهد القيامة كذلك ، لكن بتصوير يرتكز على الانفعالات النفسية ، والاحوال البشرية ، مع لمحات خاطفة - كذلك - لبعض الاحداث الكونية الواقعة في ذلك اليوم .

والبيان القرآني في ذلك اللون من الصور لا يخرج على المنهج القرآني في تصويره ، فالصورة ليست احداثا كونية جامدة ، ولا مواقف بشرية غريبة ، ولكنها مزيج من هذه وتلك ، بحيث يتراءى المشهد صادقا ، تتمثل فيه الناس من خلال الاحداث الواقعة - على ما رأينا في المقال السابق - أو ترى فيه الاحداث منعكسة على الناس وهيئاتهم وسلوكهم في ذلك اليوم .

١ - ومن ذلك قول الله عز وجل في سورة طه :

« يوم ينفخ في الصور .

ونحشر المجرمين يومئذ زرقا .

« يتخافتون بينهم : ان لبثتم الا عشرا .

« نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة : ان لبثتم الا يوما .

« ويسئلونك عن الجبال ، فقل : ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا .

« يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا .

« يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا .

« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما .

« وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما .

« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » .

لوحة بشرية تبرز الانفعالات النفسية لطائفة من الناس في أصواتهم الهامسة الحائرة ، وهيئات اجسامهم المفزعة المضطربة ، واستجاباتهم العقلية المستسلمة .. فترى من هذا الذي تشاهد في اللوحة ما حدث في الكون من انقلابات نشأ عنها كل ذلك ، لكنك لا ترى هذا الذي حدث بعينيك فحسب ، بل تراه بعقلك وتصوراتك وتخيلاتك كذلك .

فالبيان القرآني في هذه الصورة يقدم بعض الوقائع والاحداث لترى ما فيها بعينيك ثم بعقلك ، ولترى ما ينشأ عنها بعقلك ثم بعينيك حتى لكأنها هي الاخرى أحداث مذكورة وان كان البيان لم يتعرض لها الا بطريق الايحاء والتخييل .

واللوحة تقوم على عدد من المشاهد المتناسقة في تواليها وترتيبها يتكون منها مجتمعة الصورة المقصودة .

في المشهد الاول يجد المتأمل نفسه بعيدا عن دنياه حيث ينتقل الى مفترق الطريق بين دنياه واخراه ، فيسمع نذير الاخرة في صوت الصور المنفوخ ، فالمشهد الاول من اللوحة ينقل الانسان على جناح الزمن ليعيش في يوم مستقبل بما يقع فيه من أحداث تبدأ بنفخ في الصور فاذا الاحداث تتوالى والمشاهد تتراءى بكل ما تحمل من دلالات .

« وقد آتيناك من لدنا ذكرا . من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا . يوم ينفخ في الصور ... » .

فمشهد النفخ في الصور أول مشاهد القيامة ، ومبتدأ نذرها ، ومفتاح الحركة فيها . فاذا ما وقع النفخ بدأ الحشر ، وتتابعت الاحداث والمواقف .

« ونحشر المجرمين يومئذ زرقا . يتخافتون بينهم : ان لبثتم الا عشرا .

« نحن أعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة : ان لبثتم الا يوما .

ينظر المتأمل في البيان القرآني فيجد نفسه أمام المشهد الثاني ، ولكنه ملتصق بالمشهد الاول لا يكاد يفترق عنه .. بيد أن المشهد الاول يتمثل في صوت من الصور المنفوخ فيه يدوي في كل مكان . وهذا المشهدحشر لجماعة من الناس ذوي سمات خاصة ، وهيئات متميزة ، نراهم في المشهد دون زيف أو حجاب .. نراهم محشورين زرقا .. تبدو على وجوههم آثار الفزع والرعب ، وفي عيونهم آثار الدهشة والمفاجاة .. فهم زرق الوجوه ، زرق العيون لا يرون بها ما يدور حولهم ولا ما يحدث .

فالزرقة لون تصطبغ به البشرة ، و عمى يصيب العيون ، او هو لون وعمى يصاب به هؤلاء المجرمون حين يحشرون الى موقف الحساب ، ويحسون بأنهم على وشك الفضيحة والتعري .

ونسمع صوتهم الخافت في حديث ينسجه بينهم الرعب والحيرة والاضطراب ، يدور حول مدة اللبث قبل الحشر ،

الدكتور ابراهيم عوضين

بمّا ينبىء عن المفاجاة غير المتوقعة ، فقد كانوا يتمنون أن يطول بهم المقام بعيدا عن هذا الموقف اذ فى قيامهم من موتهم سوء لهم أى سوء ٠

فهم فى المشهد يتضامون فى تساؤلهم حتى لا يسمع صوتهم ٠٠ خجلا مما هم عليه ، او خوفا مما هم مقدمون عليه ، أو تطلعا الى ألا يكون ذلك يوم القيامة ٠

لا تدرى أى ذلك يدفعهم الى التخافت فى هذا الحديث ، ولكنه من غير شك شىء من هذا القبيل ، أو كل هذه الاعتبارات هى التى دعتهم الى التسار والتخافت ٠

وهم فى هذا الحوار المتخافت يكشفون عما يطوون عليه صدورهم من ضيق بالقيامة ، اذ أقصى ما وصل اليه تقديرهم أنهم لم يلبثوا فى قبورهم منذ غادروا الحياة الدنيا سوى عشر ، بينما قدر المعتدل فيهم تلك المدة بأنها لا تتجاوز اليوم الواحد ، فالحياة الدنيا بما فيهامنمتاعوصراع ، وآمال وآلام ، وتطلع وطموح ٠٠ هذه الحياة على امتدادها لا تساوي أمام ما هم فيه ـ في أعدل التقديرات ـ سوى يوم ، وفى رأى من يبالغ لا تتجاوز العشرة ٠

« يتخافتون بينهم : ان لبثتم الا عشرا ٠ نحن اعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة : إن لبثتم الا يوما » ٠

ويبدأ المشهد الثالث في اللوحة فنرى انفسنا مع طائفة من الناس فى الحياة الدنيا يسئلون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجبال ومصيرها فى هذا اليوم الذى يقوم فيه الناس ٠

وينظر المتأمل فى هذا المشهد الدنيوى المعترض بين مشاهد القيامة فلا يكاد يحس بالاعتراض أو يجد فيه انقطاعا ، اذ هو ـ مع اتصاله بالحياة الدنيا ـ وثيق الصلة بالقيامة وأحداثها فالناس هم الناس ، واللجاج فى السؤال هنا هو نفسه اللجاج الواقع هناك ، ومحور السؤال يربط المشاهد بالقيامة ، فالمشهد هنا لا يقطع المشاهد ، ولا يجمد الصورة ، بل هو يعين على نموها وتطورها ، اذ يرينا المتحاورين بتخافت فى صورة أوضح ، ويرينا القيامة فى صورة اجلى ، وهو فى الوقت ذاته يجيب على تساؤل من يتعجب من أمر القيامة ولا يتصور تغير الارض التى يدب فوقها ، وتهيئتها بما يتلاءم مع طبيعة الاخرة ٠

« ويسالونك عن الجبال فقل : ينسفها ربى نسفا ٠ فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا » ٠

وهكذا يمضى السياق فى سلاسة واتساق ، فيرسم على لوحة القيامة من مشاهد القيامة فىيومالقيامة ، ومن مشاهد القيامة فى الحياة الدنيا ، دون اضطراب أو خلل فى السياق ، ودون تشويه او تشويش فى الصورة ٠

فاذا وضحت معالم هذا اليوم من لحظة البداية «النفخ فى الصور» الـ مارا بقومة الناس ، وحشر طائفة منهم فى لقاء حائر مضطرب مفزع ، مسلطا الاضواء على هؤلاء فى تخافتهم وتناجيهم الكاشف عن ضيقهم بهذا البعث ، لافتا الانظار الى ما يصاحب ذلك من تغيير فى طبيعة الارض يبدو فى ازالة الجبال أحد الوسائل الممسكة بهاوالمنظمة لمدارها ٠٠ اذا وضحت معالم هذا اليوم انتقل البيان القرآنى الى تقديم هؤلاء العصاة المجرمين فى مشهد الاستسلام والخضوع فى هذا اليوم ٠

ومن ثم يبدأ المشهد الرابع ٠

فنرى هؤلاء المجرمين المحشورين المفجوئين بالقيامة يتحركون بغير ارادة ، مستجيبين للداعى دون تدبر او تردد ، بل هم الى ذلك خاشعو الاصوات رجاء رحمة تنالهم ، فلا تسمع الا الهمس ٠

فالمشهد مزيج من الحركة والصوت والتطلع الى رحمة الله ٠

« يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا » ٠

ويعيد المتامل نظره ، ويديره بين المشهد الثالث ـ حيث تنسف الجبال الشامخة نسفا ـ وبين المشهد الرابع ـ حيث تزول عن هؤلاء الشوامخ صلابتهم التى كانوا يواجهون بها دعوة الهدى فيستسلمون اليوم للداعى من غير تخلف أو اعراض أو تلفت ـ فاذا المشهدانمتناسقانأتمالتناسق لما بينهما من مقابلة وتجانس لا يغيب عن نظر المتأمل ٠

أما فى المشهد الخامس فنلمح محاولات للخروج من هذه الشدائد ، تبدو فى توسلات واسترحامات يتوجه بها هؤلاء الى مالك الملك ، ولكنهم يعودون منها كاسفى البال ، صفر اليدين ، مقطوعى الامال ، يتردد فى آفاقهم صوت علوى يعلن أن هذا اليوم لا تنفع فيه الشفاعة الا صنفا معينا من الناس ، هم الذين أذن لهم الرحمن ، لانه سبحانه وتعالى يعلم ما تقدمهم من الاحوال ، وما كانوا عليه فى الدنيا من طاعة وايمان ٠

« يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ٠ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » ٠

وهنا يتجلى المشهد السادس فنرى فيه هؤلاء العصاة المجرمين الذين ظنوا الحياة الاخرة امتدادا لدنياهم يتحايلون فيها على ما يريدون ليحققوا مطامعهم ٠٠ نراهم وقد وجهوا بكل اسباب الحسرة والخيبة فى المشهد الخامس ، حيث ردت شفاعتهم ورفضت توسلاتهم ، وتحقق لديهم أن ليس أمل فى الخلاص من هذه الاهوال ، وان جزاء ما قدموا لاحق بهم لا محالة ٠ فتجسمت خيبتهم وشقوتهم وسوء منقلبهم ، فانعكس ذلك كله على وجوههم ، فبدت ذليلة خاشعة عانية أمام قهر وسلطان الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يشغله حق عن حق ، ولا أمر عن أمر ٠

وهم الى هذا الذى ترى وجوههم عليه يحملون فوق ظهورهم أسباب هذا الذى أوصلهم الى ما هم عليه ، فهم يحملون على ظهورهم سر عنائهم وشقوتهم وخيبتهم ٠

فأنت تراهم فى هذا المشهد من خلال تلك المفارقة المضحكة يحملون ما يئنون من ثقله ، وما يجر عليهم الوبال والخسران ، ولكنهم لا يقدرون على التخلص منه ، فليس أمامهم الا الاستسلام للمعاناة والذل والحسرة أمام سلطان الله القاهر ٠

« وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما » ٠

ولا تنتهى اللوحة بهذا المشهد ، ولكنها تختم بمشهد مقابل له ترى فيه من كانوا يعملون الصالحات وهم مؤمنون بربهم يختلفون عن هؤلاء ، فهم مطمئنون الى عدالة ربهم مستقرة نفوسهم ، هادئة قلوبهم ، تحفهم السكينة ثقة منهم بأن ما قدموا من صالح الاعمال لن يضيع عند ربهم الذى امنوا به ، فما يصيب هؤلاء المجرمين لا شأن لهم به ، وما يتراءى فى هذا اليوم من أحداث جسام لا خوف عليهم منه ، فهم فى منطقة الامان ، لا خوف يعتريهم ، ولا هزة تؤثر فيهم ٠

«ومن يمعل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » ٠

وبهذا يتكامل بناء الصورة لنرى احدى زاويا القيامة من خلال بعض مشاهدها المتضامة على تلك الهيئة فى تناسق واحكام ، فاذا نحن نعيش احداثها ٠٠ تمر أمامنا وقائعها ، وتتردد فى أسماعنا اصداء اصواتها ، ونلمس آثارها على وجوه الناس هناك على اختلافهم ٠٠ كل ذلك يتحقق من خلال تلك الايات الكريمة المصورة ٠

وهكذا يرى المتأمل لونا آخر من ألوان التصوير يقدم مشاهد القيامة ، يعتمد بالدرجة الاولى على المواقف البشرية ٠

ويعيد النظر فى تلك المواقف فيجدها محسوبة بكل دقة واحكام لتبرز المشهد فى أعماقه وأبعاده تلك ، فلا يملك الا ان يردد ما يردده كلما تأمل البيان القرآنى :

« لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ٠

حول كتاب الله

الدكتور محمد خليفة

خلال أربعة عشر قرنا التقت حول كتاب الله أرواح مئات الملايين من الانسانية المؤمنة والتقت قلوبهم وعقولهم وأفكارهم وخواطرهم ومشاعرهم ، وقد جمعهم الله جميعا على اختلاف أقطارهم وأجناسهم وألوانهم وألسنتهم وميولهم واتجاهاتهم وخصائص تفكيرهم حول خاتم كتبه السماوية ، فعاشت الارواح مع نوره يتدفق اشراقه فى حياتها ، فيبدد شوائب الريب ، ويطارد هوام الاوهام وعوادى الاهواء ، وانسابت آياته فى الارواح تملؤها يقينا وايمانا ، وتخلقها خلقا جديدا ، فالارواح التى يتغلغل فيها نور القرآن تسمو مع اشعاعه عن الطينية التى خلقت منها حيث تعلو وتترفع عن أوحال الرذائل ، ثم تخفق مع نوره سابحه فى عوالم ايات الله تتجاذبها اثار القدرة فتلمس فيها جلال التدبير وعظم التسخير فلا تلبث تلك الارواح السابحه ان تهتف بترانيم العجب : « سبحان الحى القيوم » .

وكم للارواح السابحة فى كتاب الله من آية تشدها وتقف بها على شواهد ومشاهد كلها يؤذن فى الوجود بقدرة الله ، وكلها ينطق بما تخشع لديه الارواح ، فاذا مرت الارواح بآية ذكر الله فيها آية من آيات آلائه على بنى الانسان انتفضت مشاعرها ، وعنت لوجهه شاكرة نعمه ، وما أكثر الايات التى أرسلها الله تذكرة للمؤمنين بتلك الالاء يقول الله سبحانه : « **وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** » .

سبحانه أحيا جديب الارض ، وجعل من مواتها حياة تهتز ، وأنبت من جفاف الحب نبتا وجنات تزخر بالنخيل والاعناب وفجرنا الارض عيونا تروى وتنزهر وتثمر ولم تخلق أيدى البشرية كل ذلك ، ولكنه وحده سبحانه الخالق ، أفلا يذكر الناس رب القدرة ويشكرون صاحب الالاء .

ويخاطب الله الانسان لعله يذكر قدرته ، ويتبصر فى تدبيره فيقول : « **ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار** »

ان الارواح التى تعيش فى آيات الله تؤمن بأنه وحده الذى خلق فى طبيعة الماء التبخر وتعلم أنه هو الذى أرسل الرياح تقل السحاب الثقال وهو الذى ألف بين تلك السحب فجعلها ركاما ينهمر المطر من خلاله ، وارادته وحده هى التى تدبر تصريف المطر فيصيب الله به من يشاء ويصرفه عن من أراد والله وحده بيده تقليب الليل والنهار ، وفى كل ذلك عبرة لارواح المتبصرين يلمسون فيها القدرة المبدعة فيذكرون رب القدرة ويشكرونه .

وحول كتاب الله خلال أربعة عشر قرنا اجتمعت قلوب المسلمين على ما جاء به من عقيدة وتشريع فآمنوا به ، وأتمروا بأوامره ، وانتهوا عن ما نهى

(البقية ص ٤٥)

بعضهم أولياء بعض

الدكتور مصلح سيد بيومي

من كتاب الله الخالد يقول الحق تبارك وتعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » .

وما أحوج الامة الاسلامية الى تدبر آيات القرآن الكريم : والنظر فيه بايمان صادق والعمل بمقتضى هذا الايمان . « أفلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

ومن الايات الكريمة التى تحتاج الى هذا التدبر ما ذكرناه من قول الله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض الخ ... » .

هذا القول الالهى الكريم يبرز لنا أمرين أساسيين : صفات المؤمنين والمؤمنات ، والثواب العظيم الذى أعده الله لهم يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم يقال للظالم تقدم وللمظلوم تحكم فانت اليوم بين يدى العلى الاكرم .

وقبل أن نذكر صفات المؤمنين والمؤمنات فى هذا الموضع من القرآن الكريم لابد وأن نتعرف على هذا الايمان الذى عاش فى سلوكهم .

اذا بحثنا فى حقيقة هذا الايمان نجد أحسن ما قيل فيه أنه : اذعان بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالجوارح .

من أجل هذا نرى أن الايمان فى القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم يقترن معه دائما العمل الصالح سواء كان هذا عن طريق مباشر أو غير ذلك .

وعلى سبيل المثال قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » ، وقال أيضا : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » الخ ...

كذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الامام مسلم فى صحيحه : « الايمان بضع وسبعون شعبة : أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق . والحياء شعبة من الايمان » .

فهذه الشعب التى ذكرت فى هذا الحديث الشريف . منها ما يتعلق بالقلب ، ومنها ما يتعلق باللسان ، ومنها ما يتعلق بالابدان .

على هذا فان المؤمنين والمؤمنات على ضوء ما عرفناه عن الايمان قوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . فلا عجب اذا أن يكون بعضهم أولياء بعض هذه الولاية التى تعتبر من أبرز صفات المؤمنين والمؤمنات معناها أنهم يتناصرون ، ويتحابون ، ويتعاطفون ، ويتوادون .. وهذا منتهى التعاون بينهم لانهم يتعاونون على البر والتقوى كما أمر البارى تبارك وتعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

من أجل هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . وشبك بين أصابعه » .

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

والمجتمع الذى تكون فيه هذه الولاية الخالصة بين أفراده على أساس من الايمان بالله تعالى يكون أهلا لنصر البارى جل علاه .

وصدق الله العظيم اذ يقول : « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » .

ومن سمات الولاية والتعاون فى المجتمع بين الجماعة المؤمنة أنهم : « **يامرون بالمعروف** » وهو القول الحسن الجميل الهين اللين الذى لا غش فيه ولا خداع . « **قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم** » .

و « **ينهون عن المنكر** » وهو ما أنكره المجتمع المؤمن .

قال تعالى : « **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** ! . وقال عليه الصلاة والسلام « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان **لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان** » . وقد بين المولى سبحانه الطريق الموصل الى هذا التغيير فى قوله عز وجل : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** » .

و « **يقيمون الصلاة** » لانها صلة بين العبد وربه .

« **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** » .

« **ويؤتون الزكاة** » ليتم التدريب العملى على الوحدة التى ننشدها بين الجماعة المؤمنة فى المجتمع الصالح .

و « **يطيعون الله ورسوله** » فى الاوامر والنواهى .

قال تعالى : « **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** » .

ماذا لهذه الجماعة المؤمنة من الثواب الذى أعده الله بعد أن اتصفوا بهذه الصفات الطيبة ؟ **قال عز من قائل : « أولئك سيرحمهم ان الله عزيز حكيم »** .

واذا كان الله عز وجل قد ذكر لنا هذا الثواب الاجمالى من الرحمة فما مظهر تلك الرحمة التى أكدها البارى جل علاه **سيرحمهم الله** » ؟ **والجواب فى قوله** تبارك وتعالى : « **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن**

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام مالك عن أبى سعيد الخدرى : **ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة** يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك ، فيقول : الا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يارب وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » .

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بهؤلاء الذين وصفهم الله فى قوله : « **بعضهم أولياء بعض** » **وان يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب** .

بقية مقال « حول كتاب الله »

وحملوا تكاليفه واحتكموا الى شريعته وصانوا مقدساته وردوا عنه حملات التشكيك التى واجهته عبر تاريخه الطويل ، وسار فى الافاق دعاته لم تفزعهم وحشه الطريق ، ولم تثنهم اخطار المفازات او البحار .

وكم طابت المشاق لداعية آنسته يات الله مشاقه وآلام غربته وهو يعيش فى منأى عن الاهل وديار الاهل فرحا بامانه القرآن التى يحملها ويؤديها ويبلغها .

ان آيات الله التى هزت مشاعر مئات الملايين عبر السنين فى آسيا وافريقيا واوروبا ، بل اجتازت المحيطات الى امريكا مازالت حيه فى مشاعر المسلمين تنفعل بها أحاسيسهم ويتأثر بها وجدان الذين يؤمنون بها وستبقى كذلك حتى يرث الله الارض ومن عليها .

ولقد شغل كتاب الله العظيم خلال اربعه عشر قرنا عقول المفسرين والباحثين والمفسرين والمستنبطين وعلماء اللغة وشتى جميعا وغير أولئك من المتبصرين مضوا فى حياتهم مع أسرار عشرات الاعوام لم يملوا البحث والدراسة ولم تشغلهم نعمة العيش ولا أعباء الحياة عن التجديد مع القرآن .

وان المكتبة الاسلامية مازالت تحفظ للوجود التراث الذى يكشف عما بذلته العقول خلال تلك الاحقاب فى تأليف واستنباط علوم القرآن والعلوم التى ألفت لخدمة القرآن وبلاغة القرآن واعجازه .

ومازال علماء المسلمين يقدمون الجديد حول القرآن مما لم يخض فيه قدامى العلماء وسيبقى القرآن ما شاء الله مناطا لعقول الباحثين والمفكرين يجدون فى ذلك الكتاب السماوى ما لم يجدوا فى كتاب سماوى سابق مما يحتاج الى البحث والتفكير .

ومازالت العقول ترى فى البيان القرآنى اسرارا تكشفها للاجيال ، وكم فى البيان القرآنى من اسرار فى حروفه وكلماته وتراكيبه ، وقد خاض العلماء قديما فى بعضها ، وتوقفت عقول البعض عن ادراك اسرارها ، فراح يطرق ابواب اسرارها اولئك الذين وهبوا حياتهم للبحوث القرآنية لعلهم يجتلون اسرارها ، ولن يجتلى تلك الاسرار الا من وهبهم الله ذوقا عربيا أصيلا يتلمسون به فى دراسة النصوص القرآنيه ذلك السمو البيانى وحسبه من السمو انه كلام الله الذى انزله بلسان عربى مبين ليكون المعجزة التى أيد الله بها رسول ، وتحدى به فصحاء العرب بعد أن بلغت العربيه ذروتها من الفصاحة وروعة البيان .

وستعيش الارواح والقلوب والعقول حول كتاب الله الخالد تعب من مناهله ما شاء الله ، وتغوص وراء أسرار بيانه ان شاء الله ، وسيبقى خير زاد لها على الحياة .

من بديهيات الإعجاز العلمى فى القرآن

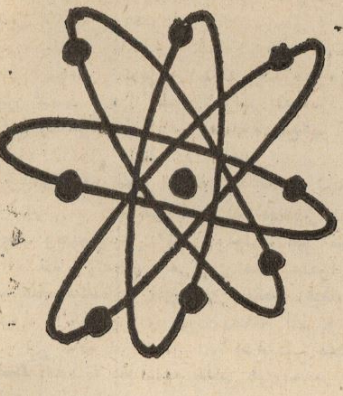

الدكتور مقداد يالجن

نحن نعلم أن هناك جوانب فى الاعجاز فى القرآن لكريم مثل الاعجاز التشريعى والاعجاز البلاغى أو لبيانى والاعجاز التربوى وأخيرا الاعجاز العلمى هو موضوع مقالنا • وانما قلت من بديهيات الاعجاز لعلمى فى القرآن عند تحديد عنوان المقال لاننى سوف لا أتكلم عن جميع جوانب هذا الاعجاز ، بل سأتكلم عن بعض جوانبها الواضحة التى يقبلها العقل السليم الضرورة ، اذ من معانى البديهة ما يفهمه العقل يقبله بالضرورة وبدون اجراء بحث وطول روية وقد كون قبول العقل على ذلك النحو اعتمادا على المنطق لفطرى أو الواقعى أو العلمى • وأقصد من كلمة لاعجاز المعنيين معا من المعانى اللغوية التى وردت ى القواميس والمعاجم اللغوية :

احدهما اثبات عجز الغير وقصوره عن تحقيق فعل يتحدى به • والاخر سبق الغير فيما جاء به من الافعال ، وقد يكون ذلك لامر خارق عما يعتاده الناس ، لذا نجد القرآن قد جاء بحقائق سبق بها الاخرين ، منها ما جاء به القرآن من حقائق علمية معجزة أو خارقة للعادة بالنسبة لما لدى الناس من ثقافة ومعرفة فى ذلك الوقت •

لهذا وذاك فانى عندما درست الاعجاز العلمى فى الايات القرآنية قسمتها فى ضوء ذلك الى قسمين : **القسم الاول** يتضمن الايات التى تحدث الناس فى الامور التى أثبت عجزهم فيها بحيث لا يستطيع أحد اليوم أن يمارى فيها • **والثانى** يتضمن الايات التى كانت دليلا صادقا لصدق القرآن لانها أخبرت عن حقائق علمية ما كان لعلماء ذلك الوقت أن يعرفوها ، ناهيك عن الرجل الامى فى تلك البيئة الجاهلية الاولى •

اما فيما يتعلق بالقسم الاول فان هناك أمورا قد إثبت القرآن فيها عجز المعارضين فى الامور التى تحداهم فيها بعد أن طالت مدة التحدى حتى يومنا هذا •

فمن تلك الامور ما تحدى به القرآن الانس والجن معا أن يأتوا بمثل القرآن « **قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » ولو أنهم استطاعوا ذلك هل كانوا يؤخرون هذه الاستطاعة فى ذلك ولو بعض الوقت وخاصة خصومه الذين كفروا به وأرادوا بكل وسيلة اظهار بطلانه • فعدم أتيانهم بمثله حتى الان يدل على عجزهم من الناحية العلمية والواقعية معا • ثم لم يكتف القرآن باثبات عجزهم فى الاتيان بمثل القرآن كله فحسب ، بل تحداهم بأقل من ذلك ، تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله « **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون** » • ونجد هنا فى هذه الاية اشارة لطيفة الى السر العلمى فى ذلك الذى يجهله الناس وهو أنه انما أنزل بعلم الله لا بعلم البشر ، فلو أنه أنزل بعلم البشر لاستطاع البشر أن يأتوا بمثله ، اذ أن ما قدر عليه انسان يقدر عليه الاخرون أيضا من أمثاله • والاعجاز هنا بديهى واضح يفرض نفسه علينا منطقيا وواقعيا •

ويزيد من قوة ذلك الاعجاز تقدم البشر بعد ذلك فى ميادين التأليف العلمى ، اذ أن ذلك يقتضى أن يأتوا لا بمثل القرآن فحسب بل بأحسن منه وعدم استطاعتهم الان ولو بمثله يدل على عجزهم الواضح ووجود الاعجاز الصريح فى القرآن الكريم •

ومن تلك الامور التى تحدى بها القرآن الناس وأثبت عجزهم فيها أن يخلقوا كائنا حيا مهما كان شأنه وحجمه حتى ولو كان ذبابة « **ان الذين تدعون من دو ن الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له** » •

وسواء كان المراد من دون الله معبوداتهم من الاصنام أو سادتهم من البشر أو الشياطين الذين ابعدوهم عن الله ـ على

حسب اختلاف المفسرين - فانه يدل على شيء واضح هو أنه اذا كان معبودهم عاجزا عن خلق مثل اضعف خلق الله فان العابد اولى أن لا يستطيع على خلق أى شيء من ذلك ، اذ المعبود لا يكون معبودا أو لا يستحق ذلك الا اذا كان أكثر قدرة من العابد فالقوى لا يعبد من هو أضعف منه ·

بل الانسان أعجز من ذلك ازاء قدرة الله اذ أنه بصرف النظر عن خلق مثل اضعف خلق الله مثل الميكروب فانه عاجز عن وقاية نفسه منه اذ أن هناك بعض جراثيم الامراض لميجد الاطباء لها حتى يومنا هذا علاجا ·

بل أكثر من هذا ذلك فان القرآن تحدى الناس بأقل من ذلك وهو خلق حبة من الحبوب النابتة بالرغم من تقدم العلوم اليوم تقدما مذهلا · اذ أن ذلك الخلق خاص بالله « **ان الله خالق الحب والنوى يحرج الحى من الميت ومحرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون** » فليفكر الناس فيمن خلق هذه الحبوب المختلفة ومن الذى زرعها اول مرة هل يستطيع أحد **أن يدعى ذلك** « **أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون** » « **أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون** » « **وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايديهم أفلا يشكرون** » « **فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم** » هل يستطيع أن يدعى أى انسان أنه خلق أى شيء من تلك النباتات والاشجار والحبوب ولو ادعى لا يقبل قوله ثم ان الناس لو استطاعوا أن يخلقوا شيئا من ذلك هل يقصرون أو يؤخرون ولو ساعة من الزمن ·

انه بعد بحث طويل من العلماء عن حالة الارض عندما كانت جرداء من الحياة ثم عن تاريخ الحياة وكيفية ظهورها على وجه الارض والبحث عن تركيبات الخلية الحية ليخلقوا ولو حبة واحدة فلم يستطيعوا الى ذلك سبيلا وانتهوا الى القول بانه لابد من أن تكون نفخة الحياة الى الارض جاءت من خارج هذه الارض · ومن ثم ينظر البعض الى أن الشرارة الاولى للحياة لغز غير محلول بعد ، بل انه غير قابل للحل وانها ألهبت بفعل الهى ثم انكروا امكان نشأتها عن التولد الذاتى كما يدعي بعض أنصار التطور أو عن صدفة كما يدعى البعض الاخر (الوراثة وطبيعة الانسان ص ٤٢ وما بعدها · ثيودوسيوس دويجانسكى · ترجمة زكريا فهمى) ·

ولهذا تحداهم الله قائلا « **هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه** » ·

ثم وجه الله الانسان من العالم الخارجى الى عالمه الداخلى الى نفس الانسان ليرى مافيه من معجزات لا يستطيع الانسان أن يخلق نفسه وان وجوده من خلق الله ولم تكن صدفة اذ أنه هو الذى خلقهم أول مرة « **وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون** » « **ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون** » بل وجه الانسان الى ان الله وضع مصنع الانسان فى داخل الانسان وهو خلق الحيوان المنوى فى جهاز الانسان ولا يدرى الانسان كيف يصنع فى جهازه « **أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون** » « **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج** » « **ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** » ·

ثم ان الذين ذهبوا الى القول بنشأة الانسان عن طريق التطور الذاتى كما ذهب الى ذلك داروين · وبعض أنصاره فان هناك علماء آخرين نقدوا ذلك المذهب واثبت علماء الوراثة أخيرا بعدم امكان تطور نوع عن نوع آخر اذ أن الكروموزومات والجينات الموجودة فى خلية كل حيوان والتى تحمل جميع الخصائص الوراثية لا يمكن أن تتحول الى خواص أخرى ولا تستطيع أن تحمل أكثر من خواصها الخاصة (الوراثة وطبيعة الانسان ص ٣٨ - ٣٩) ومن الغريب أن بعض الناس يظهرون وكأن دعاة التطور جميعا ينكرون الخلق والخالق مع أن دعاة التطور انقسموا الى ثلاثة مذاهب : مذهب يرى أن الكائنات نشأت عن التولد الذاتى دون أى خالق ·

ومذهب آخر يرى أن الله خلق الخلية الحية الاولى ثم وضع فيها قدرة التطور كما وضع فى بذرة الشجرة قدرة ذلك التطور والنمو بحيث تصبح شجرة بعد الزرع · وأما المذهب الثالث والاخير فيرى أن الله خلق جميع المخلوقات بالتطور خلقا مستقلا أى خلق كل نوع خلقا مستقلا لكن بالتطور فمثلا خلق النباتات اولا ثم خلق الحيوانات بأنواعها خلقا بعد خلق ثم أخيرا خلق الانسان (انظر كتابنا : الاتجاه الاخلاقى فى الاسلام دراسة مقارنة الفصل الثالث من الباب الثانى) ونقدوا داروين بأنه لما وجد هذا التطور فى وجود الكائنات ظن أن ذلك نشأ عن طريق التطور الذاتى ·

وهذا المذهب الثالث والاخير هو ما نجده معقولا ومؤيدا من قبل علماء الوراثة المحدثين كما نجده لا يتعارض مع الدين · وانى بحثت فى الاسلام عن نص فى هذا الموضوع فلم أجد بعد ، لكن وجدت فى الكتاب المقدس (العهد القديم) القسم الخاص بالتكوين يقول ما معناه ان الله خلق أولا النباتات ثم خلق الحيوانات ثم خلق الانسان · ونحن نعلم ان هناك قاعدة فى أصول فقه الاحناف وهى أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد نسخ » وفى ضوء ذلك نقرر أن هذا المذهب معقول مقبول فى ضوء الدين والعلم معا ·

ومن تلك المعجزات التى تحدى الله بها الناس أن يفوتوا عليه فى نظامه الذى وضعه فى الكون والحياة مثل أن يخرجوا من كونه وألا يموتوا ان استطاعوا الى ذلك سبيلا « **وما انتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير** » ·

« **ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا ، انهم لا يعجزون !**

« **ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء اولئك فى ضلال مبين** » ·

« **اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة !**

« **يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان !** وليس المراد من أقطار السموات والارض طبقات معينة من الارتفاع وانما المراد هو النظام الكونى المضروب على حياة الانسان فى هذه الدنيا ·

وبهذا النظام الكونى المعجز حاج ابراهيم خصمه الذى ادعى الالوهية وتصريف الامور حسب مشيئته ، فقال « **ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين** » ·

وهكذا يمكن اعجاز أى مبتكر معاند بحركة الافلاك الاخرى وبالنظام الذى يتم بموجبه الليل والنهار فلا يستطيع أحد الادعاء عندئذ بأنه هو الذى يحرك الافلاك ويسير النظام الكونى ولا يستطيع أيضا ان يعكس هذا النظام أو أن يخرج نفسه من اطاره ·

وعندئذ لا يجد مفرا بأن هناك من هو أعظم منه قدرة وعلما استطاع أن يضع هذا النظام الدقيق الفائق المعجز ·

أما القسم الثانى من المعجزات فهى الكشف عن حقائق علمية كانت مجهولة للناس وقت نزول القرآن · واذا أخذنا فى اعتبارنا أن الذى نزل عليه القرآن فى ذلك العصر الجاهلى كان رجلا أميا فكيف يمكن لمثل هذا الرجل فى مثل ذلك العصر أن يكشف عن تلك النظريات والحقائق العلمية التى لم يكتشفها الا علماء هذا العصر الحديث ·

ولا أريد هنا ذكر تلك الحقائق التى تقبل المناقشة والمجادلة وانما اريد ذكر تلك الحقائق الواضحة التى لا تقبل المناقشة فى ميدان العلم ·

ويمكن تقسيم تلك الحقائق الى قسمين : الاول الحقائق فى الافاق والثانى الحقائق فى الطبيعة الانسانية ·

اما فيما يتعلق بالحقائق الاولى التى كشف عن نقابها القرآن قبل أن يكتشفها العلماء بحوالى ١٤ قرنا • فهى كثيرة يطول بنا المقام لو ذكرتها كلها •

فمنها الكشف عن أن الارض مع عظمتها ومع ما فيها من جبال وبحار تدور فى الفضاء وليست مستقرة على قرار معين فقد أشار الى هذه الحقيقة بكل وضوح وبايجاز واعجاز قوله تعالى « **وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء** » وقوله تعالى « **ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده** » وكذلك الى دوران الارض والقمر حول الشمس ثم دوران الشمس حول محورها ، هذا الدوران وذلك نشأ عنهما تكون الليل والنهار فقال تعالى مشيرا الى هذه الحقائق ، **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها** أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » •

فقد قيل لى يوما نريد أن نرى صنائع الله كصنائع الناس لنحس بوجوده ولنؤمن ايمانا يقينيا فقلت ان دوران الارض والقمر حول الشمس ودوران الشمس حول محورها ، وهذا النظام الذى يتم بموجبه هذا الدوران يمثلان ساعة تماما بل أدق من الساعة وأعظم صناعة اذ أن ذلك ساعة الكون التى لا يصيبها أى خلل منذ ملايين السنين وهل هناك ساعة صنعها الانسان يمكن أن تستمر وتعمل مثل هذه المدة الطويلة •

ثم ان الارض بما عليها من بشر ومدن وجبال تمثل سفينة الفضاء ، بل أكبر وأعظم من سفينته التى تدور منذ آلاف السنين فى الفضاء الخارجى ما لها من قرار وأية سفينة صنعها الانسان تضارعها وتشبهها من حيث العظمة والدقة •

واذا انتقلنا الان من عالم الافاق الى عالم الانسان الداخلى نرى فيه معجزات كما رأينا معجزات فى ذلك العالم • ولقد صور العلماء الانسان بأجهزته المختلفة بمصنع عجيب ليس له مثيل فى المصانع التى صنعتها يد البشر حتى الان ، هنا يقول فيليب فينكس • ففى الواقع لا يوجد شىء مثل الانسان نفسه محير مثير فالانسان فى الحقيقة قد صنع صنعا عجيبا مخيفا « فلسفة التربية ص ٦٩٧ • فيليب فينكس » • ولهذا وجه الله الانسان الى النظر الى نفسه ليرى عجائب صنع الله فيها فقال تعالى « **ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك** » « **وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات** » •

وليس الانسان كله يشبه بمصنع عجيب ، بل ان كل جهاز من أجهزته يشبه مصنعا أو معملا ، بل أعظم معمل لم ينتج الذكاء الانسانى مثله بعد ، فهذا العالم الكبير الاستاذ كريسى موريسون رئيس اكاديمية العلوم بمدينة نيويورك يشبه عمل المعدة بمعمل يقول عنه فى كتابه العلم يدعو للايمان تحت عنوان أعظم معمل فى العالم •ثم يبين عظمة ذلك قائلا : « ونحن اذا نظرنا الى الهضم على أنه عملية فى معمل كيموى والى الطعام الذى نأكله على أنه مواد غفل فاننا ندرك توا أنه عملية عجيبة •

فاولا نضع فى هذا المعمل أنواعا من الطعام كمادة غفل دون أى مراعاة للعمل نفسه •

ومن بين هذا الخليط تختار المعدة تلك الاشياء التى هى ذات فائدة وذلك بتحطيم كل صنف من الطعام الى أجزائه الكيموية دون مراعاة للفضلات وتعيد تكوينات الباقى بروتينات تصبح غذاء لمختلف الخلايا وتختار اداة الهضم الجير والكبريت واليود والحديد وكل المواد الضرورية ، وتعنى بعدم ضياع الاجزاء الجوهرية وبامكان انتاج الهرمونات وبأن تكون جميع الحاجات الحيوية للحياة حاضرة فى مقادير منتظمة ومستعدة لمواجهة كل ضرورة وهى تخزن الدهن والمواد الاحتياطية الاخرى لتفادى كل حالة طارئة •• عملية ذاتية (اوتوماتيكية) لابقائنا على الحياة ، وحين تحلل هذه الاطعمة وتجهز من جديد تقدم الى كل خلية من بلايين الخلايا التى تبلغ من العدد أكثر من عدد الجنس البشرى كله على وجه الارض ، ويجب أن يكون التوريد الى كل خلية فرديةمستمرا والا يورد سوى تلك المواد التى تحتاج اليها تلك الخلية المعينة لتحويلها الى عظام وأظافر ولحم وشعر وعينين وأسنان كما تتلقاها الخلية المختصة ، فهاهنا اذن معمل كيموى ينتج من المواد أكثر مما ينتج أى معمل ابتكره ذكاء الانسان ، وهاهنا نظام للتوريد أعظم من أى نظام للنقل أو التوزيع الذى عرفه العالم • ويتم كل شىء بمنتهى النظام ومنذ الطفولة الى سن الخمسين مثلا لا يخطىء هذا المعمل خطأ ذا بال مع أن المواد نفسها التى يعالجها يمكن أن تكون بالفعل أكثر من مليون نوع من الجزيئات •• ومثل هذه مجموعة من المعجزات لا يوجد ولا يمكن أن يحدث بأى حال فى غيبوبة الحياة وكل ذلك يتم فى نظام كامل والنظام مضاد للمصادفة أليس ذلك كله من صنع الخالق » العلم يدعو للايمان « ١٥١ ـ ١٥٦ » • كريسى موريسون •

كما يشبه بعض العلماء القلب بالمضخة الميكانيكية التى تدفع الدم المنصب عليه من أجزاء الجسم المختلفة والذى يحمل بقايا الخلايا الميتة والمواد السامة الى الرئة ثم يدفع هذا الدم المصفى العائد عليه من الرئة الى جميع أجزاء الجسم •

كذلك يشبه البعض الاخر الرئة بمعمل التصفية التى تصفى الدم من الغازات والمواد السامة التى تتكون نتيجة تلف بعض الخلايا واحتراق المواد فىأنحاء الجسم والتىينقلها الدم الى الرئتين ثم يرجع الدم من الرئتين صافيا نقيا •

ويشبهون أيضا الكبد بمعمل التخزين اووتوماتيكى لان من وظائف الكبد تخزين المواد الزائدة عن حاجة الجسم عند تناول الاغذية اللازمة ثم يقوم بتوزيعها عند الحاجة ـ وبقدر الحاجة ـ الى سائر أنحاء الجسم بواسطة الدم • فكيف يعرف الكبد حاجة الجسم ومقدارها وفى ضوء ذلك يتصرف ذلك التصرف العجيب • وعلى ذلك يمكن ان نشبهه بوزارة تموينية تعمل بعقلية الكترونية تعرف حاجة الناس فى البلاد فتقوم بتخزين المحصول الزائد عن الحاجة ثم توزعه على الناس وقت الحاجة • وهل صنعت يد البشرية ـ كما يقول كريسى موريسون ـ مخزنا تموينيا مثل ذلك حتى الان ؟ وخاصة اذا علمنا أن عدد الخلايا الموجودة فى الجسم أكثر من عدد البشر على وجه الارض وهل استطاع العلماء عمل مصنع واحد كهذا يوصل جميع احتياجات الناس فى آن واحد الى جميع الناس على بقاع الكرة الارضية •

وهكذا نجد مثل تلك المصانع فى أجهزة جسم الانسان الاخرى مثل المخ والرحم والكلى وما الى ذلك اذا تأملنا فيها فى ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة كما صورها العلماء فى بعض الكتب الطبية كتاب المعرفة ج ١ ص ١٤ • كتب ابحاثها مجموعة من العلماء • اما عمل المخ فيفوق كلتصور فيشبهه بعض العلماء بالادارة المركزية الاوتوماتيكية اذ يرد فيه التقارير من سائر أنحاء الجسم المختلفة ثم يتخذ القرارات الفورية ازاء تلك القرارات ويصدر الاوامر عن طريق شبكة الاتصالات السلكية وهى **شبكة الاعصاب** • اذ انه بذلك يعد مركزا للادارة الذاتية الذى يدير مملكة الجسم كمايرأس فى ادارة جميع الموانع الموجودة فى هذه المملكة •

ولقد صدقت معجزات الايات القرآنية عندما اخبرت أن تلك الحقائق التى اشارت اليها ستتكشف للناس فيما بعد وهذا ما نفهمه من قوله تعالى « **سنريهم آياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » • صدق الله العظيم ■

التشريع
الإسلامى

فى النسب وحقوق الأولاد

فضيلة الشيخ محمد خاطر

لقد أوضحنا فى حديثنا السابق الشروط التى يجب توافرها فى ثبوت النسب بالفراش . كما بينا ما قرره الفقهاء من قواعد خاصة باثبات النسب وما قرروه كذلك بشأن أكثر مدة الحمل وأقلها .

وفى حديثنا هذا سنبين الحكم فى حالة ما اذا نفى الزوج نسب ولد جاءت به الزوجة فى الزواج الصحيح لستة أشهر أو لاكثر من ذلك من حين العقد . وقد قلنا أن هذا المولود يثبت نسبه من الزوج بالفراش بدون حاجة الى اثبات آخر سواء أقر الزوج بالبنوة أو سكت عن الاقرار مادام لم يثبت عدم التلاقى بين الزوجين ومادام الزوج بالغا أو مراهقا يمكن الحمل منه .

قلنا ذلك فى ثبوت نسبه .

لكن قد لا يسكت الزوج فى هذه الحالة بل ينفى نسب المولود . فهل ينتفى نسب هذا المولود بذلك النفى مطلقا أم لابد من تحقق شروط لينتج هذا النفى أثره

لقد قرر الفقهاء انه اذا نفى الزوج نسب هذا الولد . لا ينتفى نسبه الا بشرطين :

الشرط الاول : أن يكون النفى وقت الولادة أو وقت الاعداد لها بشراء ما يحتاج اليه فى الولادة أو فى أيام التهنئة المعتادة بالولادة . وقد قدر الصاحبان أيام التهنئة المعتادة بمدة النفاس لانها اثر الولادة وهى أربعون يوما من بعد الولادة ولم يقدرها أبو حنيفة بمدة معينة لان أيام التهنئة تختلف باختلاف الناس . وقد روى عنه انه قدرها بثلاثة أيام كما روى عنه تقديرها بسبعة أيام - وهذا كله اذا كان الزوج حاضرا وقت الولادة . أما ان كان غائبا - فيكون النفى وقت علمه بالولادة . فاذا سكت الزوج عن نفى نسب الولد الى أن مضت مدة النفى اعتبر سكوته اقرارا بنسبه منه فلا يقبل منه بعد ذلك نفى نسبه منه . كما لا يقبل منه النفى بعد أن يصرح بأن الولد منه . وذلك لان الفقهاء يقررون انه يشترط لاعتبار النفى الا يصدر من الزوج ما يدل على الاقرار بالولد ، فاذا صدر منه ما يدل على الاقرار الصريح او الضمنى بالنسب ، فان النفى بعد ذلك لا يعتبر ، لان النسب اذا ثبت بالاقرار لا يقبل النفى بعد ذلك .

ومن الاقرار الضمنى اعداده معدات الولادة وقبوله التهنئة ونحو ذلك .

ومن الاقرار الصريح أن يقر بأن الحمل منه قبل ولادتها اذا كانت المدة بين الاقرار والولادة أقل من ستة أشهر لان الاقرار فى هذه الحال يكون واردا على الولد الذى ولدته فلا يقبل من نفيه بعد ذلك - اذ النفى بعد الاقرار يعتبر رجوعا عن الاقرار . والرجوع عن الاقرار غير جائز فى النسب ، فاذا حدث وحصل النفى بعد الاقرار بالنسب وجب اللعان اذا ما طلبت الزوجة الملاعنة لدفع العار عنها معبقاء النسب ثابتا لانه لا ينتفى بالنفى بعد حصول الاقرار .

الشرط الثانى : لقد اشترط الفقهاء أيضا فى نفى النسب وترتب أثره عليه فى حالة عدم وجود الاقرار الصريح أو الضمنى بالنسب ، ان يلاعن الزوج زوجته - واللعان فى اللغة الطرد والابعاد وفى الاصطلاح شهادات مؤكدة بالايمان مقرونة من جانب الزوج باللعنة ومن جانب الزوجة بالغضب . وهذه الشهادات قائمة مقام حد القذف فى حق الرجل ومقام حد الزنى فى حق الزوجة يؤديها الزوجان امام القاضى . اذ الاصل فى القذف هو وجوب الحد وذلك لقول الله تعالى : **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة بدا »** .

وهذا النص عام يشمل قذف الزوجة والاجنبية . ولما وقع الازواج فى حرج من ذلك نزلت آيات اللعان وهى قول الله تعالى : « **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين . والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين : ويدرأ عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين، والخامسة**

« البقية ص ٧٤ »

المتوكلون و المتواكلون

لفظان شغلا ويشغلان عقول الناس تلوكهما الالسنة ، وتتناولهما الاحاديث دون ادراك لحقيقة معناهما ، وموقع كل منهما ، وأكثر الناس عن حقيقة معناهما غافلون ، رغم ما بينهما من تباعد فالتوكل تفويض الامر لله ، وترك التدبير اليه ، والانخلاع من الحول والقوة بأن لا يرى الانسان لاحد حيلة ولا قوة الا بالله ، والاعتماد على الخالق دون الخلائق والكون دون الاكوان .

ولابدفي التوكل ابتداء من ان يقوم الانسان بواجبات الخلقة فى خدمةالحق ، بأن يؤدى حقوق الله كاملة ، وحقوق الخلق ، ثم هو بعد ذلك فى رعاية الله وتوفيقه .

قال تعالى : « وتوكل على الحى الذى لا يموت » .

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه »

« وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد »

« وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين »

فالتوكل من لوازم كمال الايمان ، والانسان المؤمن هو الانسان الوفى بواجبات الخلقة ، فهو الانسان التقى لا يضيع فرضا ، ولا يتعدى حدا ، ولا ينتهك حرمة ،لذا كان هو المعنى بقوله تعالى :« **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** »

ولقد كان فهم المسلمين الاوائل لحقيقة التوكل على أنه بذل الجهد حسب الطاقة والمقدرة ، ثم ترك التدبير الى من بيده التدبير ، مفتاح كل خير ووقاية من كل شر .

وعلى هذا الفهم اندفع المسلمون لخوض معارك الحياة فى السلم والحرب على السواءبعزيمة واصرار وقدرة واقتدار ، لا يلوون على شيء ولا يلتفتون الى اغراء ، ونزل قول الله فيهم : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » .

لم يعللوا انفسهم بالامانى ، ولم ينتظروا أن ينصرهم الله بضرب من قدرته ، فظهر منهممن روائع الاعمال ما أصبح حديث الاجيال ، من صبر عند الشدائد ، وصدق عند اللقاء ، وبذل وتضحية عندما تتطلب أمور المسلمين البذل والعطاء،وسعى دائبفى طلب المعاش ثم الرزق بعد ذلك بيد الله لا بيد أحد سواه ، وضرب فى الارض يفتحون البلدان ويعمرونها ، ويزيحون من على الطريق أعداء الله وأعداء الانسان ، وكان العمل الدائب المستمر فى مجال الحياتين الدنيا والاخرى مادة لا تنقطع

الأستاذ عبد العظيم منصور

ومعينا . لا ينضب ؟ على أساس من الكفاية التامة والقدرة المقتدرة فى كل ناحية من نواحى الانسانية ، اقتصادية وسياسية واجتماعية ، فأرغموا العالم على ان ينحو نحوا جديدا ويتخذ مسيرا اراده الله له لا مكان فيه للاهواء والاغراض والعصبيات ولا مجال فيه للاثرة والانانية ، ذلك هو العهد الاسلامى الذى لا يزال غرة فى جبين التاريخ .

والواقع أنهم ادركوا حقيقة الواجب عليهم فألقوا على أكتافهم مسئولية اقامة النظام الاسلامى ، فاندفعوا يقيمونه فى جد واخلاص متوكلين على الله لا متواكلين مستسلمين ، وكان شعارهم ان الحق هو أغلى ما يضحى الانسان من اجله بالمال والنفس بل وبالحياة كلها ، لان علة الخلقة هى خدمة الحق ، ومن لم يخدم الحق لم يقم لله بواجب الخلقة ، وخدمة الحق لا تكون بالامانى الباطلة ، وانما تكون بالاعمال المبدعة الخلاقة ، التى لا تتجه الى هوى ولا تميل مع غرض .

هذا هو حقيقة التوكل فى شريعة الاسلام ادراك للمسئولية والواجب وعمل جاد مخلص يحمله أمناء بررة ، ثم هم بعد ذلك يفوضون الامر الى الله ، يرضون بقدره واختياره ، باعتباره أوفق لمصالحهم الدنيوية والدينية .

وجماع ما يمكن ان يقال عن التوكل انه يتحقق عند وجود اسباب الفلاح وطرق النجاح ويرجو الانسان قبولها من الله تعالى .

أما التواكل فهو نوع من الدعة والركون الى غير الاعمال اغترارا بسعة رحمة الله وكثرة نعمه جهلا بالفرق بين التوكل والتواكل وعدم الاخذ بأسباب الفلاح والنجاة ، فشأن المتواكل شأن من يطلب الاخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول الامل ، وشأنه شأن من يطلب الدنيا ونعيمها دون أن يسلك مسالكها ، ويضرب فى الارض يبتغى من فضل الله .

وفى الحديث القدسى :

ما اقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » .

وما أكثر الايات القرآنية والاحاديث النبوية ، التى تدعو الى العمل وترغب فيه وتحببه الى النفوس باعتباره شيمة الاحياء ومقدمة لازمة للسعادة والفلاح الانسانى فى الدنيا ، وطريق النجاة وتخطى عقبات يوم القيامة فى الاخرة .

وان دل التوكل على شيء فانما يدل على فهم عميق لطبيعة الدين الاسلامى ، وان دل التواكل على شيء فانما يدل على فقدان الوعى والادراك فى الامة وقد ارتبط التوكل ارتباطا وثيقا بقوة الدولة الاسلامية وتبوئها مكان الامامة والصدارة بالنسبة لدول الارض وشعوبها ، وبلوغها درجة عالية من الكمال الانسانى فى الروح والاخلاق ، فى الماديات والمعنويات ، فى الكفاية والقوة والامانة ، فى العلم والعمران ، وبالجملة فى شئون الدين والدنيا ، دون تضييع لهذه او اخلال بتلك . كما ارتبط انحطاط الدولة الاسلامية وبلوغها تلك الدرجة من التخلف فى شتى الميادين بالتواكل وفقدان الوعى بفقدان ادراك حقيقة الدين واعتماده على كواهل البشر وطاقاتهم من أجل اقامته والتمكين له ، فخضعت الشعوب الاسلامية فترة طويلة الى من ليسوا من ابنائها ، بل وأكثر من ذلك استجابت لكل دعوة ليست من دينها ولا من اسلامها وسكتت عن كل نيل من اموال ابنائها ومن أنفسهم ، وتحملت كل ضيم ، ورضيت بكل هوان ، واستوى عندها الناصح والغاش ، فسهل قيادها الى حتفها وهلاكها ، وهى راكنة الى الذين ظلموها ، مستسلمة الى الذين خانوها ، مكتفية بأن تلك أقدار مقدرة وهى لا تعلم بأن ذلتها من كسبها وتواكلها وأن ضعفها يرجع الى ركونها الى غيرها ، وان تخليها عن قيادة العالم يرجع الى عدم فهمها لادراك حقيقة الدين ورفضه الذلة والهوان لابنائه مهما كانت قلة عددهم وضعف عدتهم .

ولقد كان تحول حياة المسلمين من العمل المخلص الجاد والتوكل على الله ، الى الدعة والتواكل والاستسلام الى المقادير ، هو السبب فى تحول القيادة من الامة الاسلامية الى غيرها ، واصابتها بعوامل الضعف التى منيت بها ، فانقلب عندهم ما كان واجبا من الدين من علم يتبعه عمل ، محظورا فيه .

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل أصاب الاسلام نفسه ، من سهام الاعداء ، ما لا يرضاه مسلم يفهم حقيقة دينه ، وما يأباه مؤمن يغار على اسلامه واظهر ما أصاب الاسلام ان أصبح أعداؤه يهاجمونه ويحكمون على احكامه وأصوله بما فى المسلمين انفسهم ، فقالوا انه دين تواكل لا يدعو الى العمل بل يدعو ابناءه الى الدعة والاستسلام انتظارا لما تأتى به المقادير ، فهو بذلك يقضى على الارادة الخاصة للانسان ، وهذا كما يقولون هو سر تأخر المسلمين فى مختلف ميادين الحياة . وهكذا يحتج الاعداء بالمسلمين على الاسلام ، والاسلام من أفعال أبنائه وجهل أعدائه برىء .

وكل ما يمكن قوله فى هذا الصدد لكل من اراد ان يحتج بالمسلمين على الاسلام ، أن يحتج عليه بهم فى فترة اقامة أحكامه ، حيث ضرب المسلمون الزمان بسوط من العزة ، وعاشت البشرية أجمل أيام حياتها ، فى ظل حكم اسلامى قائم على الهداية وليس على الجمع والجباية ، وقامت عليه حكومة من أكبر حكومات الارض ، تجمع بين السلطان الدينى والدنيوى ، تخدم الحق وتؤازره ، وتحارب الباطل

وتطارده ؟ وتخلى الطريق للاخلاق والاعمال ، وتقدم الامناء القادرين وتأخذ بيد الضعفاء العاجزين ، أقامت علاقاتها بالحكومين على افضل مايمكن ان تقوم عليه العلاقات ، تحفظ للشورى قدسيتها وجلالها ، وتؤكد لحقوق الناس وحرياتهم ضماناتها ، وتزن المحكومين بموازين أعمالهم لا بموازين أحسابهم وأنسابهم وأموالهم . وتقيم علاقاتها بغيرها من أمم الارض وجماعات البشر على اساس القسط والبر مدفوعة بأن التعارف بين الناس هو الحكمة الالهية من خلق الشعوب والقبائل واختلاف الاجناس والالوان .

وما على المسلمين وقد وضعوا أيديهم على بداية الطريق بعد استخلاص استقلالهم الا أن يواصلوا السير ، ويوطدوا العزم ، معتصمين بدين الله ، وواضعين نصب أعينهم ما أمرهم الله به من كتابه وسنة نبيه ، فينهضوا كما سبق لهم أن نهضوا نهضة بها يستردوا مفقودا ويحتفظوا موجودا وينالوا عند الله مقاما محمودا ، مع وعد من الله قاطع بنصرهم والتمكين لهم أخذه على نفسه فى قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون »

فاذا كنا قد أدركنا حقيقة التوكل وتكاليفه بأنه عمل مخلص جاد يتناول أمور الدنيا وأمور الاخرة فان الوقت الذى تعيشه الامم الاسلامية بأعدادها الضخمة ومواردها غير المحدوده يجب أن يكون بدايه لجسر من التضحيات بلا حدود لاتتناول جيلنا وحده بل تعقد مسئوليه أجيال بعدنا بكاملها ، اجيال تعرف العمل الفورى والتحرك السريع اجيال مؤمنة بالهدف مدركة للطريق اليه ، منظمة الصفوف غير منقسمة على نفسها قاسية كل القسوه مع كل من يقف فى طريقها لان الهدف كبير والغايه نبيله وهواقامه منهج الله فى الارض ، فى الارض كلها لاخراج العباد من عباده العبد الى عباده الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها وانتشال البشرية من الوهده التى تردت فيها وتخليصها من نتن الوحل والطين الذى التصقت به لتحلق فى أجواء مشرقة من توحيد الله بلا حواجز مصطنعة بين الارض والسماء وبلا سدود بين الانسان وخالق الانسان ، ووفاء بما أسلفت الاشرة اليه فان الوقت الذي تعيشه الامم الاسلامية يفرض عليها لكى تعيد بناء الحياة على أرضها ، تحديدات معينة هى :

أولا ، تحديد الهدف .. لاشك أن تحديد الهدف يأتى فى الصدارة بالنسبة لما عداه ، وتحديد الهدف كما يقال هو نصف الطريق والهدف عندنا نحن المسلمين هو تكليف ربانى وأمانة فى اعناقنا جسيمة ترتبط بالماضى العريق وتتطاول مع المستقبل البعيد ، وتمتد الى ان تقوم الساعة ، فهو أرقى الامانات على الاطلاق أمانة قيادة البشرية كلها وانتزاع المجداف من الايدى الاثيمة الخرقاء أيدى الانظمة الوضعية التى قادت وتقود البشرية الى حيث النار والدمار ، ليستقر المجداف فى أيد بريئة طاهرة تعمل فى ظل نظام من عند الله لا من صنع البشروقدتحقق هذا الهدف فى الماضى ومن الميسور تحقيقه فى المستقبل اذا قام أمناء بره وعلى قنطرة من جهاد وتضحيات ومعارك لا تتوقف وشهداء يسقطون هنا وهناك بحمل مسئولية أمانة المنهج الاسلامى فى أنفسهم والحفاظ عليه والدعوة اليه سالكين طريق الاباء والاجداد مع الاخذ فى الاعتبار بطبيعه الصراع الدامى المرير الذى تشنه الانظمة الوضعية ضد الطلائع المؤمنة الخيرة الكريمه ، ولا شك ان تحديد الهدف هو مسئولية المخلصين بين أبناء المسلمين الحكام منهم والمحكومين على اختلاف مشاربهم العلمية حين يتقدم الواحد منهم مخلصا النية لله يعرض رايه ويسجل نتاج فكره عالما كان او مفكرا او فيلسوف او كاتبا حسبما اوتى كل منهم من طاقه علميه طبيعية كانت او مكتسبة ومن هنا يجب ان ينطلق المخلصون وخصوصا حكام المسلمين يقيمون الدين ويخلصون النيه لله رب العالمين مادامت الاهداف نبيله والغايات شريفة والعناية الالهيه ترقب وتتابع وتسدد على الطريق الخطى تنصر المخلصين وتنتصر لهم وتدافع عنهم وتأخذ بايديهم وتمكن فى النهايه لهم وعندئذ سيعلم الذين اوصدوا ابوابهم واعدموا عقولهم انهم سكنوا فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وسيتبين لهم عندما يحل عليهم غضب الله وسخطه اى جرم ارتكبوه واى قصاص سينالوه وما الله بغافل عما يعمل الظالمون .

واذ ننتهى من هذه الجزئية نود أن نعيد التأكيد بأن الاسلام جاء حين جاء ليقرر نظاما واحدا يجب ان تكون له السيادة فى الارض كلها مع استعداد هذا النظام ليبسط جناحيه على كل تجربة بشريه رائدة فيها مصلحة بشريه على الا تتعارض ولا تتصادم مع أصول الاسلام وأحكامه « **افحكم الجاهلية يبغون .. ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** » وان هناك شريعه واحدة هى الشريعه الخالدة الباقية فلا شريعة بعدها ولا تحلل من أحكامها تحت أى شعار او بسبب ايه حيله او اى تدبير .. « **ثم جعلناك على شريعه من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** » .. وان هناك طريقا واحدا يصل الى الله .. « **وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** » وأن هناك حقا واحدا وما عداه هو الباطل ، وأن الهدى هدى الله وما عداه هو الضلال » .. « **فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون** » .. وعلى هذا فان هدفنا واحد

وشريعتنا واحدة وطريقنا واحد وحقنا واحد ، فلا مضاربة على الهدف وقد تحدد ولا طريق غير سبيل وطريق المؤمنين فهل نحن منتهون .. ؟ ..

ثانيا : اعتبار وتحديد يرتبط بسابقه ويواكبه وهو : أن نتجنب تماما ودائما الدفاع عن شبهات قد يثيرها المخالفون ويحاولون بها صرفنا عن هدفنا وتغبيش معالم الطريق أمامنا عن قصد منهم وسوء نية ، لان المنهج الذى ارتضاه الله للبشرية من خارج المحيط الارضى ، ومن خارج النطاق البشرى فوق كل الشبهات وفوق كل الاتهامات وهذا ما أمر الله به نبيه أن يخاطب به البشرية كلها ويسألها « **أأنتم أعلم أم الله** » « ويجيب به البشرية كلها ويسألها « **والله يعلم وانتم لا تعلمون** » .. « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** .. » ومن هنا فانه يتعين علينا ان نسعى وندرك كيفية تنفيذ المنهج الالهى بدلا من الوقوف فى مكان اللاحركة تدفع شبهات وترد اتهامات لان ذلك غاية ما يتمناه لنا الاعداء وهو ما سبق أن جربوه فهدموا بذلك قدرا لا يستهان به من الاسلام فى جانبه الاخلاقى والتشريعى والعقدى ، حسدا من عند أنفسهم وصدق قول الله فيهم « **فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون** » ..

ثالثا ، اعتبار وتحديد يرتبط بسابقه ويواكبه وهو أن تغيير واقع الامم والجماعات الاسلاميه .. لن يأتى بالشعارات المزيفه ولا بالنداءات الخالية من نيه الاخلاص فيها بل يأتى بالتربية الجادة المخلصة فى مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا حتى تتحول أحكام الاسلام التى أرسى اصولها القرآن وبينت وجهتها السنه الشريفه الى نماذج بشريه اسلامية تتحرك تشهدها بالعين ونسمع عنها بالاذن ونحس بها فى واقع الحياة فى السلوك والمعاملات والتصرفات ، فى ميدان القتال وفى معترك الحياة اليومى . ولا شك أن عمليه التربيه هى اقصر الطرق واقلها كلفة لاقامه الكتلة الاسلامية وتكوين الدوله الاسلاميه التى تجمع بين السلطان الدينى والدنيوى وتسود فيها المثل الخلقيه وتزدهر فيها الاخلاق والفضيله مع التجارة والصناعه ويساير الرقى الخلقى والروحى اتساع العمران والفتوحات لاخراج الامم والشعوب المغلوبة على أمرها من عبادة العباد الى عبادة الله ومن تحكم الطواغيت وحاكميتهم الى حاكميه الله ، فتزكو علاقه الفرد بالفرد والفردبالدولة والجماعه بالفرد ويحل الحب والوفاء بين أمم الارض وشعوبها محل الغدر والخيانة والبغضاء وتسير الامة الاسلاميه فى الداخل والخارج سيرا حثيثا عادلا متزنا متوازنا لتنهض بالتبعة وتفى بالمسئولية التى الزمها اللهايها الى أن تقوم الساعة والمعبر عنها فى قوله تعالى : « **كنتم خير أمةأخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » وقوله تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** » . وهذا الالتزام الاخلاقى الضخم هو الذى يفرض على حملة المنهج الالهى اقامته فى أنفسهم واليقظة الدائمة للحفاظ عليه والاندفاع فى الارض كلها يسمعون البشرية صوت السماء ويعلنون للدنيا كلها وثائق تحرير الانسان ولعل البشرية اليوم وفى حاضرها الراهن الذى يتميز بالميوعة والاستهتار كما يتميز بالحيلة والمكر والخداع أحوج ما يكون الى منهج السماء بشرائعه القانونية ، وشعائره التعبدية وتصوارته الاعتقادية ليهذب من ديانتها المادية ونزعتها الالحادية .

رابعا : يجب أن يدرك المسلمون حكاما ومحكومين أن حل مشاكلنا ليس مسألة شرقية ولا هو التزام غربى بل هومن صميم أعمالنا ووحى ارادتنا لادخل فى ذلك للشرق أو للغرب أو لهما مجتمعان . وهذا الذى أوردته ليكون تحت نظر المسلمين فلا يغيب عنهم ابدا انما أوردته ليعلم المسلمون أن الانظمة الوضعية لن ترضى لهم أن يظهروا من جديد على مسرح الحياة بما يهدد تلك الانظمة ويحول بينها وبين امتصاص دماء الشعوب واستنزاف خيراتها والقضاء على مواردها وثرواتها وانه مما لا شك فيه أن المعركة التى تدور رحاها الان ظاهرة أحيانا ومستترة فى أغلب الاحيان هى فى حقيقتها وجوهرها معركة عقيدة ، معركة الصراع الدامى بين الخير والشر ، بين الحق والبطل ، بين الايمان والطغيان ، بين المنهج الالهى القائم على العدل والمناهج البشرية القائمة على الظلم وامتهان كرامة الانسان ، أنها ليست معركة سياسية وليست معركة اقتصادية ولا معركة اجتماعية ولا معركة عنصرية ،ومن هنايجب على المسلمين الا ينخدعوا بمكر وخداع الانظمة الوضعية تحت ستار من الصداقةحينا او تحت شعار المصلحةحينا آخر، بل عليهم أن يلتزموا اقصى درجات الحذر فى صبر وثبات واستعلاء فى وقت لا يعرف فيه الأقوياء الا شريعة السيف فى ظل أنظمة تبيح الحرب بغير علة أوبلاغ. عندما تحوتها أساليب المكر والخداع وتفتقر الى تدابير السياسة وأساليب المراوغة والدهاء وما على المسلمين الا أن يؤمنوا ايمانا أثبت من الرواسى وأعمق من خفايا الضمائر بأن حل مشاكلهم وعماد اقامة منهجهم هو الاخذ بمنطق القوة فى حدها الاعلى فى السلم والحرب على حد سواء واذا تردد المسلمون فى حمل تلك التبعه والمسئولية فتستمر الاوضاع السيئة فى العالم وسيكونون هم أول ضحاياها ووقود النار التى تطفىء غيظ الانظمة الوضعية وصدق الله العظيم اذ يقول « **الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير** » ....

خامسا : يجب ان يدرك المسلمون أن التمكين المادى والابداع فيه هو مطلب اسلامى رفيع ومن هنا فأن

الثروات الضخمة التى توافرت للامة الاسلامية بما لم يتوافر لغيرها من امم الارض هى أمانة جسيمة فى اعناق المسلمين يجب صرفها فى وجوهها التى تزيد المسلمين عزة ومنعة وتمنحهم قوة واقتدارا فى مواجهه الانظمة الوضعية وما أحرزته من نجاح مادى واتساع عمرانى وتقدم علمى بدلا من بعثرة تلك الثروات على مظاهر ترفية سرفا وتبذيرا وجهلا بمواضع الحقوق ومقاديرها فاقامة الجامعات والمعاهد والمدارس ودور العلم على مختلف مستوياتها واقامة المصانع والمنشئات سواء تلك التى يتطلبها الاستعداد للحرب أو تلك التى ينفع المسلمين ويستغنى بها عن غيرنا وقت السلم هى اولى اوجه الانفاق التى يتحتم أن تصرف فيها اموال المسلمين تحقيقا للابداع المادى فى كل صوره واشكاله بحيث يكون لرأس المال الاسلامى قوة اقتصاديه عالمية يحسب لها كل حساب فى الشرق والغرب على حد سواء كما يجب أن يستقر فى وجداننا ما يديره المخالفون لنا من محاولات لا تتوقف ولا تكف لاستنزاف ثرواتنا وامتصاص خيراتنا بقصد الاستمرار فى اضعافنا وافساد ديننا ودنيانا وبجانب توجيه الاموال الى ما يعم خيره وابعادها عن كل مالا يؤمن شره ، فان الضرب بقسوة على أيدى العابثين بأموال المسلمين هو ضمانة أكيدة للمحافظه على المال وخصوصا مع اولئك الذين ينظمون مصالحهم بطريقة غير مشروعة يضفون عليها صفة الشرعية لابتزاز الاموال واحتجانها لانفسهم .

سادسا : يجب أن يعى المسلمون وان يستقر فى وجدانهم طبيعه الصراع العالمى الذى يدور رحاه الآن انه كما سبق ان قلت صراع بين العقيدة الاسلامية والانظمة والتدابير البشرية ، صراع بين المسلمين وغير المسلمين .. بين الخير والشر ، بين الحق والباطل بين الهدى والضلال ، بين الايمان والطغيان ومن اراد تحققا فلينظر الى خريطة الدنيا كلها عبر القرون والاجيال والسنين ليرى بعينيه كم من أمم اسلامية قد تم ابتلاعها ومحا الغاصبون ملامحها وكم منها تم استعمارها وضاعت ثرواتها وكم منها تم تشتيت شملها وقطع حبل الاخاء والمودة بينها ، ثم ليرجع الى التاريخ الصادق ليرى ويقف على الاسباب والدوافع لكل ما فعله المخالفون بالاسلام والمسلمين انه العداء الاسود لمنهج الله وليس شيئا آخر غير ذلك .

ومن هنا يجب الا تترك الدول الاسلامية المخلصة فى مواجهة اعصار النيران محاصرة وسط الحريق ، كما يجب ان تؤمن الدول الاسلامية التى تكتفى برنين الكلمات وهى تشهد وترى وتعاين قتل ارادة المسلمين بأنها ان لم تتقدم لتكون الواحدة منها طرفا مباشرا فيما يدهم المسلمين من خطر ، فانها ان عاجلا أو آجلا سيصيبها نصيب موفور من هذا الخطر وعندئذ لن ينفع الواحدة منها ولاؤها لنظام وضعى ولاركونها الى منهج ارضى بشرى .

تلك هى بعض أظهر الاعتبارات التى تصورتها الى ما ينبغى ان يكون عليه حالنا أولها تحديد الهدف ثم يتبع ذلك تجنب الدفاع عن شبهات قد يلصقها المخالفون بالاسلام والمسلمين ، ثم التربية الجادة المخلصة ، وان يكون حل مشاكلنا من وحى اعمالنا وارادتنا ، وان نأخذ بأسباب التمكين المادى فى حدة الاعلى ، وان ندرك طبيعة الصراع بيننا وبين المخالفين لنا ، على ان يكون كل ذلك فى وثائق مكتوبة يتناقلها جيل عن جيل لان الصراع طويل والطريق شاق ومرير ، على أن يتوج ذلك كله ايمان لا يتطرق اليه شك ويقين لا يداخله ريب بأن منطق القوة فى حدها الاعلى فى السلم والحرب وعلى مدى أجيال هو الضمانة الاكيدة التى لا بديل عنها لاقامة منهج الله فى الارض والحفاظ على ممارسة حقنا فى الحرية والحياة فى مواجهة أنظمه ممعنة فى القسوة والاعنات وتقوم على الجور والظلم وتتنكر للعدل وليس عندها بقية من دين او يقظة ضمير يمكن ان تثوب معهما الى رشدها وترجع عن غيها فى استذلال الامم والشعوب فلم يبق بعد ذلك امامنا الا منطق القوة وشريعة السيف العادل لتقليص ظل الانظمه الوضعية لنجعل منها عبرة لانظمة سبقت بالامس الدابر توارت تحت وقع اقدام الحق عندما اقبل الاسلام من قبل الصحراء ليقيم العدل ويدفع الظلم .

واذ انتهى من هذه العجالة اجتزىء آيات من دستور المسلمين الخالد وهو القرآن الكريم أوجهها للمسلمين فى هذا الزمن العصيب الذى يواجهونه ليكونوا على ثقة من نصر الله وانجازه لهم ما وعدهم اياه : **« يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق »** . **« أن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون »** .. وقوله تعالى : **« انهم أن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا »** . ولعل أبلغ ما يمكن توجيهه للمسلمين اليوم قوله تعالى : **« ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما »** .

واعيد التذكير أخيرا بانه لا حياة للامم الاسلامية الا فى ظل الاسلام وهذا المعنى السامى هو ما أكده رمز العدالة فى تاريخ الانسانية عمر بن الخطاب بقوله المشهور لابى عبيدة بن الجراح أمين الامة الاسلامية فيقول له : « انكم كنتم أذل الناس واحقر الناس ، واقل الناس فأعزكم الله بالاسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » .

العودة الى الدين

طريق خلاص الانسان

الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

تواجه الانسانية فى هذا الجيل أزمة خانقة من الفساد والتشنج الاجتماعى والاستهتار بالاخلاق والاستهانة بالقيم والاداب ، ولم يعد هناك مما يتعامل به الناس ويتلاقون عليه ويتعاونون فيه الا جلب المنفعة المادية ، والحصول على هذه المنفعة بأية وسيلة ولو كانت الرشوة او السرقة أو الانحدار الاجتماعى والوطنى ، وكأن حياة الناس ، بما فى ذلك اخلاقهم ومبادؤهم قد أصبحت سلعة فى السوق تجرى عليها المساومة والسمسرة ، ويطلب فى ترويجها الخداع والغش والتدليس .

هذه هى حقيقة الناس وحقيقة المجتمع الانسانى فيما يعانيه من فساد اجتماعى وخلقى فى هذا الجيل ، وحسبك أن ترى الدليل واضحا على هذه الحقيقة فى حوادث الرشوة والاختلاس والسمسرة وما الى ذلك من وقائع الفساد المالى والخلقى الذى شاع واستشرى بين الامم وفى مختلف المجتمعات ، ونحن وان كنا نرى عندنا من هذه الوقائع ما يدعو الى الاسف والالم ، فاننا نجد من ذلك عند الامم الاخرى ما هو ادهى وأمر ، وأشنع وابشع ، واذا كنا نذكر من ذلك اليوم ما ذاع عن فضائح فى اسرائيل أدت الى انتحار وزير كان هو فيها بطل الاختلاس فاننا مازلنا نذكر حوادث الرشوة التى ملأت بها احدى الشركات جيوب الوزراء والافراد وكبار المسئولين ، وكان من ابطالها زوج احدى الملكات وكانت كل حجته فى تقبل الرشوة ان زوجة تضيق عليه فى المصروفات !

والسرقة والاختلاس والرشوة والتدليس والاحتيال كلها موبقات قديمة فى المجتمع الانسانى معروفة بين الناس ، ولكنها فى هذا الجيل استفحلت واستشرت ، وذاعت وشاعت ، حتى أصبحت لاعتياد الناس لها وكأنها شىء مألوف فى حياة الناس ، وهذا دليل على أن هذه الموبقات لم تعد فى حدوثها قرينة الحاجة والضرورة الملحة ، ولكنها أصبحت أمورا مستباحة يقبل عليها الناس بدافع الشهوة والجشع المادى الذى يسيطر على سلوك الناس فى هذا العصر ، ويوغل بهم فى هذا الفساد الاجتماعى

الذي يهدد الحياة الانسانية بالانحطاط ؟ بل هو زرع فيها الانحطاط حتى أورق شجره وبدأ يؤتي ثمره .

لقد كان نابليون يذم الانجليز بأنهم جماعة من أصحاب الحوانيت ، وان مدنيتهم هي مدنية الدكاكين و« الفاترينات » التجارية ، والحق أن هذه أصبحت سمة العصر كله ، وحياة الامم قاطبة ، فقد أصبحت الحياة الانسانية كما قلنا سلعة في سوق التجارة ، وأصبحت المنافع والمصالح هي التي تسيطر على علاقات الامم ونشاط الافراد ، وأصبح الحصول على المال هو الغاية في كل شيء ،وهي غاية تبرر الوسيلة مهما تكن سافلة ، ومهما يكن فيها من اهدار للكرامة والخلق وكل القيم الشريفة التي قررتها الاديان وتعارف عليها الناس من قديم الزمان ،وليس هذا كله في الحق الا نتيجة لتلك الفلسفة المادية الالحادية التي استبدت على الناس أرواحهم وعواطفهم وتحللت بأخلاقهم ومعتقداتهم ، وباعدت بينهم وبين الله ، وفي هذا مات الضمير الانساني او كاد ، وضاع الوازع الديني والاخلاقي من القلوب والنفوس . وهذه هي محنة العصر ، ومحنة المجتمع الانساني في هذا الجيل .

هذه الفلسفة المادية الالحادية كان لها تأثير كبير في خلخلة العقائد الدينية، وزعزعة الاديان من حرمة في نفوس الناس . ولقد أكد هذا كله وأغرى الناس به اغراءا تلك الحضارة المادية ، والمدنية التي قامت بالالات والاختراعات العلمية الحديثة ، **فلم يعد الناس يذكرون الخير وجزاءه ، ولا الشر وعقابه ، ولم يعد يربطهم بسلوكهم في الحياة ذلك الوازع الذي كان يملأ نفوس ابائهم واجدادهم . واذا كان هناك رباط يربطهم والتردد على الكنائس والبيع والمساجد ولكنها لا ترتبط بحياتهم ارتباطا عمليا له أثره في سلوكهم وفي معاملاتهم وفي أخلاقهم . ومن هنا كان هذا الانحراف الذي يشيع في المجتمع الانساني ، وكانت تلك الموبقات الشنيعة التي تسيطر على الناس في اعمالهم وفي معاملاتهم . وليس هذا الذي نسمعه ونراه عن الانحرافات والاختلاسات والرشاوى الكبيرة التي يرتطم في حماتها كبار وصغار في أكبر الدول قوة وأعظمها حضارة ، وأروعها مدنية كما يقولون .**

في الحق أنه ليس أمام المجتمع الانساني للخلاص من هذه المحنة الموبقة ، الا أن يعود الى ضميره ، وهو لن يجد هذا الضمير الا بالايمان ويقظة الروح والعودة الى الله بقلب مؤمن مطمئن ، فنجد ان الله قد اكرمه وكرمه ، وأن مابيده يكفيه بل أكثر ممايكفيه ، وبهذا يعصم نفسه من الجشع والطمع ، والرغبة في السيطرة ونهب ما هو حق لغيره ولاخوته في الانسانية ، وفي هذه الصحوة الدينية يعيش وملء نفسه الشعور بالواجب ، وتقدير المسئولية ، وتقدير الشرف وكل مما هو صدق وحق من امور الناس .

ونحن لا يداخلنا اليأس من أن يعود الانسان الى هذا كله ، وأن يرجع فيطهر روحه من أدران المادية والالحادية ، بل اننا نرى أن الانسان قد بدأ فعلا يلتمس السبيل الى هذه العودة ، وعادت النفوس تشرئب الى الروحانية الدينية ، والى القيم الاخلاقية لعلها ان تجد في ذلك الامان والاطمئنان والخلاص مما تعانيه من القلق والضجر والضيق الذي يخنق انفاسها ، ويحرمها لذة التذوق للحياة .

لقد كان الانسان المعاصر يطمع في ان تحقق له الحضارة الصناعية القائمة ، والمؤسسة المادية الماثلة السعادة في الحياة وبالحياة ولكن الحضارة الصناعية اخفقت في أن تعطي الانسان هذه السعادة ، بل انها زادته شقاء وضجرا وتعاسة ، ان هذا الانسان يستخدم في حياته ارقى الوسائل المادية واستطاع بهذه الوسائل ان يسيطر على الارض برا وبحرا ، وان يصعد الى القمر ويتصل بالمريخ ولكن **كل هذه الوسائل لم تستطع أن تحقق له السعادة النفسية والروحية ، فهو تعس النفس شقي الروح . ولهذا انطلق يبحث عن سعادة النفس والروح من جديد ، ويتطلع الى الحصول على هذه السعادة في رحاب الدين والقيم التي عاش عليها من قبل ، وبهذا عاد الانسان ينشد بنفسه طريق الخلاص ، وهذا هو موضع التفاؤل بمستقبل الانسان ومستقبل الدين .**

الإعجاز العلمي للسنة النبوية

تجديد أساليب

فلقد كان الشائع المتبع منذ عرف الانسان الحرب المنظمة التى تلتحم فيها جماعة بأخرى .. مهما كان عدد هذه الجماعة . وأيا كان سلاحها .. وحتى الى وقت متأخر من القرن الماضى أن أسلوب القتال هو ما يسمى بالكر والفر .. ومازال هذا الاسلوب متبعا فى بعض الجهات التى تتمسك بما وجدت عليه أجيالها السابقة .. والقتال بأسلوب الكر والفر .. هو أن يتقدم المهاجمون ككتلة محاربة يختلط فيها الركبان بالراجلين وتندمج الاسلحة كلها فى خليط واحد .. ويهجم الجيش كله على خصمه .. مشددا الضرب ضاغطا بكل قوته .. وطاقاته .. ويلقاه المدافع بنفس الاسلوب .. بقوته كلها .. وكجماعة واحده بأسلحتها المختلفه فاذا استطاع الجيش المهاجم ان يتقدم فهو يكر .. الى ان يجد مقاومه شديده .. ويبدا الجيش المدافع ان يصمد بل ويتقدم وهنا .. يتراجع الجيش المهاجم قليلا او كثيرا الى قريب أو بعيد .. فهو فى هذه الحالة يفر .. الى أن يعيد تسليح جماعته .. أو يجلب امداداته .. ويعاود الهجوم فهو يكر .. وأمر الجيش المدافع يكون رهنا بقدراته .. وطاقاته .. فأما ان يفر .. تحت ضغط الهجوم حتى يعيد هو الاخر زيادة سلاحه .. أو رجاله وأما أن يكر .. فالكر والفر هو فى اختصار شديد هجوم وتقدم أو تراجع ثم هجوم وهكذا يكر الجيش ويفر ولا فارق فى ذلك بين المهاجم والمدافع والغلبة لمن يكر ويفر ويعاود الكر والفر وفى ذلك يتقدم الى أن يفر خصمه فرارا نهائيا .. أو يلقى سلاحه .. ويعلن هزيمته .. وبهذا سار الحرب الى وقت قريب .. ولم يتغير ذلك الا بما قام به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. بما علمه ربه .. فيما أوحاه له .

ففى غزوة بدر حيث كان عدد قوات المشركين ثلاثة أمثال عدد المسلمين ان لم يزيدوا على ذلك فلقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوب جديد فى القتال هو الاول من نوعه فى عالم القتال يومها وما بعده .. اذ استعرض صلى الله عليه وسلم اصحابه قبل القتال .. وصفهم فى صفوف متراصة .. فجعل هناك أجنحة .. وهناك وسط .. وجعل فى الصفوف مواجهة .. وجعل لها عمقا استراتيجيا .. وأمرهم أن يصدوا أى هجوم وهم على هذه الحالة من الصفوف .. وأن يرابطوا فى هذه المواقع وان يسددوا للعدو النبال .. ويلاقوه بالضرب .. اذا ما امرهم هو بنفسه صلى الله عليه وسلم بذلك .. وهم النسار باسلوب الكر .. فوجدوا عجبا .. الصفوف المتراصة تلاقيهم باكبر كمية من الضرب فيفرون ويتقدم الجيش الاسلامى بصفوفه المتراصة والمنظمة .. من نصر .. الى نصر .. وفوجىء العالم كله .. بهذا الاسلوب الجديد من القتال .. اسلوب القتال فى صفوف أو ما يسمى حاليا بالقتال بأسلوب الصفوف ..

وغير سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوب القتال فى صفوف الى اسلوب جديد لم يسبقه

القتال

ان أهم ما تعنى به الاكاديميات العسكرية والمعاهد الاستراتيجية فى عصرنا الحاضر دراسة أساليب القتال التى اتبعت فى كل حرب تقوم مهما كان حجمها وذلك للوقوف على التطور العلمى الذى يطرأ على أساليب الحرب وفنون القتال .. ولقد وضع العلم العسكرى الحديث قاعدة هامة فى فن القتال تعتبر من أهم ما توصل اليه العقل المحارب ألا وهى قاعدة التجديد فى أساليب القتال .. وتطوير طريق الالتحام .. ويختلف العلماء فى تحديد الزمن الذى بدأ فيه العالم الاخذ بمبدأ تجديد اساليب القتال .. وفى القائد الذى اتخذ هذا المبدأ فى الحرب .. ونجد من يقول انه نابليون .. وآخر يقول بل هونلسون ومنهم من يقول أنه القائد اليونانى استراتجوس .. والحقيقة التى لا جدال فيها ولاشك ولا ريبة حولها .. هى أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من اتخذ مبدأ أسلوب التجديد فى القتال .. فلم يسبقه فيه أحد .. بل ولم يلحقه أحد .

الدكتور عبد الرزاق نوفل

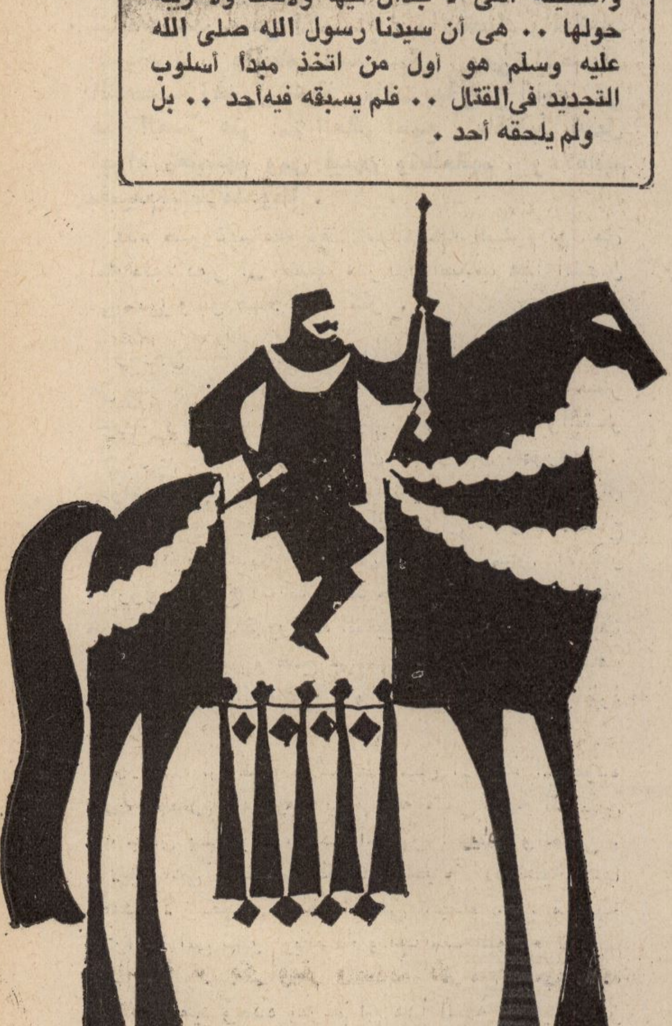

فيه أحد .. اذ أخذ بأسلوب جديد هو الخندقة .. ففى غزوة الخندق .. فلقد قام عشرة آلاف قرشى وغيره عدا اليهود بمحاولة لمهاجمة المسلمين الذين لا يزد عددهم على ثلاثة آلاف .. وهناقرر سيدنارسول الله صلى الله عليه وسلم البقاء فى المدينة .. وأمر بحفر خندق عميق يحيط بشمال المدينة وحتى جبل سلع .. اذ ان هذه المنطقة المكشوفة التى يستطيع المهاجم ان يقوم بهجوم عليها منها . وقسم رسول الله منطقة الحفر على أصحابه .. لكل منطقة محدده .. وشارك هو ايضا صلى الله عليه وسلم بمنطقة شأنه شأن الجندى العادى من المسلمين .. وكان اذا تعسر الجندى فى الحفر .. أو تعذر عليه ضرب أى حجر .. قام صلى الله عليه وسلم علاوة على وجبته فى العمل .. المعاونة .. والمساعدة .. لمن يتعسر أو يتعذر عليه ضرب الحجر .. واحتل المسلمون أماكنهم .. بجوار مساكنهم .. وانكشف الاعداء وهم فى العراء وفى طقس شتوى قاس لا يستطيعون تحمله طويلا .. ولا الاستمرار فى تموين هذا الجيش وهو على مسافة بعيدة من مراكز تموينه .. وكانوا هدفا سهلا وطيبا للمقاتلين من المسلمين .. **وكان اسلوب الخندق .. وهو أسلوب جديد فى القتال .. مفاجاه وأى مفاجاة .. حققت للمسلمين النصر .. وهكذا كان يتخذ صلى الله عليه وسلم فى كل حرب أسلوبا جديدا فى القتال .. كما توصى بذلك أحدث الدراسات العسكرية فى عصرنا الحاضر .. صلى الله عليه وسلم .**

أصول الاجتهاد في الفقه الإسلامي

الدكتور محمد سعاد جلال

يتحدث كثير من الناس في هذه الايام عن فتح باب الاجتهاد في الفقه الاسلامي ، وعن الاسباب الملحة في الدعوة اليه من احتياجات الناس التشريعية والاجتماعية ، الناشئة عن التغييرات ، والتطورات العالمية التي فرضتها عليهم طبيعة العصر أن تغيرات شاملة وجذرية في الاجتماع ، والاقتصاد والعلاقات السياسية ، والنظم السياسية ، وفي الاحوال الشخصية وشئون المرأة ، قذفت بها رياح التطور في هذا العصر على أمم العالم أجمع ، فاقتضت تبديل أجزاء معايشهم ومن قيمهم وتطلعاتهم ، وعلاقاتهم بغيرهم تبديلا ملحوظا .

هذه صورة مرئيه لامم العالم كله اليوم لم تخل أمة منهم دون أن يمسها قدر من أسباب هذا التبديل في صور وجودها : قل أو كثر .

ومرجع ذلك الى التطور المذهل الذي تندفع أمواجه في حركه العلم والصناعة والبحث في هذا العصر الفريد وانبعاثهما في أسباب من الترقي والسمو المعجز لم يكن يخطر على بال البشر قبل ظهورهما .

وقد استتبع ذلك ـ كما قلنا تغيرا شاملا في أحوال النفس ، والاجتماع ، والعمران ، والاوضاع الاقتصادية وعامة ما يمس الانسان من الافكار والرؤى وأنواع المعاملات ـ حتى العقل البشرى نفسه طرأ عليه بسبب تأثير تلك التغييرات في جميع الظروف المحيطة به تغير واضح في منهج التفكير وفي استئناف البحث للاراء التقليدية ، والمعتقدات الموروثة بنظرة جديدة .

ولا شك أن الفقه الاسلامي ككل الاشياء الموجودة تحت سلطان العصر لا ينبغي له ، من جهة العاملين فيه ـ أن يظل بازاء هذا التطور العلمي والعقلي ، والاجتماعي الضخم الشامل لحياة الانسانية كلها جامدا لا يتحرك ، مصرا على البقاء على ماضيه المتراجع الى نحو أربعمائة وألف سنة للوراء لا يقدم للناس حلولا لمشكلاتهم المتعددة الا من جهة ذلك الماضي البعيد وحده وبرغم أن هذا الفقه العظيم يتميز بخصوبة فائقة ، وحيوية زاخرة . ومازال يقدم من جهة ذلك الماضي حلولا موفقة لبعض مشاكل الناس في العصر الا أن ذلك لا يعد منه هو العطاء الكلي العام الذي تقتضيه وظيفته الحقيقية ، وأصل رسالته العامة .

ان أصل رسالة الفقه الاسلامي وواجبه ، أن يقدم للناس جميعا ، نظاما قانونيا ، وأخلاقيا شاملا تستوعب الاجابة عن مسألة جميع المشاكل التي تعرض للناس في حياتهم الفرديه والاجتماعية ، والا يتوقف عن ذلك في وقت من الاوقات وان هذا المعنى المميز لطبيعة الفقه الاسلامي هو الذي يفرض عليه عملية التجديد ، والتطوير في منهجه ، وأحكامه .

كان فقهاء المسلمين منذ العصر الاول هم قادة المسلمين المطاعين بحكم وظيفتهم الفقهية ، وهي الفتوى في أمور الحلال والحرام ، وتعليم الناس عقائد الاسلام ، فكان الناس من أجل احتياجاتهم لهؤلاء الفقهاء في أمس ما يهتمون به من أشواق أرواحهم ويبالغون في طلبه من المعرفة بأحكام دينهم ، يبذلون لهم من أنفسهم المودة ، والتعظيم والانقياد لارائهم .

وكان فقهاء المسلمين يستطيعون من هذه الجهة أن يقوموا في خدمة الاسلام والمسلمين بدور أساسي وبناء يغير من اتجاه تاريخهم المأسوي في أطوار ضعفهم وتخلفهم ، وشتات جماعتهم ، ويقودونهم الى حفظ حياة الامة الاسلامية في الوجود ، وتسليحها بما يدفع عنها الغوائل . من ارتقاء الفكر الاجتماعي ، وصحة النضال الثوري ، والوعي العميق بحركة التاريخ .

لكن فقهاء المسلمين في جملتهم لم يفعلوا ذلك ـ حتى الغزالي ـ وقد صاحب مطالع الحركة الصليبية التي بدأت مسيرتها من الاندلس زاحفة الى الشرق ، لم يستيقظ لما يطلب منه في ملاقاة هذه الظاهرة المشحونة بأفدح الاخطاء .

وقد كان الغزالي معلما وفقيها من أعظم الفقهاء والمعلمين ، بل غلبت عليه انفعالاته الفعلية والوجدانية وتاثره بالفلسفة الافلاطونية . وشوائب البرهمية والبوذيه . فبدل ان يكتب للمسلمين كتابا يشتمل على ثورة ثقافية عقلانية يدعو المسلمين فيه الى التفكير الكوني وحشد الهمم الى الاخذ بكل اسباب العمل الكوني الحضاري كتب لهم أحياء علوم الدين كتابا سلبيا يدعوهم فيه لخلع الدنيا ـ الان لبسته المتفضل ـ ويضعهم على مشارف الموت في انتظار الاخرة .

ولا يزال هذا الكتاب حجة لبعض المسلمين في الاقتناع بما أصابهم من التخلف والانحطاط حتى اليوم .

ولقد كان هذا الكتاب والكتب التي شابهته كالفتوحات المكية لابن عربي ، او تابعته كاسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري والكثير من أمثالها من السلبيات الفكرية ذات السم الناقع التي ساهمت مساهمات فعالة في احباط الوجدان الثوري عند المسلمين .

نعم قد ظهر من فقهاء المسلمين هؤلاء بضعة نفر لا

يبلغون أصابع اليد عدا ، وعوا دورهم الاسلامى الانتهاضى كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ العز بن عبد السلام وابن خلدون والشاطبى صاحب - الموافقات - والمنذر بن سعيد البلوطى فى الاندلس وأسد بن الفرات الفقيه المالكى فاتح صقلية أدوا دورهم على قدر وسعهم من الكفاح وعلى تفاوت من نسب حظوظهم فى الكفاية والتوفيق للقيام بهذا الدور الرائد الاشد تأثيرا فى حماية كيان الاسلام والامم الاسلامية ، والذى يتميز بحيوية تاريخية فائقة .

قلنا لكم أن من بين جماهير الفقهاء المسلمين الذين غفلوا عن وعى دورهم القيادى فى تجنيب الامة مصارع اعدائها المتربصين بها على مدار السنين والايام والساعات . وجد نفر من افذاذهم تنبهوا للمارسة العبقرية لهذا الدور الاعظم ، وضربنا المثل باسماء ابن تيمية ، والعز بن عبد السلام وغيرهما ، ومن المؤكد أنه لابد أن توجد فى تاريخ الامم الاسلامية اسماء اخرى من ذلك الطراز الاعلى لم يستوعبها علمنا . ولم يكن أداء أولئك العلماء العظام لدورهم هذا من الوجهة السياسية والعسكرية فقط ، بل كان فى المقام من جهة ، انهم نهجوا فى الفقه الاسلامى منهج التجديد ، والاجتهاد ، وحرية النظر - ذلك - كما يجب أن نعلم - هو أن حرية النظر الفقهى ترتبط ارتباطا وثيقا بالحرية السياسية والحرية الشخصية الفردية ، وحرية حركة العمل فى مجالات التهديد والبعث القومى . ان افتعل خصائص الفقه الاسلامى كونه سلطة شمولية تستغرق وجدان المسلم وعقله وارادته ، وتوجهه فى طريق الاحكام التى وضعها الفقهاء باعتبار أنها مستمدة من حكم الله ، فالطواعية لاحكام الفقه الاسلامى تظهر على أنها طواعية لحكم الله ، ومن ثم كانت الخطورة المتعاظمة للفقه الاسلامى وتأثيره فى تشكيل وضع الجماعة الاسلامية من مسار التطور تخلفا وارتقاء . أما لماذا لم يؤد الفقهاء المسلمون عن طريق الفقه دورهم فى استحياء الاسلام ، والامم الاسلامية ؟ لماذا لم تتجه أنظارهم الى آفاق بعيدة المسار فى العلم والوعى بحركة التاريخ بحيث كانوا يجعلون من أحكام الفقه الاسلامى أجهزه ميدة حضاريه نحو الكمال المقدر لهم ؟

ان مصادر الشريعة من الكتاب والسنة ، والاجماع ، والعقل ، تعد أغزر الموارد لانشاء أحكام متطورة لسداد حاجات الامة القانونية الارتقائية ، ورسم مثل أخلاقية تمكن لها فى الارض لقد فكرت فى هذا السؤال مرة . وكل ما أمكننى الوصول اليه هو أن فقهاء المسلمين غلطوا فى حق الاسلام والمسلمين غلطتين قاتلتين : أحداهما : اغترارهم بما تبدى لهم من سلطان الاسلام - وخاصة بعد انتصارهم فى الحرب الصليبية فلم يراقبوا حركة التاريخ ضدهم .

وثانيا : انهم حاربوا حرية الفكر واغلقوا باب الاجتهاد فى الفقه بصورة بالغة العنف والجمود فارخوا على المسلمين داء ليل مظلم .

- فلقد كان لاغلاق باب الاجتهاد فى الشريعة ومنع حرية النظر آثار مدمرة على حياة المسلمين الدينية والفكرية . وامتد ذلك الى حياتهم الاجتماعية والسياسية . بل نرى أن ذلك كان من الاسباب التى هيأت لظهور السلاطين الظلمة والحكام المستبدين فى تاريخهم اننا لا نعرف فى الفقه الدستورى كتبا مستقلة بالموضوع الا كتابين : احدهما كتاب الاحكام السلطانية للماوردى الشافعى وكتاب « الاحكام السلطانية » للقاضى ابى يعلى الحنبلى .

واذا لاحظنا أن كلا من الكتابين يعد نسخة مطابقة للاخرى فى نحو ٩٩ فى المائة من مادتها العلمية حتى لا ندرى اى المؤلفين الكبيرين انتسخ كتابه من الاخر . أمكننا القول باننا لا نعرف فى الفقه الدستورى الاسلامى الا كتابا واحدا مستقلا بهذا الموضوع ، بصرف النظر عن بعض مسائله المتفرقة فى ثنايا كتب الفقه وكتب «الكلام» كمبحث الخلافة وشروطها . وهذا دليل على مبلغ الاستجابة لعوامل اضطهاد الفكر الحر ، وخوف الفقهاء من التوسع فى بيان الاحكام والالتزامات الخاصة بالحكام والسلاطين .

أدى اغلاق باب الاجتهاد ومنع حرية النظر الى اضطهاد الفكر والعلم والعلماء بصورة وحشية ، فقد أحرقت كتب الامام ابن حزم فى الاندلس . كما أحرق كتاب احياء علوم الدين للغزالى فى دولة يوسف ابن تاشفين فى المغرب .

ولما وضع الطبرى كتابه عن اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه احمد بن حنبل لانه كان من وجهة نظره من المحدثين ، وليس من الفقهاء ثار عليه الحنابلة . ورجموا بيته بالحجارة حتى اختفى تحت أحجار الرجم . ولعل شر ما أدى اليه اغلاق باب الاجتهاد عقم التاليف الفقهى وتعطن الفكر الدينى ، وظهور العصبيات المذهبية الشنيعة بين أصحاب المذاهب ، بما كان يؤدى الى قيام معارك مسلحة فى البلاد الاسلامية تمزق وحدتها وتبدد قواها . وتمهد الطريق لاعداء الاسلام للوثوب عليها .

تتسم المؤلفات الفقهية بطابع التكرار فى الموضوع وفى العبارة حتى فى ترتيب الموضوعات مع بعضها وترتيب المسائل فى الموضوع الواحد فى كثير من المؤلفات فترتيب كتاب «القدودى» و «الهداية» والكنز وتنوير الابصار وملتقى الابحر مى مادة فقهنا الحنفى كلها جارية على هذا الترتيب الواحد الذى أشرنا اليه . والعبارة الفقهية الواحدة تذكر فى كتاب « المبسوط » للسرخسى وهو من أوائل كتب المذهب تظل تتكرر بنصها بضعة قرون فى المؤلفات التالية له حتى تكون بعينها هى التى تظهر فى آخر كتب المتأخرين كل ذلك لان المؤلفين التزموا طريق التقليد ولم يجدوا شيئا جديدا يقولونه .

البحث له بقية

إحياء الموات من الأرض !

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

— ٢٣ —

المقصود باحياء الموات من الارض فى هذا البحث هو احياء الموات من الارض الخالية عن الاختصاص بالسبب احياء لها بشىء مما يأتى • ويملك الارض من أحياها ولو اندرست بعد الاحياء • فاندراسها بعد الاحياء المناسب لا يزيل ملكه عنها الا باحياء غيره لها بعد اندراسها بعد وقت طويل يقضى العرف بأن من احياها أولا قد أعرض عنها فانها تكون فى هذه الحالة للثانى ولا كلام للاول • بخلاف احيائها بعد وقت قريب • فان عمرها الثانى جاهلا بالاول فله قيمة عمارته قائما للشبهة وان كان عالما فله قيمتها منقوضا • وهذا ما لم يسكت الاول بعد علمه بالثانى بلا عذر والا كان سكوته وهو حاضر بلا عذر دليل تركها له • والقول بطول الوقت المتعارف عليه هو المعتمد • وقيل تكون للثانى لو لم يطل الوقت وهو ظاهر قول ابى القاسم وقيل لاتكون للثانى أبدا بل هى لمن أحياها ولو طال الزمن قياسا على من ملكها بشراء او ارث أو هبة أو صدقة فاندرست فانها لا تخرج عن ملكه ولا كلام لمن احياها اتفاقا الا لحيازة بشروطها أو بحريم عمارة لان الحريم سبب فى الاختصاص كالاحياء أى ما سلم من الاختصاص باحياء أو بكونه حريما لعمارة البلد أو دار أو شجر او بئر فلكل حريم مخصه :

بحريم البلد : كمحتطب (المكان الذى يقتطع منه الحطب) ومرعى (محل مرعى الدواب لبلد) فاذا عمر جماعة بلدا اختصوا بحريمها وحريمها ما يمكن الاحتطاب منه والمرعى فيه على العادة من الذهاب والاياب مع مراعاة المصلحة والانتفاع بالحطب وحلب الدواب ونحو ذلك غدوا ورواحا فى اليوم فيختصوا به • ولهم منع غيرهم منه ولا يختص به بعضهم دون البعض لانه مباح للجميع • ومن أتى منهم بحطب منه أو حشيش أو نحو ذلك ملكه وحده — وللامام أن يقطع منه ما شاء لمن شاء •

وحريم البئر ما يضيق على وارد لشرب أو سقى ويضر بما لو حفرت بئر أخرى لبئر • قال عياض حريم البئر ما يتصل بها من الارض التى من حقها أن لا يحدث فيها ما يضر بها الا باطنا من حفر بئر ينشف ماؤها أو يذهبه أو يغيره بطرح نجاسة يصل اليها وسخها • ولا ظاهر كالبناء والغرس •

وحريم الشجر : ما فيه مصلحة عرفا كشجرة من نخل أو غيرها فلربها منع من أراد احداث شىء بقربها يضربها من بناء أو غرس أو حفر بئر ونحو ذلك •

وحريم الدار الغير المحفوفة بالدور (كمطرح تراب ومصب ميزاب الدار [فحريمها ما يرتفق أهلها به من ذلك فلهم منع من أراد احداث شىء من بناء أو غيره فى ذلك الحريم — ولا تختص دار محفوفة بأملاك الحريم • ولكل من أرباب الدور المتجاورة الانتفاع بالزقاق المتسع أو الرحبة بينهم ما لم يضر بغيره من الجيران فانه يمنع أو باقطاع الامام أى ما سلم عن الاختصاص باقطاع الامام تلك الارض لاحد أو لجماعة من الناس من غير معمور العنوة • فاذا أقطع الامام أرضا لاحد ملكها أى كانت ملكا له وان لم يعمرها بشىء مما يأتى فله بيعها وهبتها وتورث عنه • وليس هو من الاحياء بل هو يمتلك مجرد وهل الارث يحتاج لحيازة أولا • ورجح ولو اقتطعه فى بيت المال لا يختص به الامام لعدم ملكه كما أقطعه • وان ملكه المقطوع له باقتطاعه • ولا يقطع الامام معمور أرض العنوة ملكا « مصر والشام والعراق » أى الصالحة لزرع الحب لانها وقف بل يقطعها امتاعا وانتفاعا • وأماما لا يصلح لزراعه الحب وان صلح لغرس الشجر وليس من العقار فانه من الموات يقطعه ملكا وانتفاعا • وأما أرض الصلح فلا يقطعها الامام لاحد مطلقا لانها مملوكة لاربابها وما سلم عن الاختصار بحمى الامام له محتاجا اى أرضا محتاجا اليه الا ان لم يحتج اليه فلا يجوز له الحمى وان قل الحمى لا ان كثر — والتقليل ما لا يضيق منه على الناس من بلد خلا من البناء والغرس لا لنفسه اذ لا يجوز أن يحمى شيئا لنفسه وان احتاج بل يحمى ما قل من بلد عفى لا كغزو أى له دأب الغزاة والصدقة وضعفه المسلمين ومثل الامام فى الحمى ثابته وان لم يأذن له الامام بخلاف الاقطاع فليس لنائب السلطان اقطاع الا بأذن • والفرق ان الاقطاع يحصل به التمليك فلابد فيه من الاذن بخلاف الحمى بالقصر ليس الا — وقيل يجوز امده — والاختصص أنواع الاول • ما كان باحياء • **الثانى** : ما كان حريما لبلد أو بئر وشجر ودار

الثالث : ما كان باقطاع الامام **الرابع** : ما كان بحماية

« البقية ص ٦٤ »

فى مدرسة الرسول

يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف ان الله تبارك وتعالى يحب من العمل أدومه وان كان قليلا . ويحضرنى هذا الحديث بمعناه وأنا بصدد الحديث عن مشاعر وأفكار أحب أن أناقشها مع قراء المنبر الغراء علنا نصل الى العبرة والعظة ذلك أننا فى بعض الاوقات نكون قريبين من الله عز وجل، عاملين بتعاليم رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم فترى الارض وكأنما يمشى عليها ملائكة مطمئنين ، وترى السماء وقد اقتربت والارواح وقد صفت وشفت والنفوس وقد تخلصت من الدنيا وعفت .. وأظهر ما يكون ذلك فى الايام المباركة من شهر رمضان فما الذى يحدث فى رمضان ..

الأستاذ ابراهيم مصباح

انها حقا روح جديدة تفيض على الانسان المسلم من سناها .. فاذا هو شخص آخر غير الذى نراه طول العام .. ومن مظاهر ذلك كما نعلم الصيام والقيام والصلوات فى مواعيدها والعفة والعفاف والتقى والرشاد .

ومن اية ذلك حرص المسلم على ارتياد المسجد لاداء الصلوات فى الجماعة ، وحرصه على صلاة الفجر وقد ينقضى العام فلا يشهده فجر الا فى رمضان الذى يلى .. واذا فاتته صلاة القيام لسبب من الاسباب فانه يصليها وحده فى بيته ، والمسلم يجد نفسه قريبا من كتاب الله يسمع ما يتلى منه فى المساجد ويتلوه بنفسه .

هنالك يجد المسلمون أنفسهم وقد اقتربوا من عصر الكمالات والنبوة .. ونفذوا تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كل تعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام تكاد تكون منفذة بالحرف .. افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام .. ايتاء ذى القربى .. رعاية حقوق الجار .. اخراج الزكاة .. التقرب الى الله .. الصلاة فى المساجد .. ذكر الله والاكثار من شكره وحمده وتسبيحه والتقرب اليه .. الاحسان الى المسىء .. التعامل بالمعروف عملا بقوله تعالى

«ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عدواة كأنه ولى حميم» .

وهكذا يكون هذا الشهر الكريم شهر اقتراب من الروح الاسلامية الحقيقية .

ثم انظر يا أخى المسلم الى ما يحدث لنا بعد شهر رمضان

أما السابقون الراسخون فانهم يظلون على ما كانوا فيه من السعادة والبهجة بالقرب من الله تبارك وتعالى .. حقا انهم لا يصومون الدهر ولكنهم لم يهجروا المساجد ولم يؤخروا الصلاة ولم يطففوا الكيل والميزان .. ولم يغلظوا للاخوان ولا هم ارهبوا الامن وروعوا المسكين ولا ظلموا ولا بغوا ولكنهم يتمسكون بالاسلام روحا ونصا .. تعاليما وسلوكا .. وأولئك هم المفلحون .. أما الاغلبية ، ولا أبرىء نفسى .. فاذا انقضى رمضان تغيرت الاحوال وتبدلت الامور .

لا أقول انهم يهجرون الصلاة ويتنكرون لنعم الله ويحلون لانفسهم ما حرم الله .. كلا .. أولئك لا أقصدهم فى هذا البحث أو تلك المناجاة .. فهؤلاء هم المستهترون المستهزئون .. الذين يتوبون فى رمضان ثم يعودون الى ذنوبهم وجرائمهم .. فانا نتركهم الى ربهم عساه ان يتوب عليهم ويهديهم صراطا مستقيما .

لكننى أتحدث عن الغالبية العظمى الذين يخشون ربهم بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم الله ينفقون .. أولئك الذين أتحدث عنهم فهم فى رمضان يرتفعون عن الارض كأنهم الملائكة فاذا انقضى رمضان اخلدوا الى الارض من جديد احدهم كان يصلى الفجر فى المسجد انه يصحو ليتسحر ،ثم يتوضأ ويسير فى الظلم الى بيوت الله يعمرها مع العمار .. ويختلط تسبيحه مع تسبيح الملائكة ومخلوقات الله .. يسمع القرآن الكريم ثم يصلى خلف الامام ويدعو لله ويبتهل .. ثم يعود الى بيته وقد حفته الملائكة وغشيته السكينة ونال الرضا من رب العالمين

هذا المصلى اين هو الان

أراه يصلى الفجر فى السابعة صباحا أو الثامنة .. والشمس فى كبد السماء .. وقد قام

متعجلا الى عمله ثم خطف الركعتين خطفا .. فلم يؤد الصلاة لوقتها أو على وجهها الصحيح .. وكذا يمكن القول فى باقى الفروض .. ولكن الاهم من ذلك انه كان فى رمضان لا ينقطع يوما عن المساجد وجوها الخاشع وسحرها الذى يخلب الالباب .. وحقا ان بيوت الله هى خير المنازل وأطهرها وأنقاها .. ولكنه الان قد يصلى فرضا أو اثنين فى المسجد .. اما بقية الفروض فانه يتوضأ فى بيته ثم يفرش سجادته ويستقبل القبلة ويصلى وحيدا ثم يقبل يديه ظهرا لبطن طالبا الرضى والقبول .. وهكذا يتبدل الحال وتفتر الهمة ويخلد الكثيرون الى المراتب الدنيا بعد المراتب السامية العليا .

ولقد حدثت أحد خطباء المساجد ذات مرة وكان يدعو الى التبرع لتوسعة المسجد .. لان المسجد كان لا يكفى الناس فى صلاة الجمعة ويفترشون الحصر والبسط خارجه - فقلت له .. ولماذا لا تدعو الى ان يؤدى الناس الصلاة فى المسجد بدلا من ادائها فى البيت وتقرن هذه الدعوة بتلك حتى يكون المسجد عامرا بالمصلين طوال الاسبوع وليس فى صلاة الجمعة فحسب . وقد استجاب الرجل الكريم لطلبى ودعا الناس وتقبل منه القول من هداه الله الى نور الحق .. لان صلاة المسجد تفضل الصلاة فى البيت وهذا موضوع لا أحسبه يحتاج الى تفصيل .

والان .. هل نطمع في أن يهدينا الله تبارك وتعالى الى الاستمرار فى الحياة بروح رمضان

ان معركة رمضان العسكرية المظفرة قد انتجت شعارا طرح إسمه روح رمضان أو روح أكتوبر .

حقا .. اننا فى أيام القتال كنا نعيش بعقلية وروح وطبيعة ووجدان يختلف كل الاختلاف عن الحاضر .. ان روح رمضان صنعت المستحيل .. روح رمضان ذوبت كل الخلافات بين الشعوب العربية والاسلامية .. وصهرت العرب فى بوتقة واحدة .. ومكنت العسكرية من ابتكار حلول ذاتية لاعوص المشكلات واعقدها .. ولكن واأسفا .. فان روح رمضان - اكتوبر قد فترت حرارتها وخمدت حيويتها فى الغالب الاعم .. ولذلك فاننى حين فكرت فى استمرار روح رمضان أكتوبر فاننى تفكرت فى شهر القرآن وما يكون فيه المسلمون من جد واجتهاد فى العبادة ومن رقى فى السلوك .. وانا اليوم أسوق هذه الخواطر وتلك المناجاة علنا نتوب الى الله تبارك وتعالى ونقبل عليه بما يليق بعظمته وعلى قدر طاقتنا فلا نضيع صلاة الفجر لانه دليل التقوى والصلاح . وصلاة الفجر والعشاء ثقيلتان على نفس المنافق او هش الايمان .. وبذلك نضمن لانفسنا الاقتراب من روح رمضان المبارك .. وليتنا نواظب على ارتياد المساجد ولا يقتصر ذلك على الجمع والاعياد والمصادفات، فان صلاة المسجد خير من صلاة البيت ، وليتنا نواظب على ركعتين فى جوف الليل وعلى صيام فى أيام متفرقة فى كل شهر كما علمت ووجهت السنة الشريفة .. فاذا وصلنا الى المسلم الرمضانى .. اى المتحلى بروح رمضان .. فاننا بذلك نقترب كثيرا من المسلمين الاول الذين زلزلوا عروش الفرس والرومان ودانت لهم الدنيا فأذاقوها الهوان وما هانوا على أنفسهم .. ثم كانوا من الذين يفهمون الاسلام حق الفهم .. فأشرقوا على وجه الارض بنور الله .. وصاروا أمثلة تحتذى ومنارات للهدى على طول الايام ولاخر المدى .

بقيه مقال « الينبوع فى الاسلام »

والاحياء يكون بأحد أمور سبعة .

الاول : بتعمير ماء لبئر أو عين فتملك به . وكذا تملك الارض التى تزرع بها .

والثانى : بازالة الماء من الارض حيث كانت الارض غامرة بالماء .

الثالث ، ببناء فى أرض

الرابع : بسبب غرس الشجر بالارض

الخامس : بسبب تحريك ارض بحرثها ونحوه

السادس : يكون بسبب قطع شجر بها بنيه وضع يده عليها

السابع : بكسر حجرها مع تسويتها (الارض)

ولا يكون الاحياء بتحويط الارض بنحو خط عليها ولا رعى كلا بها ولا حفر بئر ماشية بها الا ان يبين الملكية حين حفرها فان بينها فاحياء وافتقر الاحياء ان قرب للعمران بأن كان حريم بلد - قال الحطاب : والقريب هو حريم العمارة مما يلحقونه غدوا ورواحا - وقال ابن رشد : وحد البعيد من العمران ما لم ينته اليه مسرح العمران . واحتطاب المحتطبين اذا رجعوا الى المبيت فى مواضعهم لاذن من الامام ولا بأذن الا لمسلم لا ذمى على المشهور . وقول الباجى : لو قبل حكمه حكم المسلمين لم يبق - ضعيف - والا بأن تعدى المسلم وأحيى فيما قرب بغير اذن الامام فللامام امضاؤه له فيملكه أو جعله متعديا فيرده للمسلمين ويعطيه قيمة غرسه أو بنائه أو حفره منقوضا لتعديه ولا يرجع عليه فيما اغتله فيما مضى نظرا الى ان له شبهه فى الجملة بخلاف البعيد من العمران بأن خرج عن حريمه كما تقدم عن ابن رشد فلا يفتقر لاذن من الامام وما احياه به فهوله ولو ذميا حيث كان احياؤه فى البعيد بغير جزيرة العرب وهى أرض الحجاز واليمن وما والاها كما هو فى الجزيه .

من هدى النبوة

طلب الحلال واجب

فضيلة الشيخ
محمد هلال عبد الرسول

يروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قوله « طلب الحلال واجب على كل مسلم » هذا التوجيه النبوى الكريم • يرفع شأن الانسان • ويحفظ عليه آدميته من أن تذل أو تهان وذلك بالحث على طلب الرزق عن طريق مشروع يقره الدين ولا ينكره •• ومن نعم الله على عباده أن جعل لهم الارض ذلولا ميسرة • ليضربوا فى جنباتها ويستخرجوا الخيرات من باطنها • وفى هذا يقص القرآن المجيد

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور »

والاسلام الذى رضيه الله لعباده وقبله منهم • ينأى بالمرء ان يخلد الى الارض • ويستسلم للعجز ويكون عالة على غيره • فالحياة حركة دائبة • وسعى متواصل • لتكون رخاء طيبة • يسعد بها المرء وينعم ويأخذ حظه منها فى حدود ما أحل الله •

أما العجز والكسل • فيقبح وجه الحياة المشرق • ويخلق المجتمع الخامل • الذى ينفصل عن ركب الحياه • ومن خلال روضة القرآن • يرى رب العزة يوضح لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه • ان رسله الذين اصطفاهم لحمل رسالته وتبليغ امانته • ضربوا فى الارض ابتغاء فضل الله ليكونوا أسوة وقدوة لبنى البشر •

كما يتضح من قوله تعالى (**وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق**) يعزز هذا البيان القرآنى ما يرويه المقداد بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أكل احد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده) •

ثم يعود القرآن المجيد بالبيان والتوضيح فيقص امتنان الله على عباده باحياء الارض الميتة ليستطيعوا العمل فيها وبذلك ينعمون بنعم الله المستخرجة منها مصداق قول الله تعالى (**وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون**) ان كل انسان على وجه الارض مطالب بالعمل وفاء لحق وطنه عليه • وتفاعلا مع تعاليم الاسلام الذى فتح ابواب العمل امام الانسان وحثه عليه ليكد ويربح فيربح ويستريح ويكون لبنة صالحة فى مجتمعه • وابواب العمل متنوعة متعددة تتناسب مع جميع الطاقات فكل ميسر لما خلق له • ولقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه القدوة الطيبة والاسوة الحسنة • فعمل بنفسه تاجرا فى مال خديجة وكثيرا ما كان يشارك أصحابه العمل مرددا قوله لا أحب ان أتميز عليكم فان الله يكره العبد المتميز •

هذه المشاركة العملية التى حرص عليها رسول الله ان دلت فانما تدل على شرعة الاسلام العادلة • وان الله العلى القدير لم يخلق الانسان عبثا • بل خلقه وسخر له الكون كله أرضه وسماءه بحره وجوه وبره • لينتفع بأسرار هذا الكون وحول فضيلة الضرب فى الارض وطلب الحلال يروى أنس بن مالك رضى الله عنه ان رجلا من الانصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال أما فى بيتك شىء قال بلى حلى تلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء قال ائتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يشترى هذين قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم مرتين او ثلاثا قال رجل انا آخذهما بدرهمين فأعطاهما الانصارى وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه الى أهلك واشتر بالاخر قدوما فأتنى به فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عله وسلم عودا بيده ثم قال اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ـ ولا عجب فهو صلوات الله وسلامه عليه القائل ان الله يحب العبد المحترف •

ان طلب الحلال يكفر الذنب ـ ويمحو المعصية • ويزيل الخطايا • ويغسل ما ارتكبه الانسان من آثام وفى ذلك تروى السيدة عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له ويوم يقوم الناس لرب العالمين يوضح رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما أعده من الثواب المضاعف للعاملين بقوله :

ـ من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وتعطفا على جاره وسعيا على رزق اولاده لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر) •

ولقد قرن الله الضاربين فى الارض طلبا للرزق بالمقاتلين فى سبيل الله فقال (**وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله**) يعزز هذا المعنى القرآنى ما يرويه كعب بن عجرة رضى الله عنه قال مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا يارسول الله لو كان هذا فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفس يعفها فهو فى سبيل الله وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان •

وهكذا يرفع الاسلام العادل المنصف العمل الى أعلى مستوى ينشده كبار النفوس الذين يحبون معالى الامور ويكرهون سفسافها • مستوى الجهاد فى سبيل الله ولقد كان السلف الصالح من عباد الله المصطفين لاخير على هذا الخلق ترفعا عن المسألة • وضربا وراء رزقهم عن طريق حلال لا شبهة فيه •

أثر عن حكيم بن حزام قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال ياحكيم ان هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن آخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه • وكان كالذى يأكل ولا يشبع • واليد العليا خير من اليد السفلى ـ فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق • لا ارزأ احدا بعدك شيئا حتى افارق الدنيا • فكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يأخذ منه شيئا وكذلك دعاه عمر بن الخطاب يعطيه فرفض فقال عمر ـ يامعشر المسلمين أشهدكم على حكيم انى أعرض عليه حقه الذى قسم الله له فى هذا الفىء فيأبى أن يأخذه ولقد استمر حكيم على عهده الى أن فارق دنياه وبذلك ضرب المثل الكامل والقدوة الصالحة التى استفادها من مدرسة النبوة • وأخلاق الرسالة المحمدية •

ولقد أثر عن عمر بن الخطاب قوله ـ لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة •

ويروى علماء الصوفية أن ـ شقيقا البلخى ذهب فى رحلة تجارية • يبتغى بها فضل الله وقبيل سفره • ودع أخاه الصوفى التقى الصالح ابراهيم بن أدهم وما ان قام برحلته حتى قطعها وعاد بعد زمن يسير • فقال له ابن ادهم متعجبا لماذا تعجلت العودة • قال شقيق ذهبت الى مكان مهجور لاستريح قليلا • فرأيت طائرا أعمى كسيحا • فقلت فى نفسى من أين يعيش هذا الطائر فى هذا المكان القفر البعيد عن أعين الناس وهو لا يستطيع حراكا ولا يبصر شيئا • وبينا أحدث نفسى بذلك حتى أقبل طائر يحمل اليه ما يكفيه من الطعام فقلت ان الذى رزق هذا الطائر فى مكانه قادر على أن يرزقنى وعدت من ساعتى •

فقال ابراهيم بن ادهم عجبا لك ياشقيق أرضيت لنفسك ان تكون كالطائر الاعمى الكسيح الذى يعيش على معونة غيره : ولم ترض لنفسك ان تكون كالطائر • الذى يسعى على نفسه وغيره ثم قال له • أما علمت أن اليد العليا خير من اليد السفلى فاستراح شقيق لهذه العظة وتجاوب معها وعاد الى رحلته •

وقيل للامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ما تقول فيمن جلس فى بيته أو فى مسجده وقال لاأعمل حتى يأتينى رزقى •

فقال • هذا رجل جهل العلم أما سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جعل رزقى تحت ظل رمحى ـ وبقدر ما وجه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أمة الاسلام الماجده الى العمل المثمر البناء والسعى المشروع طلبا لرزقها لتكون كما أراد رب العالمين لها • خير أمة أخرجت للناس •
حذر من طلب المال عن طريق غير مشروع فالانسان بفطرته ميال الى الاستزادة منه والبعض لا يكتفى بالحلال ولا يعبأ بالحرام فهو كالذى يشرب من ماء البحر كلما ازدادشربا كلما ازداد عطشا •

يروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ـ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم ـ وقال ـ ياأيها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب لذلك ـ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال تليت الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ياأيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ـ

فقام سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يقبل منه عمل أربعين يوما • وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به ـ وفى كلمات نبوية نورانية كلها تحذير ووعيد للذين بعدوا عن طريق الله فاستحلوا الحرام وبعدوا عن الحلال الطيب المبارك •

عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لان يأخذ احدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحتطب ثم يأتى به فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يسأل الناس ولان يأخذ ترابا فيجعله فى فيه خير له من أن يجعل فى فيه ما حرم الله عليه •

ما أحوجنا أن نقف عند البيان القرآنى والتوجيه المحمدى سلوكا وتطبيقا فنحرص على طلب الحلال • لنسعد فى دنيانا التى تكون وصلة الى صلاح أخرانا ما أحوجنا أن نستشعر يقظة الضمير • وحسن المراقبة للخالق المبدع الذى لا تخفى عليه خافية • والذى يجزى كل امرىء بما عمل ان خيرا فخير وان شرا فشر مصداق قوله (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) بصرنا الله أمور ديننا وهيأ لنا من أمرنا رشدا •

الرفق بالحيوان

في الإسلام

الاستاذ
ابراهيم محمد الفحام

يزعم بعض المؤرخين المحدثين ؛ أن الدعوة الى الرفق بالحيوان : وكف أذى الناس عنه ، قد ظهرت لاول مرة فى العواصم الاوروبية ، فى القرن الماضى ، ثم انتشرت منها الى البلاد الاخرى .

ويتناسى أولئك المؤرخون ، ان الاسلام كان سباقا الى بث هذه الدعوة فى نفوس أتباعه ، قبل ثلاثة عشر قرنا – أو أكثر – من ظهورها فى العالم الاوروبى .

وقد أشاد العلامة الفرنسى «جوستاف لوبون» فى كتابه «حضارة العرب» بحسن معاملة المسلمين للحيوان ، حتى أصبح ذلك من طباعهم المتأصلة ، التى يتوارثونها جيلا بعد جيل .

وقد حث الرسول الكريم على التزام الرفق فى السلوك العام بقوله : ان الله رفيق ، يحب الرفق فى الامر كله . كما قال «من أعطى حظه من الرفق، فقد أعطى حظه من الخير ، ومن منع حظه من الرفق ، فقد منع حظه من الخير» .

ويتضح من التوجيهات النبوية الكريمة ؛ أنه لا يقصد بدعوته هذه على الرفق بالبشر فقط، بل يقصد بها مخلوقات الله جميعا .

فما من مسلم ، الا ويعى – منذ نعومة أظفاره ذلك الحديث النبوى الشريف ، الذى يغرس فى القلوب الصغيرة ، حب الشفقة بالحيوان ، حين يروى نبأ المرأة التى عذبت فى هرة حبستها ، لا هى أطعمتها وسقتها ، ولا هى أرسلتها لتأكل من خشاش الارض .

كما تعى هذه القلوب أرق وأنبل القيم الانسانية فى حديثه – عليه الصلاة والسلام – عن الرجل الذى كان يمشى فاشتد عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب ، ثم خرج ، فاذا هو بكلب يلهث ، ويأكل الثرى من العطش ، فقال «لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى» فنزل البئر وملا خفه ، ثم أمسكه بفيه ، حتى رقى وسقى الكلب ، فشكر الله له ، وغفر له .

وعندما تساءل أصحاب الرسول - عندما روى لهم ذلك الحديث - « يارسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ » قال : « فى كل كبد رطبة - أى كل حيوان حى - أجرا » .

ودخل - عليه الصلاة والسلام - بستانا لرجل من الانصار ، فاذا بجمل يحن اليه ، وعيناه تذرفان الدموع فمسح عليه حتى سكن ، ثم سأل عن مالكه ، فأجابه أحد الفتيان (انه لى يارسول الله) فقال له (الا تتقى الله عز وجل فى هذه البهيمة ، التى ملكك الله اياها · فانه شكا لى أنك تجيعه وتدئبه ، أى تتعبه بكثرة العمل · فاعتذر الفتى عن ذلك ، وعدل عن ارهاق جمله ·

والامثلة على رفقه - عليه الصلاة والسلام - أكثر من أن تحصى · ومن ذلك ما حكاه الامام الغزالى ، أنه كان يمرض بيديه الشريفتين ديكا مريضا له ، ويعنى بشأنه ·

ويذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان**) (**لو أن العبد أحسن الاحسان كله وكانت له دجاجة قد أساء اليها ، لم يكن من المحسنين**) ·

ومن توصياته - عليه الصلاة والسلام - (**لا تطرقوا الطيور فى أوكارها ، فان الليل أمان الله**) و (**أقروا الطيور فى وكناتها**) ·

كما يقول فى التوصية بالحيوان عامة (**اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة : وكلوها صالحة**) وكما يقول (**اركبوها صالحة ، واعتملوها صالحة ، واذبحوها صالحة**) أى غير مريضة ولا هرمة ·

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال : (**اذا سافرتم فى الخصب ، فاعطوا الابل حظها من الارض ، واذا سافرتم فى السنة ، فأسرعوا عليها السير ، واذا أعرستم بالليل ، فاجتنبوا الطرق ، فانها مأوى الهوام بالليل**) ·

يقصد بذلك عدم الاسراع بها اذا سارت فى أرض كثيرة العشب ، حتى يتاح لها أن تتناول حاجتها منه · والمقصود بالسنة هنا القحط ، أما التعريس ، فهو النزول عن الدواب ، للنوم والراحة ·

وكان الخلفاء الراشدون - رضوان الله عليهم يتشددون فى حث أصحاب البهائم على الرفق بها ·

وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه ضرب رجلا يسوق جملا مثقلا ، وقال له (**حملت جملك ما لا يطيق**) ·

كما رأى - ذات يوم - رجلا يجر شاة ليذبحها ، فضربه بالدرة قائلا (**سقها الى الموت سوقا جميلا ، لا أم لك**) ·

ومما رواه الاحنف بن قيس (وفدنا على عمر بفتح عظيم ، فقام معنا الى مناخ ركائبنا ، فجعل يتخللها ببصره ويقول : (ألا اتقيتم الله فى ركائبكم هذه ، أما علمتم أن لها عليكم حقا ، ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الارض فاعتذرنا له بأننا قدمنا بالفتح ، وأسرعنا الى أمير المؤمنين والى المسلمين ، بما يسرهم) ·

وكان الامام على - كرم الله وجهه - يوصى الناس بقوله (من سافر منكم بدابة ، فليبدأ حين ينزل بعلفها وسقيها) كما كان يتشدد فى منع المغالاة فى تحميل الدواب ، والا يركبها أكثر من اثنين ، وروى أنه قال : (اذا رأيتم ثلاثة على دابة ، فارجموهم حتى ينزل أحدهم) ·

وقد ظل ذلك شأن الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم من أئمة المسلمين وقادتهم وعلمائهم ، الذين كانوا يحثون الرعية على مراعاة الرفق فى استخدام الحيوان ، وينهون عن ايذائه ·

وقد روى عن ابن عمر - رضى الله عنه - أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا يترامونه ، وقد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوه تفرقوا فقال (**لعن الله من فعل هذا · ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا**) ·

ومن أشهر ما سجل من مظاهر الرفق بالطير ، واقعة عمرو بن العاص عندما اعتزم المسير الى الاسكندرية لاستكمال فتح مصر ، فرأى يمامة قد باضت على أطراف فسطاطه ، فقال (لقد تحرمت بجوارنا ، أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها) ·

وبقى ذلك الفسطاط ، حتى اجتمعت حوله الدور والمساجد ، وأصبح ذلك الموقع أول عاصمة اسلامية للبلاد ·

وروى أن الامام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - سمع عن رجل من وراء النهر ، يروى أحاديث ثلاثية ، فرحل اليه ، فلما ورد عليه ، وجده يطعم كلبا ، فسلم عليه ، فرد عليه السلام ، ثم انشغل باطعام الكلب ، ولم يقبل على الامام · فوجد الامام أحمد فى نفسه شيئا لاقبال الرجل على الكلب ، وعدم التفاته اليه ، فلما فرغ الرجل من اطعام الكلب ، التفت الى الامام وقال : (لعلك وجدت فى نفسك ، اذ أقبلت على الكلب ، ولم أقبل عليك) قال (نعم) · فقال : « حدثنى أبو الزناد - عن الاعرج عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : (**من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة ، فلن يلج الجنة**) ·

ثم قال الرجل : (أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدنى هذا الكلب ، فخفت أن أقطع رجاءه) ·

فقال الامام : (يكفينى هذا الحديث) ·

وجاء فى طبقات ابن السبكى أن الامام أحمد الرفاعى - رضى الله عنه - استيقظ من نومه · ذات يوم فى وقت الصلاة ، فوجد هرا ينام فى كمه ، فقطع ذلك الكم حتى لا يزعجه ، ولما عاد من الصلاة وجد الهر قد ذهب فأعاد الكم الى موضعه ·

وقد فرض الاسلام على أصحاب الدواب أن يعطوها حقها من الماء والعلف ، فى زمن الجدب ، وأن يكفوا عن حلبها اذا كان فى ذلك ما يضرها ، كقلة العلف ، والا يستقصوا فى حلبها ، وأن يقص الحالب أظفاره عند الحلب ·

كما ينصح الفقهاء بابقاء شىء من العسل للنحل ، عند جمعه حتى يقتات به ، على أن تزاد كمية ما يترك منه ، فى الزمن الذى يتعذر فيه خروجه ، كالشتاء ·

وأفتوا بتحريم وسم الحيوان على وجهه ، ولم يجيزوا خصى ما لا يؤكل منه ، كما أفتوا بتحريم قتل الهرة الا اذا صالت ، وخشى ضررها ، وتحريم قتل الكلب الذى فيه منفعة مباحة ، ونهوا عن قتل الكلب الذى لا نفع فيه ولا ضرر ، ولم يجيزوا غير قتل الكلب العقور ، وكل سبع ضار ·

ومما ذكره الامام تاج الدين عبد الوهاب السبكى فى كتابه (معيد النعم ، ومبيد النقم) من واجبات سائس الدواب : (ومن حقه النصح فى خدمتها ، وتنقية العليق لها ، وتأدية الامانة فيه ، فانه لا لسان لها يشكوه الا الله تعالى) ·

وقد أوصى الرسول الكريم بالرفق فى ذبح البهيمة ، فقال (**كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته**) ·

ويروى أنه رأى رجلا يحد شفرته · وقد أضجع شاة يريد ذبحها · فلامه على فعله ، وقال (**أتريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها**) ·

وقد أراد بذلك أن يجنب ذلك الحيوان الاعجم ، الالم الذى يسبق الذبح ، **عندما يعلم به ويتوقعه** ·

وحددت كتب الفقه كيفية الذبح وموضعه بالتفصيل ، فلم تجز جر الشاة برجلها جرا عنيفا عند الذبح ، ولا الذبح بسكين غير حادة ، لان فى ذلك تعذيب لها · كما لم تجز ذبح الحيوان على مرأى من آخر ، ولا سلخه قبل أن يبرد ويتأكد خروج الروح منه ·

الصلح في القانون المدني

عناصر عقد الصلح ...

الدكتور ريس محمد يحيى

تعريف الصلح :

عرف التقنين المدنى الصلح فى المادة ٥٤٩ بأنه : « **عقد يحسم به الطرفان نزاعا قائما او يتوقيان به نزاعا محتملا وذلك بأن ينزل كل منهما على وجه التقابل عن جزء من ادعائه** » .

وهذا النص مطابق لنص المادة ٥١٧ من التقنين المدنى السورى والمادة ٥٨٤ من التقنين المدنى الليبى ، وتنص المادة ٦٩٨ من التقنين المدنى العراقى على أن : « الصلح عقد يرفع النزاع ويقطع الخصوم بالتراضى

وتنص المادة ١٠٣٥ من تقنين الموجبات والعقود اللبنانى على أن : « الصلح عقد يحسم به الفريقان النزاع القائم بينهما أو يمنعان حصوله بالتساهل المتبادل » ـ وهذا التعريف يقارب تعريف التقنين المدنى المصرى فى المادة ٥٤٩ .

والمادة ٥٤٩ فى المشروع التمهيدى كان أصلها المادة ٧٣٧ وكانت تنص على أن : « الصلح عقد يحسم به الطرفان نزاعا قائما أو يتوقيان به نزاعا محتملا وذلك بأن ينزل كل منهما عن ادعاء له يتصل برابطة قانونية قائمة بينهما » .

وقد وافقت لجنة المراجعة ومجلس النواب على المادة ٧٣٧ دون تعديل ولدى مناقشة المشروع فى لجنة القانون المدنى بمجلس الشيوخ لاحظ رئيس اللجنة ان النص يتناول النزول عن ادعاء بالحق فى حين أن النص القائم يتكلم عن النزول عن كل أو بعض الحق ؟ هذا فضلا عن أن النص الجديد يوهم أن النزول يكون عن الادعاء بالحق ذاته وليس عن الحق نفسه فذكر الدكتور بغدادى ردا على هذا الاعتراض أن النص الجديد عام يشمل الحق وما قد يكون فى الواقع ليس بحق كمجرد الادعاء بالحق ، وأضاف رئيس اللجنة أن النص لم يبين أن النزول عن كل أو بعض الحق يكون على وجه التقابل ، كماانه قد يوهم عدم جواز النزول عن جزء من الحق وذكركذلك على سبيل الاعتراض أن عبارة « يتصل برابطة قانونية قائمة بينهما » قد توهم ان المادة اوردت مبدأ جديدا لاجراء الصلح ، وخلص الى اقتراح حذفها وبعد الرجوع الى القانون اللبنانى مصدر تلك المادة ونص القانون القائم استقر الرأى على تعديل المادة على النحو الذى صدر به التقنين) انظر مجموعة الاعمال التحضيرية ـ الجزء ٤ ـ ص ٤٣٩ ـ ٤٤١ » .

ويبين من التعريف المذكور آنفا أن لعقد الصلح بالاضافة الى أركانه العامة من رضاء ومحل وسبب عنصران بارزان يميزانه عن سائر العقود هما : وجود نزاع قائم او محتمل ونزول عن ادعاءات متقابلة .

ويضيف بعض الفقهاء الى هذين العنصرين عنصرا ثالثا هو قصد انهاء النزاع أو نية حسم النزاع اى يجب أن يقصد الطرفان بالصلح حسم النزاع بينهما اما بانهائه اذا كان قائما أو بتوقيه اذا كان محتملا وأرى أنه لا حاجة الى أضافة هذا العنصر الى العناصر المميزة لعقد الصلح لان هذا العنصر يستفاد

ركن وهو التراضى فى العقد اذ انه طبقا لهذا الركن يجب أن يكون هناك تطابق تام بين الايجاب والقبول حتى ينعقد الصلح والصلح فى ذلك شأنه شأن سائر العقود لذلك سوف نتناول الكلام عن العنصرين المميزين لعقد الصلح على النحو التالى :

العنصر الاول ـ وجود نزاع قائم أو محتمل :

ان من المقومات الاساسية لعقد الصلح أن يكون هناك نزاع وهذا طبيعى وملائم لحقيقة الاشياء ، فحيث لا نزاع فلا صلح وهذا أمر مسلم فاذا لم يكن هناك نزاع لا يكون العقد صلحا حتى ولو أطلق عليه المتعاقدان اسم الصلح فاذا تنازل المؤجر للمستأجر عن بعض الاجرة المستحقة غير المتنازع فيها حتى يسهل له الحصول على الباقى فهذا لا يعد صلحا وانما ابراء من بعض الدين وكذلك اذا كان العقد الذى تم بين الطرفين يستمر عقدا آخر واطلق عليه اسم الصلح فان أحكام العقد الحقيقى هى التى تطبق لان العبرة فى العقود بالمعانى والمقاصد لا بالمبانى .

وقد يكون النزاع ـ الذى يحسمه الصلح ـ معروضا أمام القضاء وهذا هو النزاع القائم الذى تتحدث عنه المادة ٥٤٩ سالفة الذكر ويطلق على الصلح حينئذ الصلح القضائى حيث يتم فى مجلس القضاء وفى هذه الحالة لا يثير معنى النزاع اى جدل . اما اذا كان النزاع لم يعرض بعد على القضاء فهنا ايضا يجوز الصلح اذا كان هذا النزاع محتملا على حد تعبير المادة ٥٤٩ ولكن ثار الجدل فى هذه الحالة عن حقيقة معنى النزاع الذى يحسمه الصلح فى هذه الحالة .

معيار النزاع المحتمل الذى يحسمه الصلح :

قد ينصب النزاع على وجود الحق فى ذاته كما قد ينصب على مضمونه مثل الالتزام بالتعويض الناشىء عن العمل غير المشروع فقد يتفق الطرفان على وجوب هذا الالتزام ولكنهما يختلفان حول تحديد مبلغ التعويض الواجب اداؤه .

ومهما يكن من أمر فان الصلح جائز فى الحالتين يبقى بعد ذلك تحديد معيار هذا النزاع :

ذهبت طائفة من الفقهاء الى أن المعيار ذاتى محض أى أن العبرة بما يقوم فى ذهن كل من الطرفين لا بوضوح الحق فى ذاته فالمهم ان يكون هناك نزاع جدى ولو كان أحد الطرفين هو المحق دون الاخر وكان حقه واضحا مادام هو غير متأكد من حقه .

وذهب البعض الى أن النزاع يوجد فى حالة وجود مسألة قانونية محل خلاف بين الطرفين . وأنه لا يهم بعد ذلك أن يكون الصلح الذى أبرمه الطرفان بشأن هذه المسألة قد وافق حكم القانون أم خالفه ويبروون هذا بأنه لا يجوز الطعن فى الصلح بسبب غلط فى القانون ويرى بعض الفقهاء أن خير معيار لفكرة النزاع المحتمل **من الناحية الفنية هو ذلك الذى يستمد من وجود او انعدام حق الدعوى للطرفين فحيث تتوافر عناصر الدعوى ويكون قيام الخصومة ممكنا** **يكون هناك محل للصلح والا فلا وتفريعا على ذلك لا يجوز الصلح عن الحقـــوق الاحتمالية الا اذا توافرت للطرفين المصلحة القائمة المحققة بمعناها كشرط لثبوت حق الدعوى** . وأرى أن هذا الرأى يضيق من مدلول النزاع باعتباره عنصرا جوهريا فى عقد الصلح فقد نكون بصدد نزاع لا تتوافر فيه شروط الدعوى كما فى حالة المصلحة المستقبلة ومع ذلك فقد تكون هناك فائدة من الصلح وقد يثور نزاع بشأن حق سقط بالتقادم ولا يجوز رفع دعوى بشأنه ويكون فى الصلح بشأنه فائدة للدائن حيث يحصل على بعض حقه بدلا من فقد هذا الحق كله ، ومن جهة أخرى فان هذا المعيار ليس له سند من النصوص فلو اراد المشرع أن يقصر معنى النزاع على هذا الذى يخول حق الدعوى للطرفين لنص على ذلك صراحة .

ويرى بعض الفقهاء الاخذ بتصوير واقعى للنزاع المبرر للصلح فالنزاع يتوافر عندما ينكر الطرف السلبى المزعوم للحق ذلك الحق سواء من حيث وجوده أم من حيث مضمونه ويفضل أصحاب هذا الراى القول بأن الصلح يرد على مركز قضائى لا على نزاع بالمعنى الشكلى لهذا التعبير والذى يستلزم رفع الدعوى فعلا ، أما النزاع المحتمل فيقصد به الحالات التى ينشأ فيها انكار الطرف السلبى للحق خطر تعطل استعمال الحق فى المستقبل كما هو الحال فى المنازعة فى وجود الحق المقترن بأجل قبل حلول الاجل أى أن النزاع أو المركز القضائى يقوم دون رفع الدعوى ويكون النزاع قائما أو محتملا تبعا لما اذا كان تعطل استعمال حق الدائن حالا أو غير حال .

ويرى البعض أخذا عن الفقه الايطالى ان النزاع المبرر للصلح له عنصران : تعارض المصالح والادعاء القانونى فالعنصر الاول هو موضوع النزاع والمكون للمصلحة فى الدعوى أما العنصر الثانى فهو عنصر الحركة فى النزاع وطبقا لهذا الرأى لا يلزم لقيام النزاع أن ينكر المدعى عليه بل يكفى الا يجيب المدعى الى ما يطلب ولو لم ينكر وعلى ذلك يكون الفرق بين النزاع القائم والنزاع المحتمل أن الاول يتركب من تعارض المصالح والادعاء القانونى الذى أخذ صورة المطالبه القضائية بينما يتركب النزاع المحتمل من تعارض المصالح ويمكنه رفع الدعوى التى توافرت شروطها ولكنها لم ترفع فعلا .

والصواب فى نظرنا أن مدلول النزاع فى عقد الصلح يجب أن يؤخذ بالمعنى الواسع لكلمة النزاع فيشمل النزاع الذى تتوافر فيه شروط رفع الدعوى وهذا الذى لا تتوافر له هذه الشروط طالما أن هذا النزاع له صفة الجدية ويتعلق بحق يدعيه أحد الطرفين او حتى مجرد ادعاء وهذا المدلول يتفق مع تعريف المشرع للصلح كما أنه يحرر الصلح من القيود التى ترد عليه وهذا . ولا ريب يساعده على أداء دوره من الناحية العملية كما أن هذا المدلول الواسع يتفق مع نظرة الفقه الاسلامى لعقد الصلح وبصفة خاصة فى المذهب الحنفى .

سجود التلاوة

فضيلة الشيخ
احمد على منصور

لقد أنزل الله القرآن العظيم ، على خير خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكون معجزته الخالدة على وجه الزمن ، وليهتدى به المسلمون فى المشارق والمغارب الى الحق والى طريق مستقيم وضمنه العلى القدير من الاداب والاحكام ما يكفل للناس السعادة فى الدنيا والاخرة ، وتعهد ببقائه وحفظه ، لانه ينمو من نفسه كما ينمو الحى ، ويضىء من ذاته كما تضىء الشمس ، ويتجدد من طبعه كما يتجدد الربيع ، ويرسم للانسانية سبيل الفوز والرفاهية فى العاجل والاجل . ولقد جربت هذه الانسانية فى مرحلة الحياة الطويلة ألوانا من الحكم ، لم تحقق لها كل آمالها ، وما زالت تنشد الحكم الصالح الذى يحقق جميع أمنياتها ، أجل لقد عرفت الانسانية النظام الملكى وسعدت به قليلا وشقيت به كثيرا ، وعرفت النظام

الشورى الذى يرد للشعب أمور الشعب ، فنالت به قسطا من العدل ولم تحصل من ورائه على العدل كله وما زالت تتطلع الى النظام الذى يحقق أهدافها على مر الدهور والعصور ، ويأخذ بيدها الى المستوى الجدير به الانسان الذى جعله الله خليفة له فى أرضه ، يعمرها ويمشى فى مناكبهاويتمتع بخيراتها و..ى الله النشور • وهذا النظام القويم الذى تريده الانسانية وتجد فى الوصول اليه ، هو ما نادت به آيات التنزيل الحكيم ، ورفع لواءه الرسول العظيم ، وسعد به السلف الصالح فى فجر الاسلام وضحاه ، حتى سجلوا تاريخهم بمداد من الفخر على صفحات من نور •

ولقد رفع الله تعالى بالقرآن الكريم أقواما ، وخفض به آخرين ، ودعا المسلمين الى ترتيله وتلاوته ، ورتب على ذلك الاجر الكبير والثواب الجزيل ، وجاء فى ثنايا كتاب الله آيات يطلب لها سجود التلاوة من القارىء والسامع : ويشترط لها ما يشترط للصلاة ، من استقبال القبلة : وطهارة الثوب والجسم والمكان : وصفتها أن يقول فاعلها الله أكبر ناويا بقلبه سجدة التلاوة ثم يسجد سجدة واحدة ، واضعا جبهته على الارض كسجود الصلوات ، ويقول فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا : ويزيد على ذلك ان استطاع : اللهم اكتب لى بها عندك أجرا ، وضع عنى بها وزرا ، واجعلها لى عندك ذخرا ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام ، ثم يرفع رأسه ويقول الله أكبر ويسلم يمينا وشمالا • ومن كرر آية سجدة فى مجلس واحد كفاه لها سجود واحد : فان قرأها فى عدة مجالس طلب منه السجود لها فى كل مجلس على حدة •

ودليل مشروعية سجود التلاوة ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ، فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه ، حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته • وقال صلوات الله وسلامه عليه : « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله ، أمر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار » رواه مسلم ، وأجمعت الامة على مشروعية سجود التلاوة عند قراءة آيات معينة من كتاب الله العزيز •

وسجود التلاوة سنة عند الشافعية والمالكية والحنابلة وجمهور الفقهاء ، ويرى الحنفية أنه واجب على القارىء والسامع ، فان تركه كل منهما عند تلاوة آياته كان آثما : واذا قرأ انسان آية سجدة وكان بجانبه أو بقربه آخر يصلى ، طلب سجود التلاوة من القارىء لا من المصلى واذا شرع الخطيب فى خطبة الجمعة أو العيد وسمع الحاضرون انسانا يقرأ آية سجدة ، فانه لا يطلب منهم السجود لما فيه من الاعراض عن الخطيب ، واذا سمع انسان آية سجدة من الببغاء مثلا أو الحاكى والفنوغراف فلا سجود عليه •

ويطلب سجود التلاوة عند أربعة عشر موضعا من التنزيل الحكيم ، على ما ذهب اليه الامام الشافعى وكثير من الفقهاء :

الاول : عند تلاوة آخر آية من سورة الاعراف ، وهى قول الله عز وجل : «ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحون وله يسجدون » ومعناها : ان ملائكة الرحمن المقربين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فلا يتعظمون عن طاعته ، وينزهونه سبحانه عما لا يليق به ، وانهم يخصونه عز وجل بالعبادة ، لا يشركون معه فى ذلك سواه ، لانه المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص وغيره لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا •

الثانى : عند تلاوة آية الرعد ، وهى قول الله عز وجل : « ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها ، وظلالهم بالغدو والاصال » والمعنى : ان كل من فى السموات والارض من الملائكة والمؤمنين والمنافقين والكافرين يسجدون لله تعالى سجود تعبد وانقياد ، فالملائكة والمؤمنون يسجدون لمولاهم طائعين ، والمنافقون والكافرون يسجدون لربهم كارهين فى حال الضيق والشدة ، وظل كل شىء يسجد للعلى القدير أول النهار وآخره ، فظل المؤمن يسجد طائعا ، وظل الكافر والمنافق يسجد كارها ، وسبحان من يقول للشىء كن فيكون •

الثالث : عند تلاوة آية النحل ، التى يقول فيها مولانا جل جلاله : «ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة ، والملائكة وهم لا يستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » ومعنى ذلك : أن الملائكة فى السموات العلا ، والخلق فى الارض يسجدون لله سجود انقياد وطاعة ، وملائكة الارض من الحفظة وغيرهم لا يستكبرون عن طاعة خالقهم ، ويخافونه ويخشون عذابه ، ويفعلون ما يؤمرون به ، ويقطعون أوقاتهم بين خوف ورجاء ، ورغبة ورهبة •

الرابع : عند تلاوة آية الاسراء التى يقول الله تعالى فيها : «ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا »يعنى : اننا فصلنا القرآن تفصيلا وفرقنا فيه الحق من الباطل ليقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس بتؤدة وتثبت ، ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث والمناسبات، وعلى الناس أن يختاروا لانفسهم بعد هذا كله النعيم المقيم أو العذاب الاليم ، فالذين أوتوا العلم والتوراة قبل القرآن اذا يتلى عليهم التنزيل الحكيم يخرون للاذقان ساجدين ويقولون سبحان ربنا وتنزيها له عن كل ما لا يليق به لانجازه ماوعدبهفىالكتبالمنزلة وبشر به ، من بعثة خاتم النبيين وانزال القرآن عليه ، فأعرض عن المعاندين يا رسول الله فانهم صائرون الى العذاب الشديد ، وخير منهم ممن قرءوا الكتب السابقة آمنوا بالقرآن الذى أنزلناه عليك وصدقوه ، وسبحوا لله تعظيما لامره ولتحقق وعده ويخرون للاذقان باكين ، ويزيدهم القرآن خشوعا ، ولين‌قلب ورطوبة عين •

الخامس : عند تلاوة آية مريم ، التى يقول فيها مولانا جلت حكمته : «اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا »والمراد : أن الذين أنعم الله عليهم من النبيين ومن هداهم واختارهم لطاعته . اذاتليت عليهمآياته سبحانه وكتبه المنزلة سقطوا على وجوههم ساجدين رغبة ، باكين رهبة ، وفى الحديث الشريف « اتلوا القرآن وابكوا وان لم تبكوا فتباكوا ! وروى الامام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى رحمه الله فى تفسيره عند هذه الاية ، عن صالح المرى رضى الله تعالى عنه قال : قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقال لى يا صالح هذه

القراءة فاين البكاء ؟ صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين •

السادس : **عند تلاوة قوله تعالى فى سورة الحج : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض : والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ، وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب • ومن يهن الله فما له من مكرم ، ان الله يفعل ما يشاء »والمعنى ، ألم تعلم يا امام** الهدى علما يقوم مقام العيان ، أن كل شيء فى السموات والارض يسجد لله ، وأن كثيرا من الناس مثابون لطاعتهم لمولاهم ، وأن كثيرا منهم حق عليهم العذاب لكفرهم وابائهم السجود ، ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم بالسعادة ، والله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة وسواهما •

السابع : **عند تلاوة قوله تعالى فى سورةالحج أيضا ، « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم : وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » ففى هذه الاية الكريمة يامر** الله تعالى عباده المؤمنين بالركوع والسجود ، والصوم والحج وغيرهما ، والمسارعة الى الخيرات وسائر الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق ، وهم راجون للفوز والفلاح ، غير مستيقنين أو متكلين على أعمالهم •

الثامن : **عند قراءة قول الله عز علاه فى سورة الفرقان : « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ، أنسجد لما تامرنا وزادهم نفورا » فيذكر الله تعالى فى هذه الاية** الشريفة أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذا قال للمشركين اسجدوا للرحمن وصلوا واخضعوا له ، أجابوا بأنهم لم يعرفوه حتى يسجدوا له ، وزادوا على ذلك قولهم : **أنسجد** لما تأمرنا بالسجود له ، أو لامرك بالسجود من غير علم منا به ، وحملهم هذا الامر بالسجود تباعدا عن الايمان ، وهم فى ذلك غافلون •

التاسع ، عند قراءة قول الله سبحانه وتعالى فى سورة النمل : « **ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون ، الله لا اله الا هو رب العرش العظيم** » فقد حمل هدهد سليمان على ملكة سبا بلقيس وقومها لسجودهم للشمس من دون الله وأشار بأن الواجب عليهم أن يسجدوا للعلى القدير الذى يخرج خبء السماء المطر وخبء الارض النبات ، ويعلم ما يخفى الورى وما يعلنون ، ولا شريك له فى ملكه ، ولا معقب لحكمه ، وهو سبحانه رب العرش العظيم ، فمن اللازم صرف العبادة اليه ، والاستعانة به ، والتوكل عليه •

العاشر : عند قراءة قول الله جل جلاله فى سورة السجدة : « **انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** » فقد أشار مولانا بذلك الى أن المصدقين بآيات الرحمن ، هم الذين اذا وعظوا بها سجدوا لله تواضعا وشكرا وخشوعا ونزهوه تعالى عما لا يليق به ، واثنوا عليه حامدين له ، وهم لا يستكبرون عن الايمان بخالقهم ورازقهم ومدبر شئونهم وراعيهم وحافظهم ، ولا عن السجود لذى الجلال والاكرام •

الحادى عشر : عند قراءة قول مولانا فى سورة فصلت : **« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ، فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون » فمن الايات الدالة على وحدانية ربنا** وقدرته وعظمته ، تعاقب الليل والنهار على حد معلوم وتناوبهما على قدر مقسوم ، واختصاص الشمس والقمر بسير مقدر ونور مقرر ، فمن الواجب ترك السجود للشمس والقمر لانهما مخلوقان وان كثرت منافعهما بل السجود يكون لله الخالق فى اخلاص واذعان ، وان استكبر المعرضون عن ذلك ولم يمتثلوا ما أمروا به ، فالملائكة المكرمون يسبحون الله تعالى بالليل والنهار وهم لا يسأمون ولا يملون ، فدع هؤلاء المعرضين يا رسول الله ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، وسيلاقون جزاءهم يوم الحساب •

الثانى عشر : عند قراءة قول الله تبارك اسمه فى سورة النجم : « **أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ، وأنتم سامدون : فاسجدوا لله واعبدوا** » فقد كان بعض المستهزئين فى عصر النبوة اذا سمعوا القرآن الكريم عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه ، فقال المولى لهم أفمن هذا القرآن العظيم تعجبون انكارا ، وتضحكون استهزاء ، ولا تبكون خشوعا ، وانتم سامدون غافلون ولاهون لاعبون فاسجدوا لله تعالى واعبدوه ، ولا تطلبوا الخير ألا من بابه ، واتركوا معبوداتكم فأنها باطلة •

الثالث عشر : عند تلاوة قول العزيز العليم فى سورة الانشقاق : « **واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون** » فهنا ينعى الله تعالى على الكافرين تكذيبهم وعدم ايمانهم واعراضهم عن السجود اذا قرىء عليهم القرآن الحكيم ، وسيجزون يوم القيامة على ما قدموا جزاء وفاقا ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله •

الرابع عشر : عند قراءة قول العلى العظيم فى سورة العلق : «**كلا لا تطعه واسجد واقترب** »وفى كلا ردع لابى جهل لعنه الله ومن لف لفه ، وفى البقية نهى للصادق الامين عن طاعته ، وأمر له بالمداومة على صلاته ، والتقرب الى مولاه بهذه العبادة العظيمة ، ولاسيما فى السجود ، لان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد •

وذهب الشافعي ومن وافقه من الفقهاء ، الى أن قول الله تعالى شأنه فى سورة ص : «**وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب** »لا يطلب له سجود تلاوة : ولكن يستحب السجود عنده بقصد الشكر ، **وسجدة الشكر واحدة كسجدة التلاوة ، وتستحب عند تجدد نعمة ، أو اندفاع نقمة ، ولا تكون الا خارج الصلاة ، وتشترط لها الطهارة واستقبال القبلة ، والتكبير والسجود والجلوس والتسليم يمينا وشمالا ، وان اتى بها انسان فى الصلاة بطلت صلاته ، ويكره الاتيان بها عقب الصلاة مباشرة ، لئلا يتوهم احد وجوبها •**

ومجمل القول فى آية ص أن داود عليه السلام مالت نفسه الى زوجة أحد أعوانه ، ونزل له الزوج عنها حياء ، فتزوجها داود وكان تحته غيرها تسع وتسعون حرة ، وكمل العدد بها مائة ، وولدت له سليمان عليه السلام ، فعوتب على هذا لعظم منزلته وكثرة نسائه ، ولان مكانة النبوة تقتضى مغالبة الهوى وقهر النفس والصبر على الشدائد والخطوب ، وبعث الله عز وجل الى داود ملكين فى صورة انسانين فطلبا الدخول عليه ، فوجداه فى يوم عبادته ، ومنعهما الحرس من الوصول اليه ، فتسورا عليه المحراب ، فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ، ففزع منهما لانهما دخلا اليه فى غير يوم القضاء ، ونزلا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب ، والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه ، فقالا لداود لا تخف نحن

خصمان ظلم بعضنا بعضا ، فاحكم بيننا بالعدل ولا تتجاوز الحق ، وارشدنا الى الصواب . فهذا اخى عنده تسع وتسعون امراة ولدى واحدة ، فطلب ضمها لنسائه وغلبنى فى الخصومة والخطاب ، وصار عنده مائة حرة ، ولا شىء عندى منهن ، فقال داود لقد تعدى بذلك جانب الحق وظلمك فى هذا التصرف ، وكثير من الاصحاب يبغى بعضهم على بعض ، الا من عصم الله من المؤمنين الصالحين وقليل ما هم ، وعلم داود أن الله ابتلاه بذلك وامتحنه ، فاستغفر ربه لما كان منه : وخر له ساجدا : ورجع اليه تائبا ، وغفر مولاه له وقربه اليه ، وحسن مرجعه عنده فى الجنة ونعيمها ولقد بقى داود عليه السلام ساجدا لله مدة طويلة ، وكان لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة ، وظل يبكى حينا من الدهر حتى نبت العشب من دمعه ،ولم يشرب ماء الاممزوجا بالدموع .

ويرى المالكية أن اية النجم واية الانشقاق واية اقرأ من سورة العلق ، ليست من المواضع التى يطلب فيها سجود التلاوة ، ورأوا ان آية ص يطلب لها سجود التلاوة ، وعلى هذا فمواضع سجود التلاوة بالقرآن العظيم عندهم أحد عشر موضعا ، بنقص آيات النجم والانشقاق والعلق وزيادة سجدة التلاوة لاية ص . وذهب الحنفية الى أن آية الحج الثانية : « يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون » لا يطلب لها سجود التلاوة ، وعدوا من مواضع هذا السجود آية ص الا أنهم قالوا الاولى أن يكون سجود التلاوة فى ص عند قوله تعالى بعد ذلك «وان له عندنا لزلفى وحسن مآب» ويتضح من هذا ان اماكن سجدات التلاوة عندهم اربعة عشر ، بنقص آية آخر الحج ، وزيادة آية ص على الوجه المذكور .

ولابد فى سجود التلاوة من النية لغير المأموم ، أما هو فتكفيه نية امامه ، لان سجوده تابع لسجوده ويقتصر المصلى على النية بالقلب ، فلو تلفظ بها بطلت صلاته . وغير المصلى يسن له التلفظ بها ويقارن بينها وبين تكبيرة الاحرام ، ويندب رفع اليدين عند هذا التكبير ، وعند التكبير للهوى للسجود والرفع منه وقراءة الدعاء السابق فى السجدة بعد التسبيح ثلاثا ، ومن قال : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، اربع مرات كفاه ذلك عن سجدة التلاوة ولو كان متطهرا ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

بقية مقال « من احكام الشريعة الاسلامية »

ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين » الايات ٦ ، ٧ ، ٨ من سورة النور .

وقد روى عن عبد الله بن مسعود فى سبب نزول هذه الايات انه قال : كنا جلوسا فى المسجد ليلة الجمعة اذ دخل علينا انصارى فقال يا رسول الله ارأيتم الرجل يجد مع زوجته رجلا فان قتله قتلتموه وان تكلم جلدتموه وان سكت سكت على غيظ . ثم قال اللهم افتح فنزلت آيات اللعان .

كيفية اللعان : اذا قذف الزوج زوجته بالزنى أو نفى نسبة ولدها اليه أو بهما معا ولم يستطع اثبات ذلك بشهادة الشهود الاربعة فان الواجب حينئذ هو اللعان فيأمر القاضى الزوج بأن يلاعن زوجته فيشهد أربع مرات يقول فى كل مرة أشهد بالله انى لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا او من نفى الولد حسبما كان منه من القذف . وفى الخامسة يدعو على نفسه باللعنة فيقول « **لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى او نفى الولد** » . ثم تشهد الزوجة اربع شهادات تقول فى كل مرة أشهد بالله انه من الكاذبين فيما رمانى به من الزنى أو من نفى الولد » .

واذا تم اللعان بين الزوجين بالكيفية المذكورة فرق القاضى بينهما بتطليقة بائنة ونفى نسب الولد من الزوج . ومادام القاضى لم يفرق بينهما بعد اللعان فالزوجية قائمة بينهما حتى لو مات أحدهما بعد اللعان وقبل التفريق ورثه الاخر ما لم يوجد مانع من الارث كاختلاف الدين بأن كان الزوج مسلما والزوجة كتابية .

والحكمة فى وجوب أربع شهادات فى اللعان هى ان جريمة الزنا لا تثبت شرعا عند الانكار الا بشهادة اربعة من الرجال ، فاذا قذف الرجل امراة أجنبية فرماها بالزنى فعليه متى كانت منكرة ما يقول أن يثبت ذلك بأربعة شهود فان لم يفعل كان مستحقا حد القذف .

وقد خصت الزوجة بأن تدعو فى المرة الخامسة على نفسها بغضب الله لا باللعنة كما يفعل الزوج . وذلك لان الكثير من النساء يجرى على السنتهن فى الشتم والدعاء كلمة اللعنة فلعلهن لا يبالين بذلك أيضا ولا يتحرجن منه عند اجراء اللعان فاختصت الزوجة بالدعاء بالغضب اذ يتحرجن منه غالبا .

والى لقاء فى حديثنا التالى ان شاء الله - نبين فيه شروط اللعان وسببه وما يترتب عليه وما يترتب على الاباء عنه .

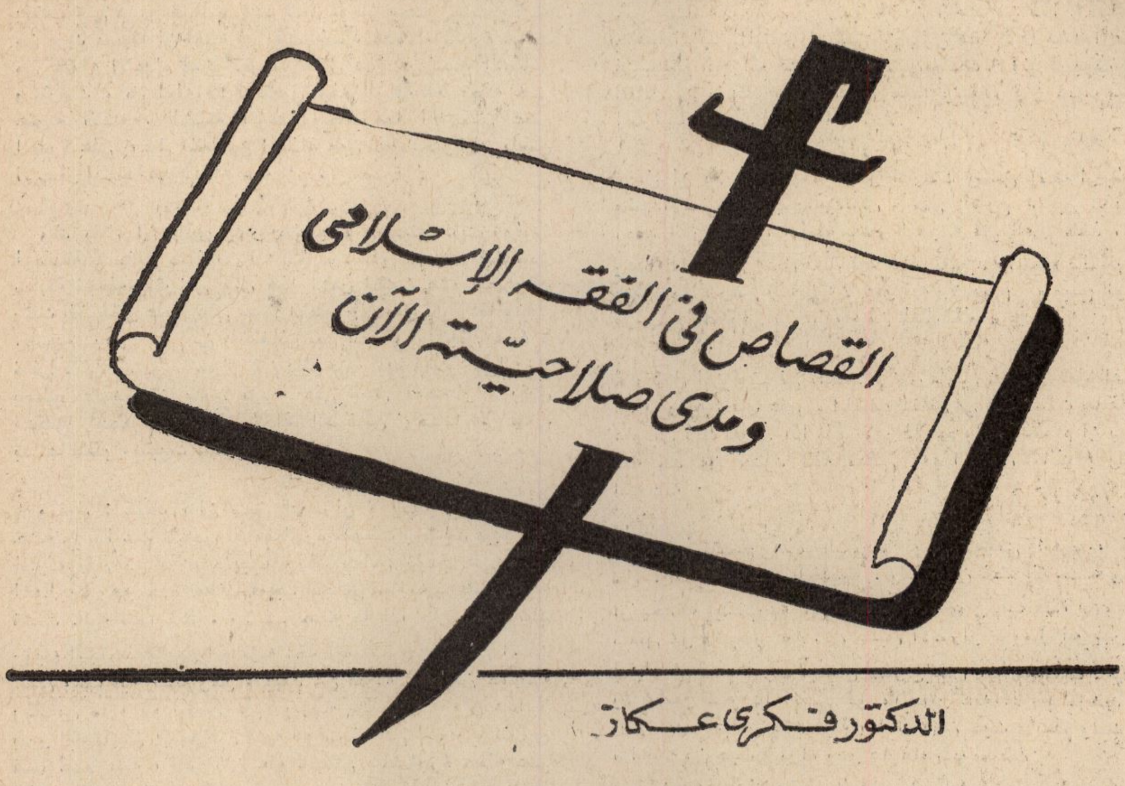

الدكتور فكرى عكاز

أن تكون الجناية عمدا ، أى أن يقصد الجانى اتيان الفعل الممنوع ، فمن تناول شرابا من غير اضطرار ولا اكراه وهو يعلم أن هذا الشراب خمر فهو متعمد فى تناوله هذا ، ومن أتى امرأة أجنبية وهو يعلم ذلك فقد ارتكب جريمة الزنا عمدا ، ومن قصد ضرب غيره بعصا فهو متعمد فى ضربه هذا ، وهذا هو المعنى العام للعمد .

ولكن للعمد معنى خاصا فى جريمة القتل وهو ان يقصد الجانى الفعل الذى أدى الى القتل ويقصد مع ذلك هذه النتيجةفاذا قصد الجانى الامرين معا كان فعله قتلا عمدا واذا قصد الفعل القاتل ولم يقصد النتيجة كان فعله شبه عمد .

ولما كان قصد النتيجة فى القتل العمد أمرا خافيا لا يمكن التعرف عليه حقيقة أقاموا مقامه الالة التى يستعملها الجانى ، فان استعمل قاصدا سيفا أو سكينا أو بندقية أو ما شابه ذلك من كل آلة معدة للقتل فهو مرتكب لجريمة القتل العمد ، وهذا رأى أبى حنيفة فى العمد وقال صاحباه ، بل يكفى أن يستعمل الجانى آلة يقتل بها غالبا حتى يكون مرتكبا لهذه الجناية ، ومالك رضى الله عنه لايشترط لاعتبار الفعل قتلا عمدا أن يقصد الجانى قتل المجنى عليه بل يكفى عنده أن يتعمد الفعل بقصد العدوان وسواء أكان فى نيته قصد القتل أو كانت نيته مجردة من هذا القصد ، فالجانى فى كلتا الحالتين قاتل عمدا - واذن فلا فرق بين آلة وأخرى عند مالك مادام الفعل عدوانا مقصودا أما اذا تعمد الفعل على وجه اللعب أو التأديب ففعل الجانى حينئذ خطأ لا عمد .

وعلى كل حال فان من يصدق عليه أنه قد ارتكب جريمة القتل العمد يستوجب عقوبة القتل على سبيل القصاص ، ولا يشترط شرعا وعند جميع الفقهاء لاستحقاقه هذه العقوبة سبق الاصرار أو الترصد كما هو الحال فى القوانين الوضعية . فالشريعة الاسلامية لا تفرق فى القتل والجرح بين العمد مع سبق الاصرار أو الترصد والعمد الخالى منهما بل تجعل العقوبة واحدة فى الحالتين فعقوبة القتل العمد هى القصاص سواء سبقه اصرار أو ترصد أو هما معا أو لم يسبقه . وعقوبات الشجاج « وهو الجراحة وانما تسمى بذلك اذا كانت فى الوجه أو الرأس فالشجة كل جرح فى الوجه أو الرأس وما فى باقى الجسد فلا يسمى الا جرحا » .

والجراح فى حالة العمد مع سبق الاصرار أو الترصد هى نفس عقوبتها فى حالة التعدى

بل ان هذين الشرطين سبق الاصرار والترصد يأتيان على أصل مشروعية هذه العقوبة - عقوبة القصاص - بالنقض ، وذلك لان الانسان اذا ارتكب جريمة القتل أو الضرب عمدا فان ذلك يثير ثائرة الغضب والحقد فى قلوب المجنى عليهم أو أوليائهم مما يجعلهم يعملون على الانتقام من الجانى بمثل مافعل تماما او اكثر ولا يفرقون فى ذلك بين جان قد ارتكب هذه الجناية من غير سبق اصرار أو ترصد أو ارتكبها بعد سبق اصرار أو ترصد فالجانى فى كلتا الحالتين بالنسبة للمجنى عليه أو أوليائه على درجة واحدة من الاعتداء الذى يستحق عليه الجزاء المماثل فى زعمهما ، ولا يهنأ لهم بال ولا تنطفىء لهم نار حتى ينزل بالجانى من الجزاء مثل ما فعل من الجناية .

بل ان من يريد أن يقتل شخصا وصمم على قتله يمكنه أن يتغلب على هذا الظرف المشدد للعقوبة بأن يختلق مشاجرة مع من يريد مسبقا أن يقتله ثم يقتله أثناء هذه المشاجرة فيفلت من عقوبة الاعدام لخلو جريمة القتل هذه من سبق الاصرار والترصد ، بل لعله قد تستعمل معه الرأفة فلا تناله حتى عقوبة الاشغال الشاقة المؤبدة وخصوصا اذا كان عنده المقدرة على توكيل المحامين الافذاذ ممن لهم الخبرة فى تلمس الاعذار المخففة فى الدفاع عنه .

وقد يقال ان الذى يدبر مشاجرة ويجعلها تبدو وليدة الصدفة لا يفعل ذلك الا اذا كانت هناك عداوات وضغائن سابقة تجعله يفكر فى مثل هذا الامر فتكون هذه العداوات وتلك الضغائن دليلا على سبق الاصرار ، نقول ان القانونيين انفسهم درجوا على أن الضغائن بين الجانى والمجنى عليه لا تكفى لاثبات سبق الاصرار لان ذلك فى رأيهم قاصر البيان ولا يصلح عندهم أن يكون قرينة على سبق الاصرار . يقول الدكتور محمود مصطفى « ان الضغائن وحدها لا تكفى بذاتها للقبول بثبوت سبق الاصرار »

ويقول : كذلك « ان سبق الاصرار لا يعتبر متوافرا فى حالة ما اذا علم شخص أن مشاجرة حصلت وأصيب فيها أحد اقاربه فقام من فوره متهيجا وأخذ الفأس وذهب الى مكان المشاجرة وهو بهذه الحالة فوجد الجانى فضربه بالفأس ضربة قضت عليه فيما بعد ، ولا فى حالة ما اذا كان المتهم عند رؤيته المجنى عليه مارا بمنزله أخذ السكين وتعقبه الى المكان الذى وقف فيه يتكلم وهو لا يبعد عن منزله أكثر من خمسة وثلاثين مترا ثم انقض عليه وطعنه بالسكين ، فان هذا لا يبرر القول بان المتهم كان لديه الوقت الكافى للتدبر والتروى فيما أقدم عليه » فاذا كان علم الجانى بالمشاجرة حمله على الذهاب مستعدا بالسلاح وارتكب جريمته ، واذا رأى المتهم المجنى عليه مارا على منزله فحمله هذا أخذ سلاح وتعقبه فقتله ، واذا كانت الضغائن لا تنهض دليلا على أن الجانى كان عنده سبق اصرار على القتل فحينما يختلق مشاجرة مع المجنى عليه لقتله فليس هناك اذن ما ينهض لان يكون دليلا لى سبق الاصرار عنده ويفلت من عقوبة الاعدام وهذا ما قررناه آنفا .

وفى الحقيقة نحن لا نوجه الاعتراض على سبق الاصرار باعتباره ظرفا مشددا أو باعتباره صفة فى الجانى تجعله أكثر اجراما مما لو كان خاليا من هذا الظرف . ولكن نقول فقط انه لا ينبغى أن تتوقف عقوبة الاعدام على توفره حتما فى جريمة القتل بحيث لا يقتل القاتل الا اذا اقترن فعله بسبق اصرار أو ترصد حتى لا يترتب على ذلك نقيض الغرض الذى من أجله شرعت عقوبة القصاص اذا كانت الجريمة قتلا ، أما اذا كانت الجريمة غير القتل فلا شك أنه ينبغى أن تشدد العقوبة على من يتوفر فيه هذا الظرف لانه يدل على نوع من تأصل الشر فى نفس الجانى بخلاف من يرتكب الجريمة من غير اعداد لها واصرار عليها ونحن لا نقف من هذا الاتجاه الا موقف المؤيد والمناصر وينبغى أن يكون هذا ظرفا مشددا عاما فى جميع الجرائم عدا جريمة القتل فالحد الادنى لوجوب قتل القاتل أن يرتكب جناية القتل عمدا وسواء كان هناك سبق اصرار أو ترصد أو هما معا أم لا .

بل أن بعض الفقهاء اعتبر الترصد وسبق الاصرار ظرفا مشددا حتى فى جريمة القتل . ففى الشرح الكبير لسيدى أحمد الدردير قيل الغيلة بكسر المعجمة هى القتل لاخذ المال وهذا النوع من القتل يقتل فيه الحر بالعبد والمسلم بالكافر ، ويقول مالك رضى الله عنه لا عفو فيه ولا صلح ، وصلح الولى مردود والحكم فى هذا النوع من القتل للامام »

ويقول ابن حزم فى المحلى (هل للولى عفو فى قتل الغيلة أو الحرابة : قال على ، اختلف الناس فى هذا فقالت طائفة لا عفو فى ذلك للولى اذا بلغ الامر للامام وليس للامام أن يعفو لانه حد من حدود الله تعالى وبهذا يقول مالك) رضى الله عنه .

وحتى تتضح هذه الدعوى نوضح معنى الغيلة ، فقد قيل : الغيلة بالكسر الخديعة . وقتل فلان غيلة أى خدعة وهو أن يخدعه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله - وهذا المعنى هو ما يعبر عنه الان بسبق الاصرار - وقال أبو بكر : الغيلة فى كلام العرب ايصال الشر والقتل اليه من حيث لا يعلم ولا يشعر - وهذا المعنى هو ما يعبر عنه الان بالترصد - وقال أبو العباس قتله غيلة اذا قتله من حيث لا يعلم وفتك به اذا قتله من حيث لا يراه وهو غار غافل غير مستعد

والتشدد هنا عند هؤلاء البعض هو أنه لا يجوز لولى الدم أن يعفو عن القاتل كما يجوز له فى القتل العمد الذى لا يوصف بالغيلة بل لابد من قتل هذا النوع من الجناة ولا يجوز بحال العفو عنهم اذا بلغ أمر جنايتهم هذه الى ولى الامر فالعقوبة حينئذ حد من حدود الله لا يجوز بحال التفريط فيه ولا يجوز العفو عن القاتل حتى من الحاكم الاعلى عند اصحاب هذا الاتجاه ، أى ان الجانى اذا كانت جنايته قتلا عمدا وجب قتله قصاصا الا اذا عفا ولى الدم أو صالح على مال ، فاذا كانت جنايته قتلا غيلة وجب قتله حدا ولا يجوز بحال العفو عنه وهذا تشديد فى العقوبة يقابل جرما زائدا فى الجناية عند هؤلاء البعض .

ولكن الاتجاه الغالب فى الفقه الاسلامى هو أن هذا النوع من القتل يجوز فيه لولى الدم ما يجوز له فى غيره من القتل : اى له أن يقتل أو يعفو أو يصالح ، وبعد فلعله قد تبين أن شرطا سبق الاصرار والترصد لوجوب عقوبة الاعدام يفسد أمر هذه العقوبة ويأتيان على مشروعيتها بالهدم والنقض .

الدعــوة
والدعـاة

يشرف على تحرير هذا الباب

- منصور الرفاعي عبيد
- فؤاد هيبه
- على عياد

حديث

عاشت الانسانية ردحا من الزمن ترزح تحت وطأة الهوان والعبودية . الكل اوقف عقله عن التفكير فى تقدم البشرية ورفاهيتها والعمل على نهضتها من كبوتها ودفع عجلة الحياة الى العمل البناء والترابط بين الجميع فى اخوة ومحبة وسلام . والصلة بالله عن طريق عبادته هووحده وعدم السجود لاصنام نحتوها بايديهم من الحجارة .. وظلت الانسانية تتردى من سىء الى أسوأ حتى قال شاعرهم .

ولما رأيت الجهل فى الناس فاشيا ...
تجاهلت حتى ظن أنى جاهل

ومضت الايام والانسانية فى انحطاط مستمر تقام الحرب بين القبائل لاتفه الاسباب وتتأجج نار العداوة بين الافراد بسبب غرض دنىء وشىء بسيط لقد اصطلت البشرية بنار الحقد والكراهية وسول لهم سوء تفكيرهم ان يتخلصوا من الانثى لانها فى نظرهم أحبولة الشيطان وقائدة الشر وسبب الفقر فكانوا يتخلصون منها بدفنها حية تحت التراب وهى تبكى ولا مجيب وتصيح ولا مغيث - لقد غابت الرحمة من قلوب القوم والشفقة ليس لها أثر يذكر بين الناس - واذا نجت الفتاة من الموت فانهم يحبسونها فى البيت وتعيش والظلم محاط بها وليس لها من دون ذلك سبيل يعبر القرآن عن ذلك فيقول « **ظهر الفساد** فى البر والبحر بما كسبت ايدى الناس - ويقول - واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه فى التراب الا ساء ما

إلى الأئمة

يحكمون .. لقد سادت الطبقية فى المجتمع واصبح الشعار .. البقاء للاقوى والقوى هو الذى يملك المال او يستطيع حمل السلاح أو من له قبيلة تقف من ورائه تحميه وتزود عنه .. وكان القوى يغير على الضعيف فيسبيه ويسترقه ويقوم ببيعه وأكل ثمنه هكذا كانت الانسانيه قبل ميلاد سيد الوجود وخاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. لقد كانت البشرية تتنكب الطريق وتميل عن الجادة وليس هناك تغيير يذكر فى أى ناحية من مناحي الحياة للنهوض بها اللهم الا صيحات خافتة تصدر من بعض الافراد الذين لا يجدون لهم نصيرا فكانت اصواتهم تذهب هباء الرياح ولا تترك اثرا يذكر فى دنيا الناس الى أن شاءت مشيئة الله وتأذن المولى سبحانه ببعث المصلح العظيم والقائد الرحيم الذى يخاطب من السماء .. فكان ميلاد النبى محمد صلى الله عليه وسلم بداية لتحرير العقول ونهضة النفوس من كبوتها ورفع الاثقال والاوزار عن ظهر الانسانية . وتشاء المقادير أن يرتبط ميلاد النبى الخاتم بحدث كان له فى الجزيرة العربية كلها وفى محيط الانسانية ذكر وخير . انه حادث اصحاب الفيل حيث جهز ابرهة جيشا وتوجه من اليمن الى مكة ليقوم بهدم الكعبه أطهر بيت فى الارض واقدس بناء فى الوجود وقد جعلها الله حرما آمنا يتخطف الناس من حولها اما من لاذ بها وتعلق بأستارها فله الامن والسلام وابرهة اراد هدم الكعبة ليتجه الناس الى بناء بناه فى اليمن وشيده على احدث طراز فى وقته وهو لم يقم بهذا العمل غيرة على ما دنس حول الكعبة من اصنام اقيمت بجوارها وتقرب الناس بالعبادة اليها من دون الله وانما فعل ذلك ليصد الناس عن مكة ويصرفهم الى اليمن ليذهبوا الى كنيسته التى بناها ويصدهم عن زيارة بيت الله الحرام وتشاء العناية الالهية ان يهزم هذا الجيش بجنود السماء . ان الطير الابابيل قامت برمى الجيش بالحجارة فهزمته وفرقته وبددت شمله . لقد ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم فى عام هذا الحدث ليغير مجرى التاريخ ويسمو بالانسانية ويحررها من أغلالها وفى نفس الوقت يعمل على تطهير القلب واعزاز المراة واعطائها من الحقوق ما لم يكن لها فى أى تشريع أو قانون . لهذا يجدر بالداعى أن يبين للناس حال الانسانية قبل ميلاد النبى الخاتم والخير الذى جاء للبشرية على يد هذا النبى المصلح .

ان امتنا اليوم فى حاجة الى تصحيح عقيدتها وبيان المفاسد التى انزلقت اليها باسم الحضارة مرة والتقدم اخرى وهى فى ذلك تعود الى الماضى السحيق .

آخى الداعيه – لابد لامتنا ان تتفهم ما كانت تعانيه البشرية وتعيش فيه وماذا فعله هذا النبى الذى ولد يتيما ونشا فقيرا ومع هذا لم يضعف بل عمل جاهدا لانقاذ الانسانيه مما تردت فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم لنا قدوة وان حياته لنا عبرة وان مولده بداية خير .. فليكن بدايه الحديث عن مولد النور تهيئة النفوس لقبول ما جاء به وتنشط للسير من خلفه .

بأقلام الدعاة

منهج الإسلام في تربية الشباب

لما كان الشباب أرق الناس أفئدة والينهم قلوبا وهم فى حاجة الى توجيه بالرفق وارشاد باللين ونصح مصحوب بحلم فان الواجب على علماء الدين أن يفتحوا صدورهم للشباب يقدمون اليهم الموعظة الحسنة ويبينون لهم ما غمض عليهم من أمر دنياهم ودينهم لان الشباب هم أكثر الناس تساؤلا عن كل ما يدور حولهم فى المجتمع ويريدون ربط ذلك بالدين لمعرفة مدى مسايرة الدين لتطور المجتمع ومجريات الاحداث فى البيئة .

ولقد جاءنى أحد الشباب يسألنى . قال : نرى المجتمعات الاوربية تهتم بالحيوانات اهتماما كبيرا فتقيم الجمعيات التى تتولى الرفق بالحيوانات وتقديم الطعام والعلاج المناسب .. وفى بلاد الاسلام نرى القسوة والظلم ينزلان بالحيوان مع تحميله فوق طاقته وقد يكون الحيوان مريضا يترنح فى الطريق بينما صاحبه يرفع يده بالسوط ويهوى به عليه واحيانا نرى صاحب الحيوان يصلى فى المسجد . فهل يا ترى الاسلام فعل مثل ما فعلت الدول الاوربية أم انه ترك الامر لصاحب الحيوان .

قلت لصاحبى : يجب أن نعلم جميعا يا أخى أن الاسلام هو دين الرحمة . بشر بها ودعا اليها قبل أن تكون البلاد الاوربية وقبل أن تقوم حضارة فى هذه الدول . والله تبارك وتعالى هو الرحمن الرحيم . وقال فى محكم كتابه « **ورحمتى وسعت كل شىء** » والاسلام رسالة خير وسلام وعطف ورحمة بجميع المخلوقات . يقول الله فى بيان بعثة النبى صلى الله عليه وسلم « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعبر عن نفسه فيقول « **انما أنا رحمة مهداة** » ويقول فى حديث آخر « **الراحمون يرحمهم الله تعالى** » « **ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء** » كما أمر الانسان أن يكون رحيما ورفيقا فى كل أموره فيقول نبى الاسلام : « **لن تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا يا رسول الله كلنا رحيم . قال انها ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمه العامة** » .

ان الغلظة فى القلب والقسوة فى الفؤاد تبعد الانسان عن رحمة الله . ففى الحديث « **ان أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب** » .

وفى حديث آخر « **من لا يرحم من فى الارض لا يرحمه من فى السماء** » .

واذا كان الانسان منا مطالب أن يرحم الانسان فهو كذلك مطالب أن يرحم الحيوان لان الرفق بالحيوان أمر مطلوب من المسلم . وتأمل فى هدى النبى صلى الله عليه وسلم فى توجيهه وارشاده للرجل الذى قال له يا رسول الله « انى لارحم الشاة ان أذبحها » فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل الذى رق قلبه على الحيوان « **ان رحمتها رحمك الله** » وعمر بن الخطاب وهو من الرعيل الاول رأى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له ويلك قدها الى الموت قودا جميلا .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على الصحابة بعض الاحداث التى وقعت لاناس من البشر والنتائج التى ترتبت عليها فيقول صلى الله عليه وسلم « **دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تاكل من خشاش الارض** » .. ان القسوة فى قلب المرأة دفعت بها الى النار . والقسوة على ماذا على قطة . وهذا تعليم لنا لنتعلم الرفق بالحيوان الاعجم . وهناك حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم « **ان امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطوف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها - خفها - فغفر لها به** » ولقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم - اى تحبس حتى تموت - وهذا من التعليم والتوجيه والارشاد لبنى البشر جميعا . فأولى بالمسلمين أن يتعلموا هذا الادب النبوى الذى ينهى الانسان عن ايذاء الحيوانات ويامره بالعطف عليها والرحمة بها . ولقد انكر الرسول صلى الله عليه وسلم على رجل كوى وجه حماره بالنار . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « **رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا موسوم الوجه فانكر ذلك . قال والله لا أسمه الا أقصى شىء من الوجه وأمر بحماره فكوى فى جاعرتيه فهو أول من كوى الجاعرتين** » رواه مسلم . والجاعرتان ناحية الوركين حول الدبر . والموسوم أى المعلم بالكى فى وجهه . وفى رواية اخرى « لعن الله الذى وسمه » . ونهى عن الضرب على الوجه وعن الوسم فى الوجه . وهذا النهى من نبى الاسلام عن حرق

وجه الحمار أو قطع شيء من أعضاء الوجه يرشدنا الى أن نتخلق بهذا الخلق الاسلامي لنكون من المؤمنين الصادقين الراحمين المرحومين .

لقد دخل عليه السلام المدينة ذات يوم فمر بفتيان من قريش قد اتخذوا طائرا غرضا لهم - يرمى بالنبل أو الحجارة حيا . فقال عليه السلام « **لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا** » ومعنى هذا النهى عن اتخاذ ما فيه الروح غرضا لما فيه من تعذيب الحيوان من غير سبب شرعى . وتعالوا بنا نقف أمام هذه القصة العظيمة التى ترشدنا الى هذه الرحمة العامة لان الاسلام كما قلت هو دين الرحمة والسلام ، يروى المؤرخون أن عمرو بن العاص فى فتح مصر نزلت حمامه على فسطاطه - خيمته - فاتخذت من أعلاه عشا . وحين أراد عمرو الرحيل رآها فلم يشأ أن يهيجها بتقويض فسطاطه فتركه رحمة بها . وبدأ العمران يكثر من حوله وسميت المدينة بعد ذلك باسم (الفسطاط) . . وعمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى العادل نهى عن ركض الفرس الا لحاجة وانه كتب الى صاحب السكك الا يحملوا أحدا بلجام ثقيل ولا ينخس بمقرعة فى آخرها حديدة . . وكتب الى واليه بمصر : بلغنى أن بمصر نقالات يحمل على البعير منها الف رطل فاذا اتاك كتابى هذا فلا أعرفن انه يحمل على البعير اكثر من ستمائة رطل . . والمعنى انه بلغ عمر أنه بمصر يحملون البعير اكثر من طاقته فأمر بتخفيف الحمل أولا ونهى عن ضربها بالمقرعة التى بها حديدة .

ان الانسان منا تأخذه الدهشة وهو يستعرض حجج الواقفين الذين أوقفوا أموالهم فى سبيل الخير وتقديم الطعام الى المحتاجين وهناك وقف باسم الكلاب الضالة التى ليس لها صاحب استنقاذا لها من الجوع . أفتفعل الحضارة الغربية يا أخى مثل ذلك ان الاسلام الذى أقام من نفس الانسان مراقبا وحارسا عليه الا وهو الضمير الذى يجعل الانسان يراقب ربه فى عمله وسلوكه ويجعله يقدم الطعام الى الحيوان الذى تحت يده ولا يجيعه لانه ان منع الطعام عن الحيوان وأضره فانه يحاسب على ذلك أمام الله ويسأل ويقتص منه لهذا الحيوان الاعجم ان هذا الدين لهو دين الرحمة والاحسان .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها الا يسأله الله عنها يوم القيامة قيل يا رسول الله وما حقها قال حقها ان تذبحها فتأكلها ولا تقطع رأسها فترمى بها** » وفى رواية عن النسائى ايضا عن الشريد رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة - **اشتكى الى الله بصوت عال - يقول يا رب ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة** » .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الناس الرفق بالحيوان ويضرب لهم الامثال الواقعية ليكون الوعظ أنفع وأبلغ . فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : **من فجع هذه بولديها ردوا ولديها اليها** » ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : **من حرق هذه قلنا نحن قال انه لا ينبغى أن يعذب بالنار الا رب النار** » .

انه الادب النبوى الذى أمرنا أن نتخلق به وأن نتعلم من هديه لاننا ان اطعنا الرسول اهتدينا الى الخلق الفاضل والرحمة والسلام . لقد كانت الحيوانات تشكو الى نبى الرحمة وكان يعرف كلامها فيأمر بالاحسان اليها . من ذلك ما رواه يعلى بن مرة قال : **بينما نحن نسير مع النبى صلى الله عليه وسلم اذ مررنا ببعير يسقى عليه فلما رآه البعير جرجر - رفع صوته - ووضع جرانه فوقف عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير فقال بعنيه - أى قال الرسول لصاحب البعير بعه لى - فقال لا . بل أهبه لك وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقله العلف فاحسنوا اليه** » **ولقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة** » .

هذه بعض تعاليم الاسلام فى هذا المجال وهى كثيرة جدا . فلو اننا خضنا فى أعماق التاريخ لوجدنا أن المسلمين فى مختلف العصور كانت الرحمة تسيطر عليهم لانهم يراقبون الله أولا وكانوا يتعاملون بالرفق فى أمورهم لان الرفق ما دخل فى شيء الا زانه . واذا كانت أوربا أو غيرها تعمل على انشاء جمعيات الرفق بالحيوان فهذا هدف انسانى نبيل وشيء يتفق مع الفطرة الانسانية السليمة . فان فعلوا ذلك فبدافع الانسانية والشفقة وهو عمل كريم بلا شك . أما المسلمون فمع ان هذا عمل كريم فان الاسلام يأمرهم به ويحثهم على فعله ويدعوهم الى تطبيقه فى مجتمعهم وقدوتهم فى ذلك هو النبى صلى الله عليه وسلم فان أهملوا أو قصروا فليس العيب فى الاسلام ولكن العيب فى التطبيق وهذا راجع الى جهل بعض المسلمين بتعاليم دينهم . فعلينا أن نعلمهم وأن نرشدهم الى الخلق الحسن والرحمة والرفق بالحيوان . وأن نقول لمن يصلى ويقسو على الحيوانات : كما أنك مطالب بالصلاة التى هى عمود الدين وأساس الاسلام فأنت كذلك مطالب بالرحمة التى هى شعار الاسلام والمسلمين وعلامة المقبولين ودليل الفائزين بالسعادة فى الدنيا وفى الاخرة بالحسنى وزيادة .

قال سائلى : الان استبان وجه الحقيقة واتضح لى ما كنت أجهله من عظمة الاسلام ورحمته الشاملة التى أضفاها على جوانب الحياة .

منصور الرفاعى عبيد
وكيل إدارة المساجد بوزارة الأوقاف

بأقلام الدعاة

الإسلام وعنايته بالفرد

الاسلام دين عام خالد له جلاله وعظيم أثره فى رحابة تلتقى المادة بالروح وتتصل الدنيا بالاخرة وتحت لوائه تسعد البشرية وتحيا آمنة مطمئنة عزيزة كريمة وصدق الله تعالى « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » .

لقد اهتم الاسلام بالفرد وعنى به عناية بالغة حتى يجعل منه انسانا سليم الفطرة وعضوا نافعا فى هذه الحياة يحاسب نفسه ويراقب ربه ويطيع أوامره ويجتنب نواهيه .

عنى الاسلام أول ما عنى بغرس العقيدة الدينية فى نفس كل فرد فعرفه بربه وبصفاته وما يجب عليه فى حقه تعالى « **والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم** » .

وبذلك يتصل المسلم اتصالا وثيقا بدينه ويلتزم النهج الذى رضيه الله سبحانه حتى يكون نقى النفس يقظ القلب حى الضمير نظيفا من المعاصى ومن هنا شرعت العبادات فى الاسلام لتكون طهورا للمسلم وصدق الله تعالى (**وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** » .

وينظر الاسلام للفرد كلبنة فى المجتمع كلما قويت قوى المجتمع ولهذا يرغب الاسلام المسلمين فى القوة واكتمال الشخصية فيقول عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شىء فلا تقل لو انى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان** » .

تلك تعاليم الاسلام بالنظر لعقيدة المسلم ولما كان لابد له من صلات تربطه بمجتمعه فقد اهتم الاسلام به مثل اهتمامه بعبادة الله تعالى ولذا جاء القرآن الكريم بهما معا وصدق الله تعالى حيث يقول « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** » .

وليس هناك أدب كأدب الاسلام فى حرصه على شعور المسلم نحو اخيه فلا يؤذيه ولو باشارة وهذا منطق القرآن الكريم « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** » .

وصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى تختلطوا بين الناس** » .

وكان من حقه كذلك على مجتمعه الا يشمت فيه أخوه المسلم والا يظهر الشماتة والفرح عند مصيبته فعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتظهر الشماتة بأخيك فيرحمه الله ويبتليك .

وكان مبدأ المساواة بين جميع افراد الامة فى الحقوق والواجبات دعامة كبرى فى حق الفرد على مجتمعه وركنا عظيما فى الاسلام والناس جميعا عند الله سواء « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير** .

ان النموذج الرفيع فى السلوك واقامة العلاقات الوطيدة فى المجتمع الاسلامى لتظهر فى أعلى صورها وقمة مجدها فى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم المثل الاعلى والقدوة الصالحة لقد كانوا نماذج رفيعة فى كل الميادين شرفا ومروءة وعلما وحكمة وعزة وكرامة وخلقا علمهم النبى صلى الله عليه

« **البقية ص ٨٤** »

عبد الفتاح احمد مصطفى
إمام وخطيب مسجد السيدة نفيسه

بأقلام الدعاة

القرآن

يدعو العقل إلى توحيد الله

« **وكاين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون** » « سورة يوسف - ١٠٥ » .

اذا تبصر العاقل وتدبر فى أطوار حياته وفى نفسه وتذكر أصل خلقه آمن بربه ، ولكن الانسان قد ينسى فيزل او يجحد فيضل ، وعندئذ يمتلىء غرورا وفجورا ، « **يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك** » « سورة الانفطار ٦ - ٨ » .

والله يذكر عبده بشىء من نعمه التى تقوم حياته فيقول له :

« **فلينظر الانسان الى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الارض شقا . فانبتنا فيها حبا وعنبا . وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا** » « سورة عبس ٢٤ - ٣١ » .

والله الذى خلق الانسان وعلمه البيان وقد صوره فى أحسن صورة . وكمله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا أمره بأن يتفكر ويتبصر ويتدبر لينتفع بعقله لقد خلقنا الانسان **فى أحسن تقويم** « سورة التين - ٤ » .

واصبح بعقله قادرا على أن يكتشف خصائص المادة ويخترع العجائب والغرائب فهو الذى ركب الجو بساطا ممهدا ، وطوى المسافات فى لحظات .. حتى لقد وضع الانسان قدمه على سطح القمر ، ولكنه يأبى الا ان يكون ظلوما جهولا يخاصم ربه ويجحد فضله وينكر عقله !!

« **أو لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** » « سورة يس ٧٨ - ٧٩ » .

« **الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . الى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون . ويل يومئذ للمكذبين** » « سورة المرسلات ٢٠ - ٢٣ » .

ان الله علم الانسان ما لم يكن يعلم ، ولكن الانسان قد لا يصل الى معرفة الله حق معرفته (قتل الانسان ما اكفره . من أى شىء خلقه . **من نطفة خلقه فقدره . ثم السبيل يسره** » . « سورة عبس ١٧ - ٢٠ » .

افيجهل الانسان أطوار حياته ؟ وقد أخرجه الله من بطن أمه لا يعلم شيئا « **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون** » « سورة النحل - ٧٨ » .

فاذا بلغ الجور على العقل اشده ولبس الملحدون أثواب المكر والظلم تمرد المرء على نفسه وعلى ربه « **ان الانسان لربه لكنود** » .

ولكن ما فى قدره المخلوقين جميعا - ولو تظاهروا - أن يخلقوا ذبابا . ولو اجتمعوا له - وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

« **ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** » « سورة الحج ٧٣ » .

هذا الكون لو فهمه الانسان على انه دليل على وجود الله لامن بالله الواحد القهار ، ولو كان له شريك لفسد العالم واختل نظامه ، ولعلا بعض الالهة على بعض .. « **والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا** » « سورة فاطر - ١١٤ » .

فهو الذى خلق الظلمات والنور ، وخلق الازواج كلها من نبات الارض ، والناس لا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وهو الذى صورهم فى الارحام كما يشاء ، « **الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور** » « سورة الانعام - ١ » .

والله جعل النهار دليلا على الليل ، وجعل القمر والنجوم دليلا على الاهتداء فى الظلمات فمن أراد أن يعرف حكمة الخالق فليتصور ليلا بلا نهار ، ونهارا بلا ليل فماذا يحدث ؟ « **هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون** » « سورة يونس - ٦٧ » .

« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون . ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » « سورة القصص ٧١ – ٧٣ » .

والانسان يستطيع بفطرته أن يستقبح الباطل ويستنكر الكفر والبغى فى الارض بغير الحق فان العقل بنوره الذاتى يستطيع التمييز بين الخير والشر اذا استقام تفكيره والعقيدة الاسلامية عقيدة الوضوح والاستقامة فلا تقوم على الظن والوهم والشبهات وانما تقوم على الاقتناع والايمان .

« ألم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير . ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير . الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ليريكم من آياته أن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » « سورة لقمان ٢٩ – ٣١ » .

وهذه الحياة لا تصلح بغير عقيدة وأمل وبغير مسئولية وعمل .

والعاقل لا ينبغى له ان يجحد عقله ورأيه وفكره فيعيش مضطرب العقيدة قلق النفس مشتت الشمل مهلهل الشخصية .

وللعقل حريته فلا يقيد برأى يفرض عليه الا اذا كان حقا يريح النفس ويملأ القلب والعين ويشرح الصدر .

والله يقول للذين صمت عن الحق آذانهم وعميت عن الهدى ابصارهم :

« قل من يرزقكم من السماء والارض ؟ ام من يملك السمع والابصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله » « سورة يونس – ٣٢ » .

ومن هذا نعلم أن الله يكلف العقل بالنظر والتدبر ليعرف ان الله واحد لا شريك له وان القرآن كتاب خالد جاء من عند الله أنزله الله على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين .

« وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله . ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين . بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين » « سورة يونس ٣٧ – ٤٠ » .

محمد حافظ سليمان
مدير عام الوعظ بالأزهر

بقية مقال « الاسلام وعنايته بالفرد »

وسلم هذه المعانى فكانت نبراسا مضيئا لهم فى حياتهم وفى سلوكهم وفى علاقاتهم

وبذلك تكون المجتمع الاسلامى الاول على الحب والود والصفاء والرحمة والتراحم يشعر الانسان بشعور أخيه وصدق الله تعالى « **انما المؤمنون اخوة** » .

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التى ارست تلك القواعد العظيمة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان رضى الله عنهما عن أنس رضى الله عنه **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه** » وفيما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة اخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربه من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة** » .

وما روى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » .

ان صلة المسلمين ببعضهم صلة حب ومودة ورحمة وتعاطف كما بينا فى تلك الاحاديث الشريفة والاسلام حريص كل الحرص على اقامة العلاقات الطيبة وعنايته بالفرد المسلم عناية بالغة وحقا أن القدوة الحسنة للفرد المسلم فى نفسه ومجتمعه جديرة أن تكون نبراسا لنا يضيىء الطريق ويهدى السبيل ونرجو الله العلى القدير أن يأتى اليوم الذى يتفهم فيه ابناء الاسلام تلك المعانى وان يسيروا على ضوئها وهديها وان يشعر الانسان بأخيه الانسان والله الموفق لما فيه الخير .

بأقلام الدعاة

دور المسجد

فى بناء دولة العلم والإيمان

الحمد لله وفق أهل الخير للخير وأعانهم عليه . فالسعيد من وفقه الله لطاعته والشقى من طرده عن بابه ، واشهد الا اله الا الله وحده لاشريك له الغفور الودود ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وادى الامانة ، ونصح الامة ، وعبد الله حتى اتاه اليقين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اما بعد فعندما نزور بيتا من بيوت الله فان ارجلنا لم تات بنا اليه وانما الكريم هو الذى جاء بنا الى بيته ليكرمنا . الكريم هو الذى دعانا الى مائدة حافلة بأطباق المغفرة والرضوان والعفو والغفران وما دمنا فى بيت الكريم فلن نضام ابدا لاننا فى ضيافة أكرم الاكرمين وأجود الاجودين وقد قال فى الحديث القدسى « ان بيوتى فى الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، وحق على المزور أن يكرم زائره » وعندما يخرج المؤمن من بيته قاصدا المسجد فانه لا يخطو خطوة الا يرفعه الله بها درجة أو يحط عنه بها خطيئة ، وما دام فى المسجد فان الله يكتب له ثواب الصلاة ولو لم يكن يصلى . وحسبه ان الملائكة تدعو له ويقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه . نعم أهل المساجد فى مساجدهم والله تعالى فى قضاء حوائجهم ... أهل الصلاة فى صلاتهم والله تعالى فى نجح مقاصدهم . وعندما يشتد غضب الله على أهل الارض فانه جل جلاله يرحمهم بسبب عمار المساجد وقد قال فى الحديث القدسى « وعزتى وجلالى انى لاهم بأهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار بيوتى والى المتحابين فى والى المستغفرين بالاسحار صرفت ذلك عنهم » .

وقد تحدث القرآن الكريم عن المساجد حديثا عجبا فبين أن الذين يحولون بينها وبين اقامة الشعائر فيها أو يسعون فى الاضرار بها قد ارتكبوا جرما خطيرا . استمع معى الى قوله عز وجل « **ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم** » وقد بين الله عز وجل أن عمارة المساجد لا تكون بأيدى المشركين بأى حال من الاحوال « **ماكان للمشركين ان يعمروا مساجدالله شاهدين على انفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون** » ، من الذى يعمر بيوت الله اذن ؟ انهم المؤمنون بجلال الله وعظمته ، انهم المؤمنون باليوم الاخر وأنه آخر أيام الدنيا وأول أيام الاخرة ، انهم الذين يؤدون الزكاة ويؤدون الصلاة فى أوقاتها وهم الذين يخشون الله دون سواه « **انما يعمر مساجد الله من أمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله** » ، وبأى شىء تكون عمارة المساجد ؟ انها تكون ببنائها وتشييدهاوفى ذلك يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة . عمارة المساجد تكون بتنظيفها وانارتها وفى ذلك يقول سيدنا أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوءه .

ويقول سيدنا عطاء الخراسانى ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكيت عليه يوم يموت ، وقد بين الله تبارك وتعالى أن عشاق المساجد هم الرجال حقا فقال جل جلاله « **فى بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار** » ولقد كان للمسجد على عهد رسول الله وعلى عهد السلف الصالح اسمى مكانة فكان دارا للعبادة ومدرسة للعلم ومحكمة للقضاء بما أنزل الله فاستقام حال الامة وعظم شأنها . وجلست على عرش العزة والسعادة والرفاهية وتبوأت مكانتها اللائقة بها بين الامم ، كنت ترى فى المسجد صفوفا للرجال وصفوفا للاطفال ، وصفوفا للنساء ، مجتمع كله خيار فى خيار ، صفاء فى صفاء ، **ومن المسجد تخرج الامام مالك والشافعى وابو حنيفة والامام احمد ابن حنبل وغيرهم من الذين ملاوا الدنيا نورا . بل من المسجد خرج صلاح الدين الايوبى وأعلن الحرب على الصليبيين من قلب الجامع الازهر فانتصر عليهم ودحرهم وطهر بلاد الاسلام من آثامهم** ، المسجد هو مركز التوجيه وهو الذى يربى ضمير الامة ، المسجد هو الذى يعلم الحاكم أن الامارة أمانة وأنها يوم

القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها والمسجد هو الذى يعلم الجندى كيف يحمى وطنه وكيف يدافع عن شرف أمته . هو الذى يعلمه أن له احدى الحسنيين اما النصر واما الشهادة . وقد خرج سيدنا عبد الله بن رواحة من المدينة فى غزوة مؤتة فودعه الناس مع رفاقه وهم يتوجهون الى الميدان وكان الناس يقولون صحبكم الله بالسلامة وردكم الينا صالحين ولكن عبد الله كره هذا الوداع لانه يريد الا يرجع الى بيته مرة أخرى يريد أن يلقى الله شهيدا . فقال يرد على هذا الوداع :

لكننى أسال الرحمن مغفرة
وضربة ذات مزع تقذف الذبدا .

أو طعنة بيدى حراف مجهزة
بحربة تقذف الاحشاء والكبدا

حتى يقال اذا مروا على جدثى
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وعندما رأى جموع الروم وقوة أسلحتهم وكثرة عددهم قال : ياقوم ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة . والمسجد هو الذى يربى ضمير التاجر ويعلمه أن الغش حرام وأن الربح اليسير قد يبارك الله فيه ويعلمه ان احتكار السلع محاربة للامة وتعاون مع أعدائها وفى ذلك يقول المبعوث رحمة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه منذرا متوعدا من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه . والمسجد هو الذى يعلم العامل كيف يراقب الله فى عمله ويعلم الموظف كيف يراقب الله فى وظيفته فيؤدى ما عليه بأمانة ونزاهة . والمسجد هو الذى جعل الفقراء والاغنياء على عهد رسول الله يتنافسون لا على الدنيا واموالها ولكن على الاخرة ونعيمها . فقد جاء الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له : **يارسول الله سبق أهل الدثور بالاجور . اى سبقنا الاغنياء فى ثواب الله ورضوانه يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فدلهم الرسول صلى الله عليه وسلم على شىء ان هم فعلوه فاقوا الاغنياء وسبقوهم فقال : تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين . وذهب الفقراء ثم عادوا الى الرسول فقالوا يارسول الله : سمع اخواننا الاغنياء بما أمرتنا ففعلوا كما فعلنا فقال الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يبتسم ويخرج النور من بين شفتيه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .** والمسجد هو الذى علم هذا الاعرابى كيف يعيش عزيزا أمام أعتى العتاة وأطغى الطغاة فقد روى المؤرخون أن الحجاج بن يوسف الثقفى طلب اعرابى يتغدى معه فجىء له باعرابى فقال للاعرابى تعالى وتغدى معى . ماذا صنع الاعرابى المحروم من متع الحياة . وما الذى أجاب به الحجاج الذى يهابه كل الناس ويمتلئون منه خوفا ورعبا . قال له دعانى من هو خير منك فأجبته دعانى الكريم الى الصيام فصمت . فقال له: ان الحر شديد . قال الاعرابى : انى أصوم اليوم أشد منه حرا . نعم هو حر جهنم قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون » فقال الحجاج افطر واقضى يوما مكانه لانه لم يكن رمضان والا لما أفطر الحجاج ولا غيره . ولما قال للاعرابى هذا ، وعندما عرض عليه الفطر وقضاء يوم مكانه قال الاعرابى : **وهل تضمن لى أن أعيش يوما اخر .**

والمسجد هو الذى علم المراة كيف تراقب ربها وكيف تحافظ على عفافها وكيف تصون شرفها قد مر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات ليلة ببيت فسمع صوت امراة تقول :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه
وأرقنى الا حبيب اداعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

ان نار الشهوة تشتعل فى نفسها وتريد الزنا ولكن ما الذى يمنعها ؟ الذى يمنعها هو الحياء من الله ، هذه المراة كان زوجها غائبا فى الجيش فاصدر عمر بعد سمعه لهذا الشعر أمرا بالا يغيب الزوج عن زوجته اكثر من اربعة أشهر مهما كانت الظروف . والمسجد هو الذى علم المراة كيف تربى ابناءها على حب الجهاد والاستشهاد وقد روى المؤرخون ان الخنساء دفعت باولادها الاربعة الى الجهاد فى معركة القادسية وهى التى كانت فى الجاهلية تبكى وتنوح على أخيها صخر . ولكن المسجد صنعها صنعا آخر قالت لاولادها وهى تدفعهم الى الميدان لقد أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وانكم لبنوا رجل واحد وأم واحدة وانى والله ما هجنت نسبكم ولا غبرت حسبكم واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية **« ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »** ، وحينما استشهد اولادها الاربع قالت وهى راضية بقضاء الله وقدره ولم تلطم خدا ولم تشق جيبا قالت : **الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم جميعا وارجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته .**

ياأتباع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام : المسجد هو الذى علم الطفل الصغير كيف يراقب ربه وكيف يصون ما فى يده من أمانة فقد مر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بطفل صغير يرعى الغنم فقال له بعنى شاة أتغدى بها . فقال الطفل الصغير انها ليست لى فأخرج سيدنا عمر الدراهم والدنانير ليرى ماذا يصنع الغلام ، وللدراهم والدنانير تاثيرها على الضمائر الميتة والقلوب المريضة . وقال للغلام مرة اخرى بعنى شاة أتغدى بها . فقال : وماذا أقول لسيدى . قال : قل له ان الذئب اكلها . قال الغلام واذا كذبت على سيدى الاصغر فماذا أقول لسيدى الاكبر أين الله .. أين الله .. أين الله ؟

كان سيدنا عمر يريد أن يمضى فى الامتحان الى ابعد من هذا ولكن الغلام قطع عليه الطريق فذهب الى سيده ثم اشترى منه الغلام واشترى الغنم ووهبها للغلام وقال : **أعتقتك هذه الكلمة فى الدنيا وأرجو أن تعتقك من عذاب النار يوم القيامة .**

نسال الله تعالى أن يعتق رقابنا من النار بمنه وكرمه . وان يجعلنا من عمار بيوته وعشاق مساجده وان يكتب لامتنا النصر على أعدائها وان يوفق قائد مسيرتنا للعمل ، لصالح الاسلام والمسلمين اللهم أنزل علينا السكينة وحبب الدنا اللقاء ، اللهم ان هذا يوم من أيامك فانزل النصر على عبادك ، وصلواتك اللهم وسلامك على سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين وعلى آله وصحبه اجمعين .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

مرتضى محمد متولى
إمام وخطيب بمسجد الجمعية الشرعية

بأقلام الدعاة

أدب الإسلام فى البيع والشراء

ان الاسلام دين الانسانية والحب والثقة . وائتلاف القلوب والمشاعر ولقد :هتم بأن تكون المعاملات بين الافراد والجماعات مى ثقة رحيمة ومودة كريمة لذا نجد أن الاسلام منذ ظهوره يهتم بعملية البيع والشراء . موضحا الطريق السليم لهما والقواعد المستمدة من الاخلاق الفاضلة .

فالتجارة محك الرجال . وبها يمتحن دين الرجل وتقواه وورعه . ولذا قيل : اذا أثنى على الرجل جيرانه فى الحضر . وأصحابه فى السفر . ومعاملوه فى الاسواق فلا تشكو فى صلاحه .

وسلوك الانسان وتصرفاته مى الحياة . مظهر من مظاهر عقيدته فاذا صلحت العقيدة صلح سلوكه . واذا فسدت عقيدته فسد السلوك . فمن يدرك حقيقة هذا الدين الحنيف يعمل للحياة ويعمل للعقيدة معا حتى يمتزجا ببعض ولا يقف أحدهما بمعزل عن الاخر .

وهذا هو ما ادركه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين شهد عنده شاهد . فقال له عمر أنت جاره الادنى الذى تعرف مدخله ومخرجه ؟ قال . لا . أاعملته بالدينار والدرهم الذى يتبين بهورع الرجل قال . لا ، اكنت رفيقه فى السفر الذى يستدل به على مكارم الاخلاق قال . لا : فقال له عمر :

اظنك رايته قائما فى المسجد يهمهم بالقرآن يخفض راسه ويرفعها اخرى

قال الشاهد . نعم . قال عمر اذهب فلست تعرفه .

انه فهم صحيح من عمر بن الخطاب لحقيقة هذا الدين . ورأيه فى العبادة والسلوك والمقياس الذى يقاس به الناس هو المعاملة بكل أنواعها .

واذا كان الانسان حرا فى تنمية أمواله ولكن فى الحدود المشروعة فليس لـه أن يغش أو يحتكر ضروريات الناس أو يظلم فى أجور الناس أو يستغل فذلك هو الحرام بعينه ولقد حرم الاسلام الاحتكار وبين لنا أن المحتكر مناع للخير معتد أثيم مضيق لفضل الله على الناس وانه ملعون فى الارض وفى السماء . روى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنـه قال « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » . والجالب هنا الذى يشترى الطعام للبيع فيجلبه الى بلده فيبيعه فهو مرزوق لان الناس ينتفعون به فناله بركة دعاء المسلمين . والمحتكر الذى يشترى الطعام للمنع ويضر الناس .. فالاحتكار لا يعترف به الاسلام كوسيلة من وسائل الكسب وتنمية المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » فضلا من انه اهدار لحرية التجارة والصناعة فالمحتكر لا يسمح لسواه أن يجتلب ما يجلبه او يصنع ما يصنعه وبذلك يتحكم فى السوق ويفرض على الناس ما يشاء من أسعار فيكلفهم العنت والمشقة والضرر فى حياتهم وفى ضرورياتهم .

ولقد حرص الاسلام على منع وسائل تنمية المال عن طريق الاحتكار وجعل المحتكر بعيد عن الله . والله برىء منـه . قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « من احتكر طعاما اربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه . وايما أهل عرصه « حى » أصبح فيهم امرءا جائعا فقد برئت منهم ذمة الله » .

فالله ورسوله يبرأن من اهل القرية او الحى الذين يجوع بينهم واحد منهم بسبب احتكارهم الطعام حتى لا يقدر الفقير على شرائه . وصدق رسول الله صلى الله وعليه وسلم اذ يقول « بئس العبد المحتكر ان سمع برخص ساءه وان سمع بغلاء فرح » .

وان البائع الذى يبيع السلعه ولا يحتكرها فهو كالمجاهد فى سبيل الله قال صلى الله عليـه وسلم « الجالب الى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله والجالب مرزوق والمحتكر خاطىء » .

ثم رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى الربح القليل والقناعة والتعفف والتضحية .

من اجل المصلحة العامة قال صلى الله عليـه

وسلم « **من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به** » روى عن فروخ خادم عثمان بن عفان ان طعاما ما • لقى بباب المسجد لبيعه فخرج عمر بن الخطاب • وهو أمير المؤمنين يومئذ فقالوا : ما هذا الطعام • فقالوا : طعام جلب الينا فقال : بارك الله فيه وفيمن جلبه • فقال له بعض من معه • ياأمير المؤمنين قد احتكر • فقال ومن احتكره • قالوا : فروخ خادم عثمان وفلان خادم عمر • فارسل اليهما فاتياه فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟؟

قالا : ياأمير المؤمنين • نشترى باموالنا ونبيع فقال عمر • سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من **احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس** » •

فعند ذلك قال خادم عثمان فانى أعاهد الله وأعاهدك على الا أعود الى احتكار طعام ابدا وتحول الى مصر •

ان القاعدة الاصلية فى البيع الربح الحلال فمن اقتنع بالربح القليل كثرت معاملاته واستفاد من دوران رأس ماله وكثر ربحه • وظهرت البركة فى ماله • أما الربح الباهظ لقلة السلعة من السوق وتهافت المشترين عليها لحاجتهم اليها فليس من الانسانية ومن صور الانسانية فى البيع والشراء • ما فعل السرى السقطى • انه اشترى لوزا • المكيال منه بستين دينارا • وكتب عنده أن ربحه ثلاثة دنانير – وكأنه رأى أن يربح – على العشرة نصف دينار • فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه قال بكم قال بثلاثة وستين • فقال الدلال وكان من الصالحين صار اللوز بتسعين • فقال السرى قد عقدت عقدا لا أحله لست أبيعه الا بثلاثة وستين • فقال الدلال • وأنا عقدت بينى وبين الله ألا أغش مسلما لست أخذ منك عينه واليا على مصر وقال له ضمن وصيته فامنع من السرى باع • هذا هو السلف الصالح رضوان الله عليهم أجميعن • يخافون من الحرام ومن شبهة الحرام وكان الورع ديدنهم وهدفهم فى الحياة فظهرت بشائر الخير على الانسانية • ثم نجد الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه يقول للاشتر النخعى عندما عينه واليا على مصر وقال له ضمن وصيته فامنع من الاحتكار فان الرسول منع منه • وليكن البيع بيعا سمحا بموازين حلال واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمشترى فمن قارف حكره بعد ذلك فنكل به وعاقب فى غير اسراف » •

وذلك حرصا على المصلحة العامة • وحتى يعيش الناس على منهج الاسلام • فان ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يحرمان تحريما قاطعا الاستغلال وفحش الربح فى الاعمال التجارية والصناعية وغيرهما من الاعمال • وان يكون العمل بعيدا عن التضليل والكذب وكل وسائل الاعلام الزائفة وبخس الناس حقهم فى الكيل والميزان

نعم فالاسلام يسير على قواعده الخلقية الكريمة التى تمنع الضرر بالناس وتعمل على تحقيق التعاون بينهم • وذلك لان الغش فيه مخالفة الضمير • ورفع الثقة من صدور الناس • ولن تتعاون جماعة فى أى مجتمع من المجتمعات مادامت الثقة معدومة وهذا هو عمر بن الخطاب يمر يوما بالسوق فوجد طعاما يبيعه رجل فأعجبه فادخل يده فوجد فيه بللا فقال : ماهذا ياصاحب الطعام • فأجاب الرجل اصابته السماء يأمير المؤمنين فقال عمر • هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس • وقال له قول الرسول عليه السلام « من غشنا فليس منا » •

وكما اهتم الاسلام بتحريم الاحتكار والغش فقد اهتم بالنصح للمسلمين وجعله أساس المعاملة مع اظهار عيوب الشىء المباع فان أخفاها البائع كان ظالما غاشا • فلقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • انه لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب صلى الله وسلم ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم • فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر المشترى بعيوبها وخيره ويقول له : ان شئت فخذ •

وان شئت فاترك فقيل له ، انك اذا فعلت هذا خسرت فقال « انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم » •

وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم • وذهب بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به ياهذا اشتريتها لتأكل لحمها • أم لتركبها • فقال المشترى لاركبها • فقال البائع : ان بخفها ثقبا وانها لا تتابع السير • فعاد فردها • »

فالنصح أن ترضى لاخيك ما ترضاه لنفسك فلقد قال صلى الله عليه وسلم « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما • وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما** » •

فللمرء أن يبيع ويشترى على الا يغش فى سلعته ولا فى عملته • فلقد كان السلف الصالح يطبق هذا المنهج فى معاملاته متمسكا بمبادىء الاسلام الكريمة • والتحلى بكل القيم الاخلاقية

ومما يروى أن أبا حنيفة النعمان رضى الله عنه كانت له تجارة يتكسب منها وعلم ان شريكه باع صفقة من ثياب الحرير وفيها ثوب معيب دون أن يطلع عليه المشترى • وكان المشترى تاجرا عربيا • فلم يعثر له على أثر فتصدق أبو حنيفة بثمن الصفقة كلها تورعا أن يدخل فى جيبه قيمة الثوب الذى كان به العيب •

ما أحوج الناس فى هذا العصر الى الاداب الاسلامية السمحة التى لو سار على هديها اى فرد لاصبح المجتمع الانسانى كله مجتمعا يسوده الحب والثقة والوئام •

واذا كان الاسلام ينهى الناس عن الغش فى جميع المعاملات فانه نهى أيضا عن اليمين الكاذبة التى يحلفها البائع ليزين بضاعته للمشترى قال صلى الله عليه وسلم « **ان التجار هم الفجار قالوا يارسول الله • اليس قد أحل الله البيع • قال • بلى • ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون** » •

ولقد كان سيدنا عمر بن الخطاب اذا دخل السوق قال « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق • اللهم انى اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة • تلك هى ادب الاسلام فى عملية البيع والشراء وانه مادام البيع والشراء حلالا كما رسمه الله فانه يكون منبعا للخير والبركات ومصدرا للرزق الوفير •

وصدق الله سبحانه اذ يقول فى القرآن الكريم « **وأحل الله البيع وحرم الربا** » •

عبد المؤمن حسن مجاهد
مفتش المساجد بالدقهلية

بأقلام الدعاة

الشريعة الغراء

احكام ومرونة ووفاء

كثر الحديث عن تحكيم الشريعة الاسلامية والواقع أنه لا داعى لكثرة الحوار والجدل فى قضية حسمتها السماء فالشريعة الاسلامية انما هى احكام ومرونة ووفاء وقانون شهد له الاعداء قبل الاصدقاء ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » وصدق الله العظيم اذ يقول « أفغير الله ابتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق » « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

والحق أن دين الاسلام شامل متكامل لا تعوزه اضافات او تنسيق من صنع الكائنات ، وكيف لا يكون محكما وهو تشريع بارىء الارض والسماوات وصدق الله العظيم « وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

ومن هنا فانا لسنا بحاجة الى أفكار جاحدة ولا الى القوانين المستوردة ان فى شريعتنا وفاء لكل مطالب حياتنا ولان تنفيذ تعاليمها فيه أمننا ورخاؤنا وبهذه الشريعة اخذ العرب دور القيادة بعد أن كانوا مقودين وصار لهم شرف الاتباع بعد ان كانوا تابعين .

ومن هنا كان رفض الاسلام للتبعية الخارجية ايا كان مصدرها . فقد روى ما معناه :

ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى عمر بن الخطاب يقرأ فى صحيفة فسأله ما هذا يا ابن الخطاب ، فقال : صحيفة من التوراة يا رسول الله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « اتتهوكون بها يا ابن الخطاب والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى » .

ما ذلك الا لشمول الاسلام واحاطته التامة بحاجة الانسان وصدق الله العظيم اذ يقول « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » الايات .

والتشريع الاسلامى مساواة وعدالة بخلاف التشريعات الاخرى ففيها تفرقة ومهانة .

فمثلا التشريع الرومانى ورد فى مدونة جستنيان « أن من يستهوى أرملة مستقيمة او عذراء فعقوبته مصادرة نصف ماله ان كان من بيئة كريمة فان كان من بيئة غير كريمة فعقوبته الجلد والنفى من الارض » .

أما فى الاسلام فيقول صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ما معناه « يا أيها الناس انما هلك من كان قبلكم لانهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه . واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

والاسلام فى تشريعه احكام ومرونة يغلب عليه طابع الرحمة « أتى الامام على برجل متهم بالقتل ومعترف بجريمته فأمر الامام بقتله قصاصا ، وساعة التنفيذ حضر رجل آخر وطلب اعادة المتهم الى الامام فلما مثل بين يديه قال الرجل : هذا برىء من دم القتيل ولم يقتله سواى ، فعجب الامام وسأل المتهم الاول لماذا فعل ذلك . فأخبر بأنه قصاب خرج الى حانوته فى الغلس فذبح بقرة وسلخها وبينما هو يصلح السكين أخذه البول قال : فاتيت خربة قضيت فيها حاجتى وعدت الى الحانوت فوجدت هذا القتيل يتشحط فى دمه ، وبينما انا أنظر اليه والسكين فى يدى حضر أصحابك فاخذونى وقال الناس : لا قاتل سواه ، فعلمت انك لن تترك أقوالهم بقولى فاحتسبت نفسى عند الله واعترفت بالقتل ، ثم سأل الاخر فقال : اعرابى أفلس فقتل الرجل طمعا فى ماله . فلما قبض على هذا خشيت ان أبوء بدمه هو الاخر فاعترفت بالحق فسأل الامام على ولده الحسن فأجاب ان كان المقر الثانى قد قتل نفسا فقد أحيا نفسا وقد قال الله تعالى « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » فأخذ الامام برأى الحسن فخلى سبيليهما واخرج دية القتيل من بيت المال .

وهذا يصور مرونة الشريعة الاسلامية وتشوفها الى العفو ومن أجل ذلك اقر العالم بهذه الشريعة احتراما واجلالا فى وقت يعز فيه الاعتراف بالحق فقد قرر المؤتمر الدولى بلاهاى « ان الشريعة الاسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن » وفى المؤتمر الدولى بواشنطن بتاريخ ٢١ ـ ٤ ـ ١٩٤٥ لوضع مشروع محكمة العدل الدولية احتفظت الامة الاسلامية بقاضى لها فى هذه المحكمة بناء على قرارات هذا المؤتمر .

والحمد لله فها هى ذى الفرصة مواتية والقطوف دانية وشريعة الله لا محالة آتية فهى لهذه الامة أمنها وسعادتها ورخاؤها .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

« حد يعمل به خير لاهل الارض من أن يمطروا أربعين صباحا » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد الله فى آمره » .

وورد فى الحديث الشريف ما معناه :

« يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقال له : لم فعلت ذلك ؟ فيقول : رحمة بعبادك ، فيقال له : أنت أرحم بهم منى ؟ فيؤمر به الى النار ، ويؤتى بوال زاد فى الحد سوطا فيقال له : لم فعلت ذلك ؟ فيقول : لينتهوا عن معاصيك فيقال له : انت أحكم منى ؟ فيؤمر به الى النار » .

عبد الفتاح عثمان ابراهيم
إمام وخطيب بطنطا

بأقلام الدعاة

المؤمنون لا يكذبون

لقد تفضل الله على هذه الامة الاسلامية ومنحها الخير والسعادة بأن بعث منها رسولها محمدا صلى الله عليه وسلم ٠ وامتن عليها سبحانه بقوله «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » سورة التوبة وأنزل عليه القرآن الكريم دستورا سماويا محفوظا بعنايته سبحانه كما أخبر بذلك فى قوله « أنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » سورة الحجر - وقد تفضل سبحانه على رسوله فجعله قمة فى الفضائل ومكارم الاخلاق ووضعه فى محل القدوة العامة فى الاخلاق والعبادات والمعاملات واخبر عن ذلك بقوله «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا » سورة الاحزاب

وان كان الرسول عليه السلام اخبر عن نفسه بقوله عليه السلام . انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » فان جماع الفضائل فى شريعته عليه السلام هو الصدق - لانه الصراحة الشاملة التى لا تخفى وراءها اى معنى يخفى على السامع وهو ميزان العبادات والمعاملات مع الله والناس ٠ كما وأنه عليه السلام كان اسمه الصادق الامين قبل بعثته رسولا ونبيا لهذه الامة التى هى خير امة اخرجت للناس مادامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ٠ وعلى هذا الاساس لا يمكن لاى مصدق بهذا الرسول الكريم من المؤمنين والمسلمين أن يشذ عن شرط من هذه الشروط الثلاثة التى اخبر الله عنها بقوله «كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »سورة آل عمران والتمسك بفضيلة الصدق شرط أساسى من شروط النجاة من المسئولية أمام الله يوم القيامة ٠ وان كان شاقا على بعض النفوس البشرية التى تحب الدنيا وتركن اليها لما فيها من مرغبات وشهوات تتعلق بالنفس والمال والجاه والسلطان فقد وضع الرسول عليه السلام العلاج لذلك بقوله «عليكم بالصدق فأن فيه النجاة وان رأيتم فيه التهلكة وأياكم والكذب فان فيه الهلكة وان رأيتم فيه النجاة »وقوله عليه السلام فى حديث آخر عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا - وأياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » ونرى صاحب رسول الله ابا ذر الغفارى رضى الله عنه بعد ما سمع الرسول عليه السلام يقول - قل الحق ولو على نفسك ، قل الحق ولو كان مرا - فيقول هو عن نفسه - ما ترك الحق لى صديقا لان الصدق كشف الحقائق والتمسك بقيم الدين العليا - وبخلق رسول الله الذى خلقه القرآن ٠ وهو مجاهدة للنفس ومجالدة للهوى - ولا يطيق ذلك الا المؤمن الحق - الذى نجده فى قوله عليه السلام عندما سئل « أو يسرق المؤمن يا رسول الله - قال قد - أو يزنى المؤمن يا رسول الله - قال قد - أو يكذب المؤمن يا رسول الله قال لا »لان الكذب قلب الحقائق وهو ضد طبيعة الاشياء - كما أنه عليه السلام لم يعاهد الرجل الذى أسلم على يديه على شىء سوى ترك الكذب وبعد انصراف الرجل من مجلسه عليه السلام وحدثته نفسه بما كانت تحدثه به قبل الاسلام ٠ فرد عليها بقوله - ان فعلت وسألنى الرسول كيف الجواب وقد عاهدته على ترك الكذب وبهذا حسن اسلام الرجل وترك كل ما لا يحب الله ورسوله ٠ ثم نراه عليه السلام يعالج هذه الطبيعة البشرية فى الانسان اذا وقع فيها بلفت النظر عمليا لها ٠ فقد مر على رجل يبيع قمحا فوضع عليه السلام يده فى داخله فوجد به بللا ٠ فقال ما هذا يا صاحب الطعام ٠ فقال بللته السماء يا رسول الله فقال له عليه السلام هلا جعلته فوقه « ثم يصدر الرسول عليه السلام حكم الاسلام فى ذلك فيقول «من غش امتى فليس منى - وفى حديث آخر »من غشنا فليس منا » ولا ننسى حكاية المرأة التى أمرت ابنتها ان تشوب اللبن بالماء وردت عليها البنت مستنكرة هذا العمل ٠ خاصة وان منادى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نبه الناس الا يفعلوا ذلك ٠ وأجابتها الام بقولها ٠ انك فى وقت لا يراك فيه أمير المؤمنين ولا مناديه ٠ فقالت البنت بحزم وشجاعة ٠ ما كنت لاطيعه فى الملا وأعصيه فى الخلا ، ومن حسن حظ هذه البنت المؤمنة الصادقة ان سمعها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى هذا الوقت المتاخر من الليل وهو فى العسس مع عادته ايام خلافته ٠ ثم اختارها زوجة لابنه عاصم وكان من أحفادها أمير المؤمنين خامس الراشدين الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وارضاه وهكذا نجد الصدق يرفع صاحبه الى درجة من الرفعة لم تكن تخطر له على بال - والحمد لله مجد القرآن الصدق والصادقين ووضعهم فى محل الكرامة والاعتبار وسبح سبحا طويلا فى ذكرهم وتلمس ذلك فى قوله تعالى «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » سورة الاحزاب وفى قوله تعالى « ليجزى الله الصادقين بصدقهم » من السورة نفسها وبعدها من السورة أيضا قوله تعالى

« **والصادقين والصادقات** »كذلك جعل الله لهم معية ومحبة كريمة ودلك فى قوله تعالى «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** » سورة التوبة لان طريقهم فيه السلامة والفوز والفلاح - وفى قوله تعالى «**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا** » سورة النساء وقوله تعالى «**ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه آجرا عظيما** » «سورة الفتح » ويشير الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى بقوله - أن وفاء العهد من الايمان - ويلفت الرسول عليه السلام نظر أمته الى أن هذه الصفة يحبها اللهعزوجللانهامنمعالى الامور التى لا يتمسك بها الا الصادقون فى ايمانهم فيقول عليه السلام «**ان الله يحب معالى الامور ويكره سفسافها** » **ولا عجب ان سمى الرسول عليه السلام** صاحبه ابا بكر رضى الله عنه بالصديق لانه اول من صدق برسالته عليه السلام من الرجال بمكة وخاصة **يوم** أن اخبر الرسول عليه السلام قومه بخير رحلة الاسراء والمعراج وانكروا عليه ذلك .ولما ذهبوا الى أبى بكر يخبرونه الخبر فيقول لهم رضى الله عنه - وأى عجب فى هذا أنى لاصدقه فى خبر السماء . فكيف لا اصدقه فى خبر الارض ان كان قال هذا فقد صدق . ويا ليت رجال المسلمين تكون هذه سنتهم . فيكونون صادقين فى أقوالهم وأفعالهم . وصديقين فى طباعهم ونياتهم . وجزاء ذلك مايحكيه الله فى القرآن بقوله « **ياأيها الذين امنوا اتقوا اللهوقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم . ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** » سورة الاحزاب « ولان الكلمة امانة فتصل صاحبها بالجنة او بالنار فيرشد عليه السلام لذلك بقوله « **ان أحدكم لينطق بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا فيدخل بها الجنة - وان أحدكم لينطق بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا فيهوى بها فى النار سبعين خريفا** ومادام الانسان متمسكا بفضيلة الصدق فهو بمنجاة من عثرات لسانه . ولا ينطق الا بالسديد من القول النافع المفيد كذلك نلاحظ ان المؤمن اذا أرتكب كبيرة من الكبائر التى نهى عنها الدين فتنتفى عنه صفة الايمان ساعة ارتكابه لها وفى ذلك يقول عليه السلام « **لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** » **وبهذا يقع الانسان فى** مرحلة الحرج والخطر ان لم يبادر الى مراجعة نفسه والاقلاع نهائيا عن هذه المعاصى والتكفير عن خطئه برد الحقوق لاصحابها حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب - وبهذا يكون قد امتثل امر الله فى قوله « **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** » « سورة البقرة » ونجد القرآن يشير الى هذا المعنى ايضافىقولهتعالى «**قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارضوواللهعلىكل شىء قدير** « سورة آل عمران »وفى قوله تعالى «**قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » « سورة الحجرات » ويشدد القرآن فى هذا المجال حتى يكون المؤمن ظاهره وباطنه سواء . فحرام على الذى يقول لا أله الا الله ان يعلنها ظاهرا ويخالفها باطنا يأتيانه ما لا يرضى عنه الله ورسوله . وباب النجاة من هذه المهالك هو الصدق ولا شىء غيره لان كل الفضائل مندرجة تحته واى عمل فيه الصدق فنتيجته الخير والبركة فى الدنيا والقبول عند الله فى الاخرة نلمس ذلك فى قوله عليه السلام « **التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** » **وما ذاك الا لانه التزم بآداب الدين** وتعاليمه وكان داعية حق وصدق فى مجال عمله المتعلق بالدنيا والاخرة ولانه بالصدق يحيا الدين وتصل الدعوة به الى من لا يحبون ذلك ولا يرغبون فيه فيقول عليه السلام فى هذا المعنى «**أفضل كلمة حق عند سلطان جائر** » لان الداعية بالحق يرجو الله والدار الاخرة ولو كان فى ذلك هلاكه وحتى لا يكون الموقف الذى يعاتب الله به المقصرينفىالدعوةيوم القيامة ينطبقا عليه حيث ورد أن الله عز وجل يقول لبعض المقصرين من عباده فى التمسك والنطق بالحق « ما منعك ان تكون قلت كذا وكذا فى يوم كذا . فيقول يا رب مخافة الناس فيقول الله اياى أحق أن تخاف وعلى هذا الموقف القوى الثابت كان رسل الله عليهم السلام حيث يشير القرآن الى هذا المعنى فى قوله تعالى « **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا** » سورة الاحزاب » وهذا طريق الله لمن أراده وعلى هذا الاساس الذى به افتتحنا عنوان المقال « المؤمنون لا يكذبون » نقول ان اراد الانسان المسلم فلاحا فى الدنيا ونجاة فى الاخرة فعليه بالصدق فى قوله وفعله فلا يقول خلاف ما يعتقد ولا يبطن خلاف ما يظهر ولا يوهم الناس بانه صادق فى موضوع ما وتتضح المسألة أن له وجها آخر فى القول او الفعل مع فلان او علان عكس ما قال فى أول الامر ولايحابىاحداالااللهولا يخشى فى الحق سواهولايخاف عاقبة أى أمر مادام الصدق رائده وراية لا اله الااللهمحمدرسول الله هى علمه المرفوع الذى يرفرف على سلوكه وقوله وفعله وتصرفاته والصدق وأن كان لازما لجميع الناس فهو للدعاة ألزم لانهم القدوة بعد رسول الله وهم ورثة الانبياء ولم يختص بهذه التركة سواهم ولم توزع على أحد من الناس غيرهم حيث يقول عليه السلام « العلماء ورثة الانبياء » ويقول الله سبحانه «**أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** « سورة النحل » وقوله تعالى «**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا** » من «سورة فصلت » والناس فى حاجة لهم يلجأون اليهم لشورتهم فىاموردينهمودنياهم فأن لم يكونوا على هذا المستوى فهو الخطر الداهم على الاسلام والمسلمين لان فاقد الشىء لا يعطيه ولا يستقيم الظل والعود اعوج . والدعاة فى هذا الزمان لابد أن يكون سلاحهم الصبر والاعتصام بحبل الله والتخلق بخلق رسول الله حتى لا يفلت الزمام من أيديهم ويتولى أمر الدعوة غيرهم حيث يقول عليه الصلاة والسلام «**اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا قيام الساعة وبما أن الذهب يصهر بالنار فلا يهم الداعية الا أن يجهر بدعوته خالصة لله عز وجل** فى حدود الامر بالمعروف والنهى عن المنكركماأشار الى ذلك القرآن الكريم والرسول العظيم ونسأله سبحانه توفيقا وسدادا ورشادا فى كل أمور ديننا ودنيانا واقفين على بابه . منفذين لما جاء فى كتابه حتى نكون من الصادقين الذين لهم قدم صدق عند مليك مقتدر وهذا هو الامل وبالله التوفيق .

على فريج حسنين
وكيل أوقاف كفر الشيخ

الحرب النفسية فى غزوة الأحزاب

مما لاشك فيه ان الحرب النفسية تلعب دورا كبيرا فى تحويل الرأى العام بالتأثير عليه لغرض يريده من يملك توجيه هذه الحرب .. ولهذا فان هذه الحرب النفسية يتوفر لها دارسون متخصصون ، يدرسون عادات – من توجه اليهم تلك الحرب – وتقاليدهم . وكذلك فنونه وآدابه . وكذلك معرفة ما يهواه من مأكل وملبس أى أنهم يدرسون « الذات » التى توجه اليها الحرب النفسية فى جميع أطوارها .. ليسهل عليهم بعد ذلك اعطاء « الشحنة » النفسية الذى يريدها صانعوا هذه الحرب لاعدائهم .

والحرب النفسية تقوم على أربعة عناصر الاول .. اثارة الرعب الثانى افتعال الازمات .. الثالث خلق الاشاعات .. الرابع الدعاية السافرة .

ونستطيع أن نقول : ان الحرب النفسية كانت موجهة ضد المسلمين فى غزوة الاحزاب . وذلك لان المعتدى دائما يجمع لنفسه كل الاسباب التى تساعده على احراز النصر ومنها الحرب النفسية .. وظهر كذلك واضحا أن اليهود لا يريدون ان يدخلوا مع رسول الله فى « معركة » ولكن مقصدهم الاول والاخير هو القضاء النهائى على دولة الاسلام فى المدينة .. وكان اول شىء فعلوه . هو تأليب جزيرة العرب كلها ضد الرسول . واستطاعوا بما يملكون من تأثير ان يحشدوا جيشا ضخما للقضاء النهائى على الدولة الاسلامية .. وهذا التأثير الذى نجح به اليهود فى هذا الحشد . كان مرده أولا لمعرفة اليهود لطبيعة الانسان العربى . ثانيا أنهم كانوا يكونون الطبقة المستنيرة لانهم اهل كتاب يعرفون ما لايعرف العرب . وثالثا فان اليهود بحكم تكوينهم يمثلون طبقة رجال المال الاثرياء بحكم تجارتهم الربوية فى الذهب والاقوات والاموال .

وتستطيع ان ندرك هذه الهوة السحيقة بين فكر اليهود وفكر العرب بهذا الاسلوب النفسى الذى استعان به اليهود فى اقناع العرب بان ما هم عليه من جاهلية أفضل من تعاليم الاسلام . وقد أشار القرآن الى ذلك حين قال : (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) .. وبذلك استطاع اليهود بما اقنعوا به العرب ان يخلقوا عندهم نوعا من الشعور بالامتياز . وبهذا استطاعوا أن يعبئوا قواهم لضرب المدينة .

ومن جهة أخرى فان المسلمين عرفوا مبلغ الخطر الذى يهددهم . ونجح سلاح الرعب « مرحليا » فى خلق نوع من التوتر عند المسلمين .. وهذا الشعور بالخطر هو الذى جعل الرسول لا يفكر فى المواجهة العسكرية .. وذلك حين ارتضى حفر الخندق ليحول بينه وبين الاحزاب .. وهذا المعنى النفسى الذى عاشه المسلمون بينه الله حين قال : « واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر » ويصفهم الله فيقول : « وزلزلوا زلزالا شديدا » .

والواقع أن المسلمين فى هذه الغزوة . كانوا فى موقف الدفاع .. والمدافع دائما يستقبل مثل هذه الحرب النفسية . اذن .. لابد من الرد على تلك الحرب وبسرعة .. وقد تكفل الله بالرد الحاسم على تلك الحرب النفسية .. فهذا التجمع الحاقد الذى زلزل المسلمون زلزالا شديدا . لا يمكن أن يفت فى عضد المؤمن الصادق .. وتجمع الاحزاب مهما قوى واشتد فانه ليس بغريب أ مفاجىء انما هو شىء طبيعى أن يتجمع الباطل بهذه الشراسة ولا يمكن أن ينتظر من قوى الباطل أكثر من هذا . وهذا ما أشار اليه القرآن حين قال : « **ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما** »

انها عملية « تعبئة » لاستقبال الموقف . وتحد أكيد – رغم الضعف المادى – للعدو مهما كانت قوته .

وأراد رسول الله أن يزيل هذا الاثر النفسى الذى خلقه تجمع الاحزاب بموقفين : الموقف الاول المشاركة فى حفر الخندق . وبديهى ان تواجد القائد بين جنوده . وبخاصة فى المواقف المتأزمة يعطى ثقة للجندى وطمأنينة .. ولم يكتف الرسول بالتواجد .. ولكنه شارك فى الحفر وحمل الاتربة .. قال البراء : « **كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبر بطنه** » .. وكذلك فانه أراد أن يروح عن تلك الاعصاب المشدودة ويرفه عنها . بهذا الغناء الجماعى الذى كان يردده رسول الله مع المحاربين وهو :

اللهم لولا انت ما اهتدينـــا
ولاتصـــدقنا ولاصلينـــا
فانزلن سكينـــة علينـــا
وثبت الاقـــدام ان لاقينـــا

وهذا النشيد الجماعى أعطى شحنة نفسية أثارت الحماس فى قلوب المحاربين .

وحتى يمحو الرسول كل أثر لهذه « الزلزلة » فانه أراد أن يزرع الامل فى قلوب المؤمنين . وهو بهذا الامل يستطيع أن يمحو كل أثر من آثار اليأس والخوف ويحل محله التطلع الى غد مشرق مفعم بالخير . وقد تمثل ذلك حينما كان بعض الصحابة من

محمد جمعه العدوى

امام وخطيب بالسنبلاوين

البقية ص ٩٦

الدعوة
وأهميتها فى ماليزيا

الأستاذ دسوقى الحاج احمد

١ • مجىء الدين الاسلامى الى ماليزيا

قد نستطيع القول ان انتشر الدين الاسلامى فى أوربا وانتشاره فى الاجزاء الشرقيه من الدول العربية قد بدأ منذ ظهور الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووجود الصحابه عليهم الصلاةوالسلام ولولاقيام الخلافاتبين من جاءوا بعدهم وخاصة بين الزعماء فى تلك الفتره فانه ليس ببعيد ان الدول المحيطه بالبحر الابيض المتوسط أن تصبح دوله اسلامية الى الان •

وكما تذكر مصادر تاريخ الاراضى الملاويه بانها قد عرفت الاسلام منذ عام ٦٧٤ ميلادية اثناء الخلفاء الامويين الذين تطلعوا للوصول الى الاراضى الملاوية حيث يعتقد انه بعد قرنين من تلك الفترة عام ٨٧٨ ميلادية انتشر الدين الاسلامى على طول سواحل شبه الجزيرة الملاويةاول مركز لها حول ميناء كلع التى كانت كميناء نشط فى الاعمال التجاريه ومنها تنطلق الى الاجزاء الاخرى من الاراضى الملاوية امتلات كلع بالتجار الهنود والفارسيين ووجود هؤلاء وعلاقتهم بالمحليين قد استمد وتدرج مع مرور الايام والسنين الى ان اعتنقوا الاسلام منذ تلك الفترة واخذ الاسلام يأخذ ابعاده فى قلوب الملاويين وكان قمة الازدهار الاسلامى حين دخل اهالى ملاكا الى الدين الاسلامى حيث تابعهم بعدها الملوك وكافة الشعب يحتمون تحت راية الاسلام وانتمائهم الى الدين الاسلامى قد غرس فى نفوسهم الاساس الروحانى المتماسك وسبب ذلك فى تنسكهم واعتبارهم الدين لكافة الامة الملاوية فى الوقت انها استطاعت ان تدحر الاباطيل المشعوذة التى تعتمد على الخرافات والتى كانت نابعة بتاثيرها بالارواح الهندوكية والبوذية اضافة الى الاشياء الاخرى الباليه فى تلك العهود عاشت شبه الجزيرة الملاوية فى أوج ازدهارها فيها نشطت المعاملات التجارية بينها وبين الدول الاجنبية وخاصة الذين كانوا يتاجرون ببضائعهم من التوابل وبالاضافة الى المحاصيل الاخرى المتوفرة فى الاراضى الملاوية ونشاهد ان فى القرون التى تلت ذلك وصلها الدعاة بمصاحبة الوفود التجارية ومعهم السكان المحليون الذين اتموا دراساتهم العليا فى الدين الاسلامى واخذ هؤلاء يشاركون الدعاة فى نشر الاسلام ومفاهيمه انحاء المعمورةومنذاعتناق الملوك الدين الاسلامى اخذت مفاهيم ومعتقدات السكان فى النمو وزالت عنهم المفاهيم القديمة متتبعين الاساليب السليمةوهداية العامةاليها حيث نلتها وسبب فى ارساء الاسس والمبدأ والمعتقد والتقاليد المعيشى للوطنيين الملاويين •

٢ ـ مجىء الاستعمار

الا أن التطور والازدهار الذى ساد اجزاء البلاد ومؤيديها من المسلمين قد بدأ يتفشى بينها الانحدار حيث المتبها القوى الاستعمارية الاوربيه ونتيجةلغنى البلادبالثرواتبدأ الاستعماريوجهتحدياتها الخطيرةضد التجار المحليينونتيجه لاتباع الاوربيينسياسةالحصول على الارباح الفاحشة كل ذلكسبب فى تعديل الكفة التجارية وبالتالى السياسية لصالح الاستعمار ادت الى رجحان الموقف والى سيادتها واستعمارها للاراضى الملاويه وسعى الاستعمار فى سبيل الحفاظ على مصالحها الاستعمارية ان قاموا بجلب الكثير من الهنود ، ولكن بامتصاص البلاد اقتصاديا قاموا بجلب العمال الاجانب من الصين والهند فىالوقت ذاتهكانت الدول الاوروبية قد تقدمت فى الميادين العلمية والتكنولوجية على أثر الثورة الصناعية التى بدأت فى القرن السادس عشر الميلادى •

وقد سقطتحكومه ملاكاعلىيدى الاستعمارالبرتغالى عام ١٥١١ ميلاديه والتى نستطيع اعتبارها بداية البداية للحياة الاستعمارية فى الاراضى الملاوية تحت تعاقب النفوذ الاستعمارى وقد تناوب فى استعمارها البرتغال وهولندا وانجلترا مع فاصل قصير حيث استعمرها اليابان •

٣ ـ الاثر الناتج من الوجود الاستعمارى

قد نستطيع لاعتبار أن بداية انحدار الاسلام جاء عقب سقوط مدينه ملاكا فى ايادى الاستعمار حيث قام الاستعمار بنشر التعاليم للهيئات الاخرى•

ومن المفيد حقا انه فى الوقت الذى فيه كان الاستعمار يستعمرنا كان الملوك وكافة الشعبالملاوى قد اعتنق الاسلام كدين ورغم ذلك فقد تركالاستعمار حين رحيلهم الاثر المشوب بالمرارة خلال وجودهم الاستعمارى حيث عملوا على بلبلةوهز نفوسالمسلمين فى البلاد والذى سبب بالتالى فى تفشى الانحدار المعيشى للامة الاسلامية •

١ ـ الاثر النفسى لدى معتقدى الدين الاسلامى

بدأ المسلمون يواجهون التهديدات والمحن وخاصة الذين تأصلت فى نفوسهم وقلوبهم والاسلامكدينراسخ ووجود الاستعمار الاوربى اضافة الى قيام ونشر العادات والتقاليد الاوربية وذلك قد سببفىعرقلة استمرارتقدمالدعوةالاسلاميةفىالوقت الذىكانتالدول الاسلامية الاخرى تواجه التراجع والانحدار السياسى والاقتصادى وتتصارع عليها القوى الدولية ، وان سيادة التقدم العلمى والتكنولوجى الذى ساد الدول الغربيه قد أساءتها أكثر فى زعزعة نفوس المسلمين فى نفس الوقت كان العالم الاسلامى قد توقف عن مسايرة الاسس الحضارية والتقدم العلمى •

والحالة ذلك قد جاء نتيجة لوجود بعض العراقيل وظهور بعضالمعارضين حيث ساد البلادصراع عنيفبين المسلمين انفسهم والذى تركز فىالتنافس الى الاخرة وكذلك نتجت لوجود الفوارق المذهبية وكلها قد قاد الى خراب تقدمهم الدنيوى بالمقارنة معها فى دول الغرب الذين سبقوا المسلمين بتقدمهم العلمى ونشطوا فيها الى ابعد حدود التقدم

قد يلاحظ البعض ان المسلمين فى ماليزيا يعيشون حياة الانحطاط الا أن الحالة هذه فى مضمونها تسير والمسلمون يعيشون حياة الجمود دون ان تظهر فيهم الممارسة الفعلية وبطريقة مؤثرة حيث عاشوا حياة ترك الامور على حالتها دون مسايرة الركب والتقدم ومحاولة تكسير الجمود ذلك •

على ذلك نرى ان تراجع المسلمين قد يعمل على زيادة السكان الاخرين فى الوقت ان الزيادة الفعلية تسير فى خط لا يتوازى والمصلحة الاسلامية وذلك جاء نتيجة لاتباع البلادالى سياسة الباب المفتوح حيث سعى الاستعمار الى اتباع سياسة او خطوات غاية فى الخطورة كقيامهم بجلب الاجناس والاقوام الاجنبية الى البلاد كالصينيين والهنود للاستفادة منهم كعمال لمصانعها وحقولها الاحتكارية الزراعية واستمرت تلك المساعى المخربة الى ان اصبح المسلمون وهم اصحاب البلاد الاصليين يقلون عددا عن التعداد العام السكانى وهذه الامور تجرى والملايون موجودون فى بلادهم وامام أعينهم •

وعدد السكان فى ماليزيا يميل دائما لصالح الاخرين المسلمين ولا يمكن التغلب على تلك الزيادة الا عن طريق الدعوة الى الدين الاسلامى هذا بالاضافة الى وجود مسببات تدعونا للقول انه لماذا لا يقوم الاسلام والمسلمين بخلق نشاطات وتطوير بين مرافقها والقيام بجذب ودعوة الاخرين الدخول الى دينها واضعاف المنتمين اليها فى الوقت انها عملية مفيدة لخدمة مصالح البلاد من جميع نواحيه

ـ الاسباب الداخلية

١ ـ ومن العوامل التى سببت فى وجود ظاهرة الفتور بين المسلمين والامة الاسلامية فى المنطقة راجع الى عدم وجود نشاط الدعوة الاسلامية الحكومية منها او الاهلية وبطرق يستطيع بها مسايرة التطورات وان ذلك راجع الى عدم وجود الاموال والى عدم وجود نشاط الدعوة الاسلامية سواء الكافية او غيرها لتغطية نفقات اعمال الدعوة •

٢ ـ عدم خروج لجان الدعوة الاسلامية عن حيز نطاقها الاول او بمعنى ان هذه اللجان لم تتحرك ولم تمارس نشاطاتها فى جذب ونشر التعاليم الاسلامية بين الغير المسلمة وخاصة الذين هاجروا الى بلادها ، واكتفت جهود اللجان فقط فى الحفاظ على التقاليد والشعائر الاسلامية واضافة الى توجيه مساعيها البحتة نحو ترغيب المسلمين الاصليين الى العبادة الصرفة •

٣ ـ عدم وجود لجنة اسلامية عاملة تقوم بتوجيه جهودها فى الدعوة نحو رفع واعلاء من مكانة القضية الاسلامية ومتطلباتها الى المستوى الوطنى ، وتلك الانعكاسات جاءت نتيجة لعدم وجود التنسيق والتفاعل المشترك فى العاملات والادارة الاسلامية لجميع الولايات الماليزية •

٤ ـ ونستطيع القول ان السبب الاساسى لوجود الفتور ذلك راجع الى سيادة التدهور الاقتصادى الذى يعتبر الركيزة الاولى لمعيشة الامة الاسلامية فى ماليزيا وقد سار بهم الانحطاط والفتور لانهم لايملكون فوائض مالية يستطيع بها تقديم الصدقات كمساهمة منها الى لجان الدعوة التى تقوم بممارسة اعمالها تطوعيا ذلك كخطوة منها للتعبير عن مشاركتها فى المساعى الدينية الخيرية •

٥ ـ ان مسايرتها لنظام التعليم الدينى البحت دون الاهتمام الى العلوم الاخرى قد سبب، فى عدم استطاعتها تخريج الطلاب والمتخرجون الذين يستطيعون ممارسة اعمالهم فى الميادين الاخرى ذات صبغة تتعلق بالمعيشة والحياة ، عدا الاشتغال بالاعمال المتعلقة بشئون الدين ، ومن جهة اخرى تجد النواقص وعدم التنسيق فى التعليم الدينى السائد بين المدارس التى ترعاها وزارة التعليم من نتائجها ان تخرج الطلاب وهم لايفقهون الشىء الكثير عن الاسلام •

٦ ـ ساد بين البرامج التعليمية فى ماليزيا الفتور وعدم التنسيق التعليمى وغير مطعمة بالمعلومات التى ترغب وتدعو الطلاب الى الغيرة والرغبة فى الاستزادة بالمعلومات المتعلقة عن التاريخ الاسلامى كما هى المطلوب منها •

٧ ـ التاثر المعيشى والاجتماعى الذى جاء نتيجة لوجود الكثير ممن تاثروا بالعادات والتقاليد الاوربية المستوردة •

٨ ـ ان التمسك بالمذهب الشافعى فقط الذى تنتابه الكثير من العراقيل والصعوبات فى البت حول الاحكام المتعلقة بالهيئات الاجتماعية والاحوال الشخصية ، وعدم الاستطاعة فى اصدار الفتاوى ذات صبغة متطورة الذىبما يستطاع التعامل بهافىالبنوكوشركات التامين والتامين والضمان الاجتماعى اضافة الى الاخرى التى لابد من وجود وسائل لكى يستطيع التعامل بها فى الوقت توجد هناك مذاهب اخرى بامكانه الاستفادة منها كمنطلق لكافة الامور المتعلقة بشئون الحياة لدى المسلمين ، كالمذهب الحنفى والحنبلى والمالكى الذى يمتاز بوجود المراجع التى تفيدنا فى اصدار الفتاوى والاحكام المختلفة •

ب ـ الاسباب الخارجية

١ ـ لقد لعبت التقاليد والعادات التى اصطحبها الاستعمار من بلادهم الى الدول المستعمرة فى ابعاد المواطنين الملاويين عن الاحتفاظ بعاداتهم الاصيلة وتدخل ضمنها التاثر بالثقافات الاوربية المستوردة •

٢ ـ عدم اهتمام المثقفين والمتعلمين العرب نحو التعليم المناسب ولم يوجهوا الاهتمام بالعناية والتنسيق الى الدين الاسلامى اصولها ومصادرها فى التاريخ الملاوى •

٣ ـ ان خوف الاستعمار من الاسلام والمسلمين ادى الى خلق فواصل وموانع فى المعاملات العادية

اليومية بالاضافة الى ايجاد موانع فى الشئون المتعلقة بالدين الاسلامى .

٤ ـ نشاط الدعوة الاسلامية فى ماليزيا

ا ـ قبل الاستقلال

انه استنادا الى ماتقوله المصادر التاريخية ان نشاط الدعوة الاسلامية المكثفة وفيها عاش المواطنون المحليون أوج نشاطها والتى بدأت مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي . وان ثمرات الازدهار والتقدم الاسمى هذا جاء نتيجة وعقب دخول ملاكا الى الدين الاسلامى فى بداية عام ١٤١٤ ميلادية . وبالتالى نجد ان الانحدار الاسلامى فى شبه الجزيرة الملاوية قد بدأ عقب سقوط نظام الملكية بملاكا فى ايادى البرتغال ورغم كل ماحدث فان المستوى الاسلامى العام لازال موجودا وخاصة وجود المسلمين المحليين الذين يحتفظون بطابعهم الاصلى وان تمسك الامة بمبدأ الوحدة الالهية الراسخة الذين يخلصون كليا نحو الله سبحانه وتعالى .

الا انه مع بزوغ القرن التاسع عشر فقد اخذت صورة الدعوة الاسلامية تتجه نحو التقدم والنشاط فى تلك الفترة ،حيث اخذت كل ولاية توجه حسب رغبتها جميع الاعمال والشئون السياسية والعلاقات الدينية للولاية ، والصلاحيات التنفيذية للدين الاسلامى وكذلك الشئون الادارية اضافة الى العادات والتقاليد الملاوية كانت تحت سلطة السلاطين والملوك الملاوية ، ان تنفيذ الاحوال المتعلقة بشئون الدين الاسلامى كان يجرى بأمر من الهيئة الدينية التى تخضع لسلطة الملك أو السلاطين حيث يعين ، المعنين من قبلهم بالاتفاق مع اللجان الدينية الاخرى ، وكان من واجبات تلك المجالس هى جمع الزكاة والصدقات الاخرى والاعمال المتعلقة ببيت المال ، ونشاهد انه منذ انشاء هذه المجالس الدينية فقد باشرت عملها الى احسن المساجد او المساكن العلمية .

وبالدعوة الاسلامية الحكومية فى الولاية الكثير من مجهودات الدعاة والتى يقوم بتسييرها اللجان الاهلية أو بواسطة أشخاص معينين محبين لاعمال الخير ، فقد قامت هذه اللجان بتوجيه جهودها نحو التغلب والقضاء على الدعايات الخرافية التى تعتمد على الاضاليل حيث يقوم العاملون بازالة الشكوك وتوضيح الصورة الجلية عن الاسلام ، وكل تلك المساعى تطبق تنفيذها مستمدة الى ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى .

بعد الاستقلال

باعتبار ان الدين الاسلامى كمصدر روحانى الى السكان الملاويين ، حيث لعب بأدواره الفعالة، فى توضيح الرؤيا وتقديم الالهام السياسى الذى قاد البلاد ان تنال الاستقلال ، ونشاهد المعالم النضالية الاسلامية متوفرة بين اسطر تاريخ الوطنيين الملاويين ، حيث جعلوا من الاسلام السلم والمنطلق الذى امتاز بالكثير من الحيوية والاندفاع فى سبيل التخلص من نير الاستعمار ومنها يستنير الطريق فى تصحيح المسار السليم للوطنية الملاوية وبالتالى الدين الحنيف .

الخطوات الايجابية للدعوة

أ ـ الدين :

من المعروف أن الدين الاسلامى لا يمكن فصله عن قلوب الملاويين ذلك لانه قد ترسب بين شرايين السياسة الماليزية خاصة السياسة الوطنية الملاوية ، الارض البلاد ، حيث أصبح الدين الاسلامى هو الوجه السياسى وعنوان الدولة وفى الوقت نفسه ان انتماء الملاويين الى ذلك الدين باعتبار انه الطاقة المحركة والدم الجارى بين شرايينها وانه الطريقة المثلى التي يتحقق من خلالها ما ترنو اليه من تطلعات وأهداف سياسية ، فى أن الاسلام قد أخذ لها المكانة العالية وأصبح وضعها أسمى وأعلى مما هى فى الاصل ، وان أى ابتعاد عن الدين الاسلامى وشريعته ينتج عنه عواقب وخيمة والابتعاد عنه قد يؤثر على مركزها وسلطتها السياسية فى الدولة .

على ذلك فانها تدرك ان وجود أى فتور وانكماش فى الدعوة الاسلامية قد تؤثر على مستقبل البلاد وبالتالى مصالح الملاويين عامه ، رغم وجود نشاطات مكثفة بالنسبة للديانات الاخرى فى الدولة ، ونتيجة ذلك نشاهد المهيمين للدعوة يجدون للانطلاق وخلق ايجابيات فعالة مع وجود التنسيق فى الدعوة الاسلامية . وطالما الاسلام يفوح برائحته الزكية الى ربوع الوطن الماليزى . ولا طالما تبقى معدل الكفة السياسيه تميل لصالح الملاويين المسلمين ومن خلالها ستتحقق التطلعات المفيدة لابناء وطنها ، ونشاط الدعوة هذه اذا استمرت كما هى المخطط اليه من نشاط وحيوية فانها من المؤكد ستقوم بمضاعفة الايجابيات السياسية وتتضاعف طاقاتها فى الاطار الذى يتناسب ورغبة الملاويون ، وان الاستقرار السياسى وديناميكيته البناءة من قبل الملاويين تعتبر الشرط الاساسى والمنطلق فى سبيل وجود وسيادة الرسوخ السياسى للوطن فى سنواتها القادمة .

ووجود تلك الاسباب مع عدم وجود الجهود الهادفة نحو الانسجام والمكايفة بين وغير الملاويين من جهة والملاويون من جهة اخرى فانها قد تسبب فى اتساع الشقة والفتور بينهما مع مرور الايام وتقدم السنين على ذلك نقول ان وجود التكييف ومساعى الدعوة الاسلامية النشيطة كفيلة لخلق الاندماج والمكايفة بين الجهتين وان نجاح الخطوات تلك ستعمل تلقائيا فى ازالة شعور المخاوف وعدم الثقة لدى الملاويين .

ب ـ السياسة :

من خلال زاويه السياسة الوطنية ، فان بامكان الدعوة أن تشارك بأدوار ايجابية فى تطوير البلاد والوطن ، مدركا أن الدعوة والدين الاسلامى باستطاعتها ان تتدرج فى توحيد الطاقة السياسية فى الدولة التى فيها تتعدد الاجناس والاقوام ومحاولة ادخالهم الى داخل اطار وبين زمرة الملاويين ، صح ان مساعى وتنفيذ الخطوات الكفيلة بادخال غير المسلمين الى الاسلام ستقوم بالاسراع فى تحقيق عمليات التناسق والانسجام العام للامة ،

د ـ الثقافة :

باعتبار أن المظاهر الثقافية هي دائما الصورة الناطقة لدولة من الدول ، وماليزيا التى تعيشها الجنسيات وتتعدد فيها الثقافات والعادات وكل قوم لها ثقافاتها وعاداتها الخاصة بها ، ووجود التمايز فى التقاليد تسودها الحياة الاجتماعية غير المتماسك ، ذلك كله جاء نتيجة لوجود الحرية المطلقة لحد أن كل قوم لها الحرية الخاصة فى ممارسة شعائرها وتقاليدها وباضافة امكان استفادتها من ثقافاتها الى ابعد الحدود ووجود الظاهرة الاجتماعية

وفى سبيل التغلب على ذلك فقد سعت الحكومة بجهود جبارة لاذابة تلك الفوارق والعصبيات ولتسود محلها جو من الاخاء والتناسق بين الجنسيات الماليزية مع عدم الاسراع فى تطبيق سياسة التذويب الاجتماعى والتى اخذت طريقها فى الرسوخ أو أنها الان واضحة أمام الاعين ، استنادا الى ان الثقافة الماليزية نابعة ومستمدة جذورها من الثقافة والعادات الاسلامية ، وأن تطبيق سياسة ادخال هؤلاء الى الاسلام ستكون بمثابة عملية مساعدة فى تذويب تلك الفوارق وارجاعها الى مهد الثقافات والعادات الملاوية والتى هى كلها مستمدة من الدين الاسلامى وشعائرها ، والخطوات هذه كلها تتمشى مع ما تتطلع اليه البلاد من ايجاد التماسك فى الثقافة باعتبار أنها من أهداف الدولة وما تسعى اليه .

هـ ـ التناسق والتسامح بين الجنسيات :

قد يستطيع المرء القول ان الدين الاسلامى بما حققه من انتشاره الواسع للمؤمنين به فى مختلف بقاع الارض كل ذلك يؤكد بوضوح بانه الدين الصالح الذى نقبله لجميع أبناء البشر والانسانية جميعا فى كل أجزاء الاقطار المعمورة ، والاسلام لا يعترف بالطبقية ولا يؤمن بالقوميات ولا بالحسب ولا بالمرتبة ، فهو دين لهداية وعناية جميع الناس ، الاسلام دين البشرية لجميع أجزاء الدنيا ، وانه مطابق الى قوله عز وجل فى قرآنه الشريف الاية ٢٨ سورة سبأ والتى تقول : « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون » .

من الاية السابقة يتضح جليا العمق والشمول فى المعنى حين خاطب الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام .

وقد يجدر بنا القول ان الاعمال والخطوات فى الدعوة الاسلامية قد تم تنفيذ الكثير منها وهى كلها موجهة نحو سيادة التسامح والتناسق بين أبناء البلاد ، وان وحدة اللغة والانظمة الموحدة للتعليم والتربية زيادة لوجود الانسجام والتناسق فى الميادين الاقتصادية وجعلها وطنيا اضافة الى سعيها فى أن تكون الحصص المعاشية والحيانية متعادلة وتقسيم الاقساط الاقتصادية الى تتناسب للجميع .

الختام

انه نتيجة لما ذكر بين الصفحات السابقة قد يعطينا يقينا بان الدعوة الاسلامية وقيام نشاطات مكثفة فى الدعوة الى الاسلام لهى السبيل الوحيد الكفيل والمفروض تطبيقها بين أجزاء الدولة وأنحاء البلاد ولا يتفق ذلك الا بوجود اللجان الاسلامية وشئون الدعوة حيث أنها من المفروض ان تتوحد فى لجنة واحدة تسودها جو من التنسيق مع عدم النسيان بأهمية رصد المبالغ المالية الكبيرة لانجاحها ولابد أن تشجع اعمال المساعدات والمعونات النقدية من قبل المرافق المختلفة ولو سارت تلك بصورتها الاكمل فهى كفيلةبتسيير أمورها الى الافضل واكثر تأثير .

على ذلك نرى أن قيام مؤسسة الدعوة الاسلامية الماليزية تعتبر خطوة موجهة نحو تحقيق ذلك وتقوم المؤسسة الان بمباشرة عملها فى تقديم المساعدات نحو مساعى الدعوة ماديا ومعنويا فى وقت ان المؤسسة فى حاجة الى رصيد مالى كاف لمساعدتها ومساعدة لجانها الاخرى وللتكثيف من نشاطاتها ، حيث أن المبالغ المالية المنفذة أو التى فى طريق التنفيذ بالنسبة لمشاريعها وخطواتها فى الدعوة لا تقل عن مليون دولار ماليزى فى كل عام .

بقية مقال « الحرب النفسية فى غزوة الاحزاب »

المهاجرين والانصار مكلفين بحفر اربعين ذراعا للخندق .. حفروا حتى وصلوا الى صخرة بيضاء كسرت حديدهم . فذهب سلمان الفارسى الى الرسول ليخبره عن هذه الصخرة . وجاء النبى وأخذ من سلمان المعول وضرب الصخرة ضربة صدعتها وتتطاير منها شرر أضاء الجو الداكن . وكبر رسول الله تكبيرة فتح وكبر المسلمون . ثم ضربها الثانية فكذلك . وضربها الثالثة فكذلك . وتفتت الصخرة ونظرالنبى الى اصحابه بوجه مشرق متفائل.وشرح ما رآه من انبعاث الضوء المتطاير من أثر الضربات فقال : « لقد أضاء لقد أضاء لى فى الاولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن امتى ظاهرة عليها . وفى الثانية أضاء القصور الحمر من ارض الروم كأنها انياب الكلاب واخبرنى جبريل ان امتى ظاهرة واضاء لى فى الثالثة قصور صنعاء كأنها انياب الكلاب واخبرنى جبريل أن امتى ظاهرة عليها .

وفى الحال .. انتقلت آثار هذه الشحنة النفسية الى قلوب المؤمنين فاشرقت بالايمان والرجاء والثقة فى الله .. ونستطيع ان نلمح اثر هذا التحول فى النفس حين قال المسلمون لرسول الله عقب تلك الحادثة . « الحمد لله .. موعود صادق » .. حمدوا الله .. متأكدين من أن الله لا يخلف وعده .

مع هذا المفهوم النفسى الجديد الذى طرأ على القلوب تغير الواقع الذى عاشه المسلمون وبدات حركة جديدة مبعثها « الثقة » وتمثل ذلك حين قرر المسلمون أن يرابطوا فى أماكنهم ينضحون بالنبل كل مقترب من الخندق . وبدأوا ينظمون الحراسة فى كل مكان من السهل والجبل .

ومع قسوة الحصار . وتعطل اليد العاملة فى المدينة عن الانتاج . والنذير بفناء الاقوات مما يهدد بكارثة اقتصادية . فانه لم يحدث ضيق أو تبرم . أو خوف من مصير سىء .. لكن الجميع كان مترقبا ومتاهبا لكل الاحتمالات .

الدعوة الإسلامية والإعلام

الأستاذ محمد كمال الدين

جاء الاسلام الحنيف بشرعه الهدى ودين الحق ، ومن سماته الرئيسية انه « دعوة » ، وانه «بلاغ» ، وانه «رسالة» ، وانه «بيان» وهذه السمات هي بعينها سمات «الاعلام» منذ عرفنا . علما قائما بذاته ، وهي نفسها سمات الرسالات السماوية منذ آدم نبيا ، وحتى رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بل هي ايضا سمات الديانات الارضية - ان صحت هذه التسمية - في مبادىء المصلحين واصحاب المذاهب الدينية والعقائدية .

فالاسلام دعوة : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء » « الرعد ١٤ » ، « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « النحل ١٢٥ » ، « فلذلك فادع واستقم كما امرت » الشورى ١٥ .

والاسلام بلاغ : « ان في هذا بلاغا لقوم عابدين » (الانبياء ١٠٦) ، « وما على الرسول الا البلاغ المبين » (العنكبوت ١٨) ، « هذا بلاغ للناس ولينذروا به » (ابراهيم ٥٢) .

والاسلام رسالة « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ، المائدة ٦٧ ، « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا » (الاحزاب ٣٩) .

والاعلام هو هذه المعاني أيضا ، مع فارق انه من بشر الى بشر ، اما الاسلام فهو من الله عز وجل الى الناس كافة ، يحمله رسول صادق وأمين .

وكلمة « الاعلام » معناها « الاخبار » أو « التبليغ » أو « الانباء » ، وكلها مترادفات تعنى انتقال « المعلومات » بين الافراد بواسطة فرد أو جماعة بحيث تنتشر بينهم فتصبح بمثابة لغة للتفاهم ، واصطلاح للتعامل ، ووسيلة للمشاركة .

والاعلام في مفهوم العلم الحديث جزء من علم أشمل منه هو علم الاتصال ، بمعنى التفاعل والتشيع ، ذلك لان الاتصال بين الناس ينقسم الى أربعة أقسام :

أولا : الاتصال الذاتى ويكون بين المرء ونفسه ، ويتمثل فى الشعور والوجدان والفكر ، بمعنى أن يعى الانسان ما يقول ويفهمه خير فهم ، ويستطيع توصيله بوعى وقدرة .

ثانيا : الاتصال الشخصى بين فرد وفرد آخر ، بحيث يستطيع أن يفهم هذا الفرد ما يحمله الفرد الاخر من آراء ومعتقدات دون لبس أو غموض .

ثالثا : الاتصال الجمعى ويكون بين مصدر واحد ، فردا أو جماعة ، وبين جمع كثير ، وفى هذا القسم يدخل الاعلام ، باعتباره وسيلة حديثة لنقل آراء الزعيم أو القائد أو الحاكم الى مريديه أو من يهمه توصيل الافكار اليهم .

رابعا : الاتصال الفكرى حيث تتفاعل البيئة الثقافية فى شكل عمليات اجتماعية تتنوع فيها المعلومات والمؤثرات ، وتلعب المعتقدات والموروثات الشعبية من عادات وتقاليد وأساطير أدوار بالغة التعقيد ..

ومن هذا التقسيم تستطيع أن نفهم أن عملية الاتصال فى مفهومها العام ، وعملية الاعلام فى المفهوم الخاص تقوم على أركان ثلاثة ثابتة هى :

١ - الشخص الذى يقوم بتوصيل الرسالة أو الخبر أو البلاغ ، وقد اصطلح علماء الاعلام على تسميته « بالمرسل » أو « صاحب الرسالة » وهو اما زعيم مصلح ، أو قائد موجه ، أو حاكم مستنير ، وهو فى بحثنا هذا « النبى » أو « الرسول » صاحب الرسالة والمبلغ عن ربه ، « ماعلى الرسول الا البلاغ » (المائدة ٩٩) .

٢ - الرسالة المبلغة ، وهى المحتوى أو الهدف من الدعوة ، ولقد كانت رسالة كل مصلح أو نبى فى قومه هى هدايتهم الى الحق والى طريق مستقيم ، والرسالة تنجح بقدر ما تحمله من صدق وحق وعدل ، وبقدر ما تتجاوب مع الناس وتلقى منهم من قبول أو « صدى » ، وهى تخفق اذا لم تجد لها ميدانا أو قبولا من الناس .

٣ - المرسل اليه ، أو الجمع المتلقى الذى تتوجه اليه الرسالة بمضمونها ، فاذا لم يكن هناك أحد يتلقى ، فالى من توجه الرسالة ؟ واذا لم يكن المرسل اليه فى مستوى فهم الرسالة شكلا وموضوعا فكيف نضمن لها النجاح ؟ وكيف يتجاوب المرسل معه اذا لم يكونا معا على خط اتصال واحد فكرا وعملا ، مضمونا وهدفا ؟

تلك بداية لابد منها لفهم عملية الاعلام ، فى العلم الحديث ، ولمعرفة ان دعوة الاسلام الرشيدة تتضمن كل مفاهيمه ، وقد سبقته بقرون عديدة ، شرحا وعملا وتطبيقا ... والى اللقاء .

قرأت لك

القيم الاسلامية وأثرها فى المجتمع

الاسلام فى جوهره وروحه ليس نظريا فحسب بل هو عمل وسلوك وفعل بكل ما تحمل هذه الكلمات من أبعاد .. فقد هذب الروح وأدب القلب وارتقى بالعقل ، وهو الى جانب ذلك لم يهمل حظ الجسم ونصيبه الكامل من الحياة قال تعالى :

● « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله اليك .

فالاسلام عقيدة وعمل ونضال ، وعبادة وتقوى ، وخشوع لله وخضوع ، وتضحية وفداء . ولكى يدل الاسلام الانسان الى مثل هذه القيم ارشده اليها بوضوح وجلاء ، ونحن اذا تلونا آيات الله البينات وفتشنا عن مضامينها وجدنا فيها من القيم الهادفة ما يسمو بالانسان ويصل به الى ذروة ما قدر له من الخير .

وبهذه القيم تتكون رابطة الاسلام المتينة والتى تقوم على التضامن الاجتماعى والتكافل الانسانى والاحاسيس الصافية والوجدان الصادق .

ان المسلم الحق هو الذى يفيض معروفه ، ويكثر بره ، ويعم احسانه ، وينتشر خيره ، ويجرى فضله بدون فرق او تمييز .

والمسلم الحق هو الذى يوفر لنفسه ولمجتمعه رصيدا من الاخلاق الفاضلة فيعامل الناس كلهم معاملة اسلامية بعيدة عن الغش ، صافية من الكذب ، لان تمسك المسلم بالقيم الفاضلة هو الذى يجعل منه الانسان الكامل البشوش الرحيم المبتسم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● أتدرون على من حرمت النار ؟

قالوا :

ـ الله ورسوله أعلم .

قال :

ـ على اللين السهل القريب » .

ومن القيم الفاضلة فى الاسلام « التقوى » يقول النبى عليه الصلاة والسلام ..

● « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

ومن الاخلاق السامية التى يجب على المسلم ان يتحلى بها هو أن يكون ذا وفاء لان الله عز وجل حث على الوفاء فى غير آية من آياته ، قال تعالى :

● « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .

والوفاء بالعهد ركن أساسى فى معاملة الناس بعضهم مع بعض فاذا اختل هذا الركن انحرفت الحياة .

والمسلم الحق هو الذى يخالط الناس ويتصل بهم ويحسن الى اليتامى وذوى القربى ، وأى تضامن اجتماعى اسمى وازكى من هذا التضامن الذى يعرج بالانسان الى المستوى الانسانى الرفيع فيخلق من القلب الطيب النبيل ، والروح الحساسة الشاعرة بمشاكل الاخرين .

ان البر يربى النفوس على الايمان كما يسمو بها عن الانانية ، ويحول بينها وبين الانكماش والجمود ..

وهكذا تمضى بنا صفحات كتاب « القيم الاسلامية وأثرها فى المجتمع » والذى اصدره المجلس الاعلى للشئون الاسلامية للمؤلف الاستاذ عبد الحكيم على المغربى وتضمن الكتاب دراسات لبعض القيم الاسلامية الرفيعة مثل التقوى ، والصدقة ، والاحسان ، والوفاء بالوعد ، والرحمة ، وأثر هذه القيم فى تكوين المجتمع الصالح الذى يتخذ من قيم الاسلام نورا يمزق الظلام ، ويبنى الحياة ، ويضىء للانسانية طريقها نحو الخير والسلام .

علي عياد

دعاء

اللهم انى أسألك من كل خير سألك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم : وأعوذ بك من كل شر استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأنت المستعان ، وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة الا بك .

التصوف
والفلسفه
الإسلامية

الصوفية في إلهامهم

العلم والمعرفة

الأستاذ
حسن كامل الملطاوى

يقول السادة الصوفية فى الفرق بين العلم والمعرفة ان العلم رواية والمعرفة دراية وهم بذلك يبينون لنا الفارق الكبير بين العلم والمعرفة ، فقد يكون العالم كثير الرواية قليل المعرفة ، أما العارف فيكون غزير المعرفة وان قلت روايته ، وكل عارف عالم ، وليس كل عالم عارفا .

ولهذا كان بعض ائمة الصوفية يقول : حدثنا فلان وكان من أوعية العلم ، ولا يقول : وكان عالما ، لان العالم الذى يعتدون به هو عالم الاخرة أو هو العالم العارف الذى جمع بين الرواية والدراية ، أى بين العلم والمذاق ، ولا يتأتى المذاق الا من تطبيق جاد للعلم .

وقد ذهب ابن بشار الفقيه على الامام أبى بكر الشبلى رضى الله عنه وهو الذى جلس مكان الامام الجنيد رضى الله عنه : فقال ابن بشار للامام الشبلى ، كم فى خمس من الابل ؟ فقال الشبلى : تريد زكاتها ؟ قال : نعم ، قال الشبلى : فى واجب الشرع شاة ، وفيما يلزم أمثالنا كلها ، قال ابن بشار : ألك فى ذلك امام ؟ قال الشبلى : نعم هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقد خرج لله تعالى عن كل ماله . ولما سأله مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى ابقيت لعيالك يا أبا بكر ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قالوا : فخرج ابن بشار ممتقع اللون متغير الوجه وذهب الى زملائه الفقهاء وقال لهم ، ذهب الصوفية بالخير كله وأضعنا عمرنا فى المجادلات .

وقد وصف امامنا على ابن ابى طالب كرم الله وجهه سادتنا آل البيت فكان مما قال فى وصفهم : عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية . وقال كرم الله وجهه فى أهل العلم : الناس ثلاثة عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع اتباع لكل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يركنوا الى ركن وثيق .

وقال كرم الله وجهه فى العلماء الربانيين : لا تخلو الارض من قائم لله بحجة ، اما ظاهرا مشهورا ، او خائفا مغمورا ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، وكم هم وأين اولئك والله انهم الاقلون عددا ، والاعظمون عند الله قدرا . ويقول رضى الله عنه وكرم الله وجهه فى مناقبهم : هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش عنه الغافلون ، عاشوا بابدان أرواحها معلقة بالملا الاعلى ، اولئك اولياء الله من خلقه ، وعماله فى أرضه ، والدعاة الى دينه ، ثم بكى وقال : واشوقاه الى رؤيتهم .

وقال سيدنا معاذ بن جبل وهو الصحابى الجليل رضى الله عنه : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية : وطلبه عبادة : ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ، وهو الانيس فى الوحدة : والصاحب فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والزين عند الاخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيله الجنة ، يرفع الله تعالى به أقواما ، فيجعلهم الله فى الخير قادة ، وهداة يقتدى بهم ، أدلة فى الخير تقتص آثارهم : وترمق اعمالهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى الى رايهم ، وترغب الملائكة فى خلتهم ، وباجنحتها تمسحهم ، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر ، حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر ونعامه ، والسماء ونجومها .

وقد اجتمع باذن الله تعالى لسادتنا الصوفية العلم والمعرفة ، ويدلنا على ذلك ما وصفهم به سيدى الامام ابو بكر

الكلاباذى فى كتابه القيم : **التعرف لمذهب أهل التصوف** حيث قال رضى الله عنه :

سبقت لهم من الله الحسنى ، والزمهم كلمة التقوى ، وعزف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة ، وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة ، وصفت سرائرهم فاكرموا بصدق الفراسة ، ثبتت اقدامهم ، وأنارت اعلامهم ، وزكت افهامهم ، فهموا عن الله ، وساروا الى الله ، واعرضوا عما سوى الله ، خرقت الحجب انوارهم وجالت حول العرش أسرارهم ، وجلت عند ذى العرش أخطارهم ، وعميت عما دون العرش أبصارهم ، فهم اجسام روحانيون ، وفى الارض سماويون ، ومع الخلق ربانيون ، سكوت نظار ، غيب حضار ، ملوك تحت أطمار ، أنزاع قبائل ، وأصحاب فضائل ، وأنوار دلائل آذانهم واعية ، ونفوسهم صافية ، ونعوتهم خافية صفوية صوفية ، نورية صفية ، ودائع الله بين خليقته وصفوته فى بريته ، ووصاياه لنبيه ، وخباياه عند صفيه ، هم فى حياته صلى الله عليه وسلم اهل صفته ، وبعد وفاته خيار أمته ، لم يزل يدعو الاول الثانى والسابق التالى ، بلسان فعله ، أغناه ذلك عن قوله •

وفى قوله رضى الله عنه « ووصاياه لنبيه » يشير الى الاية الكريمة فى سورة الكهف **(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)**

والاية تمدح فقراء الصحابة الكرام (مثل سادتنا بلال وعمار وخباب) الذين استنكف بعض أغنياء العرب من الكفار ان يجالسوهم عند مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له : نح هؤلاء الموالى ، ما يؤذيك ريحهم ، ونحن سادات مضر وأشرافها ان أسلمنا تسلم الناس ، وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا • وما قالوه أشبه بما قاله قوم سيدنا نوح عليه السلام حين قالوا له : **أنؤمن لك واتبعك الارذلون** • والتاريخ يعيد نفسه ، وصدق سبحانه وتعالى اذ يقول فى سورة الانعام **(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين)** فقد حسد الاغنياء اولئك الفقراء الذين سبقوهم الى الاسلام فامتنعوا من الاسلام حتى لا يجالسوهم ، ونعوذ بالله من الحسد والحاسدين •

وقد سرت هذه الوصية مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال فى سروره بهؤلاء المؤمنين الفقراء الذين زكاهم سبحانه وتعالى وأثنى عليهم بقوله الكريم **(يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه)** « الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى ان أصبر نفسى مع ناس من أمتى •• ومما قال سيدى الامام القشيرى فى لطائف اشاراته رضى الله عنه عند تلك الاية :

(يريدون وجهه) كشف قناعهم وأظهر صنعتهم ، وذلك يشير الى دوام دعائهم ربهم بالغداة (الصباح) والعشى « المساء » وكون الارادة على الدوام •

« ولا تعد عيناك عنهم » اى لاترفع بصرك عنهم ، ولا تقلع عنهم نظرك ويقال : لما نظروا بقلوبهم الى الله ، أمر رسوله عليه السلام بألا يرفع بصره عنهم ، وهذا جزاء فى العاجل ، •• فلا تقطع اليوم عنهم نظرك فانا لا نمنع غدا نظرهم عنا •

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) هم الذين سألوا منه - صلى الله عليه وسلم - ان يخلى لهم مجلسه من الفقراء وأن يطردهم يوم حضورهم من مجلسه صلى الله عليه وسلم وعلى آله •

ومعنى **(أغفلنا قلبه عن ذكرنا)** اى شغلناهم بما لا يعنيهم ،

ويقال (أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أى شغلناهم حتى اشتغلوا بالنعمة عن شهود المنعم •

ويقال : الغفلة تزجية الوقت (أى تضييعه) فى غير قضاء فرض أو أداء نفل •

ويقول سيدى الامام أبو السعود فى تفسيره لقوله تعالى **(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا)** رضى الله عنه : كأولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا ، على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء فى مجامع الاوقات ، وفيه تنبيه على أن الباعث له على ذلك غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وانهماكه فى الحسيات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد •

وقوله تعالى (واتبع هواه وكان أمره فرطا) : بمعنى الافراط والتفريط ، فان الغفلة عن ذكره تعالى تؤدى الى اتباع الهوى المؤدى الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب •

ويقول شيخى وسيدى الشيخ على عقل فى الهامه الفورى فى فضل الذكر وأثره وفى ضرر الغفلة وشرها المستطير مما نقلناه استماعا منه رضى الله عنه وكان بعض الحاضرين قد سأله أن يأتى له ببعض الابيات على وزن البيت التالى وقافيته :

وكن راضيا بالله مولى وسيدا
وأخرج جميع الكائنات من القلب

فقال كثيرا ومنه :

(وكن راضيا بالله مولى وسيدا)
فمن يرض بالرحمن قد فاز بالقرب
أضاء الهدى قلبى ونقى سريرتى
فلست كبعض الناس انسب للترب
تركت الورى دونى وجئتك مفردا
فلم يك غير الله فى السمع والقلب
وطهرت فى نجواك سر جوانحى
فخلصتها من عالم البعد والحجب
رضاء الفتى بالله يشرح صدره
فلن يتأذى بالحوادث والخطب
فما أنا فى نفسى أميل لغيره
أراقب ربى فى الشهادة والغيب
فان كان ذنبى مبعدى عنك لحظة
فانك غفار الذنوب بلا ريب
وما لذتى الا التجائى لوجهكم
فوجهكم دون العوالم لى قطبى
وغفلة قلب المرء بعد وحسرة
فما نال عقبى ربه غافل القلب
لقد ذل فى يوم القيامة غافل
تأخر فى يوم الجهاد عن الركب
ودنياك ارض لو بذرت بها الهدى
حمدت أوان الحصد سالمة الحب
ونحن أولو علم ولكن بوجدنا
شربنا من الانوار ماليس بالشرب
فكنا بفيض الله خير أئمة
لنا نوره يهدى من الزيغ والعجب

وختم كلامه رضى الله عنه بقوله :

ولما تدانينا ولاحت دياره
وقد جذبتنا نحوها أيما جذب
هتفت بحبى دم لربك وحده
(واخرج جميع الكائنات من القلب)

فختم القول بالشطر الثانى كما بدأه بالشطر الاول ، وكانت تلك عادته رضى الله عنه •

وقوله رضى الله عنه :

ونحن أولو علم ولكن بوجدنا
شربنا من الانوار ماليس بالشرب

يبين لنا أن السادة الصوفية أهل علم ومعرفة ، والعلم قد يكون كسبيا بالتحصيل وقد يكون وهبيا بالالهام ، لان الله تعالى يخاطب وحيا سادتنا الانبياء والمرسلين ـ عليهم صلواته وسلامه ـ ويخاطب الهاما أولياءه الصالحين عليهم رضوان الله · أما المعرفة فيكشف عنها قوله :

ولكن بوجدنا
شربنا من الانوار ماليس بالشرب

فقد ذاقوا بأرواحهم ووجدانهم ما أراده لهم سبحانه من مذاقات العرفان وان لم تذق ألسنتهم شرابا محسوسا لان مذاق الانوار انما هو مذاق روحى فى البواطن ، وهو مذاق العارفين من علماء الاخرة · ويقول امامنا مالك بن أنس رضى الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله فى القلوب · وكان رضى الله عنه يقول : لا أحب من العلم الا ماكان تحته عمل · وكذلك قال رضى الله عنه : ان طلب العلم لحسن ، وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ، ولكن أنظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى ، ومن حين تمسى الى حين تصبح ، فلا تؤثرن عليه شيئا ·

وقد اجتمع سيدى سفيان الثورى رضى الله عنه بسيدنا الامام مالك رضى الله عنه ، فلما سألوه عما رأى فى الامام مالك قال :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة
والسائلون نواكس الاذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى
فهو المطاع وليس ذا سلطان

ولا شك أن سادتنا الائمة الفقهاء المجتهدين الذين يقلدهم المسلمون فى المشارق والمغارب عملوا بما علموا فنالوا بالتطبيق الجاد والمخلص سلطان التقى وكسبوا به احترام الكل فى أزمانهم وبعد أزمانهم · وفى وصية سيدنا لقمان عليه السلام لابنه : يابنى كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب ، كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل · وفى الحديث الشريف : **من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ·**

ويقول سيدى الامام أبو طالب المكى رضى الله عنه فى كتابه القيم « قوت القلوب » : ومن أحسن ما سمعت فى قوله تعالى (**يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون**) قيل « **يوارى سوءاتكم** » أى العلم ، « **وريشا** » قيل : اليقين (**ولباس التقوى**) أى الحياء ولا يفوت القارىء الكريم أن ما سمعه الامام هو من باب الاشارات الصوفية التى يضيفونها الى المعانى العلمية الظاهرة ليزدادوا بالقرآن المجيد انتفاعا واتعاظا ، فتزدان أجسامهم باللباس الذى يسترها ، وتزدان قلوبهم بالتقوى التى تجملها ·

ويعقب السادة الصوفية على قوله تعالى فى سورة الاحزاب (**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا · يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما**) فيقولون : جعل الله تعالى مفتاح القول السديد والعلم الرشيد التقوى ، وقد قدم سبحانه « **أعمالكم** » على الغفران ، لانه ما لم يصلح لك أعمالك ويكفك،ماأهمك من أشغالك ما تفرغت لشئون آخرتك ، وما كنت من السابقين بالخيرات باذن الله · كما يقول السادة الصوفية ان القطب الذى يدور عليه القرآن كله هو قوله تعالى فى سورة النساء : (**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله**) ·

أقول : وقد عرف امامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، التقوى فقال فى تعريفها : **هى الخوف من الجليل ، والعمل بما فى التنزيل** ، والرضا بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل · ويروى سيدى أبو طالب المكى ، رضى الله عنه ، عن بعض علماء السلف ، اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل ، واذا أراد الله بعبد سوءا أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل ·

وقد فرق العلماء بين العلم بالله تعالى وبين العلم بأمر الله تعالى ، فقال سيدى سفيان رضى الله عنه : العلماء ثلاثة ، عالم بالله وبأمر الله فذلك العالم الكامل ، وعالم بالله تعالى فذاك التقى الخائف ، وعالم بأمر الله تعالى غير عالم بالله تعالى فذاك العالم الفاجر · وكان سيدى سهل التسترى رضى الله عنه يقول : لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله ، قيل : ياأبا محمد ، من العلماء ؟ قال : الذين يؤثرون الاخرة على الدنيا ، ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم ·

وقد بين لنا كتاب الله الكريم أن الله تعالى قيض بدعوة الحق فريقا من المؤمنين يهدون الناس الى الصراط المستقيم علما وعملا وحالا نقلا عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله ، وهم المشار اليهم فى قوله تعالى فى سورة الاعراف : « **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** » ، واكثر المفسرين على أنهم فى الامة المحمدية بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « **لا تزال من أمتى طائفة على الحق الى أن يأتى أمر الله** » رواه البخارى ومسلم ·

ويقول سيدى الامام القشيرى رضى الله عنه عند تلك الاية الكريمة فى لطائف اشارته : **أجرى الحق سبحانه سنته بألا يخلى البسيطة من أهل لهاهم الغياث وبهم دوام الحق فى الظهور ، فهدايتهم بالحق أنهم يدعون الى الحق ويدلون على الحق ويتحركون بالحق ويسكنون للحق بالحق وهم قائمون بالحق يصرفهم الحق بالحق أولئك هم غياث الخلق ، بهم يسقون اذا قحطوا ، ويمطرون اذا أجدبوا ، ويجابون اذا دعوا ·**

ويشير الى الدعاة للحق عن علم وبصيرة شيخى وسيدى الشيخ على عقل فيقول الهاما فى وصفهم نور الله ضريحه :

رجال ولكن علا قدرهم
تبارك من لهم قد خلق

لهم همم كالجبال الرواسى
وهم عند ربك نور الغسق

ويرى سيدى الشيخ على طيب الله ثراه ضرورة الاتصال بهم وأخذ التربية عنهم فيقول فيما نقلناه عنه من الهامه الفورى :

وعندى أن الامر ليس كما ترى
فلا بد من سوق القلوب لمن يدرى

اذا لم يكن للنفس شيخ له هدى
يؤدبها بالروح زاغت عن السير

ولايعبر البحر الخضم ونواه
سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر

ولولا اتصال الكهرباء بأصلها
على موجة التيار مانورها يسرى

وقد قيل لسيدى الامام الحسن البصرى « وهو من سادتنا التابعين رضى الله عنهم » : ياأبا سعيد ، نراك تتكلم بكلام

لم تسمعه من غيرك ، فعمن أخذت هذا العلم ؟ فقال رضى الله عنه : أخذته عن حذيفة بن اليمان « الصحابى الجليل رضى الله عنه » ، وكان سيدى الامام ابن عطاء الله السكندرى من المعترضين فى بادىء أمره على سيدى الامام ابى العباس المرسى رضى الله عنه ، كما بين ذلك بنفسه فى كتابه لطائف المنن ، فلما استمع اليه فى درسه الاول غير رأيه فيه وفى التصوف وأهله ، ويحكى رضى الله عنه ما سمعه فى ذلك الدرس فيقول : سمعت الشيخ يقول : أنفاس الشرع اسلام فايمان فاحسان ، وان شئت قلت : شريعة فحقيقة فتحقق ، وان شئت قلت : عبادة فعبوديه فعبودة . ويستطرد سيدى الامام ابن عطاء فيقول : فمازال الشيخ يقول : وان شئت وان شئت وان شئت حتى بهر عقلى وأيقنت أنه يفرق من فيض الهى . وانتهى الامر بأنه تتلمذ عليه وصار بفضل الله وعونه من أئمة الصوفية المشهورين ، ولم ينل مثل هذه الشهرة حين كان مدرسا للعلوم الشرعية قبل تصوفه الذى أكسبه الدراية فنطق بالحكم المشهورة ولم يكن له بها عهد قبل أخذه عن أستاذه الامام المرسى رضى الله عنهما وعن امامهما الاكبر سيدى أبو الحسن الشاذلى الذى تربى فى طريق القوم على سيدى الامام عبد السلام بن بشيش صاحب الصلوات المشهورة .

ورضى الله عن شيخى وسيدى الشيخ على عقل اذ يقول الهاما لوقته :

بحر التجلى كله حكمة
كم تسكر الارواح من عذبه
دع ما يقول الناس من علمهم
مادمت تلقى العلم من سيبه

واذ يقول كذلك الهاما :

علومى فى الورى نفحات ربى
فما بلغوا مذاقى أو شمولى
ولى من مشرق الايمان علم
سموت به على كل الفحول

واذ يقول رضى الله عنه :

ووردت عن أدب بحار جماله
فصدرت عن علم وعن عرفان
وشربت لم أشرق وقمت ولم أنم
والنوم من بعد الوصال جفانى
وعلمت أن الوجد ليس بمنته
الا بلقيا حضرة الحنان

وقد كان سيدى الامام سهل التسترى رضى الله عنه يقول : لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة ، وقد قيل له : ياأبا محمد ، من العلماء ؟ قال الذين يؤثرون الاخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم . وقد قيل لسيدى الامام الجنيد رضى الله عنه : ياأبا القاسم يكون لسان بلا قلب ؟ قال : كثير ، قالوا : فيكون قلب بلا لسان ؟ فقال : نعم قد يكون ، ولكن لسان بلا قلب بلاء ، وقلب بلا لسان نعمة ، قالوا : فاذا كان لسان وقلب ؟ قال : ذاك الزبد بالعسل .

ويروى سيدى الامام ابو طالب المكى رضى الله عنه حديثا بسنده يقول فيه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس : من الشك الى اليقين ، ومن الرياء الى الاخلاص ، ومن الرغبة الى الزهد ، ومن الكبر الى التواضع ، ومن العداوة الى النصيحة ! . وقد سأل سادتنا الصحابة الكرام رضى الله عنهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) فقالوا : يارسول الله ما هذا الشرح ؟ فقال : ان النور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح : قيل : فهل لذلك من علامة ؟ قال : نعم ، التجافى عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود : والاستعداد للموت قبل نزوله .

ويحذرنا شيخى وسيدى الشيخ على عقل من الافتتان بالدنيا والاشتغال بها عن الاخرة فيقول الهاما طيب الله ثراه

أخى لاتغرنك الحياة وزيفها
فما هى حظ الناسك المتزهد
ودونك أيام أمامك غيرها
فان زال عنك الامس فانظر الى الغد
وحاضرك اقرنه بماضيك عبرة
ونفسك عودها الحساب لتهتدى
سريرتك احفظها لربك وحده
فان نقاء القلب أصل التعبد
وأقبل على مولاك يقبل بفضله
عليك ووجه نحوه القلب تحمد

ومما نقلناه كذلك من الهامه رضى الله عنه قوله :

قومى اطمئنوا فى الحياة بربكم
فبذكره تتنعم الابرار
ان تنصروا الرحمن ينصركم وما
خابت رجال هم له أنصار
والزرع ان تعهده حين صلاحه
أكمامه عبقت بها الازهار
والقلب روض واليقين ثماره
فاذا اعتززت به تطيب ثمار
دنياك مرتبة الغرور فكن على
حذر ولا تلعب بك الاشرار
واحذر تقل أنا قبل موتك انه
من قالها فى عرفنا كفار
ليس التصوف بالظواهر انما
هو للبواطن حلة وشعار
من أدركوا عشقوا ومن ذاقوا ارتووا
ان المحبة كلها أسرار

وما أروع ما يتحدث به من نعمة الله عليه حين يقول رضى الله عنه :

وقفت على نجوى الاله جوانحى
لذلك قلبى منزل كله ذكر
وأخليت قلبى من مناجاة غيره
فأصبح طودا لايزلزله الغير
أسارع مشتاقا وأسكت هائما
وأنطلق اجلالا وما عاقنى سير
ففى صحوتى شوق وفى غفوتى هوى
وفى مشيتى علم وفى وقفتى سر
ذكاؤك محسوب عليك فخله
لربك تلقاه اذا حارب الدهر
ومن يعتصم بالله يحفظ فؤاده
ومن يتجه لله تم له الامر

ألا رضى الله تعالى عن أسلافنا الصالحين وعن شيوخنا المباركين العالمين العارفين ، الذين عملوا بما علموا ، ووردوا بحر الجود فسقاهم ربهم شرابا طهورا ، طهرت به قلوبهم ، وصفت أرواحهم ، وجادوا على المؤمنين مما آتاهم الله ، فدعوهم الى الله عن علم ومعرفة وجعلوا دعوتهم حسبة لوجهه الكريم ، ولم يريدوا من الناس جزاء ولا شكورا ، فهم أحسن الناس قولا وأصلحهم عملا ، وكفاهم شرفا أن يزكيهم سبحانه وتعالى بقوله فى سورة فصلت (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

مع تجليات أسماء الله الحسنى

للأستاذ زكريا عامر السيكرى

قال تعالى « قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى » .

ذكر الامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى فى كتابه « تفسير القرآن العظيم الجزء الاول طبعه دار أحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ص ٢١ ما نصه

« بدأ باسم الله ووصفه بالرحمن لأنه أخص واعرف من الرحيم لان التسمية اولا انما تكون باشرف الاسماء فلهذا ابتدأ بالاخص فالاخص » .

ويحدث ابو الاشهب عن الحسن قال الرحمن اسم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى .

وأل فى لفظ الرحمن للعهد اى هناك رحمن واحد معهودوهو الله جل جلاله .

وأل تفيد الكمال بمعنى الكامل فى الرحمة

ويذكر أبو يحيى محمد بن صمادح التجيبى المتوفى سنة ٤١٩ هـ فى كتابه مختصر من تفسير الامام الطبرى الجزء الاول تحقيق الاستاذ محمد حسن أبو العزم « الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر » فى ص ٣٢ « الرحمن فعلان من الرحمن ومعناها الرقة » .

ويذكر الامام الكبير « ابن جرير الطبرى » قال أبو جعفر : اما الرحمن فهو فعلان من رحم فعيل منه والعرب كثيرا ما تبنى الاسماء من فعل يفعل فعلان كقولهم من غضب غضبان ومن سكر سكران ومن عطش عطشان فكذلك قولهم رحمن من رحم لانه فعل منه رحم يرحم .

ويذكر قدوة الموفقين القاضى ناصر الدين أبو سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى فى كتابه المسمى بأنوار التنزيل واسرار التأويل الجزء الاول ص ١٩ مطبعة دار الكتب العربية رحمن رحم كالغضبان من غضب والرحمة فى اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال .

وجاء فى الجزء السابع عشر من الجامع لاحكام القرآن

للامام ابى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى ص ١٥٢ طبعة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر .

« الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى « الر » و« حم » و « ن » فيكون مجموع هذه الرحمن » .

ويذكر فى ص ١٠٧ من نفس هذا المرجع « الرحمن العاطف على البر والفاجر من خلقه » .

والامام سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤ هـ فى تفسيره المسمى بالفتوحات الالهية الجزء الرابع ص ٢٥٣ المكتبة التجارية يقول : **قال الله تعالى « الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا صلى الله عليه وسلم القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه أعظم وحى الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه وأصفيائه وأكثره ذكرا واحسنه فى أبواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزل على أفضل البرية صلى الله عليه وسلم .**

والدكتور حسن عز الدين الجمل فى مؤلفه « الاسماء الحسنى مطبعة الشعب » ص ٨٥ ، ٨٦ يذكر ان الرحمن هو الاسم الدال على أن الرحمة قائمة به سبحانه وتعالى ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة والتى لا نظير له فيها ولذلك لا يثنى ولا يجمع .

والرحمن صيغة تعظيم من الرحمة كالرحيم لكن الرحمن من زيادة المعنى وأكبر تعظيما لان صيغة الرحمن تتناول جلائل النعم وعامها وأصولها .

واسم الرحمن قريب من اسم الله الجارى مجرى العلم وان كان اسم الرحمن مشتقا من الرحمة اى أن « الرحمن » اسم وصفة لا ينافى احدهما الاخر وجاء استعمال القرآن بالامرين جميعا ــ ثم أضاف الدكتور حسن عز الدين الجمل عبارة يقول فيها « ولم ار من أسماء الله الحسنى حل محل اسم الجلالة فى القرآن الكريم أكثر مد هذا الاسم » .

وفى هذا المقام يذكر الدكتور سيد مرسى ابراهيم البيومى فى ص ٥٨ من رسالته التى نال بها الدكتوراه فى تفسير ــ سورة الشعراء ــ « كثرت اقوال المفسرين فى الفرق بين الرحمن والرحيم فبينما يرى فريق ان الرحمن هو المنعم بجلائل النعم وان الرحيم هو المنعم بدقائقه ويرى فريق اخر ان الرحمن هو المنعم على جميع الخلق وان الرحيم هو المنعم على المؤمنين خاصة ويرى فريق ثالث أن الوصفين بمعنى واحد وان الثانى تأكيد للاول .

ورأى بعض المتأخرين ان الوصفين متغايران تمام التغاير فالرحمن صفة ذاتية هى مبدأ الرحمة والاحسان والرحيم صفة فعل تدل على وصول الرحمة والاحسان وتعديهما الى المنعم عليه ويدل على هذا أن الرحمن لم تذكر فى القرآن الا مجرى عليها الصفات كما هو شأن اسماء الذات .

« **قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن** » آية . سورة الاسراء

« **لمن يكفر بالرحمن** » آية ٣٣ سورة الزخرف .
« **انى أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن** » آية ٤٥ مريم
« **أن دعوا للرحمن ولدا** » آية ٩١ مريم

« **الرحمن علم القرآن** » سورة الرحمن
« **الرحمن على العرش استوى** » آية ٥ سورة طه .

أما الرحيم فقد كثر فى القرآن استعمالها وصفا فعليا وجاء بأسلوب التعدية والتعلق بالمنعم عليه « **ان الله بالناس لرؤوف رحيم** » الاية ٦٥ من سورة الحج « **وكان بالمؤمنين رحيما** » آية ٤٣ من سورة الاحزاب .

« **وهو الغفور الرحيم** » الاية ٨ من سورة الاحقاف

كما جاءت الرحمة كثيرا على هذا الاسلوب « **ورحمتى وسعت كل شىء** » آية ١٥٦ سورة الاعراف .

« **ينشر لكم ربكم من رحمته** » الاية ١٦ من سورة الكهف

ولم يرد فى القرآن تعبير ما برحمانية الله .

هذا قول لفضيلة المرحوم شيخ الازهر الاستاذ الاكبر محمود شلتوت ويفهم من ذلك أن تخصص أحد الوصفين بدقائق النعم أو ببعض المنعم عليهم لا دليل عليه .
كما انه ليس مستساغا ان يقال فى القرآن كلمة ذكرت بعد أخرى لمجرد تأكيد المعنى المستفاد منها .

والامام عبد الله بن احمد بن محمود النسفى فى تفسيره يذكر فى الجزء الاول ص ٥ دار احياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابى الحلبى « **فى الرحمن من المبالغة ما ليس فى الرحيم لان فى الرحيم زيادة واحدة وفى الرحمن زيادتين وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ولذا جاء فى الدعاء يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر وقالوا الرحمن خاص تسمية لانه لا يوصف به غيره .**

والاستاذ الدكتور أبراهيم بسيونى فى كتابه البسملة بين أهل العبارة وأهل الاشارة ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣١ يقول : البرهان الرشيدى يذكرنا بمبدأ هام أن صفات الله التى على صيغ المبالغة كلها مجاز فرحمن ورحيم « فعلان وفعيل » **لا تدلان فى الحقيقة على مبالغة وان كانا من حيث الصياغة كذلك ففى رأيه ان المبالغة تعطى الشىء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية فى الكمال ولا يمكن المبالغة فيها كذلك فان المبالغة تكون فى صفات قابلة للزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك** » الانفاق ج ٢ ص ٩٤ .

وفى تصورى ان كل اجتهاد فى التعرف على اسم من أسماء الله تعالى هو جهد بشرى وتذوق روحانى وجدانى وفيض ربانى وكل يمد على قدر استعداده صدق حجة الاسلام الغزالى القائل « علم الله تعالى لا يشبه علم خلقه البتة فلا يكون معرفة الخلق به معرفة تامة حقيقية بل الهامية تشبيهية » .

« وان يكون المفهوم من الرحمن نوعا من الرحمة هى أبعد من مقدورات العبادة وهى مما يتعلق بالسعادة الاخروية فالرحمن هو العطوف على العباد بالايجاد اولا وبالهداية الى الايمان واسباب السعادة ثانيا والاسعاد فى الاخرة ثالثا والانعام بالنظر الى وجهه الكريم رابعا » طالع فى ذلك المقصد الاسنى شرح أسماء الله الحسنى لحجة الاسلام الامام ابى حامد الغزالى ص ٣٥ مكتبة القاهرة .

وفى الجزء الثانى من الفواتح الالهية والمفاتيح الغيبية يذكر مولانا القطب الربانى الشيخ نعمة الله بن محمود النخجوانى قدس الله سره ص ٣٤٧ المطبعة العثمانية .

« الرحمن » أى الذات المحيطة بعموم الرحمة الواسعة

المتسعة بمقتضى بسعة رحمته ووفور لطفه ورافته ؟

تذوق الامام الفخر الرازى

والامام فخر الدين الرازى فى كتابه شرح أسماء الله الحسنى ص ١٥٥ – ١٥٦ مكتبة الكليات الازهرية يذكر أنه :

اختلف العلماء فى معنى الرحمن فقال بعض المحققين : الرحمةمن صفات الذات وهى ارادة ايصال الثواب والخير ودفع الشر وعلى هذا التقدير كان البارى فى الازل رحمانا رحيما لان ارادته أزلية ومعنى ذلك أنه تعالى أراد فى الازل أن ينعم على عبيده المؤمنين فيما لا يزال وقال آخرون الرحمة من صفات الفعل وهى ايصال الخير ودفع الشر ٠

واحتج الاولون : بانه يصلح أن يقال:رحمته وما انعمت عليه وأن يقال انعمت عليه وما رحمته وذلك يدل على أن الرحمةليست اسما لذات الفعل فهذا النفى والاثبات يدل على أن الرحمة نفس الارادة لا الفعل ٠

واحتجمن قال ان الرحمةاسم للخير بوجوه ٠

أنه تعالى سمى الخير رحمة فقال « **يدخل من يشاء فى رحمته** »وسمى المطر رحمة فقال « **وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته** وهذا يدل على أن الرحمة اسم للنعمة لا لارادة النعمة ٠

وأنه يجوز وصف الرحمة بما لا يجوز وصف الصفات الازليةبه فوجب أن لا تكون الرحمة عبارة عنالصفةالازلية فيقال هذه الرحمةعامة وهذه الرحمة خاصةولا يجوزأن يقال هذه الارادة عامة وهذه الارادة خاصة وقال تعالى : « **ان رحمة الله قريب من المحسنين** » ولا يجوز ان يقال ان ارادة الله قريبة من المحسنين ٠

وروى عن أبى هريرة أنه عليه الصلاة والسلام قال ؟ **ان لله مائة رحمة وانه انزل منها واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة**» ٠

ومعلوم ان هذه الاحكام لا تليق بصفة الله تعالى وبارادته وقال تعالى « **أهم يقسمون رحمة ربك** » وقسمة الارادة ممتنعة اما قسمة النعمة فممكنة ٠ ؤ

وقال: « **واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها** » وهذا لايليق بالارادة انما يليق بالنعمة ٠

عبيد احسان على أعتاب الرحمن

وقد أشار مولانا العلامة علاء الدين على بن محمد ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن المتوفى سنة ٧٢٥ هـ – فى تفسيره للفظ الرحمن فى تفسيره المسمى باخازن الجزء الاول ص ٢١ الطبعة الثانية مكتبة مصطفى البالى الحلبى بما يجعلنا فى مقام العبودية الحقة فقال « **الرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور تلك النعمة من العباد** » ٠

وبذلك نكون أمام الرحمن على هذا المعنى الشريف الذى أفاض الله به على مولانا صاحب تفسير الخازن عبيد احسان وفى هذا المعنى الرقيق يحدثنا الامام الصوفى مولانا القشيرى رضى الله عنه فيقول ص ٥٩ من المجلد الاول من لطائف الاشارات « دار الكتاب العربى للطباعة والنشر « **وبرحمته عرف العبد أنه الرحمن ولولا رحمته لما عرف أحد أنه الرحمن** » ٠

واذا كانت الرحمة ارادة النعمة أو نفس النعمة كما هى – عند قوم فالنعم فى انفسنا مختلفة ومراتبها متفاوتة ، ٠

فنعمة هى نعمة الاشباح والظواهر ونعمة هى نعمة الارواح والسرائر ٠

وفى معنى برحمته عرف العبد انه الرحمن ولا يحمد سواه ينشد مولانا العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ محمد يوسف السقا :

بدأت بسم الله منشىء خلقنا
تبارك رحمانا رحيما مهيمنا
واحمده اذ ليس يحمد غيره
وأشكره اذ بالعطايا أمدنا

الاسلام دين الرحمة ورسول الاسلام رسول الرحمة

يحدثنا الامام محمد المهدى بن أحمد بن على بن يوسف فى كتابه مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات الطبعة الثانية ص ٥ « شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى » فيقول رضى الله عنه :

الله جل جلاله كل أسمائه تعالى للتخلق الا اسم الله والرحمن نعت لاسم الله وعلى أنه علم أعنى الرحمن والرسول صلى الله عليه وسلم يخاطبنا بالتخلق بخلق الرحمن وأن نتصف بالرحمة وقد بلغنا عن الله وهو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ما قاله الله تعالى عن نفسه وما وصفه به حبيبه المصطفى عليه السلام ٠

وأخرج الترمذى وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

قال الله تعالى :

« **أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته** » ٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم والرحمة

يقول الله تعالى عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم : « **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » ٠

ويقول جل شانه : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين** » ٠

وللامام القشيرى فى كتابه لطائف الاشارات لطيفة صوفية فى هذا المقام يقول فيها : ان الله تبارك وتعالى جرده – أى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم – بحسن اوصاف البشرية وأفرده بما ألبسه من نعت الربوبية وأخبر أن ما يلوح اليه فمن أنوار التولى ٠

ولولا أنه استخلصه بما ألبسه والا متى كان بتلك الصفة ٠

قوله تعالى : « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » لو سقيتهم شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لهم حظ لتفرقوا عنك ٠

وفى تذوقى أن الرسول صلى الله عليه وسلم تجلى الله عليه بالرحمة أفاض برحمة الله من قلبه الى قلوب الصحابة وهذا فى قوله تعالى « **فبما رحمة من الله** » ٠

فالرحمة من الله صنعت رسول الرحمة جعلته كله رحمة هدية للانسانية جمعاء ولكل العوالم ٠

لذلك يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن وضعه فى العالم فيقول صلى الله عليه وسلم :

« انما انا رحمة مهداة » .

ويروى الامام مسلم فى صحيحه انه : قيل يا رسول الله : ادع على المشركين قال : « **انى لم ابعث لعانا وانما بعثت رحمة** » .

حقا ان الرسول صلى الله عليه وسلم اتصف بالرحمة الكاملة الشاملة وتخلق بأخلاق الرحمن . قال الله تعالى : **« انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »** .

وزيادة فى رحمة النبى صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم ويستغفر لهم والامام القشيرى يوضح لنا هذا المعنى الشريف فيقول « فاعف عنهم » **فاعف أنت عنهم فان حكمك حكمنا فانت لاتعفو الا وقد عفونا** .

ويقال « فاعف عنهم » وتجاوز عنهم فى حقوقك ولا تكتف بذلك ما لم يستغفر لهم اكمالا للكرم ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « **اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون** » .

وقوله « **واستغفر لهم وشاورهم فى الامر** » اى اثبت لهم محلا فان المعفو عنه صدرا الخجلة لا يرى لنفسه مقام الكرامة فاذا شاورتهم أزلت عنهم انكسارهم وطيبت لهم قلوبهم .

ثم قال « **فاذا عزمت فتوكل على الله** » اى لا تتكل على رأى مخلوق وكل الامور الى .

وحقيقة التوكل شهود التقدير واستراحة القلوب عن كل التدبير .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « **الراحمون يرحمهم الرحمن** » .

ويقول الله فى حديث قدسى :

« اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادى فانى جعلت فيهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فانى جعلت فيهم سخطى .

اما من لم ينبض قلبه بالرحمة ولم يتخذها شعارا له وأميرا فوق امره ونذرا بينه وبين نفسه ومشاعره وحسه فانه والعياذ بالله مطرود من رحمة الله . يقول صلوات الله وسلامه عليه « **لاتنزع الرحمة الا من شقى** » .

والامام الربانى القطب الغوث مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه لواقح الانوار القدسية فى بيان العهود المحمدية الطبعة الاولى ص ٣٩١ « مطبعة مصطفى البابى الحلبى » .

يقول رضى الله عنه « أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تشفق على جميع خلق الله تعالى من مؤمن وكافر وطريقه الشرعى كل بما يناسبه من الرحمة ونضرب من شرد عن طريق الاستقامة من رعية وعبد وولد وبهيمة رحمة به على وجه التاديب . لا التشفى للنفس ونكون ارحم به من نفسه وراثة محمدية » .

وفى عبارة « ونكون ارحم به من نفسه » تحقيقا لوراثة الرحمة المحمدية ولذلك أبا قائلا وراثة محمدية فى رياض أنوار الرحمن فنعم الرب ونعم الاله ويبعد عن القنوط عمن اسرفوا على انفسهم استجابة لنداء الرحمن وهو يخاطب المسرفين فى المعاصى بقوله « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** » وناداهم بيا عبادى اثبت لهم عبوديتهم لله ترغيبا فى التوبة مما اوقعهم فيه الشيطان وانابة الى الرحمن .

وحجة الاسلام الغزالى فى هذا المقام يقول : حظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله تعالى الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة الى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف وأن ينظر الى العصاة بعين الرحمة لا بعين الايذاء وأن يكون كل معصية تجرى فى العالم كمعصية له فى نفسه فلا يالوا جهدا فى ازالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصى أن يتعرض لسخط الله تعالى طالع فى ذلك ص ٣٥ كتاب المقصد الاسنى لحجة الاسلام الغزالى مكتبة القاهرة .

عباد الرحمن

ومولانا العارف بالله تعالى فضيلة الاستاذ أحمد سعد العقاد فى هذا المقام يقول : « فعبد الرحمن هين لين لا يؤذى مخلوقا ولا يتعالى على مخلوق يرحم الجميع ويدعو لهم بالتوفيق والهداية .

تجلى له الرحمن فى كل أطوار الوجود فانس به وصار مستغرقا فى الشهود يشهد سر الرحمن عند أكله وشربه ونومه وسكناته ولولا رحمة الله لما سعد الانسان بالرحمن – طالع فى ذلك الانوار القدسية لفضيلة الشيخ أحمد سعد العقاد – مكتبة دار الشعب – ص ٨٤ ، ص ٨٥ .

وبذلك يعيش عباد الرحمن وحالهم يقول ما قاله الله فيهم :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

وعباد الرحمن حينما يسعون فى ازالة المعاصى يريدون وجه الرحمن فبرحمة من الرحمن يسعون الى ذلك بنية ارضاء الرحمن ويذكر مولانا أبو طالب الحارثى المكى فى كتابه قوت القلوب فى معاملة المحبوب الجزء الثانى ص ٢١ م مطبعة مصطفى البابى الحلبى « ان ترك المعصية من افضل الاعمال فيحتاج الى أحسن النيات » .

وعباد الرحمن للرحمن يعملون وعليه يتوكلون . فبالرحمن وللرحمن يكونون .

تجليات الرحمن فى التشريع الاسلامى

قال الامام الفخر الرازى ما نصه : النسخ عندنا جائز عقلا وواقع سمعا وقال : واتفقوا على وقوع النسخ فى القرآن » طالع فى ذلك فتح المنار فى نسخ القرآن مكتبة الخانجى بمصر ص ٨١ » لفضيلة الاستاذ الشيخ على حسن العريض والمراد بالنسخ فى اصطلاح الاصوليين رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى متاخر عن دليل ذلك الحكم قال تعالى **« ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او مثلها »** وحكمة ذلك رحمة الرحمن بعباده وفى هذا يقول العلامة الامام الجليل الحافظ عماد أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى فى تفسير الجزء الاول ص ١٥٠ دار احياء الكتب العربية « **نات بخير منها** » اى فى الحكم الى مصلحة المكلفين كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس «**نات بخير منها** يقول خير لكم وأرفق بكم .

وقال قتادة «**نات بخير منها او مثلها** »يقول آية فيها تخفيف .

وعلى ذلك يكون التخفيف رحمة من الرحمن .

وبالله التوفيق

للحديث بقية ان شاء الله تعالى

بين الحقيقة والشريعة

الدكتور علي صافي حسين

هذا مقام كثر فيه الكلام ، ومجال طال فيه الجدال : وقضية احتدم فيها النقاش واشتد الخلاف بين علماء الاسلام فى القديم ورجال البحث والتحقيق من المحدثين اذ ذهب جمع من الاولين وفريق من الاخرين الى القول بأن المنهج الباطنى أو ما اصطلح عليه الصوفية باسم الحقيقة لم يقره القرآن ولم يرد فيه شىء عن النبى عليه الصلاة والسلام وعلى هذا الرأى يكون مدلول الحقيقة ولفظها من قبيل الابتداع الضال المضل الذى يدخل فى مجال المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار » .

هذا - على حين ذهبت طائفة أخرى من السابقين وفريق آخر من اللاحقين من أئمة المسلمين وأساتذة الباحثين فى المشرق والمغرب من العرب والعجم الى أن التصوف او الحقيقة أمر أقره القرآن ودلت عليه سنة النبى عليه الصلاة والسلام ونحن فى هذا المقال لا نبتغى اعادة الكلام ولا اثارة الجدال وانما نريد فقط أن نبصر جمهرة قراء مجلة منبر الاسلام بمدى التصاق التصوف بالدين من جهة وانتظام الاسلام اياه فى جوهره من جهة أخرى فنقول وبالله التوفيق : لما كان التصوف فى حقيقته وواقع أمره يتشعب الى وجهتين اثنتين :

● الاولى روحية باطنية والثانية سلوكية عملية فقد أردنا أن نقصر هذا المقال على بيان مدى انطباق تعاليم الاسلام على قواعد المجاهدة والمكابدة أو بعبارة أخرى أقول قوانين السلوك الظاهرى أو الجانب العملى لمنهج اهل الباطن أو أرباب الحقيقة اذ نعتقد أن كل ذى قلب مشرق وبصيرة نيرة وعقل سليم يوافقنا - اذا هو تأمل السيرة المحمدية وتدبر الايات القرآنية - فيما نذهب اليه من الحكم على مظاهر السلوك الصوفى مما يدخل فيما اصطلح عليه أهله باسم المجاهدة والمكابدة بانه يتسم بابهى سمات الدين السلوكية وأجلى معالمه العملية - ولا عجب - فان الذى ينعم النظر فى سلوك الصوفية وما يأتونه من ضروب المجاهدة والمكابدة يجده فى جملته وتفصيله لا يخرج عن التنسك والتبتل والاكثار من الصيام بالنهار والصلاة بالليل والناس نيام أو اصطناع الاربعينيات ولزوم الخلوات فى الكهوف والفلوات أما الصلاة والصيام فذلك أمر دعى اليه القرآن على سبيل الفرض والنفل .

فمما جاء فى القرآن من أمر الناس بأداء الصلاة المكتوبة على سبيل المثال قوله تعالى « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » وقوله فى اكثر من موضع فى القرآن (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقوله عز وجل فى سورة الاسراء يخاطب النبى عليه الصلاة والسلام « اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا » أما ما جاء من الايات القرآنية فى الحض على صلاة النفل فهو كثير نورد منه هنا قوله تعالى فى أخريات سورة المزمل :

« ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار » .

فهذه الاية كما ترى فوق أنها تحض على التنفل تدل دلالة واضحة على ان أهل التصوف او أصحاب التبتل والتنسك فريق قليل مما يفيد أنهم من خيرة الخلق وصفوة العباد أما ما عرف به الصوفية من لزوم الخلوات فى الكهوف والانقطاع الى الله فى الفلوات فانه أمر مشروع اذ ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتحنث فى غار حراء قبل الاسلام أعنى أنه كان يعتزل الناس وينقطع الى الله من أجل التنسك والتبتل ، وبعد الاسلام روى بالسند الصحيح عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه كان يعتكف فى مسجده بالمدينة فى العشر الاخيرة من رمضان وفى السنة الاخيرة من عمره اعتكف شهر رمضان كله .

هذا على أن المبالغة فى العبادة والتبتل فى التنسك قد ورد الامر به صريحا فى القرآن اذ قال تعالى فى أوائل سورة المزمل يخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام « واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » .

فهذا كما ترى أمر بالذكر والتبتل واضح صريح لا لبس فيه ولا خفاء .

وجملة القول - فى هذا المقام أن يقال ان تنسك الصوفية وتبتلهم وانقطاعهم الى الله ولزومهم الخلوات من أجل التفرغ للعبادة والذكر كل أولئك امور أقرها القرآن وارتضاها النبى عليه الصلاة والسلام - وعليه فرأينا أن الجانب العملى من الحقيقة أو التصوف يتفق مع ظاهر الشريعة وفى المقال التالى نوضح ان شاء الله تعالى مكانة اتجاه الحقيقة الباطنى من الشريعة ومدى اقرار القرآن اياه .

العلم والإيمان

هذا هو الإسلام
قوام البشرية

جماع الخير فى الإسلام ولمن يكون

فضيلة الشيخ محمود ابراهيم طيرة

يرشدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم الى أربع من خلال الخير هن جماعه ، وقد أسلفنا القول على اثنتين منهن فى المقال السابق . حفظ أمانة وصدق حديث ، وهانذا أفرد الكلام فى هذا المقال على الاثنتين الاخريين ، حسن خليقة . وعفة فى طعمة . ولعله من فضول القول أن نذكر أن مكارم الاخلاق هى قوام الامة ، ومصدر حيويتها ، وآية رقيها ونهضتها .

وانما الامم الاخـــلاق ما بقيت
فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

فضلا عن أن الاخلاق ركن من أركان المروءة كما يقول الامام الشافعى رضى الله عنه : للمروءة اربعة أركان ، حسن الاخلاق ، والتواضع والسخاء ، والنسك » . أقول ان الافاضة فى هذا من فضول القول : لانه سبق لنا تناوله فى مقالات سابقة ، بالاضافة الى أنه ، أمر متفق عليه من علماء الاخلاق والاجتماع . وانما الذى أريد أن أركز عليه فى هذا المقال هو بيان محك الخلق الذى يستبين به نوعه ، ومدى تفاوت الناس فى الاخلاق . وما من ريب فى أن كف الاذى عن الناس ومعاملتهم بالحسنى خلق جميل ، ولكن بالقطع ليس بالخلق العظيم ، فشتان بينهما » ولهذا لم يشهد الله تبارك وتعالى لنبيه عليه السلام بأنه على خلق جميل ، بل شهد له بأنه على خلق عظيم . ان المحك الحقيقى للخلق العظيم ، هو مبلغ صبر المرء ، وقوة احتماله لما عسى أن يصيبه من ايذاء الاخرين ، والحكمة تقول المال عصب الحياة ، والخلق عصب العمل والعلم عصب الخلق والصبر عصب الحلم فعلى قدر ما يكون صبر المرء طويلا ، وحلمه كبيرا ، وصـــدره واســعا ، وهو مالك نفسه وقابض على زمامها ، تـكون قـــوة خلقـــه وعظمتـــه ، وشجاعته وبسالته ، فانه ليست الشجـاعة الحقة فى استعراض العضلات ، وتسديد اللكمات ، وشدة البأس ، فتلك أمور يشارك الانسان فيهـا الحيوان الضارى والوحش الكاسر ، وربما دفعت به الى ارتكاب حماقات الطيش ورعونته ، تعود عليه بأوخم العواقب .وذلك فى حقيقته هو الضعف بعينه ،

وما اصدق الحكمة التى تقول : قسوتك على الاخرين انما تنبع من ضعفك !ومن اجل هذا يقول سيدنا الرسول عليه الصلوات ليس الشديد بالصرعة – أى ليس الشجاع القوى بالذى يبطش بالناس ويصرعهم ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وعلى هذا يكون الانسان الصفوح العفو الكريم هو صاحب الخلق العظيم ، ولعله بهذا قد تجلت الحكمة فى أن يامر الله رسوله بالصفح والعفو والاعراض عن الجاهلين ، وخفض جناحه للمؤمنين ، كما تنطق بذلك آيات القرآن الكريم . ومواقف الرسول الكريم فى هذا الباب كثيرة ، وكثيرة جدا ، ألمعنا الى طرف منها فى المقالات السابقة وليس هذا بالنسبة للرسول عجيبا ولا غريبا ، فانه عليه السلام ما بعث الا ليتمم مكارم الاخلاق ، ومن ثم كان عليه الصلوات مدرسة عظيمة للكمالات والفضائل ، كل الكمالات والفضائل ، وانما الغريب الذى يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، ويدعو الى الاعجاب الشديد ، ماكان عليه سلفنا الصالح من عظمة خلقيــــــه تتجلى فـى ضـــبط النفس واحتمال المكاره . يحدثنا أرباب السير ، أن الاحنف بن قيس رضى الله عنه ، كان يسير فى طريقه يوما ، فتبعه رجل سوقى يسبه ويشتمه فى بذاءة وفحش وقحة . والاحنف ماض فى طريقه لا يرد عليه ، ولا يلتفت اليه ، الى أن صار قريبا من مضارب قومه ، فوقف ثم التفت الى السباب قائلا له – لقد صرنا الان قريبا من مضارب قومى ، واخشى ان يراك احد منهم فيؤذيك ، وهانذا أقف لتفرغ ما بقى فى جعبتك من سباب وشتائم . وهنا شعر السوقى بالخجل الشديد يتفصد منه عرقا متصببا : ثم ما لبث ضميره أن صفعه ثم دفعه نحو الاحنف ، فانكب على يديه يشبعهما لثما وتقبيلا ، وهو يبكى ويأسف ويطلب الصفح ، وأخيرا يعاهد الرجل عهدا لا يحنث عنه ، بانه لن يعود الى مثل ذلك مع أحد من الناس أبدا » وكأنما كان الاحنف فى موقفه هذا يتمثل بقول القائل :

يخاطبنى السـفيه بـكل قبح
فأكره ان اكون له مجيبـــا
يزيد سـفاهة وازيد حلما
كعود زاده الاحراق طيبـــا

او يقول الاخر :

اذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من اجابته السكوت
سكت عن السفينة فظن انى
عييت عن الجواب وما عييت
ولكنى اكتسيت بثوب حلم
وجنبت السفاهة ما بقيت

ولكانى بالاحنف نفسه وهو يقول : رب غيظ تجرعته ، مخافة ما هو اشد منه ثم انشد :

رضيت ببعض الذل خوف جميعه
كذلك بعض الشر اهون من بعض

واذا كان احتمال المسيء والصبر على أذاه من علامات الخلق العظيم ، فثمه فى مجال الاخلاق ما هو قمة العظمة الخلقية وسنامها الا وهو مقابلة الاساءة بالاحسان ، والعدوان بالعطف والتحنان ، ولقد كان رسولنا الذى ادبه ربه فأحسن تأديبه ، وجملة وكملا بمكارم الاخلاق ، مثالا يحتذى فى هذا المقام فقد دخل عليه اعرابى جلف يقول له : أعطنى يامحمد من مال الله ، فان المال ليس مال أبيك ولا مال أمك أفبماذا رد عليه الرسول ؟ قال عليه السلام نعم « المال مال الله ، والارض أرض الله ، والناس عباد الله » رد عليه الرسول بهذا فى حلم وطول أناة ، دون ان يغضب أو يثور ، ومع هذه الاهانات التى وجهها الاعرابى لسيدى الرسول ، امر له بقدر من الطعام – ولعله بر وتمر – ناخذه الرجل وهم بالانصراف ، ولكن الرسول استوقفه ليحاسبه على ما فرط منه ، فقال له الاعرابى – كيف تحاسبنى على ما أسأت وانت الذى قال الله فيك «وانك لعلى خلق عظيم » فابتسم الرسول وعفا عنه ! ومما يحكى فى هذا المقام ، أن أناسا زاروا احد الامراء ، فجاء غلامه يحمل اليهم اكواب الشراب : وعثرت رجله بالبساط فوقعت الاكواب وابتل البساط فاستشاط الامير غضبا ، لكن الغلام بادره بقوله : أيها الامير – تذكر قول الله سبحانه «والكاظمين الغيظ » فقال الامير كظمت غيظى ، فقال الغلام وقوله تعالى « والعافين عن الناس » : فقال الامير : عفوت عنك فقال الغلام ، وقوله جل شانه « والله يحب المحسنين » فقال الامير : اذهب فانت حر لوجه الله ! والى هذا الخلق الذى هو فى قمة العظمة الخلقية يشير رب العالمين بقوله «ولا تستوى الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » . اى صديق صادق فى مودته . على أن قمة العظمة الخلقية هذه لا يستطيع ان يرقى اليها الانسان العادى ، وانما يرقى اليها أولئك المحظوظون من الرجال ، الذين أوتوا صدق عزيمة ، وقوة ارادة ، وصبرا جميلا ، واحتمالا خارقا للمكاره ، والى هذا يشير المولى جل وعلا بقوله فى الاية التالية« وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

الا وان من العيوب الخلقية الشائعة فى المجتمع ، ظن السوء بالناس لشبهة عابرة ، او قرينة عارضة ، دون ان يكون هناك دليل ثابت يقطع الشك باليقين ، فان القاتل يضبط وسكينه تقطر دما وعليه شهود عدة ، ومع هذا قد يحكم القاضى ببراءته لاختلاف بسيط فى بعض عناصر الشهادة حيث لم يسعفه اليقين بثبوت التهمة ، فكيف يصح فى الاذهان أن يؤخذ بالظنة لمجرد شبهة أو قرينة وثمة عيب آخر كبير ينتشر بيننا بشكل أليم ، وهو التصدى لعيوب الناس باحصائها ، ثم نشرها فى المجالس العامة والخاصة يطيب هذا الفريق من الناس ، يرون القشة فى عيون غيرهم ، ولا يرون الذرارة فى أعينهم ، ولا يتورعون عن أن يتجسسوا على أحوال غيرهم ويتحسسوا عيوبهم ويتلمسوا أخطاءهم ويتتبعوا عوراتهم وهذا وايم الحق ضعف فى الخلق ، ونقص فى العقل ، ولست أدرى ماذا يفيدون من هذا العناء الذى لا طائل تحته ، غير الكيد للناس والتشهير بهم والتشنيع عليهم لماذا كل هذا ؟

ومنذ الذى فى الناس يسلم من العيوب والاخطاء ؟ والكمال المطلق ليس الا لله وحده . أما كان الاجدر بهم والانفع لهم أن يتحسسوا عيوب أنفسهم فيعالجوها ، ونقصها فيكملوها . وضعفها فيقووها ؟ ورحم الله امرأ شغلته عيوبه عن عيوب الناس على أنه يجب أن يكون مفهوما اننى لست اقصد بهذا ابدا ان انعى على من ينهى عن المنكر اذا رآه ، فان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من أولى واجبات المسلم ، يقول ربنا جل علاه « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فنحن بمفهوم الاية : اذا كنا لا نامر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر ، نكون شر أمة أخرجت للناس . فمن يشاهد امرا مخالفا للدين ، فعليه ان ينهى فاعله ، بل عليه أن يزيل المنكر بيده ان استطاع ، والا فبلسانه ، والا فبقلبه كما أمرنا بهذا السيد الرسول عليه السلام ، أما ان يتجسس المرء على غيره ويتحسس ، ويتلمس اخطاءه ويتتبع عوراته فهذا ما لايقره الشرع ولا يرضى به الرب ، ومايأباه الذوق السليم ،وهذاهو الذى انعاه على المتجسسين على الناس ، المتتبعين لعوراتهم يقول ربنا جلا علاه « يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا » . وتقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : لولا ان الله يقول « ان بعض الظن اثم » لكنت أقول – أن كل الظن اثم ! ويصف الرسول عليه السلام هؤلاء المتتبعين لعورات الناس ، بانهم مؤمنون بالسنتهم ، دون ان يطرق الايمان قلوبهم ، كما يتوعدهم بالفضيحة فى عقر دورهم ، فيقول فى حديثه الصحيح يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه – لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته » !!

ويقول الشاعر الحكيم :

ابدا بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فانت حكيم

وما أجمل مايقول الاخر :

اذا شئت ان تحيا سليما من الاذى
وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لاتذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس السن

وعينك ان أبدت اليك مساوئا
فصنها وقل ياعين للناس اعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
والا ففارق بالتى هى احسن

ايها القراء الكرام – هذا الذى تعرضنا له من العيوب الخلقية الشائعة فى المجتمع ، هو نماذج وأمثلة فحسب ، وليس للحصر ، فانه ما أكثر هذه العيوب التى تفت فى عضد المجتمع وتنخر فى عظامه ، وما أشد حاجتها الماسة الى علاج المصلحين !

هذا والصفة الرابعة من خلال الخير التى يرشدنا اليها الرسول عليه السلام هى « عفة فى طعمة » والمعنى أن يتوخى المرء الحلال فى طعامه ، ويحتاط فى هذا أشد الاحتياط ، فلا يتناول طعاما دخله الحرام أو حتى المشتبه فيه ، فانه – وان لم يكن حراما فى ذاته – طريق للحرام ، من سار فيه سرعان ما يصل الى الحرام ! وتبين الحلال وتوخيه والحرام وتوقيه ، لا يحتاج الى كبير عناء ، فان الحلال والحرام كلاهما بين واضح ، الا ترى الى الهرة حين تختطف قطعة اللحم ، وهى ترتجف وتتلفت يمنة ويسرة ، ثم تفر بهاهاربة

خشية ان يراها احد من أهل البيت ، حيث تشعر انها ترتكب مخالفة ؟ فكيف بالانسان ذى العقل والفكر والادراك ؟ أما المشتبه فيه فهو الذى يحتاج الى تحقيق وتدقيق ، وتفحص وتحذر ، خشية الوقوع فيه ، ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « **الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام** ، الى آخر الحديث • وليس كل المطلوب من المرء أن يتعفف عن الحرام فى مطعمه فقط ، بل يجب عليه كذلك ان يتجنب الحرام فى مشربه ، وملبسه ومسكنه ، وانما خص سيدى الرسول الطعام بالذكر ، لان اكثر ما ينفقه المرء انما يكون فى الطعام ، حيث هو غذاء الجسم وقوام حياته ، فحاجته الى المال فى توفير الطعام له ولذويه ماسة شديدة ، وربما دفعت به الى مد يده للمال الحرام ، وعليه تكون فرصة دخول الحرام فى المآكل أكثر بكثير من دخولها فى المشرب والملبس والمسكن ومن أجل هذا حث الرسول على العفة فى الطعام • وفى تصورى ان ما نحس به الان : من انتزاع البركة من الارزاق والاموال والاولاد ، بل ومن الاعمار أيضا ، راجع فى معظم أسبابه الى قلة التعفف ، وانكباب الناس على المادة من غير تحذر ، وتهافتهم على الحصول على المال بشتى الطرق ، دون ما تفكير فى حلال ولا حرام ، الا من عصم الله ممن يخشونه ويخافون عذابه ! وما أكثر ما يشكو بعض الناس بعد هذا من أنهم يدعون الله ، فلا يستجيب لهم دعاء ، وينادونه فلا يستمع لهم نداء ، ويرجونه فلا يحقق لهم رجاء ! وهم يقولون — ألسنا مسلمين ؟ ألسنا مؤمنين ؟ ألسنا بالاجابة موعودين « أليس يقول ربنا فى القرآن الكريم « **ادعونى استجب لكم** »ويقول مخاطبا رسوله عليه السلام « **واذا سألك عبادى عنى ، فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان** » ولو أنهم قرأوا بقية الاية لعرفوا السبب « **فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون** » ! فالله سبحانه وعدنا — ومن اوفى بوعده من الله ؟ بأن يستجيب دعاءنا ، طالما نحن نستجيب لاوامره ، وننتهى عن نواهيه ، فهل نحن كذلك ، ألسنتنا تقول نعم ، أما واقعنا فيقول لا بدليل عدم استجابة الله لنا ! وما أصدق ما يقول صاحب الرسالة عليه الصلوات « **ان الله طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال :**

« **يايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون** » وقال « **يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** » ثم ذكر الرجل : **يطيل السفر** أشعث اغبر ، يمد يديه الى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام • وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له •• ؟ ! ولقد سئل ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه : ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا « وقد قال الله تعالى « **ادعونى أستجب لكم** » **قال ابراهيم** : لان قلوبكم ميتة ! قالوا وما الذى أماتها ؟ قال : ثمان خصال : عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه ! وقرأتم القرآن وتعديتم حدوده ! وقلتم نحب رسول الله ولم تعملوا بسنته ! وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له ! وقلتم نخاف النار وارهقتم أبدانكم فيها ! وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها ! واذا قمتم من فراشكم رميتم عيوبكم من وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس ! فأسخطكم ربكم فكيف يستجيب لكم ؟ ! ولقد كان لسلفنا الصالح قوة فى دين ، وايمان فى يقين ، وطلب فى حلال ، ونشاط فى هدى ، ولم يكونوا للحرام تاركين فحسب ، بل كانوا ينهون عنه ، وينأون عنه ، تجنبا لخطر الاحتكاك به ، خشية الوقوع فيه . ومن ثم كانوا يتركون ابوابا كثيرة من الحلال مخافة الوقوع فى الحرام ، لانهم كانوا من خشية ربهم مشفقين ، وهم على تمام اليقين ، بأن الله مطلع عليهم ، فهم يراقبونه ويخشون بأسه وغضبه وانتقامه ! ولقد صح فى الخبر أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله عنه . اشتد به الجوع يوما ، فطلب من غلامه الطعام ، فقدم الغلام له قطعة لحم مشوية فأكلها ، وما لبث أن سأل الغلام — من اين أتى بقطعة اللحم ؟ فقال الغلام أهداها الى قوم من المشركين يعملون فرحا فاضطرب الصديق . وسرعان ما وضع يده فى فيه يعالج قطعة اللحم ، حتى أخرجها من جوفه مصبوغة بالدم ! فقال الحاضرون يرحمك الله ، أكل هذا من أجل قطعة لحم « فقال الصديق وقد هدأت نفسه واستراح ضميره — سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « **كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به** » ؟ : وانه لتحضرنى فى هذا المقام قصة بائعة اللبن وابنتها ، فى عهد أمير المؤمنين سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقد كانت المرأة وابنتها تعيشان من بيع اللبن للناس ، فوسوس للمرأة شيطانها ، أن تمزج اللبن بالماء ليكثر ، فيتضاعف كسبها وتثرى ، وراقت لها الفكرة فتهيأت لتنفيذها ، حيث أحضرت اناء فيه لبن وآخر فيه ماء وقالت لابنتها : أمزقى ، أى امزجى اللبن بالماء • فقالت البنت : يا أماه — ان أمير المؤمنين نهى عن المزق ، وتجيبها الام قائلة ، وأين أمير المؤمنين منا انه لايرانا ؟ فترد عليها البنت قائلة : اذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فان رب امير المؤمنين يرانا !! فمست كلمة البنت شغاف قلب الام ، واهتز كيانها . وشعرت بقوة غالبة تنتشلها من مهاوى الغواية ، الى مراقى الهداية ، واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم ! حدث هذا ليلا وامير المؤمنين عمر يطوف فى شوارع المدينة ، يتفقد أحوال الرعية فسمع هذا الحوار يدور بين الام وابنتها ، فغلب عليه السرور البالغ ، مشفوعا بالاعجاب الشديد بهذه الفتاة الورعة الزاهدة التقية ، وأشار على ابنه عاصم أن يتزوجها ، ان يتزوج بنت بائعة اللبن ؛ قائلا له : لا أراها الا مباركة ، وقد تزوجها عاصم فعلا ، وأنجب منها فتاته « ليلى » فلما كبرت تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فأنجبا سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وهو من هو : عدلا وفضلا ، وخشية وتقى ، وزهدا ، وورعا ، وصلاحا واصلاحا ، ولا غرو فهو كريم الاصل ، طيب المنبت والورد لا يثمر الا وردا ، والشىء من معدنه لا يستغرب !

على هذا المنهج الواضح من الزهد والورع استقامت حياة السلف الصالح حاكم ومحكوم رئيس ومرءوس غنى وفقير كبير وصغير رفيع ووضيع كان الله معهم بالعون والتوفيق والنصر والتأييد «**ان الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون** » أما بعد فان من حاز خلال الخير التى اسلفناها . نعم بسعادة الدنيا ، وفاز بثواب الاخرة • حقا ان للمال يجرى بين يدى صاحبه لذة — ما فى ذلك شك — ولكنها لذة الجسم ، أما العمل الصالح ، والخلق الفاضل ، فان لهما اللذة الكبرى ،. وهى لذة النفس ، وشتان مابين اللذتين ! ولعمر الحق — انه لفرق شاسع ، بين سعادة الاشباح وسعادة الارواح : سعادة الاشباح سعادة وهمية وقتية ، واما سعادة الارواح فسعادة حقة أبدية ! ان السعادة الحقة ، لا تتمثل أبدا فى المال الموفور ، ولا الضياع ولا القصور ، ولا فى المنصب الكبير أو الجاه العريض فكل هذه أعراض زائلة على انه قد يبتلى الله صاحب المال أو المنصب أو الجاه بولد عاق ، أو امرأة متلافه مستهترة أو داء وبيل أو ما شاكل ذلك من المنغصات التى لا تتم فيها سعادة وانما تتمثل السعادة دائما فى هدوء البال ، واطمئنان النفس ، وارتياح الضمير • وما اصدق ما يقول الرسول الاعظم « **من اصبح آمنا فى سربه** « **عشه وبيته** » **معافى فى بدنه ، عنده قوت يومه**

(البقية ص ١١٥)

عدالة السماء

الاستاذ احمد زين

تأتينى خطابات كثيرة تسأل عن عدل الله .. خطابات تقص على قصصا من الحياة .. ثم تسأل أو تتساءل هل ما حدث هو عدل هو خير حقيقة .. أم شر .. ولماذا حدث .. وما الذى اخطأت فيه الى اخر هذا الكلام .

ولقد رددت على بعض الخطابات فى حينها .. ولكن تبدو أن هذه الردود لم تضع المشكلة بشكل واضح فى أذهان عدد من الناس .. وحيث أن المجال لا يتسع هنا لهذه الخطابات كلها فانى الخص اثنين او ثلاثة منها ..

الخطاب الاول من سيدة تزوجت شابا .. وعلمته من مالها وادخلته الجامعة .. ثم بعد أن توظف واصبح ذا مال طلقها .. وهى تسأل هل هذا عدل .. وهل يقابل المعروف بالاساءة .. وهل لا تتدخل السماء لتقصف رقبة هذا الجاحد .. وهل تثيبها السماء على أنها انقذت مستقبل شاب كهذا .. الى آخر الكلام .

والرسالة الثانية من ابن تزوج ابوه غير امه .. وهو يلاقى الامرين من زوجة الاب .. فلا يستطيع ان يأكل ولا أن يشرب ولا أن يلعب كزملائه .. وفوق ذلك كله يمشى كل يوم ما يقرب من عشرة كيلومترات حتى يصل الى مدرسته .. لا أحد يهتم به عاش او مات .. أكل او جاع .. مرض او كان صحيحا .. وهو يسألنى ماذا يفعل ليحيا هذه الحياة .. وهل هو الذى سبب الخلاف بين أبيه وامه .. وكيف يعانى مما لا ذنب له فيه .. هل هذا عدل ..

وخطاب آخر من رجل مريض يقول فيه « كتبت عن الايمان .. وعن القدر خيره وشره .. ولكن يؤسفنى أن أقول لك انه لم يعد فى الدنيا اسلام ولا رحمة ولا دين ولا أخلاق .. وهل يعقل وأنا مريض بشلل نصفى وبالسكر .. أيرضيك اننى اقفلت بابى على فى رمضان وفى العيد .. وان أولادى يذهبون الى المدارس بملابس قديمة .. وقد بعت كل شىء حتى الراديو والتليفزيون الذى أملكه .. هل الله موجود .. كم ناديت فى الظلمات وصحت يا رب لا اله الا أنت سبحانك اننى كنت من الظالمين .. ولكن شيئا لم يحدث ليفرج كربى ويرفع ما أنا فيه من بؤس وشقاء ..

هذه عينة بسيطة من مئات الخطابات التى تصلنى كل يوم كلها تسأل عن عدل الله .. وهل هو ينسانا فى هذه الدنيا ام ماذا يحدث ؟

والخطابات اذا ما استعرضتها تنقسم الى نوعين .. انسان فعل خيرا ثم وجد شرا .. وانسان قست عليه الاقدار فاتجه الى السماء وقال يا رب .. فلم تفتح أبواب السماء .. وبقى هو وحيدا يائسا فى ظلمات الحياة وسأحاول ان أجيب على الاثنين .

ان الاول الذى فعل خيرا فلم يجده .. مثل هذه السيدة والتلميذ الذى تزوجته .. فاننى أقول لها ولكل مأساة مشابهة فى خير او تضحية لانسان .. ان الخير نوعان .. خير يقصد به وجه الله .. وخير يقصد به البشر أنفسهم .. ان يكون لنا عندهم صنيعة .. او أن يشتهر عنا حب الخير .. الخير الاول لا ينتظر الانسان منه جزاء من مخلوق « انما نطعمكم لوجه الله .. لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » اى أننى افعل الخير لا لارضى البشر .. ومن هنا فانا لا لاريد من هؤلاء البشر شيئا .. أن ما افعله هو ارضاء لله وحده .. ومن هنا فانا الجزاء عليه يكون خيرا فى الدنيا والاخرة .. ولا يمكن أن يأتى هذا الخير الا بخير بنفس مطمئنة لله .. باحساس بالرضا بأن الله معك فى كل دقيقة وثانية .. بيقين بأن الله لن يتركك ابدا فى الظلام .

ولكن بعض الناس يحاول أن يجعل لله شركاء فيما يفعل .. ومن هنا فانه وهو يفعل الخير ينظر الى

الناس ينظر الى ان يقال عنه انه كريم أو وفى أو محسن أو رجل خير .

الانسان يفكر فى نفسه

والانسان عادة حين يحاول أن يسدى معروفا لاحد .. فانه لا يفكر فى هذا الشخص وانما يفكر فى نفسه هو .. فيما يستفيد من هذا الذى سيدفعه .. بأن يجعل الشخص الاخر مخلصا فى خدمته .. بأن يتفاخر بأنه قدم مالا لعزيز قوم ذل .. ومازلت أذكر صديقا كان يحكى قصة وسط مجموعة من الناس ويقول . وحطيت له ثلاثين جنيها فى ظرف وتركتهم بجانبه دون أن يعرف .. هكذا يجب أن تكون الحسنة .. وهذا خطأ .. فالحسنة والمعروف يجب الا يكون هكذا .. بل الا تعرف شمالك ما تعطى يمينك .. وأن تبتغى بها وجه الله وحده .. ومن هنا فانه لا يجب أن يعرفها الا الله .. ولا يعلم بها الا الله .. ولا نطلب جزاء عليها الا من الله .. فاذا جعلنا لله شركاء فيما نفعل فلا نقول : فعلنا الخير لله .. فلم يعطنا خيرا .. ولكن نقول فعلنا الخير ابتغاء مرضاة انسان او الناس .. فلم يعطونا شيئا .. والانسان هنا هو غير القادر .. فكيف يعطى غير القادر .. وكيف نطلب منه أن يكافئنا وعندنا القادر الذى لا تحد قدرته حدود .. لماذا لا نتجه اليه ونجرب .. لماذا لا نقصد وجهه وحده أولا قبل أن نحكم أو نقول فعلنا الخير ووجدنا الشر ..

هذه نقطة هامة جدا أقولها للسيدة صاحبة الخطاب زوجة الطالب .. فلو انها ابتغت وجه الله وحده فيما فعلت لجاءها خير لاشك فيه .. ولكنها ابتغت وجه انسان فجاءها الجزاء الذى يقدمه الانسان .. خيرا كان أو شرا .. فمن هنا فانها لا يجب أن تتساءل لماذا لا تتدخل السماء أتقصف رقبة هذا الجاحد .. فهى لم تقصد السماء بما فعلت وليس لها أن تتساءل هل يثيبها الله على انها أنقذت مستقبل شاب بهذا الجزاء .. لانها لم تقصد الله فيما فعلت .. ولو قصدت الله وحده .. لوجدت عنده جزاء هائلا .. ولكنها قصدت الناس وكثير منا يقصد الناس وحدهم ويترك الله .. ثم بعد ذلك يتساءل عن عدالة السماء .

ماذا أخذ وماذا ترك

نأتى بعد ذلك للخطاب الثانى .. وهو خطاب الشاب الذى تزوج ابوه بغير أمه .. يعيش فى جحيم زوجة الاب .. لا احد يهتم به أعاش أم مات .

لهذا الشاب أقول اننا حين نفكر فى عطاء الله لا نفكر فيما أخذ ولكن نفكر فيما ترك ومازلت أذكر قصة صحابى جليل أصيبت قدمه بمرض وتقرر قطعها .. فقال الحمد لله الذى عافى بقية أطرافى من هذا المرض ونحن دائما حين نفكر فى عطاء الله لا أدرى لماذا نفكر فيما أخذ .. ولا نفكر فيما ترك .. ونبتغى الاثر العاجل ولا نفكر فى الحكمة القادمة . فالله أعطانا كثيرا من النعم التى لا تعد ولا تحصى ..

ويكفى نعمة واحدة فى جسد الانسان تساوى كل ما تستطيع ان تعيه الدنيا كلها .. فلنفكر معا قليلا فى النعم التى فى جسد الانسان أولا قبل النعم التى هى خارج هذا الجسد .. لنفكر ماذا يفيدنا مال الدنيا كله لو عطانا الله كل ما نريد .. كل ما نطلب .. ثم قال للكبد مثلا توقفى عن العمل .. هذا جزء صغير من نعمتى سأخذه وأعطيك الدنيا كلها .. هل تقبل .. هل تصبح سعيدا .. ماذا لو أعطاك الله مال قارون ثم قال الكليتين توقفا عن العمل .. هل ستكون سعيدا وأنت تنام فوق سرير من الذهب الخالص .. ماذا لو منحك الله كل مافى هذه الدنيا ثم قال للعين لا تبصرى .. أو للقدم لا تسيرى .. أو للقلب كن فاسدا عليلا .. اذن فالنعم الحقيقية هى داخل الانسان وليست خارجه .. هى فى نفسه اعطاها الله له .. وليست خارج هذه النفس .. والا فأنت ملك الارض ولكن الله قال للرئتين .. لا تتقبلا الهواء .. الا بثلث قوتكما أو بأقل من ذلك .. فأصبح الانسان يعيش كالمخنوق .. أو ملأ الجسد بالالام .. ولكننا دائما ننسى .. دائما لا نتذكر يملانا الزيف .. فنترك النعم الحقيقية التى أنعم الله بها علينا .. ونذهب الى الزيف نطلبه ونطلبه بعمق وقوة .. وبدلا من أن نقول الحمد لله .. نقول : وماذا أعطانا الله الا الشقاء .. بينما لو اراد ان يعطينا الشقاء لابتلانا فى عاقبتنا .. فاذا كانت النعم الحقيقية لله هى داخل الانسان لا خارجه فان هذا الخارج انما هو نعم اقل أهمية .. ومادام الله قد أعطانا الجزء الهام لنتمتع بالحياة .. فاننا لا يجب ان نسخط ونتمنى أن يعطينا ما هو اقل أهمية .. كان يعطينا المال أو الجاه ويقول للكبد توقفى وللكلى لا تعملى وللعين لا تبصرى وللجسد امتلىء بالالام .

فاذا ذهبنا بعد ذلك الى أنه لا أحد يهم بنا فى هذه الدنيا .. فيجب أن نعرف أن الراعى فى هذه الدنيا هو الله سبحانه وتعالى .. لا أحد يرعى احدا .. ولا أحد يهتم بأحد .. بل أن الاب والام هما الراعى الاصغر لاولادهما .. اما الراعى الاكبر فهو الله .. ولذلك عندما يموت أحد الوالدين أو كلاهما فان الابناء لا يموتون .. بل يسخر لهم الله من يرعاهم .. وييسر لهم سبل النجاح .. وأمامنا فى الحياة أمثلة كثيرة لرجال فقدوا اباءهم وأمهاتهم فى الصغر .. ثم نشأوا وتربوا وأصبحوا رجالا عظاما .. بل أننى أذكر أن واحدا من أصحاب الملايين كان فى طفولته يمشى عدة كيلو مترات كل يوم ليوفر لامه المريضة ثمن رغيف الخبز الذى تأكله .. فهذا صبى فقد اباه وأمه مريضة عليلة كان يمشى ليوفر لها ثمن الخبز .. فمن الذى رعاه وعلمه وأعطاه كل هذا الرزق والجاه فى الدنيا .. أنه الله سبحانه وتعالى .. فهو الراعى الاكبر .. وهو يرانا ويسمعنا .. فاذا فقدنا الراعى الاصغر .. فلماذا لا نتجه الى الله نطلب منه العون .. ان الله هو الذى يعين هذا الطالب على أن يمشى عشرة كيلو مترات أو أكثر كل يوم .. ولولا أن

الله وضع في قلبه القوة والعزيمة لما استطاع أن يمشى خطوة واحدة .. والله يرعاه بأن وفر له مكانا ينام فيه .. وعلى تعليمه .. اذن فلا نيأس ولا تمزقنا الحسرات ولا نحس بالضعف لان انسانا قد تخلى عنا .. فهذا الذى تخلى عنا غير قادر .. او قدرته محدودة على الاقل .. ولكن الله سبحانه وتعالى يملك القدرة التى بلا حدود ولا قيود هو معنا يسمعنا ويرانا ولن يتخلى عنا ابدا .. فلنستن بقدرته .. ولنطلب منه .. « **أم من يجيب المضطر اذا دعاه** » .. ولكننا ننسى .. ننسى قدرة الله وتضخم قدرة البشر ونقول : لو فلان تخلى عنا فسنهلك .. سنضيع .. ابدا الله قادر اذا اغلق بابا أن يفتح عشرات الابواب .. قادر اذا ضاع منا شىء أن يعوضنا أضعاف أضعافه .. فلنتمسك بالله .. ولنطلب من الله .. ولنسأل الله .. ولنثق فى الله .. ولنتذكر ما ترك الله لنا من نعم لا ما أخذه منا .. لنتذكر ما ترك لا ما أخذ .. سنجد أنه أخذ القليل التافه وترك لنا النعم الحقيقية التى تدرأ عنا الشقاء والعناء الحقيقى فى الحياة .. لنتذكر ما ترك لنا الله فسنجد أنه رحيم جدا بنا .. رحيم فى قضائه .. لنتذكر ما ترك الله لنا لنحس بنعمه الحقيقية تغمرنا .. مهما ضاع منا من زخرف الحياة .. وهنا نأتى الى النقطة الثالثة .. ماذا اذا دعونا الله ولم يجب .. ماذا اذا صحنا من أعماقنا ومن داخلنا وبكل قوانا .. يارب .. وبللت الدموع أعيننا .. ووجدنا الالم يعصر قلبنا عصرا .. ولكن أبواب السماء لم تفتح .. ولا مجيب .. هل تكفر بالله .

لماذا لا يجيب الدعاء

أحيانا يحب الله من عبده الدعاء .. ومن هنا فانه لا يجيب حتى يدعو العبد ويدعو .. ولكن هذه منزلة عالية جدا .. هى ليست منزلة من يكفر بالله لانه لم يعطه راديو او لم يمنحه تليفزيون .. او لم يجب له مطلبا دنيويا صور له على أنه النعيم المقيم .. ومرة اخرى يكون عدم الاستجابة رحمة .. ذلك أننا بتعلمنا المحدود لا نعرف الخير من الشر .. قد نطلب اشياء لو أجيبت لكانت شرا وبيلا علينا .. فقد ندعو بأشياء وندعو وندعو ولا تتم الاجابة .. وتمر الايام ونحن حانقون ساخطون .. ثم يتبين لنا ان ما طلبناه كان شرا وبيلا ونحمد الله على أنه لم يتحقق .. كل واحد منا مر بهذه التجربة عشرات المرات .. كل واحد هتف من اعماقه .. الحمد لله .. على شىء تمناه ولم يحدث .. وكل واحد منا فرح بأشياء جاءته ثم تبين انها ليست فى صالحه .. وتمنى لو لم تحدث .. لو استعرض كل منا تاريخ حياته لوجد مئات الامثلة على ذلك .. احيانا يكون عدم الاستجابة رحمة بنا ونحن لا ندرى .. ونسخط على رحمة الله سبحانه وتعالى .. ونكفر .. وهو رحيم بنا .. يريد لنا الخير ويريد بنا اللطف .. ولكننا نقابل هذا بالكفر والجحود .. ولو أطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع ..

بقية مقال « هـذا هو الاسلام »

فكأنما جيزت له الدنيا بحذافيرها » ويحدثنا رواة الاخبار ان احد الحكماء دخل على هارون الرشيد فسأله الرشيد ـ ترى من اسعد الناس يا حكيم ؟ فأجابه : أسعد الناس أنت يا أمير المؤمنين . فامتعض الخليفة وهو يقول : كيف أكون اسعد الناس ياهذا « وان لقعقعة لجام البريد لفزعة ، وان لاعواد المنبر لهيبة ، وحسبى هذان منغصـا ! » « وقعقعة لجام البريد هى صلصلة لجام الفرس حين يقبل حاملا البريد الى الخليفة ، فما يدريه ؟ ربما كان فى البريد من أخبار ملكه ما يقلق باله ويزعجه ! وقد كان الخطباء يخطبون الناس على المنابر ، كما كان الرسول يفعل ، فتأخذهم رهبة الموقف وجلاله !« فقال الحكيم من أسعد الناس اذا يا أمير المؤمنين ؟ قال الخليفة : اسعد الناس رجل ما عرفنا ولا عرفناه ولا طرق بابنا ولا طرقنا بابه » السلطان من لا يعرف السلطان » أسعد الناس على الاطلاق ، رجل كسب خبزه بعرق جبينه ، ثم آوى فى آخر نهاره الى زوجة ! وأولاده ، يؤاكلهم ويؤاكلونه ، ويضاحكهم ويضاحكونه ويلاعبهم ويلاعبونه ، ثم نام ملء جفونه ليس له ولا عليه .

اجل ـ رب قصر مشيد تلوح عليه مخايل السعادة لناظريه ، لكن الشقاء والتعاسة يخيمان على ساكنيه ! ورب كوخ تراه فتزدريه ، ولكن السعادة تغشى كل أهليه يقطفون ثمارها ويهصرون أغصانها ويتفيأون ظلالها ! أبدا ليس مقياس السعادة الشكل والمنظر ، ولكنه المضمون والمخبر !

لقد عافت ميسون البدوية حياة القصور وبلاط الملك ، وسكنت الى بيت الشعر ، وحياة المدر ! لقد خلعت الحرير والديباج والذهب الوهاج ، وارتدت الاسمال وخشن الثياب !

وانشدت تقول فى بهجة السعداء

لبيت تقصف الارواح فيـه
أحب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى
أحب الى من لبس الشفوف
واكل كسيرة فى قعر بيتى
احب الى من اكل الرغيف

سادتى الكرام يطيب لى أن أختم هذا المقال بأبيات من قصيدة لى فى هذا المقام :

لعمرك ما السعادة طيب عيش
ولا عنوانها أبدا ثراء
وكيف يكون عز المرء مالا
وكم بالمال مال الاغنياء
وكم اشقى وكم اضنى واردى
وكم من نسجه حبك البلاء
اذا ما بات قلبك مستقرا
(فانت ومالك الدنيا سواء)

الدّين النعمة الكبرى

الدكتور ابراهيم هلال

في مقالات ثلاث سابقة قد بينا بقدر الجهد الذى رزقنا الله اياه فضل الدين الاسلامى عموما أو فضل الاديان السماويةجميعا – كلا التعبيرين سواء – على البشرية ، وكيف انها كانت نعمة كبرى على الانسانية بأجمعها . وفى هذا المقال نخص بالبيان فضل الحلقة الخاتمة للدين الاسلامى التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، والتى تمثلت فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف . ونقدم لذلك بهذا الوصف الدقيق لحال العالم قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وقبيل بعثته كما يرويه لنا المفكر الاسلامى الكبير الشاعر محمد اقبال فى كتابه « تجديد التفكير الدينى فى الاسلام » عن أحد المؤرخين المحدثين والمهتمين بتاريخ الحضارة . قال : « لقد بدأ حينئذ أن الحضارة العظيمة التى استغرق بناؤها أربعة آلاف من السنين كانت مشرفة على الزوال ، وان المرجح أن الجنس البشرى كان سيعود الى حالة الهمجية التى كانت فى ظلالها كل قبيلة وكل طائفة عدوا لجارتها ، لا يعرفون لهم نظاما ، ولا يتبينون لهم قانونا ، وكانت العقوبات القبلية القديمة قد فقدت سلطانها فأصبحت أساليب الحكم فى الامبراطورية القديمة غير صالحة للتطبيق ثم جاءت المسيحية المتأخرة بعد تبديلها بعقوبات جديدة ، فعملت على الفرقة والدمار بدلا من الوحدة والنظام ولذلك أخفق الملك قسطنطين « ٣٣٧ » م . فى محاولته اتخاذ نظام منها لجمع الكلمة والتوحيد بين أهل الامبراطورية الرومانية » ....

ثم يستمر الكاتب فيقول : « لقد كانت الحضارة أشبه بدوحة هائلة كانت أوراقها قد ظللت العالم وكانت فروعها قد حملت ثمارا ذهبية من الفن والعلم والادب . وقد أخذت الان (قبيل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم) تترنح وتتمايل لان ساقها أصبحت لا تتغذى بالعصارة المتدفقة من الاخلاص والاجلال . بل وصل التعفن الى لبابها ، ومزقت الحروب أوصالها ، وأصبح لا يمسكها معها الا خيوط من عادات وقوانين قديمة ، قد تنقطع فى أية لحظة » .

ويبين الشيخ محمد عبده سر هذا الاضمحلال الذى سيطر على العالم فى ذلك الوقت ، وأمات حضارته فيقول وذلك بمناسبة تفسيره لقوله تعالى : (**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب، والمشركين منفكين حتي تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة**) : « كان الكثير الاغلب من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمشركين من العرب فى ظلام من الجهل بما يجب الاعتقاد به ، والعمل عليه من شرائع أنبيائهم ، وذلك لاعتمادهم فيما يعتقدون وما يعملون على تقليد آبائهم . وقد كان فيمن تقدم منهم من أدخل على الشرائع كثيرا مما ليس منها ، اما لسوء الفهم ، واما للعناد لافحام الخصم ، واما لاستحسان عقولهم ضروبا من البدع يتوهمونها مؤيدة للدين مفخمة لامره ، وهى من أشد الاشياء ضررا بالدين .

ثم جاء من بعدهم يزيد على ما وضعوه الى ان أخفى الحق فى ظلام الباطل ولم يزالوا كذلك الى أن جاء النبى صلى الله عليه وسلم فأخذت صيحته تشق تلك القبور ، ويده الكريمة ترفع تلك الستور ، فيسرى شعاع من ضوء الحق الذى جاء به من خلال تلك الحجب الى ما وراءها من أعماق الضمائر » .

وهنا يكون الدين ، ويكون بعث محمد صلى الله عليه وسلم به من جديد نعمة كبرى . ومنة عظمى تستحق أن يسميها خالق الارض والسموات ومصور البشر وبارئهم بهذه التسمية وأن يمتن عليهم بها : (**هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم**) وفى هذا المعنى يقول الامام محمد عبده أيضا فى تفسير الاية المتقدمة « فأراد الله أن يذكر منته على من آمن به من هؤلاء فبين أن الذين كفروا – أى جحدوا ما أوجب الله على عباده أن يعتقدوه عنه من صفاته وشرائعه من أهل الكتاب ومشركى العرب – لم يكونوا براجعين عن كفرهم وجحودهم هذا حتى يأتيهم الرسول فيبين لهم بطلان ما كانوا عليه من الكفر فيؤمنوا . فما أعظم فضل الله عليهم فى ارسال رسوله اليهم » .

وفى هذا تقول أيضا احدى الصحابيات لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كنا أهل جاهلية وشر ، فأكرمنا الله بك ، وهدانا الى الاسلام** » .

لم تركد ريح الدين فقط قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وانما ركدت ريح العلم ايضا بركود ريح الدين فتوقفت البحوث العلمية التى كانت قد اخذت طريقها من قبل عند أهل اليونان ، والصين ، ومصر ، وبدأت الفلسفة الوثنية والسحر والتنجيم ، وعلوم الكهانة ، تحل محل هذا العلم الوضعى التجريبى ، وبدأ الدين الملفق عند أهله فى أوروبا وبلاد الشرق يحارب بذلك العلم التجريبى المنتج ويحارب أهله ، ومن يجرؤ على القول بنظرية جديدة الى آخر ما ساد العالم من جهالة فى القرون الثلاثة الاخيرة قبيل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد ميلاد المسيح عليه السلام وظلت هذه الحياة الموات فى أوروبا ، الى أن دخلها الاسلام ، واقبل أهلها على الدراسة فى جامعاته فى أسبانيا وما حولها من الجزر التى فتحها المسلمون هناك .

وجاء الاسلام ، أو جاءت الحلقة الخاتمة للدين الاسلامى على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، فجاء بكتابه مصدقا لما بين يديه من الكتب ، ومصححا عقيدة أهل الكتاب ، ورادا عليهم أخطاءهم ، ومبينا لهم ما اختلفوا فيه وما غلوا فى اعتقاده ، وموضحا النهج الذى جاءت عليه هذه الكتب من قبل ، وداعيا الى سلوك هذا النهج : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) ثم معقبا على ذلك بما تحتاجه البشرية فى مستقبل أيامها الى أن تقوم الساعة ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان دينه متمما لنعمة الله على البشرية التى ابتداها برسالات الانبياء السابقين كما قال تعالى فى قرآنه الكريم : (**اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**) . وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **مثلى ومثل الانبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى دارا ، فاتمها واكملها ، الا موضع لبنة ، فجعل الناس يدخلونها ، ويتعجبون منها ، فيقولون لولا موضع اللبنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانا موضع اللبنة جئت فختمت الانبياء** » .

وهكذا عادت للبشرية نعمتها من جديد ببعثة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام فسرت الهداية والنور بين الناس ، واظهر الله دينه على الدين كله ورأينا هذه الانتعاشة فى الدين وفى الخلق وفى العلم وفى الغنى والاقتصاد ، وسارت عجلة الحياة الى الامام وخرج العرب بهذه الرسالة على الدنيا كخير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة . ويرفعون من شان العلم ، كما رفعوا من شان الدين ، وسادت لهم حضارة كما ساد لهم دين ، وافاضوا من كل ذلك ولا يزالون يفيضون ـ على البشرية بأجمعها ، فتقدم المتأخرون ونهض النائمون ، واقبل على العلم ضحايا الجهل ، ومخلفات الجمود ، وانتفع الغرب المعاصر بهذه النعمة نعمة الاسلام ، أو نعمة الدين ، كما انتفع الشرق ولنسمع الى اقوال احد المنصفين من اهل أوروبا فى ذلك كما ينقل عنه الدكتور اقبال فيلسوف الاسلام وشاعر باكستان : « يقول الاستاذ (بريفولت) : الاسلام دعا الى التجربة والملاحظة والاستقراء فى كتابه الكريم أى أنه دعا الى المنهج العلمى الحديث فانتشر هذا المنهج فى ربوع الحضارة الاسلامية ثم انتقل من حضارة الاسلام ، غازيا اوروبا فكان السبب فى نهضتها ثم يقول : فالزعم بأن أوروبا هى التى استحدثت المنهج التجريبى زعم خاطىء يقول (دوهرنج) ان اراء (روجر بيكون) فى العلوم أصدق وأوضح دليل على تأثره بمنهج الاسلام « ومن أين استقى روجر بيكون ماحصله فى العلوم ؟ من الجامعات الاسلامية فى الاندلس والقسم الخامس من كتابه الذى خصصه للبحث فى البصريات هو فى حقيقة الامر نسخة من كتاب (المناظر) لابن الهيثم ، وكتاب بيكون فى جملته شاهد ناطق على تأثره فى منهجه العلمى بابن حزم » .

ويقول (بريفولت) ايضا ان روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربى ، والعلوم الطبيعية والرياضية العربية فى مدرسة أكسفورد على خلفاء معلمية العرب فى الاندلس ، وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى . فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى أوروبا المسيحية . وهو لم يمل قط التصريح بان تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

هذا هو الدين وهذا هو أثره فى الحياة ارتقى بالانسان وعلمه مالم يعلم وهذه هى نعمة الله الكبرى فكانت نعمة فى الدين وفى الدنيا ، أصلحت الانسان دينا وخلقا ، فاصلح الكون عمارة وبناء وانتاجا وحضارة ، وكان الدين قائدا الى الدنيا .

والاسلام اليوم هو الدين ، وهو دين ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعا الصلاة والسلام كما قال عنه النجاشى ملك الحبشة فى عصره ورجال دينه : ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » ، « وقال عنه هرقل متنبئا بأن المستقبل له » . فسيملك موضع قدمى هاتين « ومثنيا على رسوله الذى جاء به » . ولو كنت أعلم أنى أصل اليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

فلنحافظ على هذه النعمة ، ولنحافظ على التمسك بها ، فانها كما انهضت العرب قديما وانهضت أوروبا وغيرها حديثا ، جديرة بأن تعيدنا من جديد الى الوجود ، وترد الينا مكانتنا فى هذا العالم .

أدباؤنا
وحياة الرسول الكريم

الدينَ الاسلامى هو آخر رسالات السماء الى الارض ..

وهو دين بسيط للغاية ..
انه دين الفطرة ..

تعاليمه لفرط بداهتها تصل الى القلوب بغاية السرعة .. ولسهولة هذه التعاليم التى لا تكلف الانسان ما لا يطيق .. وتحترم آدميته .. وتشعل فى أعماقه حب الخير وأهل الخير .. وتبعده عن الشر واهل الشر وتحضه على كل القيم النبيلة وتبعده عن كل ما يعوق حركته نحو حياة آمنة هادفة ..

فما هى الصورة التى خرج بها الادباء وهم أكثر الناس تعبيرا عما يجيش فى صدورهم عند قراءاتهم للسيرة او بتعبير أدق ما هو مدى انفعالهم بتلك التعاليم الخالدة التى تلقاها عن ربه محمد عليه الصلاة والسلام .. وكيف استطاعوا باقلامهم ان يصوروا ابعاد تعاليم الاسلام الخالدة

الأستاذ مأمون غريب

لقد كان الدكتور طه حسين من أوائل من قرأت له انتاجه الادبى فى (الاسلاميات) قرأت انتاجه وأنا فى سن صغيرة جدا واعدت قراءتها بعد أن امتدت بى أيام العمر وحفظت بعضا من تعبيراته فى تلك المرحلة التى يمر بها كل شاب وهو يحاول ان يعرف نفسه .. ويعرف ما يحيط به .. وكثيرا ما كانت تصدمنى بعض الاراء .. يومها حفظت كلمة للدكتور طه حسين تركت صداها فى نفسى ..

دع عنك العلم عندما تفكر فى الله .. الله موجود فى منطقة عذراء من نفسك » .

بهذه الجملة المضيئة .. أعطانى الدكتور طه حسين منهجا فى الحياة .. فالايمان يشعر به الانسان بالفطرة السليمة فى أعماق نفسه دون ان يشتت عقله فى عالم من المتناقضات الفكرية التى يحيط به ومن هنا جاء شغفى بدراساته الادبية عن الاسلام .. وفى كتبه التى تناولت تاريخ الاسلام ككتاب على هامش السيرة وكتبه عن الخلفاء الراشدين .. كذلك فى كتاب فى مرآة الاسلام وكتاب الوعد الحق نرى انفسنا امام مفكر يعرف حقيقة الاسلام معرفة حقيقية .

ولكن ما الذى دفع الدكتور طه حسين الى أن يكتب على هامش السيرة ؟

نتركه بنفسه يتحدث عن هذا الدافع فى المقدمة التى كتبها لهذا الكتاب :

« رأيتنى اقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسى ، ويقبض بها قلبى ، وينطق بها لسانى ، واذا أنا أملى هذه الفصول وفصولا أخرى أرجو أن تنشر بعد حين فليس فى هذا الكتاب اذن تكلف ولا تصنع ، ولا محاولة للاجادة ولا اجتناب التعقيد ، وانما هو صورة لسيرة طبيعية صادقة لبعض ما أجد من الشعور حين اقرأ هذه الكتب التى لا أعدل بها كتب اخرى مهما تكن والتى لا أمل قراءتها والانس اليها ، والتى لا ينفض جمالها وأعجابى بها وحرض على أن يقراها الناس » .

وفى الكتب الثلاثة التى الفها الدكتور طه حسين على هامش السيرة نرى احداثها تدور فى مختلف بلدان العالم المعروف الشام ، اليمن ، مصر ، العراق ، اليونان ، فارس .. الاحداث كلها يربطها خيط واحد .. وهو تطلع الناس الى واقع جديد بعد أن ملوا ظلم الواقع الاجتماعى الذى يعيشون فيه ، وظلام العقائد التى كانت منتشرة وفساد الحياة الاجتماعية قبل الاسلام .. منها تتجمع خيوط السيرة فى مدينة مكة ، ويثرب حيث تتوالى التنبؤات بميلاد نبى جديد .. يعيد للانسانية جلالها .. ويهدى

للبشرية كل ما هو جدير بالحياة ونحن نرى الدكتور طه حسين عندما يتصدى للفتنة الكبرى » التى حدثت عقب مقتل الامام العظيم عمر بن الخطاب لا ينظر الى الفتنة على أساس دراسته لشخصية عثمان بن عفان ، ولكن ينظر بعين المؤرخ وقلم الاديب الى الظروف الاجتماعية والتيارات السائدة فى هذا المجتمع والتى أدت الى قيام هذه الفتنة .

ويصور الدكتور طه حسين بعد ذلك بعمق .. شخصية أبى بكر وعمر فى كتابه « الشيخان » وفى كتابه مرآة الاسلام يعطى لنا صورة صادقة وحية عن القرآن العظيم ، والفرق بين أحكام القرآن وأحكام السنة ، كما انه فى كتابه الوعد الحق يصور لنا حرص المسلمين الاوائل على عقيدتهم مهما تعذبوا .. ومهما لاقوا من صنوف الاضطهاد .. لان العقيدة قد رسخت فى نفوسهم ، وخلقت منهم شخصيات جديدة .. لا تبالى بشىء فى سبيل الاسلام .. وكيف تحول هؤلاء المستضعفون فى الارض ، الى امراء وحكام وقواد أشاعوا دفء العدل والحرية والسلام بين البشر .

• • •

فاذا انتقلنا الى شخصية **توفيق الحكيم** وكيف عبر بقلمه عن لاسلام ، فاننا هنا نجد انفسنا امام مفكر عميق .. يرى الاشياء ويحللها ، ويعطى صورة صادقة وامينة عنها وهو فى انتاجه الذى استمده من القرآن كمسرحية **أهل الكهف** » و **سليمان الحكيم** » أو ما استمده من ثراء السيرة النبوية فى كتابه **محمد** » نرى الفنان الذى يوظف الاحداث التاريخية بمهارة فى انتاجه الفنى ولعل ما كتبه توفيق الحكيم فى كتابه ـ تحت شمس الفكر يوضح حقيقة رؤيته للدين كعامل هام فى سلوك الناس .

حينما كنت وكيلا للنائب العام كنت أرى عجبا فى قاعات المحاكم وجلسات التحقيق ، وكنت أفكر كثيرا فى أمر ذلك الشرير الذى طالعت صحيفة حياته ، فاذا آثام ودماء تسيل منها ومع ذلك يقف أمامى متطلعا الى السماء ويابى أن يقسم بالمصحف كذبا هذا الادمى قد انطلقت غرائزه الدنيا لا يقوم لها شىء لكن ـ بقيت ـ برغم هذا فى نفسه منطقة عذراء لم يتطرق اليها فساد . انها منطقة العقيدة .

أهناك اذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة كذلك كان يدهشنى أمر صديق من خيرة القضاة . كثير الورع ، حريص على العبادة والصلاة ومع ذلك كان عقله حرا من كل قيد ما يدور بيننا حديث فى الخالق والخليقة حتى يذهب هو فى التدليل والمنطق كل مذهب الى أن يقع فى الالحاد وانكار الجنة والنار ـ ويؤذن المؤذن للصلاة ، فاذا القاضى يسرع مخلصا الى ذلك الدين الذى قال فيه منذ لحظة قولا عظيما » .

أهناك اذن حد فاصل بين العقيدة والعقل !؟
ويجيب توفيق الحكيم ،

.. اذا قلنا مع القائلين أن العقل والقلب والغريزة ملكات ثلاث منفصلة أحداها عن الاخرى ؟ فان هذا القول يؤدى حتما الى نتائج غريبة قد تعدل من نظرتنا الى الاشياء ولعل أول ما يهم من هذا الاستقلال بين الملكات تباين الوان الحقيقة لدى كل منها .. مما يصدق عند العقل ، قد لا يصدق عند القلب بل أن كل ملكة من تلك الملكات تسيطر على عالم الاخرى .. يقابل ذلك فى المحسوسات تلك الحدود والحواجز بين الحواس ، فعالم البصر ينفصل عن عالم السمع ، والحقيقة البصرية غير الحقيقة السمعية ، وما يعتبر موجودا فى منطقة العين لا يعتبر موجودا فى منطقة الاذن .. فهذا الحجر الاذن لا تدرك ولن تدرك هذه الحقيقة ، ولن تعرف مطلقا ما هو الحجر وما شكله ، لان عالمها وهو عالم الاصوات ـ لا يخطر له على بال ان فى الوجود عالما يسمى عالم المرئيات !!

ويتابع الحكيم تحليله العقلى فيقول :

فالعقل لا يدرى الا مايلائم وظيفته وما يخضع لمقاييسه ، والحقيقة العقلية ليست الحقيقة المطلقة وليست الحقيقة كلها ، ولكنها الحقيقة التى يستطيع العقل أن يراها من زاويته ، فاذا كانت العقيدة مرجعها القلب ، فان العقل لن يرى منها الى الشطر الذى يستطيع أن يراه ويظل محجوبا أنه الشطر الواقع فى دائرة القلب !!

فوجود الخالق الجبار المنتقم الرحمن اللطيف لا شك فيه عند القلب ، أما العقل فان استطاع بالمنطق ان يتصور وجود الخالق ، فانه قد يرتاب فى صحة تلك الصفات المنسوبة اليه وقد يراها فى منطقه به صفات آدمية ، أسبغها البشر على خالقهم اجلالا له ، لانهم هم بشر لا يملكون غير تلك الصفات التى هى فى عرفهم مرادف الاكبار والتقدير . أما حقيقة الخالق فأمر بعيد عن مقدرة العقل » .

فاذا تركنا توفيق الحكيم ودخلنا عالم عباس محمود العقاد .. وجدنا أن هذا الكاتب العملاق هو أكثر الادباء الذين كتبوا عن الفكر الاسلامى وأكثر الذين تصدوا للحملات المغرضة التى تزعمها المستشرقون وغيرهم .. وكانت محاولاته فى تنقية الاسلام من الشوائب التى حاول البعض دسها عليه محاولات مستنيرة .

وكان رد الحجة بالحجة قويا .. فلا غرو فهو كاتب عملاق واسع الاطلاع ..

عبقرياته التى كتبها تعتبر من المفاخر التى لا يمكن ان ينساها التاريخ الفكرى كما ان رده على المستشرقين سيظل احدى الدروع التوية التى صدت عن الاسلام محاولات التحريف التى حاول البعض دسها عليه ..

وعندما ننتقل الى الاديب الراحل عبد الحميد جوده السحار نجده فى كتابته للسيرة فى عشرين

البقية ص ١٢١

الشيطان و الإنسان و الملائكة

الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

من المعلوم ـ على وجه اليقين ـ أن الشيطان : أخبث خلق الله ! وأن الانسان : أكرم خلق الله ! وان الملائكة : أفضل خلق الله !

الانسان : ـ

فاذا ما تساءلنا : لماذا خلق الله تعالى الانسان ؟ لوجدنا الاجابة على ذلك : واضحة صريحة فى القرآن الكريم « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون »

الشيطان : ـ

فاذا ما تساءلنا أيضا : لماذا خلق الله الشيطان ؟ لتعذرت علينا الاجابة الصريحة الواضحة : كما وضحت فى القرآن ، بالنسبة للانسان . وحق لنا ان نتساءل : ما كنه الشيطان ؟ وما حقيقته ؟ وما وصيفته ؟

وقد ذهب قوم : الى أن آدم وابليس « الشيطان » لا حقيقة لهما ، وأنهما انما يرمزان الى معان مجازية : بعيدة كل البعد عما فهمه الانسان فيهما .

وهى قالة نضفيها الى كثير من السخف : الذى يحلو لبعض الناس التخبل فيه ابتغاء الشهرة : بمخالفة السواد الاعظم ، . ومخالفة أجماع الامة : التى لا تجمع على ضلالة أبدا .كما جاء فى الاحاديث المطهرة !

وبعد ذلك نأتى الى النصوص الوارده فى الكتاب العزيز : الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

والى الاحاديث الشريفة ، التى ثبتت بالنص الواضح الصريح : عن ثقاة الثقاة ، عن الرسول الكريم : الذى لا ينطق عن الهوى . عليه الصلاة والسلام .

يقول المولى سبحانه وتعالى فى محكم اياته « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس » . .

« وقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين » .

ويقول ايضا جل شانه « فقاتلوا اولياء الشيطان انكيد الشيطان كان ضعيفا » .

ويقول عز وجل « انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » .

ويقول ايضا « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا »

ويقول الرسول الاعظم ، صلى الله عليه وسلم « ان الشيطان ليجرى من الانسان مجرى الدم » .

فظهر لنا من ذلك : أن ادم وابليس : حقيقتان ، واقعتان ، ثابتتان !

وأن الشيطان : متسلط على الانسان : تسلط الدم فى العروق

حكمة خلق الشيطان : ـ

فاذا ما سال سائل : قد عرفنا حكمة خلق الانسان . فما حكمة خلق الشيطان وجنوده .

حق لنا ان نجيب عن ذلك : بما بسطه المولى سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم .

فقد تضافرت الايات الكريمة على أن طاعة المرء لربه : لا تكون قسرا بل مجاهرة تقوم بين قوى الخير التى يدفعها الحق سبحانه وتعالى فى قلوب العباد : بما أنزله اليهم من آيات بينات !

وبين قوى الشر التى يقيمها ابليس اللعين : باغوائه ، ووسوسته ، ونزغه وتزيينه !

« ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين » . . . « واذ زين لهم الشيطان أعمالهم » .

فالحسنة من الله سبحانه وتعالى يهدى اليها المؤمن المحسن « فهدى الله الذين آمنوا » .

والسيئة : من نفس المسىء « ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك » .

مخالفة النفس والشيطان :

هذا ويشارك المسىء فى اساءته : نفسه التى بين جنبيه . « ان النفس لامارة بالسوء »

كما يشاركه أيضا شيطانه الذى يجرى منه مجرى الدم فى العروق :

والشيطان والنفس : كلاهما واجب المخالفة .

قال البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

وخالف النفس والشيطان واعصهما

وان هما محضاك النصح : فاتهم

هذا ومخالفة النفس ومحاربتها ـ رغم معاونة الشيطان لها فى ارتكاب الاثم ـ سهل وميسور

فقد قال خالق النفس تعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . . « لمن شاء منكم أن يستقيم » . . . « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا » .

فأسند الله تعالى الايمان ، والكفر ، والاستقامة ، والسبيل : أسند كل ذلك لمشيئة النفس وارادتها .

ومن المقطوع به : أن في أعماق النفس الانسانية بصيرة داخلية تستطيع التمييز بوضوح بين ما هو حق وما هو باطل وبين ما هو خير ، وما هو شر .

وحينما ترى النفس الخير خيرا ، وتريد اتباعه : تعترضها - بوحي من الشيطان - بعض التقاليد والعادات الموروثة .

كيف تؤمن ، وتدع ديانات آبائها وأجدادها ؟

كيف تتمرد بمخالفة قومها وتحطيم تقاليدهم ؟

كيف تعبد الها واحدا غير منظور ، وتذر آلهة متعددة منظورة ملموسة .

كل هذا يقوم في النفس الشقية فيمحى الخير ، واثر الحق : اللذين قاما في النفس بطبيعتها التي أوجدها الله تعالى عليها .

وهناك يكون الجرم ، وهناك يكون الاثم : كسابا واختيارا لا قسرا واجبارا ألم يقل المولى تعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة ، ثم أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » .

والفطرة هي دين الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » .

وكذلك حين ترى النفس الشر شرا ، وترى وجوب الابتعاد عنه : تعترضها ما اعتادته من معاطاة المناكير !

كيف يدع الخمر : وهو شغوف بها ، معتاد عليها !

أليست جالبة للسرور ، مذهبة للهموم ؟

أو كيف يدع الربا ؟ وهو مربح ملموس محقق .

أو كيف يدع الزنا ؟ وهو مدعاة : للانس ، مسرة للنفس !

وهو مولع بحب الفاتنات : وهن مندفعات الى أحضانه في كل وقت !

كل هذا يقوم في النفس التعسة ، التي تملكها الشيطان ، فأبعدها عن مرضاة الرحمن !

كل هذا يقوم في النفس الشريرة : التي أتاها المولى هداها : فلم تهتد وهنا يكون الاثم ، وهنا يكون الجرم !

فاما ان يطيع الانسان مولاه فيما هداه اليه : فينجو ويسلم ، واما أن يطيع شيطانه فيما يغويه به فيزل ويأثم :

والويل كل الويل : لمن أطاع الشيطان ، وعصى الرحمن !

آدم وابليس حقيقة واقعة .

وبما قدمناه يتضح لنا أن آدم : هو أبو البشر بعثه الله تعالى نبيا الى أبنائه .

وهو حقيقة واقعة ثابتة . لا وهم فيها ولا مجاز .

وابليس ايضا : حقيقة واقعة ملموسة : وقد ذكر في القرآن الكريم احدى عشر مرة كما ذكر الشيطان - وهو ابليس نفسه - ثمان وستين مرة . فكيف يكون ذلك وهما او مجازا .

وهو محسوس بوسوسته ملموس بنزعه ونزغه .

وله مع بني ادم صولات وجولات ، ومداخل : تخفى على الكثيرين وقد قدمنا بعضها .

هذا ولا يزال ابليس يغوى ولا تزال طائفة من الناس تقع في حبائله ولا تزال طائفة أخرى بعون من الله تعالى تخالفه ، وتدافعه وتحاربه وقصة الشيطان مع الانسان : قديمة قدم الدنيا .

فمنذ خلق الله تعالى الاكوان . وخلق ادم وحواء ، خلق لهما ولذريتهما ابليس اللعين : محنة وامتحانا . فبدأ بفتنتهما وأخرجهما من الجنة بوسوسته ، واشقاهما بنزغه . لحكمة يعلمها الخالق سبحانه وتعالى . وان عز فهمها عن الكثيرين عصمنا الله تعالى - بعونه وفضله - من اغوائه ووسوسته !

ملائكة الرحمن عليهم السلام

أما الملائكة - عليهم السلام - فعباد مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون .. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون

هذا وشغل الملائكة الشاغل حفظ العبيد بامر الله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله

والاستغفار لمن زلت قدمه من العباد عن طاعة الله « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » .

هذا وتجعل ختام ما كتبناه . تسبيح الملائكة واستغفارهم لنا ووقايتنا السيئات .

وقانا الله جل شانه : سيئاتنا وشرور أعمالنا وجعلنا ممن احب كما يحب وهدانا الى دينه القويم وصراطه المستقيم .

بقية مقال « أدباؤنا وحياة الرسول »

جزءا « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » نراه يكتب موسوعة من أحسن ما كتب عنه السيرة انه في هذه الدراسة التي استغرقت آلاف الصفحات كانت له محاولة طموح بأن يكتب هذه الرسالة على شكل قصة .. فاذا كانت القصة عبارة عن أبطال ، وأحداث تحرك الابطال أو يحركها الابطال .. وأن الحدث يتطور .. وأن تعتبر الشخصيات عاملا أساسيا في بناء القصة .. فقد حاول أن تكون كتابته للسيرة على هذا الشكل فأحداث القصة الهائلة تدور في جو الجزيرة العربية وجو العالم المعروف في ذلك الوقت حيث الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية اللتان كانتا يقتسمان العالم المعروف آنذاك .. وتدور أحداث الرواية الضخمة بعد أن يكون قد مهد لها في خمسة أجزاء عن الحياة قبل الاسلام .. الى أن يظهر الرسول عليه الصلاة والسلام وتنتشر الدعوة .. ويدخل الناس في دين الله أفواجا .. ويصعد الرسول الى الرفيق الاعلى بعد أن يكون قد أدى الامانة ، ثم ينهي دراسته بخلافة أبي بكر الصديق على أساس أن خلافته امتداد لعصر النبي لم يبدل ولم يغير ، وكان متبعا ولم يكن مبتدعا ، وكان صاحبه في الحياة وفي الممات .

هذه صورة سريعة عن هذه الدراسات التي قام بها بعض كبار أدبائنا وهي دراسة مستنيرة وجادة لانها تتسم بالعمق والموضوعية والفهم الصحيح للاسلام ذلك الدين العظيم الذي أعطى للبشرية أعظم حضارة عرفها التاريخ البشري ، وسيظل الى أبد الدهر نورا يضيء للبشرية طريقها نحو الاجدى والانفع .

آخر البعوث النبوية

الأستاذ عبد المعطى اسماعيل عبادة

فى آخريات شهر « صفر » من العام الحادى عشر الهجرى كان مبعث « أسامة بن زيد » لغـزو « بنى الاصفر » ـ لقب الروم ـ من سكان « اسيا الصغرى » و « القسطنطينية » وما اليها ، وهو آخر البعوث النبوية ، فقد انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى فى أثنائه .

فلقد سول لدولة الروم وأتباعها أن تنـاوىء المسلمين فى ديارهم ، وتأبى على من أسلم من الناس اسلامهم ، وتقتل من أتباعها من يدخل فى هذا الدين .

وما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه لينسى ما فعلوا بالمسلمين فى « مؤتة » ، فقد قتلوا أبطالهم الذين رتب الرسول قيادتهم للجيش : زيد بن ثابت ، و « جعفر بن أبى طالب » ، و « عبد الله بن رواحة » .

لقد قرر رسول الله ان يبعث جيشا لتأديبهم ، والاقتصاص منهم ، وجعل « أسامة بن زيد » أميرا عليه ، وكان من قوله :

« سر الى موضع أبيك ـ أى حيث قتل يوم « مؤتة » ـ فأطئهم الخيـل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فـاغر صباحا عليهم ، وأسرع السير لتسبق الاخبار ، فان أظفرك الله بهم فاقل اللبث فيهم ، وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك .

اغز فى سبيل الله ، وباسم الله ، فقاتل من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا » .

تلك من آداب الاسلام فى الحروب ، وهى آداب بعيدة كل البعد عن أرقى شعوب العالم الان حضارة .

وقد اعترض بعض الناس على امارة « اسامة » وفيهم «أبو بكر» و « عمر » ، و « أبو عبيـدة» و« سعد بن أبى وقاص » ، وسعيد بن زيد » .

ولما علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهو فى مرضه الاخير ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « **أيها الناس ، ما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة** ! ؟ ولئن طعنتم فى تأميرى اياه لقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله . وايم الله انه كان لخليقا بالامارة ، **وان ابنه من بعده لخليق بها ، وانه لمن أحب الناس الى ، فاستوصوا به خيرا ، فانه من خياركم** » .

بهذا أنبأهم الرسول ان الكفاية لا تكون بكبر السن ، فالمرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

وبه هيأ الفرص ليتحمل الشباب الصالح المسئوليات الكبار ، وليعتاد الاضطلاع بـالامور الجسام ، وبما يثير الهمة ، ويحرك العزيمة نحوها ، فان اقتصاص « أسامة » من قاتل أبيه مبعث لهمته ، وحميته ، والاخذ بالثار .

فكان لكلمات الرسول صلى الله عليه وسلم الاثر الحميد فى استجابة القلوب .

فعسكر المسلمون بالجرف خارج « المدينة » استعدادا للمسير .

ولما دخل « أسامة » يودع الرسول جعل يرفع يديه الى السماء ، ويضعها على « أسامة » قائلا : « **اغد على بركة الله** » ، ثم قال : « **استودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك** » .

وبينما الجيش يتهيأ للمسير جاء الخبر بانتقال الرسول الى الرفيق الاعلى ، فعاد .

ولما تمت البيعة لابى بكر الصديق كان أول ما أمر به انفاذ جيش « أسامة » ، وصمم فى ذلك مهما يكن الامر ، وقال كلمته المأثورة : « والذى نفسى بيده لو ظننت أن السباع تتخطفنى لانفذت جيش « أسامة » كما أمر النبى صلى الله عليه وسلم » ثم نادى الناس أن يتهيأ للخروج مع « أسامة » من انتدب لذلك فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن تخلف عن الخروج معه **فسوف يلحقه ولو ماشيا : فلم يتخلف** أحد .

فكان لكلمته أثر فعال ، ودليل على قوة الاسلام ، وثاقب فكر « أبى بكر » ، وعلى أن المصاب الجسيم لم

(البقية ص ١٢٥)

الدين

حسن الخلق

الدكتور
زكى مشعل

اللهم انا نسألك يا قوى ياعزيز ان تعز بتوفيقك اعمالنا وأقوالنا ، وان تفيض برحمتك على قلوبنا وان تزكى بفضلك نفوسنا ، وأن تلهمنا بهدايتك صوابنا ورشدنا فى دنيانا وأخرانا ، فانك مولانا نعم المولى ونعم النصير .

أيها القراء الاعزاء لا ريب أن الرسالات السماوية قد اتفقت على تربية النفوس تربية اخلاقية دينية سامية ، وبهذه التربية التى تغرسها تلك الرسالات فى النفوس والقلوب والعقول يكون الانسان ذا عقيدة نابعة من داخله يظهر آثارها على جوارحه واعضائه وحواسه فىسلوكه وتصرفاته ، فيصير الانسان الذى فاضت عقيدته على جوارحه مسلما حقا لان الاسلام عقيدة وعمل .

والعقيدة تقوم اولا على الايمان واليقين بوحدانية الخالق المعبود وحدانية كاملة لا ريب فيها ابدا ، فاذا صدق العبد فى قوله لا اله الا الله كان عليه لزاما ان يطيع خالقه فى جميع ما آمره به ، ويجتنب ما نهى عنه ، ومن غير شك ان معرفة الانسان لما فرض الله عليه من حقوق وفرائض نحو خالقه او واجبات والتزامات نحو مجتمعه لا يمكن لاى عقل انسانى مهما نمى فكره او رقى علمه واتسعت ثقافته ان يتعرف على أولئك كله . الا اذا جاءه هادى ومرشد يهديه الصراط السوى لتحصيل هذه الحقائق والفضائل العليا التى يعجز العقل عن ادراكها الا بمعين سماوى ، وهذا المعين السماوى الهادى هو حبل الله الممدود من فيضه ونوره الى الانسان الذى اصطفاه من عباده ليكون واسطة لتوصيل بنى آدم الى الخير والحق والبر والعمل الصالح القائم على الايمان الصادق ، وفعلا لقد من الله على عباده اذ وصلهم بفضله وفيضه ، فبعث اليهم ومنهم رسلا هادين مهتدين راشدين مرشدين ، فوجد العقل الانسانى نعمة الخالق العظمى بين يديه ، الا أنها نعمة الدين الخالص فعرف الفكر الانسانى خصائص هذه النعمة وآثارها وتاثيرها فى شئون حياته المختلفة : فآمن ايمانا قويا ان شئون دنياه لا تكون طيبة موفقة ، الا اذا كانت وثيقة العرى فى ارتباطها بالعقيدة الدينية السماوية .

ومن ثم فقد اتخذ الانسان سبيله فى كل عمل يقدم عليه مرضاة ربه اولا ، فان المنافع التى ليس فيها مراقبة الخالق لا تكون مباركة بل ربما تكون سيئة آثارها على فاعلها وربما أمتد هذا الى كثير من خلطائه ومعاشريه ـ فالدين الصحيح هو القائم على هذه القضية الصادقة وهى ان الدين عقيدة صدقها العمل ، ولكن نظرة الى الواقع المرئى المسموع امامنا ترينا ان الناس طوائف ثلاثة : فأولى هؤلاء تكتفى من التدين بمجرد الانتساب الى الدين وبأن تردد رمزه **الاول قائلة** « أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله » فترى أنها بذلك القول قامت بحق التدين الذى تقتضيه الفطر السليمة وتدعو اليه الهداية الالهية وفى الحق ان هؤلاء بعيدون كل البعد عن المعانى الفاضلة اذ نراهم يطلقون لعقولهم ولغرائزهم وجوارحهم العنان فى كل شىء فلا حد فى عقيدة ولا ضابط فى تفكير ولا وازع عن شهوة ولا حائل دون رغبة ٠

واما الطائفة الثانية من الناس الذين يتدينون فهؤلاء يرون ان التدين يقع فى دائرة مادية مرسومة هى : صلاة وصوم وهمهمة وتسبيح وكلمات معينـة تقـال فى مناسـبات معينة وتحسر ، وربما يكون بكاء على الاخلاق التى ضاعت وعلى الدين الذى أهمل تعاليمه ٠ ومع اعتقادهم هذا ، فانهم الى الجانب العملى تراهم كذلك أبعد الناس عن آثار التدين الذى كانوا يودون تحقيقه لدى غيرهم من المؤمنين فتراهم يقبضون ايديهم عن البذل والعطاء ويثقل عيهم اداء الحقوق ٠

ومن العجب انهم اذ دعاهم داعى الايمـان او اسـتغاثهم مستغيث او دعتهم الفضيلة تراهم وقد نكصوا على اعقابهم وجعلوا أصابعهم فى أذانهم واثروا العافية والانكماش على الجهاد فى نصرة الحق باقامة الفضيلة واغاثة الملهوف وتلبية داعى الحق ٠

وان خصائص هؤلاء وصفاتهم قد صورها هذا البيان القرآنى أصدق تصوير حيث قال سبحانه « **أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم و** ـ **يحض على طعام المسـكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون** » وان هذه المعانى الكريمة نوجزها للقارىء فقد اشتملت تلك الايات على ما يأتى :

فالحق سبحانه يخاطب رسوله مبينا له علامات الكذاب المكذب الذى يظهر أنه متدين ، والحق أنه قد نسى ما تقتضيه صلاته من روح الخوف والمراقبة والشعور بغيرة الله على الحق وعلى عباده الضعفاء وقد اتخذ صلاته ثوبا من الرياء يلبس به على الناس ويخفى وراءه نفسا مظلمة قابضة ممسكة لا تنضح بخير ولا تعين على معروف ٠

فلهؤلاء ولاولئك ولمن سلك سبيلهم اذكرهم وارشدهم الى الوحى النبوى الطاهر كى تصح عقيدتهم وتستقيم عقولهم ، فقد قال البشير النذير صلوات ربنا وسلامه عليه « **ليس الايمان بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل وان قوما غرتهم الامانى وقالوا نحسن الظن وكذبوا ٠ لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل** » كما اذكرهم ايضـا بالـذكر الحكيم ، فمن قوله جلت حكمته : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انالا نضيع أجر من أحسن عملا** » وقال « **يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو أجتباكم** » وقال « **ان الحسنات يذهبن السيئـات ذلـك ذكرى للذاكرين** » ٠

واريد أن أذكر هؤلاء واولئك بالقول الجامع المانع فى هذا المقام ، فقد قال خير مبعوث صلوات الله عليه « **الدين حسن الخلق** » فقد ذكرها ثلاثا او أربع مرات لمن كان يتساءل عن معنى حقيقة الدين فكان صلوات الله عليه يكرر هذا القول له

أما وقد بينت احوال وصفات الطائفتين من المؤمنين الذين لم يكن صح ايمانهم وعقيدتهم فانى بعد ذلك أجدنى مضطرا الى بيان **الطائفة العليا من المؤمنين** فهؤلاء المؤمنون حقا هم الذين قد استنارت قلوبهم بخشية الله وسلطانه ، وآمنوا بغيره الحق سبحانه نحو الضعيف ، وقد لاح اثر هذا الايمان القوى وفاض نوره على حواسهم ألسنتهم وتجلى فى اخلاقهم ومعاملتهم فتراهم لا غل بينهم ولا حسد ولا حقد ، ولا غضب ، ولا بغضاء ، ولا شح ، ولا قطيعة ، ولا أثرة ، ولا أنانية كم ترى هؤلاء المؤمنين حقا فى معاملتهم لا يكون فيها غش ولا خديعة ولا تلبيس ولا مخاصمة ، ولا احتيال ، على أكل أموال الناس بالباطل ولا ينكسون عهده ولا يكذبون فى حديثهم مكتوبا كان أو منقولا أو مسموعا فان الكلمة أمانة كما أن المعاملة والاخلاق أمانة ٠

ولعل القراء يذكرون معى الاية الجامعة لتلك الصفات والفضائل الكاملة التى تحلى بها هؤلاء المؤمنون وهم طائفة الايمان الصحيح واليقين الصادق تلك الاية التى تقول « **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون** » ٠

وان علينا جميعا معشر المسلمين والمسلمات ان نعتقد اعتقادا راسخا ان الايمان الحق يبعث على الرحمة فالرحمة اثر من آثار الايمان وصدق قول الحق فى وصفه أصحاب نبينا عليه السلام اذ قال « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » وعلى ذلك فالرحمة فضيلة سامية من الفضائل الانسانية الكريمة تدفع اليها العواطف النبيلة والاحساس الانسانى الشريف فلقد اتصف الحق نفسه بنفسه بصفة الرحمة فقال « **كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم** » واننا نذكر قول المصطفى صلوات الحق عليه

« **لا تنزع الرحمة الا من شقى** » وان ما نشاهده الان بيننا واقعا من المشاحنات والمنازعات والمهاترات والحروب انما هو ناتج بسبب نزع الرحمة من القلوب وخلو الشفقة من النفوس ٠

ومن آثار الرحمة الانسانية النابعة عن حسن الخلق تفريج القلوب واغاثة الملهوف والاية القرآنية الجامعة لهذه الخلال المجيدة قول الحق عز شأنه « **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى** » وقد كان صلوات الحق عليه وسلامه يحث أصحابه على الرفق والبر والشفقة فيذكر لهم ما يذكى نفوسهم ويقوى صلتهم بربهم وبما يرفع شأنهم بين بعضهم بعضا فى المحبة والاخاء والوئام والصفاء فيقول راويا عن رب العزة فى حديثه القدسى « **ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم : مرضت فلم** تعدنى ، قال : **يارب كيف اعودك وانت رب العالمين** « قال ، **اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ اما انك لو عدته لوجدتنى عنده ! يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمنى قال : يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين ؟ قال : اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه اما انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى » يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين** « قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ؟ **اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى** ! ومن آيات الايمان الصادقة الدالة على حسن خلق المؤمن ان ايمانه الذى

تجلى فى معاملاته فدفعه الى الرحمة والبر ببنى الانسان تراه مع ذلك رحيما كذلك نحو غيره من خلق الله كمثل الحيوان فتلك قصة قد حدثت بين يدى المصطفى عليه السلام ذلك ان رجلا من أصحابه كان ماشيا فوجد كلبا يلهث لشدة عطشه فنزع الرجل احدى خفية وأنزلها فى البئر فاتى بها وفيها ماء ثم أعطاها ذلك الحيوان مرة بعد مرة حتى روى وارتوى وانصرف الرجل ولكن الخبير البصير الذى يسمع ويرى شكر لهذا الرجل ضيعة فلما جاء هذا الرجل بين أصحابه عند النبى عليه السلام قص قصته وقال بعد اذن « **وان لنا فى البهائم لاجرا ؟ فقال المصطفى عليه أزكى السلام فى كل كبد رطبة أجر !** .

الا أن المنعم الكريم الغنى الحميد قد جعل اعظم آية واكرم صفة تدل على حقيقة ايمان المؤمن الذى أسلم وجهه لربه انه يدون موفقا الى نعمة الشكر اذ يفيض ربه عليه بمننه وخيراته فيكون شاكرا بلسانه اولا وهذا من رحمة الله به واذ ذلك يصدق عليه قوله تعالى « **لئن شكرتم لازيدنكم** » هذا الشكر يعود أثره على صاحبه ان كان لسانيا قوليا فقط اما حقيقة الشكر فهى تلك التى لا تكون باللسان فقط بل تبعثها رحمة المؤمن الى أن يكون شكره كذلك ايجابيا عمليا فالشكر العملي هو أن يكون بيننا تعاون صادق قائم على المروءة والشهامة والنجدة والغوث والاحسان والبر بالضعيف وكل ذى حاجة . فتلكم الفضائل والخصال الشريفة لهى أكبر شاهد على حسن خلق دين فاعلها المؤمن المسلم حقا . وليعلم المؤمنون من قرائنا الاعزاء ان آثار حسن الخلق وان كانت دالة على تدين المؤمن فانها فى آثارها لها أبعاد اجتماعية قوية بين المجتمع بل بين الامة بل بين شعوب الارض جميعا فان المجتمع أو الامة التى تسود بينها الخلال والصفات الفاضلة الناجمة عن حسن الخلق ذاك يدل ويشهد بتقدم وسمو الامة او المجتمع اذ تستطيع الامة أن تنهض فتنشأ نشأ من شبابها صحيح العقيدة قوى الايمان يسود عمله الاتحاد والوحدة والتكاتف والمثابرة والثبات والصمود فيصبح الكل فى وطنه كأنه رجل واحد او انسان واحد ومن ثم يتكون بيننا جيش الايمان والعقيدة الصادقة النابعة من القرآن والسنة المتخلقة بأخلاق السلف الصالح الذين اعزهم الله بدينه فعزوا به ونصروا الحق فأيدهم الحق فتوفيقه ومدده ونصره فكان من هؤلاء الجيش الاسلامى الذى كان مصنع سلاحه وعتاده قائما فى داخل بنيانه اعنى ان هؤلاء قد أشرب قلوبهم محبة الايمان وحلاوته فاستعذبوا حلاوة الجهاد فى كل مرافق الدولة فى شئونها المختلفة فسادت الدولة الاسلامية وعزت واتسع ربوعها واشرقت دعوة الحق وانتشرت بنور ربها الا أن الذين يتخذون القرآن كتابهم والرسول محمدا نبيهم وقائدهم ويتخذون أصحابه واتباعه المثل الاعلى بينهم عليهم لكى يكونوا حقا اهلا لهذا النسب المجيد ولهذا الشرف العظيم التليد ليفعلوا كما فعلوا وليسيروا على نمطهم ونسقهم واخلاصهم واخلاقهم وفضائلهم وجهادهم تدين لهم الدنيا وتخضع وتذل لهم ويومئذ تعمل الامة الاسلامية فى هذا العصر بالارشادات القرآنية والتعاليم النبوية يصير تدينهم بالدين الاسلامي الحنيف حقا عمليا واقعا قد دل على قوة يقينهم وفى هذا وبهذا العمل يصدق عليهم قوله تعالى « **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور** » . وقوله تعالى « **انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد** » الا ليعلم القراء جميعا الذين يقرءون لانفسهم أو يقرءوا عليهم غيرهم ان قرءوا او سمعوا هذا المقال ان لكل امة شعارا مميزا لها عن سواها وشعار امتنا الاسلامية هو قول حبيبنا البشير النذير عليه منا خير صلاة وتسليم « **الدين حسن الخلق** » .

يا اله الحق والخير والرحمة نسالك ان تبصرنا اتباع الحق وان ترزقنا الخير فى أقوالنا وأعمالنا وان ترحم بفيضك وفضلك كل من أحب نبيك المصطفى واتبع سنته فانك حسبنا أهل الرحمة واهل التقوى واهل المغفرة يا كريم .

بقية مقال « آخر البعوث النبوية »

يفت فى عضد المسلمين ، ولم يوهن استعدادهم لتأديب كل متمرد على تعاليم الاسلام .

ثم خرج « أبو بكر » يودع الجيش ماشيا ، و « أسامة » راكب ، فقال « أسامة » ، « يا خليفة رسول الله » لتركبن أو لا نزلن ، فقال « أبو بكر » : « والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة » ؟

ثم أخذ يوصيه بهذه الوصايا العالية كما وصاه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال له ولمن معه : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلو ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ، ولا شيخا ، ولا تفرقوا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ، ولا بعيرا ، الا للاكل » .

تعاليم ترفع لواء الاسلام ، وتنهض به .

أين منها وسائل التدمير والفتك التى نلمسها الان فى عالم اليوم الذى يتزعم الحضارة ؟

مواقف لابى بكر تثير الدهشة والاعجاب ، وتملأ النفوس روعة وجلالا .

ثم عاد الجيش الى « المدينة » وقد أبلى ذلك البلاء العظيم ، ولقن دولة الروم درس الادب التاريخى المجيد» ، ورفع لواء النصر عاليا ، خفاقا .

وخرج الخليفة الصديق رضى الله عنه والمسلمون معه يستقبلون المنتصر خارج المدينة مكبرين : فرحين : مهنئين بالفوز المبين .

ولما دخل « أسامة » المدينة أسرع الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين حمدا لله تعالى على ما أولى المسلمين من عزة وتكريم .

ملامح وأخلاق

مجتمع العلم والإيمان

فضيلة الشيخ مصطفى الجندى

فى أجزاء سابقة من هذا البحث ، عرضنا على القارىء الكريم بعضا من صور النماذج الباهرة التى كان يزدان بها مجتمع الايمان على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمثلة لما كان يتجلى على الوجود من ملامح الخير فيه . عسى أن يكون له فيها أسوة وقدوة .. تدفعه الى ان يسعى فى صدق الى ان يساهم فى اخلاص من أجل اعادة ملامح وجه المجتمع الاول المؤمن ، ليشرق باضوائه على الوجود من جديد ، وليبعث فى الحياة العافية ، ويمنحها فرصة البقاء والاستمرار حتى تكمل مسيرتها الى أجلها الذى قدره لها ربها : وضربه لها موعدا تنتهى عنده ، وتبلغ غايتها لديه ، وتحقق أهدافه عندما تصل اليه .

ولم يكن ما سقناه للقارىء الكريم من ملامح هذا المجتمع المبارك شيئا بعيد المنال تصادفه الارض ولم تزدان به الحياة من قبل فقط .. ولكنه كان واقعا عمليا وسلوكا واقعيا قد تجلى على الوجود ، وأشرق على وجه الارض ، واستمتع به الناس حتى حين ، وباركه القرآن الكريم ، وزكاه ، وأثنى على أصحابه ثناء خالدا خلود القرآن الكريم نفسه وبقائه فى الارض ، ما بقى على الارض حياة ..

ولقد كان مما باركه القرآن وزكاه واثنى على أصحابه من هذه الملامح والاخلاق :

١ - شدة هذا المجتمع على الكافرين ورحمته بالمؤمنين .

٢ - حرص هذا المجتمع على اقام الصلاة لانها عماد الدين لا لشىء الا ابتغاء مرضاة ربهم والتماسا لفضل الله

٣ - شيوع روح الحب والود ، وانتشار اريج عطر الاخوة بين أفراده على قسمة سواء .

٤ - خلوص قلوب افراده من الحقد والحسد ، والبغضاء والكراهية .

٥ - ايثار افراد هذا المجتمع اخوانهم على أنفسهم ، حتى ولو كان بهم خصاصة وحاجة الى ما يؤثرونهم به على أنفسهم ويقدمونهم عليهم فيه .

٦ - براءة نفوسهم من الشح ، وسخاوة أيديهم بالجود والبذل ، والمسارعة الى الخير . وفى الجزء الاخير من المقال الذى سبق هذا الجزء الجديد من البحث : وضعنا بين يدى القارىء الكريم صورا ونماذج فائقة فى نمطها من خلق والسلوك الذى لم يعرفه التاريخ لاحد من البشر من قبل : لا سيما فى باب براءة النفس من الكزازة والشح ، وسخاوة اليد بالجود والعطاء ..

أما بذل هذا المجتمع ما له من أجل مرضاة ربه ، وابتغاء مثوبته ، ومسارعته الى الخير وانفاقه فى سبيل الله ، فالحديث عنه يطول ، والنماذج له أكثر من أن تحصى ، فنحن لا نغلوا فى القول حين نؤكد انمجتمع الايمانوالعلم :على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلافنا الصالحين : كان مجتمع خير وبذل فى الله ، بل كان افراده يتنافسون فى هذا الباب ، ويتسابقون فيه ، حتى سجل التاريخ فى صحائفه صورا باهرة وشتى من ملامح افراده ، لتظل هذه الانماط الممتازة من أفراد المؤمنين نورا لمن يأتى من بعدهم والى يوم القيامة - على الطريق ، يهديهم الى الخير ، ويحدوهم اليه ويغريهم به

من ذلك : ما سجله التاريخ للصديق أبى بكر رضى الله عنه :

فلقد كان لابى بكر حين اسلم : خمسون الف درهم ، انفقها كلها فى سبيل الدعوة الى الله ، وشراء الارقاء الذين اسلموا وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بكل ما جاء به لاستنقاذهم مما كانوا يلاقونه من أهوال ، ومنهم بلال حتى قال صلى الله عليه وسلم « ان من أمن الناس على فى

صحبته ابو بكر ، ولو كنت متخذا أحدا خليلا لاتخذت ابا بكر ، ولكن أخوة الاسلام » « روته معظم كتب السنة » ٠

ولقد تجلى خلق البذل والانفاق من أجل الله واعلاء كلماته كأسمى ما يكون البذل فى غزوة مؤتة ٠٠ فلقد كانت الحاجة ماسة الى تجهيز الجيش نظرا لطول المسافة ، وبعد الطريق ، وحين حث الرسول صلى الله عليه وسلم المقتدرين من الصحابة للاسهام والبذل فى تجهيز هذا الجيش ، جاءه ابو بكر رضى الله عنه بكل ما يملك : فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠ ماذا أبقيت لاهلك ؟ فاجاب : أبقيت لهم الله ورسوله ٠

وفى يوم تبوك : تقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنصف ماله لتجهيز جيش العسرة ، ولما سأله الرسول صلى الله عليه وسلم يومها : ماذا أبقيت لاهلك ؟

قال : ابقيت لهم نصفه ٠٠

وفى يوم تبوك أيضا تجلى بذل عثمان رضى الله عنه من أجل نصرة دينه ، واعلاء كلمات ربه ، كأعظم ما يكون البذل والانفاق فى سبيل الله تعالى : حتى بلغت نفقاته يوم تبوك حدا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يرفع يديه الى السماء ، ويقول : « اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض ٠

فلقد كان عثمان بن عفان رضى الله عنه رجلا تاجرا ، وكان قد جهز عيرا الى الشام فيها مائتا بعير ، فحولها الى سبيل الله وقال : يا رسول الله : هذه مائتا بعير فى سبيل الله بأحلاسها وأقتابها ، ومائتا اوقية من الذهب وأفرغها أمام النبى صلى الله عليه وسلم فصار النبى صلى الله عليه وسلم ينكت فيها بعود كان بيده ويقول :« ماضر عثمان ما فعل بعد اليوم » ٠

مع كل ذلك فقد عانى جيش العسرة الذى خرج الى تبوك جهدا عظيما وجوعا بسبب قلة المؤنة ٠٠ فما كان من عثمان رضى الله عنه ـ الا أن سارع بتجهيز مؤن اخرى وطعام يليق بالجيش من ماله الخاص ٠٠

وحين انيخت الركائب المحملة بالميرة والطعام ٠٠ رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال : اللهم أنى رضيت عن عثمان فارض عنه ، ثلاث مرات ٠ ثم قال : « يا أيها الناس ادعوا لعثمان ، فدعا له الناس جميعا مجتهدين ، ونبيهم صلى الله عليه وسلم معهم ٠

لقد كانت اولى الفضائل والمحامد التى سبق بها عثمان الناس جميعا : هو هذا البذل الخالص ، وهذا الكرم والجود فى كل وجه من وجوه البر والخير ، الذى استحق به عثمان رضى الله عنه ان يدعو له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخير أكثر من مرة وكان مما سجله التاريخ له : ما كان منه يوم قدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى المدينة والمسلمون معه مهاجرين من مكة ، فلقد شكا المهاجرون من قلة الماء من أول لحظة لمقدمهم ، كما شكوا كذلك من تغير طعمه ، ولم يجدوا بالمدينة غير بئر واحدة ماؤها عذبة ، ولكنها كانت ملكا لرجل من اليهود ، انتهز الفرصة واستغل الموقف ليمارس ما جبلت عليه نفسه من الجشع والطمع ، بأن احتكر ماءها وغالى بثمنها ٠٠ وعندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال ، من يشترى بئر رومه غفر الله له ؟ فاتى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وتفاوض مع اليهودى وساومه حتى اشترى منه نصفها ، وقال لصاحبها : ان شئت نصبت لى دلوا ونصبت لك دلوا ٠ وان شئت : كان لك يوم ولى يوم ٠٠ فقال اليهودى : بل يكون لى يوم ، ويكون لك يوم ، فكان المسلمون يأخذون كفايتهم من الماء ليومين حتى لا يحتاجون الى الماء فى يوم اليهودى الذى يغالى فى الثمن ، ليربح ربحا فاحشا ، فلما وجد اليهودى انه لا ينتفع من نصيبه ، وان عثمان بن عفان رضى الله عنه قد فوت عليه غرضه من جمع المال بغير حق ، باع اليهودى عثمان رضى الله عنه بقية البئر ، فاشتراها عثمان منه ، وجعلها وقفا فى سبيل الله ، يشرب منها سائر الناس وسجل الواقع التاريخى لعثمان رضى الله عنه عدة مواقف اخرى من مواقف البذل والانفاق ابتغاء مرضاة الله تعالى والتماسا لمثوبته واجره ٠

ذلك : انه لما ضاق مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولم يعد يتسع للمسلمين ، حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على توسعة المسجد ٠٠ فقال : من يشترى بقعة فلان فيزيدها فى المسجد غفر الله له : فتقدم عثمان بن عفان رضى الله عنه واشتراها ، وضمها الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم توسعة له ٠

وفيما يتعلق بمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ايضا يقول ابن عمر رضى الله عنهما ـ فيما أخرجه البخارى فى صحيحة عنه » ، ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه بالجريد ، وعمده خشب النخل ٠٠ فلم يزد ابو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد واعاد عمده خشبا ، ثم عمره عثمان فزاد فيه كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج ٠

ولم يقتصر بذل عثمان رضى الله عنه وجوده وسخاؤه فى الاسلام على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بل ظل كريما جوادا بماله فى سبيل الله طول حياته الى أن لقى ربه وقد روى « الاستاذ محمود الطنطاوى فى كتابه من فضائل العشرة المبشرين بالجنة ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة ١٩٧٦ هذه القصة رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما وفيها ٠

« ان الناس قد قحطوا على عهد أبى بكر ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : لا تمسون حتى يفرج الله عنكم ، فلما كان الغد جاء البشير اليه ، فقال : قدمت لعثمان الف راحلة تحمل برا ، وطعاما ، فغدا التجار على عثمان ، فقرعوا بابه ، فخرج اليهم ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : بعنا ما عندك حتى نوسع به على فقراء المدينة ، فقال لهم عثمان : ادخلوا فدخلوا فاذا ألف وقر «أى حمل» قد صب فى دار عثمان ٠ فقال لهم : كم تربحوننى على شرائى من الشام ؟ قالوا : العشرة اثنى عشر ٠ قال : لقد زادونى ٠ قالوا : العشر أربعة عشر ٠ قال : لقد زادونى ، قالوا : العشرة خمسة عشر ٠ قال : لقد زادونى ، قالوا : من زادك ؟ ونحن تجار المدينة ٠٠ قال : لقد زادنى الله لكل درهم عشرة ، « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » قالوا : لا نقدر على ذلك ٠ قال : فاشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المسلمين ٠

وكان على رضى الله عنه ـ قليل ذات اليد ، ومع ذلك فقد كان كثير الانفاق مما يستطيع ٠٠ ويقال انه هو الذى نزل فيه قوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » ، «ينظر تفسير مجمع البيان للطبرى ج ١٠ ص ٤٠٤ » ٠

وكان مما يزدان به هذا المجتمع المبارك : عبد الرحمن بن

عوف - رضى الله عنه - لقد كان من أعظم الناس بذلا فى الله ابتغاء وجهه ، والتماسا لرضاته .. فلقد كان من أكثر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أموالا ، حيث كان تاجرا وكان حظه من التجارة موفورا ، الى درجة جعلته يعجب هو نفسه من كثرة ربحه فيها ، فقال : لقد رأيتنى لو رفعت حجرا رجوت أن أصيبه ذهبا أو فضة .

ومن يوم أن دخل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الاسلام مع السابقين اليه والى أن لقى الله عز وجل ، وهو مثل أعلى ، وقدوة حسنة ، ونموذج طيب صالح للمؤمن الثرى الواسع الغنى ، الذى لا يطغيه الثراء ، بل يقربه ثراؤه من ربه ومن رسوله ومن الناس ، يبرهم بما انعم به ربه عليه ، ويواسى المحتاجين منهم ، ويسعى بالبذل والمسارعة الى الخير كلما اتيحت له فرصة اليه .

لقد كان تاجرا شريفا لا يعرف الجشع أو الطمع ، واستطاع بتوفيق من ربه أن يسخر كسبه من الحلال لنيل مرضاة ربه ومحبته ، فلقد تصدق بماله كله أكثر من مرة ، كما كان يكتب فى كل ليلة قائمة بتوزيع ما عنده من ثياب ومتاع على اخوانه المحتاجين قبل أن ينام ، فينفذ ذلك فى صباح اليوم الثانى ، ثم ينزل الى السوق وليس عليه الا ثوبه الذى يلبسه !

ومع ذلك فقد أثرى ثراء فاحشا ، وأغناه ربه من فضله غنى سخره كله للبر والصلة ، والصدقة والمواساة للمسلمين ، حتى ان طلحة بن الرحمن بن عوف ليقول : كان اهل المدينة عيالا علىعبد الرحمن بنعوف : ثلث يقرضهم من ماله ، وثلث يقضى دينهم بماله ، وثلث يصلهم .

وقدم له مرة «عير» ، تحمل البر والدقيق قوامها سبعمائة بعير ، وسمع الناس لها رجة فى المدينة ، وسألت عائشة أم المؤمنين - رضى الله عنها - : ماهذا ؟فقيل لها : انها قافلة لعبد الرحمن بن عوف قدمت . فقالت عائشة : أما أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كأنى بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل به مرة ، ويستقيم أخرى حتى يفلت ولم يكد . فلما بلغ ذلك عبد الرحمن قال : هى وما عليها صدقة » .

وباع عبد الرحمن رضى الله عنه ارضا الى عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار وقسمها على المسلمين ، وبعث منها الى أمهات المؤمنين ، فقالت عائشة - رضى الله عنها - : من أرسل بهذا ؟ فقيل لها : عبد الرحمن بن عوف . فقالت : سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة » .

ويقول: «صاحب الرياض النضرة فى مناقب العشرة ج ٢ » : عن ابن عباس رضى الله عنهما : مرض عبد الرحمن بن عوف ، فأوصى بثلث ماله ، فصح ، فتصدق بذلك بنفسه ، ثم قال : يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من كان من أهل «بدر» له على اربعمائة دينار ، فقام عثمان رضى الله عنه ، وذهب مع الناس ، فقيل له : يا أبا عمر : ألست غنيا . قال : هذه وصلة من عبد الرحمن لا صدقة ، وهى من مال حلال ، فتصدق عليهم فى ذلك اليوم بمائة وخمسين ألف دينار .

غير أن الامر الذى يجب التنبيه عليه ، ولفت الانظار اليه : هو أن هذه الصور الباهرة ، والنماذج النادرة المثال بين البشر ، لم تكن لتصدر فى سلوكها نحو البذل والسخاء والجود الى هذا الحد من عند نفسها ، فلم يكن مثل هذا البذل وليد صدفة ، أو عمل اتفاق ، أو رد فعل لعمل من

الاعمال ، ولكن ذلك كله كان بعض اشعاع هدى من جعله الله تعالى مصدر الاسوة والقدوة لامته ، يستهوى أرواحهم ، ويستلب أفئدتهم وقلوبهم ، ويستثير عواطف الخير فيهم ، بما يرونه من اخلاقه ، وسلوكه ، وسائر حاله وسمته ، وحرصه على أن يكون مصدر خير دائم ، وغدير معروف وبر لا ينضب .. لقد رأى أصحابه سلوكه فاستهواهم يقول جابر ابن عبد الله رضى الله عنه « ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شىء فقال لا » وانبهرت خديجة بسيماء الخيرفيه فذكرتهبه « انك لتحمل الكل ، وتكسب المعدوم : وتعين على نوائب الحق » . ورأى أصحابه مواقفه من المال فانبهروا به : ذلك يوم حمل اليه سبعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا ، حتى فرغ منها . والذى بهر أصحابه بكثرة صدقاته ونفقاته حتى انه ليعطى عطاء من لا يخشى الفقر . والذى كان كثيرا ما يستدين لينفق على بعض ذوى الحاجات . ذلك يوم جاءه رجل فسأله ، قال له ، ما عندنا شىء ، ولكن ابتع علينا ، فاذا جاءنا شىء قضيناه ، فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر ، فكره النبى ذلك . فقال رجل من الانصار ، يارسول الله ، انفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا . فتبسم صلى الله عليه وسلم ، وعرف البشر فى وجهه وقال : بهذا امرت .

لقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس على الاطلاق : وكان أجود ما يكون فى رمضان ، وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة . وكان لا يمل من ان يردد لاصحابه ما رواه الامام الترمذى عنه « السخى قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، ولجاهل سخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل » .

لقد رأى منه أصحابه مواقف كثيرة من المال بهرتهم وادهشتهم وعلمتهم واثارت عواطفهم وحركت هممهم لتنقاد مختارة الى الخير والبر دون أن يسوفها أحد ، ودون أن يدفعها الى ذلك شىء الا الاقتداء بمواقف النبى المعلم محمد صلى الله عليه وسلم والاخذ بحكمته فى ذلك التى تتجلى كأروع ما يكون فى قوله « يقول العبد : مالى مالى : وانما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » «أخرجه الامام مسلم فى صحيحه » .

فما اروع ما رآه أصحابه منه : وقد جاءه مال كثير : أنفقه الا بضع دريهمات استبقاها ، اذ لم يجد لها طالبا .. فما عرف النوم قط فى تلك الليلة قلقا مما بقى عنده منها ، وما كاد يصبح الصبح حتى سارع الى انفاقها .. والتبرى منها .. !

ولعل أعظم ما انبهر له الناس وأهاج عواطف الخير فيهم ، وعدل من سلوكهم ازاء المال وازاء الدنيا باكملها ، وفاة النبى صلى الله عليه وسلم - وليس عنده فى بيته دينار ولا درهم ولا شىء ، بل ان درعه كانت مرهونة عند يهودى فى مقابل بضعة أصوع من شعير يطعم بها أهله .. !

كما كان صلى الله عليه وسلم قد أوقف كل أرض كانت قد صارت اليه من نصيبه فى الغنائم . وفى ذلك كان يقول : « نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة » وبعد :

فما أروع القدوة والاسوة التى كانت تقود سلوك الناس على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتلهب عواطفهم ، وتثير انفعالهم واستجابتهم لداعى الخير . وما أشد حاجة مجتمعنا اليوم الى مثل ذلك التى تعيد اليه ملامح مجتمعات الخير التى سبقته .. وقادت من سلوكه وحببته الى الخير .

« للبحث صلة باذن الله »

مواقيت الصلاة

أيام الأسبوع	صفر ١٣٩٧	يناير ١٩٧٧	الفجر		الشروق		الظهر		العصر		المغرب		العشاء	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
الجمعة	١	٢١	٢٠	٥	٥٣	٦	٦	١٢	٢	٣	٢١	٥	٤٢	٦
السبت	٢	٢٢	٢٠	٥	٥٣	٦	٦	١٢	٢	٣	٢٢	٥	٤٣	٦
الاحد	٣	٢٣	٢٠	٥	٥٣	٦	٧	١٢	٣	٣	٢٣	٥	٤٤	٦
الاثنين	٤	٢٤	٢٠	٥	٥٣	٦	٧	١٢	٤	٣	٢٤	٥	٤٥	٦
الثلاثاء	٥	٢٥	٢٠	٥	٥٣	٦	٧	١٢	٥	٣	٢٥	٥	٤٥	٦
الاربعاء	٦	٢٦	١٩	٥	٥٣	٦	٧	١٢	٥	٣	٢٦	٥	٤٦	٦
الخميس	٧	٢٧	١٩	٥	٥٢	٦	٨	١٢	٦	٣	٢٧	٥	٤٧	٦
الجمعة	٨	٢٨	١٩	٥	٥٢	٦	٨	١٢	٧	٣	٢٨	٥	٤٨	٦
السبت	٩	٢٩	١٩	٥	٥٢	٦	٨	١٢	٨	٣	٢٨	٥	٤٨	٦
الاحد	١٠	٣٠	١٨	٥	٥٢	٦	٨	١٢	٨	٣	٢٩	٥	٤٩	٦
الاثنين	١١	٣١	١٨	٥	٥٢	٦	٨	١٢	٩	٣	٣٠	٥	٥٠	٦
الثلاثاء	١٢	أول فبراير	١٧	٥	٥٢	٦	٨	١٢	٩	٣	٣١	٥	٥٠	٦
الاربعاء	١٣	٢	١٧	٥	٥٢	٦	٩	١٢	١٠	٣	٣٢	٥	٥١	٦
الخميس	١٤	٣	١٦	٥	٥٢	٦	٩	١٢	١١	٣	٣٣	٥	٥٢	٦
الجمعة	١٥	٤	١٦	٥	٥٢	٦	٩	١٢	١٢	٣	٣٣	٥	٥٢	٦
السبت	١٦	٥	١٥	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٢	٣	٣٤	٥	٥٣	٦
الاحد	١٧	٦	١٤	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٣	٣	٣٥	٥	٥٤	٦
الاثنين	١٨	٧	١٤	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٤	٣	٣٦	٥	٥٥	٦
الثلاثاء	١٩	٨	١٣	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٤	٣	٣٧	٥	٥٦	٦
الاربعاء	٢٠	٩	١٣	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٥	٣	٣٨	٥	٥٧	٦
الخميس	٢١	١٠	١٢	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٦	٣	٣٩	٥	٥٨	٦
الجمعة	٢٢	١١	١٢	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٧	٣	٣٩	٥	٥٨	٦
السبت	٢٣	١٢	١١	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٧	٣	٤٠	٥	٥٩	٦
الاحد	٢٤	١٣	١٠	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٨	٣	٤١	٥	٠٠	٧
الاثنين	٢٥	١٤	٩	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٨	٣	٤٢	٥	١	٧
الثلاثاء	٢٦	١٥	٩	٥	٥١	٦	٩	١٢	١٩	٣	٤٣	٥	٢	٧
الاربعاء	٢٧	١٦	٨	٥	٥١	٦	٩	١٢	٢٠	٣	٤٣	٥	٢	٧
الخميس	٢٨	١٧	٧	٥	٥١	٦	٩	١٢	٢٠	٣	٤٤	٥	٣	٧
الجمعة	٢٩	١٨	٦	٥	٥١	٦	٩	١٢	٢٠	٣	٤٥	٥	٣	٧
السبت	٣٠	١٩	٥	٥	٥١	٦	٩	١٢	٢١	٣	٤٦	٥	٤	٧

الإسلام يصنع الحياة والتقدم

الأستاذ عبد الحكيم النجار

.. لقد جاء الاسلام ليكون هداية الله للبشرية جمعاء .. وكان أهم اهدافه ازالة القيود والسدود التى تقف امام انطلاق الانسان لتحقيق رسالته فى هذه الحياة .. ورسالته ذات ارتباط بهذا الوجود الكبير وذات أثر فيه أيضا .. ليعيش فى جو رائع من العزة والكرامة الانسانية ..

لذلك احدث الاسلام اعظم واكبر اصلاح للبشرية حيث بلغت دعوته من القوة والسمو والطهر والنقاء والصفاء .. ومن المواءمة لروح العصر ونظريات المجتمع .. ومذاهب التفكير الحديث .. ما شهد به الفلاسفة والمفكرون والمشرعون فى مختلف العصور ..

والاسلام لم يكن فى يوم من الايام الا دين الحياة والتقدم والمدنية والتحرر الانسانى .. والمنطلق الوحيد للاصلاح والتعمير والتشييد فى كل مجالات الحياة ..

فهل نستطيع أن نقدم للعالم زادا جديدا من القيم والفضائل وأسلوبا للحياة يتقبله العالم ويرضى عنه حين يرى فيه انقاذا له من أزمته التى يتردى فيها ؟ !!! نعم ..

ان اوربا لم تنهض نهضتها الحديثة الا بعد ان فهمت روح الاسلام واصوله .. واقتبست من شريعته فى الاصلاح .. بل لقد وقف فلاسفة الغرب حياله مذهولين .. حائرين .. متأملين ..

وفى ذلك يقول اللورد استانلى « انا مسلم .. رأيت عظم اثر الاسلام وقدرته فى نفسى حق قدره .. نعم أنا مسلم .. أهزأ بكل ما يحيط بى من مظاهر المدنية .. فصحيحها الحق فى كتاب الله وقرآنه .. وباطلها المذاع لا يلبث أن تبرهن الايام على بطلانه ..

ويروى اللورد هدلى : (شرحت لكثير من الافراد فى انجلترا رسالة الاسلام فكانوا يجيبوننى اذا كان هذا هو دينك فنحن اذن مسلمون . لان هذا هو ما نعتقده وما نفكر فيه ..

ويؤكد برنارد شو فى قوله : (لابد أن تعتنق الامبراطورية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن .. ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر لنجح تماما فى حل جميع المشكلات العالمية ولقاد العالم الى السلامة والسعادة المنشودة ..

المعرفة الانسانية

ان الاسلام وضع اصول السياسة والتشريع والاخلاق واصول البحث العلمى والنظر والتفكير وسبق (الديكارتيين) الى تقديم الشك أمام كل بحث .. وترك التقليد والى الايمان بما يؤدى اليه الدليل كما سبق (بيكون) الى المذهب العلمى .. وسبق فلاسفة الاجتماع الى وضع أصوله .. ولم يجعل للمعرفة الانسانية حدا – من حيث وضع بعض المفكرين الغربيين حدا لما يمكن أن يصل اليه الانسان من معارف ..

وأقام مبادئه على سمو الغاية الانسانية والادبية فحسب دون النظر الى التعليلات الاقتصادية والمادية للاشياء التى هى الان اساس المدنية الغربية .

التشريع الاسلامى

اذا كان الغرب يفخر بنظام الضمان الاجتماعى الذى وضعه لبلاده ..

فان المسلمين هم أول من طبقوه ونفذوه .. فقد كان يعرف من بيت المال نصيب معلوم للفقراء والمساكين واليتامى والارامل وابناء السبيل كما كان لهم نصيب فى الغنائم ونصيب فى الزكاة ..

وكان عمر يفرض لجميع المسلمين عطاء من بيت المال ويقول :

(والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد)

هذا كله غير تشريع الاسلام للزكاة والهبة والوصية والوقف والارث ودعوته الى الاحسان – وفرضه حقا معلوما للفقراء فى أموال الاغنياء ..

ويفاخرنا الغرب بنظام الشورى ·· فان الاسلام هو أول من وضع نظام الحكومة الشورية التى كان دستورها القرآن · والتى أختفت فيها الفروق والامتيازات ··

وفى هذا يقول سيد المرسلين (الامام راع ومسؤول عن رعيته) ويعلن فى المجتمع : ايها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى فليستقد منه ـ ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ومن أخذت له مالا فهذا مالى فيأخذ منه · ولا يخشى الشحناء فهى ليست من شأنى ··

ولعلكم قرأتم بامعان قول عمر (ان رأيتمونى على حق فاطيعونى وان رأيتمونى على باطل فقومونى ، وقوله لعمرو ابن العاص : متى استعبدتهم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا ؟ وقوله : أصابت امرأة واخطأ عمر) وغير ذلك مما يعد دستورا فى تقرير مسئولية الحاكم ·· !

حقوق الانسان

والشعوب التى تتزعم مدنية اليوم لا ترى ايضا ضيرا فى تدمير المدن وقتل النساء والاطفال والكهول والمرضى ·· وازهاق ارواح المدنيين بلا حساب فى حروب منظمة ·· يعجز العقل عن تصور هولها وفظاعتها · فأين هذا من شريعة الإسلام التى فرضت على المسلمين احترام حقوق الانسان حتى فى الحروب ·· والتى نهت عن الاعتداء والنهب والتدمير ·· حتى لقد اوصى رسولنا العظيم جنده فقال لهم : اوصيكم بتقوى الله · وبمن معكم من المسلمين خيرا ·· اغزوا باسم الله من كفر بالله ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعته ، ولا تحرقوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ··

هذا وقد بلغت المساواة فى الاسلام المدى الواسع الشاسع حيث ولى رسول الله بلالا على المدينة ، وفيها سادة العرب والمسلمين من الانصار والمهاجرين ، وأسند الى (مهران) الفارس ولاية اليمن ، واذن عمر ·· وهو خليفة ·· لصهيب وبلال وسواهما من عامة الناس بالدخول عليه قبل اشراف قريش وسادة العرب ··

مبادىء وقيم

والاسلام حرر المرأة من جور الرجل ، وحرر العامل من ظلم صاحب العمل ، وحرر الرقيق والخدم ، وحافظ على حق الانسان فى الحياة والامن ، وحقه فى الملكية وفى تكوين الاسرة ·· وفى الاشتراك فى ادارة شؤون الدولة ··

ودعا الى العدالة بأجلى معانيها ·· وحمى أتباع الاديان الاخرى وجعل لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم من واجبات وحقوق ان الاسلام يضع هذه المبادىء والقيم امام انظار العالم اجمع ·· ليعرف حرصه على احترام حقوق الانسان وحمايته لاصول التقدم العلمى والروحى والاقتصادى بل والسياسى ··

واعتقد أن عالمنا اليوم فى حاجة ملحة لروح الاسلام ليتخلص من قلقه وحيرته وغرقه ·· ويجعله يحس بالامن والامان لو أنه أخذ من نهجه الواضح الذى هو أساس الحياة ··

وهذا مجال الدعوة الاسلامية وهذه رسالتها ··

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

واخيرا :

فهل نجد فى تراثنا الروحى وفى قيم ديننا العظيم وفضائله ما يهدى الانسانية الى الخير والحق ويجنبها الخطر الذى تتردى فيه ؟

نعم ··

فلنتدبر سيرة سيد المرسلين معلم الدنيا وواحدها ··

فلا نجد رجولة تدانيها فى التضحية والكفاح والعلم والصبر والمصابرة وجمال الروح بكل هذا استطاع النبى الامى ان يؤسس دولة كبيرة لها وزنها وقوتها ·· استطاعت بكل القيم والمثل ان تصنع الحياة و تتقدم والازدهار للمجتمعات البشرية جمعاء ··

ثروة الأمة

يقول ابن القيم رحمه الله « فى القلب شعث لايلمه الا الإقبال على الله · وفيه وحشة لا يزيلها الا الانس بالله · وفيه حزن لا يذهبه الا السرور بمعرفته ، وصدق معاملته ، وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه والفرار اليه · وفيه نيران وحسرات لا يطفئها الا الرضا بأمره ونهيه وقضائه وقدره ، ومعانقة الصبر على ذلك الى يوم لقائه وفيه فاقة لا يسدها الا محبته والانابة اليه ، ودوام ذكره : وصدق الاخلاص له ، ولو اعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة ابدا · انها الفطرة البشرية الاصيلة التى لا تجد سكينتها الا فى الاهتداء الى الله والايمان به والالتجاء اليه ·

·· لقد كان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عابدا تسيل بدموع الخاشعين ماقيه الباكية بين يدى الله · وكان سيدنا محمد رسول الله محاربا تسيل بدماء الباغين سيوفه المشهورة فى سبيل الله ، وكان سيدنا محمد رسول الله ، أمينا فى المعاملة ، وأمينا فى الدعوة ، وأمينا فى أخلاقه ، كما كان أمينا فى العمل لربه ولدنياه · فاذكروا محمدا المحارب فى سبيل الحق كما تذكرون محمدا الداعى الى شريعة الحب والعمل والاخلاق ، واذكروا محمدا فى ميدان الشهادة ، كما تذكرون محمدا الخاشع فى المحراب · انه رسول الله الامر بالمعروف الناهى عن المنكر الذى أنزل الله عليه قرآنا « **اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى** » ·

ويقول الكاتب الشهير توماس كارليل « وخرجت جيوش رعاة الامس ، تقتحم الارض شرقا وغربا ، وتفتح باسم الدين الجديد ، وفى خلال القرن الواحد من الزمان ، انها معجزة ، ولولا انها حقيقة تاريخية ، لقلت أنها خرافة او خيال · لقد كانت صيحة محمد صلى الله عليه وسلم اشبه ماتكون بشرارة ملتهبة وقعت لا على كثبان كسولة من رمال الصحراء ،، ولكن على جبال من البارود تفجرت مرة واحدة ، فعم نورها الافاق من هضاب الهند حتى سهول الاندلس ·

·· ومن أمعن النظر فى نظام هذا الكون وما ابتدعته فيه يد القدرة ، رأى وعلم ان الله القوى الحكيم العليم قد ركبه من امور تنوعت صفاتها ، وتغيرت مظاهرها ، وهى على اختلافها ليست فى الحقيقة الا مادة واحدة عملت فيها عوامل القدرة فنصبتها على هذه الشراً ! متنوعة الصفات مختلفة الاحوال حسبما تقتضيه طبيعة حياتها وحكمة وجودها لابسة من حلل النظام وحلى الاحكام ما يشهد للحق جل شأنه بالتفرد فى صفات الكمال « **الله لا اله الا هو رب العرش العظيم** » ·

ومن بديع حكمته انه لما انتقل الانسان من الوحشية الى المدنية ، أوجب له ذلك الانتقال ضرورة الاعمال ، ونادته الجماعة حى على التعامل · فمن لايؤثر ان يعمل لا يأكل ، فاندفع كل الى الخبط فى مهنته ، والغوص فى حرفته ، فذهب يعارك الجمادات كل كثيف ، ويباشر الصنائع كل

وكيانها فى أخلاقها وأعمالها

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

خفيف ، ويمارس العلاقات كل عليل منقطع ، ويتاجر بالبضائع كل كليل مبتدع ، ويستقصى الموجودات كل دقيق مخترع • وهكذا قد انخرط الجميع فى الارتباط وغرق الكل فى لجج الاختباط ، فكل طائر على أجنحة الطيش ، ليقطع آفاق العيش • فترى البعض يشكو الكلال ، والبعض يندب الملال ، وهذا يتوجع فى التعب ، وذاك يتفجع من الوصب ، فأعين تبكى من العسر ، وأفواه تضحك من اليسر ، **«يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه» فابصار الجميع** شاخصة الى غرض واحد وهو طريق العيش والرزق ، فهم عليه متزاحمون ، بواسطة حرف ومهن واسباب مختلفة • فالناس بين مزاحمة تقتضى تذافرا ، ومساعدة تقتضى ائتلافا وليسوا فى ذلك سواء « **فطرة الله التى فطر الناس عليها** » • والانسان مسوق بحسب خلقته وما تقتضيه فطرته الى الشغل والعمل ليمون نفسه • **ولذلك كان مضطرا طبعا** لان يتبصر زمن صحته فيما يكون اذا أصابه مرض يمنعه عن العمل او اعتراه وهن الشيخوخة وضعف القوى ولهذا جاء الحديث الشريف « **تزود من صحتك لسقمك ، ومن غناك لفقرك ، ومن شبابك لهرمك** » **وبعبارة أخرى « سنة الله فى خلقه » هى ان ينظر الانسان فى الحال الى مايؤول اليه امره فى الاستقبال ، بل هذا النظر الذى يطلبه الوجود هو قاعدة سلامة الاوطان وراس المدنية والعمران • وهذا يدعو الانسان الى أن يدخر فى يومه شيئا من ثمرة عمله فى هذا اليوم ، ليستعمله فى يوم ثان اذا طرا عليه ما يمنعه من العمل • وهذا المدخر هو ما نسميه رأس المال •**

فرأس المال اذا هو جزء من ثمار اعمال سابقة يستعان به فى الاعمال اللاحقة وظاهر ان لكل انسان رأس مال هو ما ادخره والنجار الذى يملك قدوما ومنشارا ، صاحب راس مال • والحداد الذى يملك كيرا وسندانا ومطرقة صاحب رأس مال • ومالك المحراث للحرث او مسطرين للبناء او مقص للخياطة كل من هؤلاء صاحب رأس مال •

وليس رأس المال قاصرا على النقود أو الارزاق المستعملة فى أنتاج ارزاق اخرى او مؤونة او آلة بل « الادراك » رأس مال • « والادب والاخلاق الحسنة ، راس مال • » والبر والخير ، رأس مال ، لمن يسديه • وحب الوطن والتفانى فى خدمته والحرص على كيانه واستقلاله ، رأس مال • بل جميع الاعمال ، فالسابق منها رأس مال فى الحال ، والحالى منها رأس مال فى المستقبل •

والطفل الذى يتعلم القراءة والكتابة والحساب وتاريخ وطنه وامور دينه وما كان عليه السلف الصالح ، حاصل بتعلمه على رأس مال • فاذا تعلم بعد ذلك صنعة زاد رأس ماله ، وحينئذ لا يتوقف نجاحه فى المعيشة الا على أن يكون عاملا صادقا ، وأمينا مؤديا لواجباته نحو وطنه ودينه وربه ونفسه •

والذى تعلم الشريعة ، واحكامها وآدابها وعمل لها باخلاص ووفاء ، حاصل بتعلمه على رأس مال ، يحصل له به الفائدة • والاعتبار باستعمال رأس المال فى ارشاد الناس الى صالحهم واقامة العدل بين الناس ليقف كل عند حده ، فيحصل الامن وتحفظ الحقوق • والطبيب له رأس مال هو معلوماته التى اكتسبها بالتعلم ، وانتفاعه منه موقوف على حسن استعماله لهذه المعلومات •

والسياسى الذى جرب الامور واختبر الناس يملك رأس مال ، تختلف قيمته بحسب تجاربه ومعرفته لاحوال العالم وضروريات امته ، وراس المال هذا يستعمله السياسى ايضا كما يستعمل التاجر رأس ماله فى الاستغلال ، فيبذل منه فى صورة مقترحات ما يعود على الامه التى يشتغل من أجلها بزيادة ثروتها ورفعتها ورفاهيتها بنسبة رأس ماله • ولرأس المال من أى نوع كان أهمية عظمى فلا غنى عنه لامة او دولة او أسرة • والا فكيف يكون حال الامة اذا لم يحصل افرادها على المعلومات الادبية والدينية والعلمية ، والتى أصبحت اليوم أكثر ضرورة لكل انسان وبها يتميز عن غيره من أنواع الحيوان • ما ذلك الا لكثرة الفساد وانتشار البدع فى الاقوال والافعال والعبادات ، ولبعد الناس عن الله وتعاليمه الصحيحة ، وعن رسول الله ونصائحه المثمرة ، وعن الدين الاسلامى عموما واحكامه • لقد كنت اود ان تكون هناك فى الدولة وزارة تسمى « وزارة الادب والاخلاق » ، تسهر على تهذيب الانسان وتاديبه بالمعروف او بالضرب على الايدى حتى تعود به الى الصحيح من العقيدة مما يرفع من شان الفرد والجماعة وبهذا ينجح الفرد وتسود الجماعة • ونرضى الله ورسوله بالاتباع الصادق الصحيح •

« **ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين • او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون** » ، ان هذه آية من كتاب الله كانك لم تقرأها من قبل •

فكيف حال الامة اذا لم تتخذ رجالا من أهلها اهل دين وحزم فالحاكم يأمر بتنفيذ القانون واحكام الدين ، والمحكوم ينفذ الامر بالطاعة لهذه الاحكام وعندئذ نصبح أمة ذات ثروة وراس مال ، تعلو بكيانها ودينها واخلاقها واعمالها على سائر الامم «**واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور** » •

وبالجملة تربية الانسان على نوعين نفسية وجسمية فتربية النفس تكون بقلع الرذائل منها وغرس الفضائل فيها وهى من الاسرار التى عليها مرقاة السعادة الدنيوية والاخروية وانما تفيد ببث روح العقائد الدينية فى قلوب الناشئين وعدم اكراههم على تحمل الاذى حتى يشب المرء على حسن الخلق وصفات الكمال كالمروءة والشجاعة والصدق والكرم ويكون بعيدا عن المنكر وشروره ، لا يكدر وجه الاداب يصبح مألوفا محبوبا يهدى الى الهدى ويصد عن الهوى • أما التربية الجسدية فمراعاة صحتها والعناية بها «**ان لبدنك عليك حقا فلا تهمله ولاتنهكه ولاتعرضه للمخاطر او التلف فانت** محاسب عليه مسئول عنه •

سيدى القارىء الكريم :

ما أجمل الشقاء مع الحرية وعزة النفس ، وما اقبح الحياة مع الذل والهوان ، فان لم تكن فى الحياة سعادة واخلاقا فليكن الفناء « **وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا** » **صدق الله العظيم •**

المؤاخاة في الإسلام

فضيلة الشيخ الصاوي شعلان

ان المؤاخاة التى أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار من أجل ثمار الهجرة النبوية لانها تدريب عملى للامة الاسلامية لتعيش عليها فى حاضرها ومستقبلها ولقد سبق هذه المؤاخاة أن تجمع المسلمون يبنون المسجد تحت اشراف النبى صلى الله عليه وسلم ومشاركته وهو يقول : اللهم لاعيش الا عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة وهم يقولون :

لئن قعدنا والنبى يعمل
لذاك منا العمل المضلل

والنبى يحمل معهم الحجارة وهو يقول :

هذا الحمال لا حمال خيبر
هذا ابر ربنا وأطهر

وقبل ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم قد عقد معاهدة مع اليهود فيها الكثير من معانى الاخوة السامية ولكنهم لم يحفظوها ولو قد فعلوا لحفظوا أنفسهم لانهم لم يتفقوا الا على الغدر والخيانة من بنى قينقاع الى بنى النضير الى بنى قريظة الى فلولهم فى خيبر فهم لم يتذوقوا أبدا معانى الاخوة .

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريب العملى فى دار زيد بن سهل بأن أرسل يستدعى أصحابه من المهاجرين والانصار ليؤاخى بينهم على المواساة فى الحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الارحام ليكون بتلك المؤاخاة الامة المثالية ويبدأ بناء الوحدة لخير أمة أخرجت للناس وليقضى على بذور الفرقة المدمرة .

وجاء من الانصار خمسون ومثلهم من المهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه ، وحدثوا به من بعدكم ان الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، وانى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وآخى بينكم كما أخى الله تعالى من الملائكة ، قم يا أبا بكر ، ان لك عندى يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فأنت منى بمنزلة قميصى من جسدى · ثم دعا خارجة بن زيد وآخى بينه وبين أبى بكر ثم قال لهم جميعا تآخوا فى الله أخوين أخوين · وآخى بين عمر بن الخطاب وعقبان بن مالك وبين أبى رويم الخثعمى وبلال بن رباح ، و. ن أسيد بن خضير وزيد بن حارثة كما آخى بين أبى عبيدة وسعد بن معاذ ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين جعفر بن أبى طالب وكان غائبا فى الحبشة ومعاذ بن جبل ، وبين مصعب بن عمير وأبى أيوب الانصارى ، وبين سلمان الفارسى وأبى الدرداء ولم يكن سلمان قد أعتق بعد ·

ولم يبخل الانصار بشىء لارضاء اخوانهم من المهاجرين وتوفير الراحة لهم « يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » ·

وما زالت هذه الاخوة أنشودة يتغنى بها كل من لمس ثمارها من المحبين لدينهم من الشعراء من تكلم منهم بالعربية ومن تكلم بغيرها ومن أمثلة ذلك هذه القصيدة التى صاغها بالاردية الشاعر ·· دل محمد ، عميد الكلية الاسلامية بلاهور ترجمناها عنه ·

غرس الاخوة اصله من يثرب
هى جنة المأوى وغارسها النبى
ان ضلت الدنيا أعاد صوابها
نور المدينة لاشعاع الكوكب
فترابها تبر الغنى ونسيمها
رى المنى ، وشفاء كل معذب
بعث النبى بها الجماعة موكبا
فاذا الملائك فى صفوف الموكب
وسقى الاخوة كوثرا من نوره
فالظامىء الحيران من لم يشرب

● ● ● ●

والسابقون الاولون لحبه
قد خلفوا الاوطان والاوطارا
لم يذكروا مالا ولا ولدا ولا
زوجا ولا أهلا ولا اصهارا
تركوا جوار الظالمين ـ فبدلوا
بالاهل أهلا والديار ديارا
يافوز احرار العقائد عندما
أهدى الاله اليهم الابرارا
فاذا الجميع مهاجرون لجنة
وترى الجميع لدينه أنصارا

● ● ● ●

هذا هو الهادى الكريم وصحبه
قمر مغير والنجوم جنود
كأس من الوحى الطهور روية
قد طاب منها للقلوب ورود
أضحوا فراشا حول مشكاة الهدى
والصبح من آياتها مشهود
الصدق والايمان نور قلوبهم
والاتحاد يقيمه التوحيد
لم يعرف الفلك المدار كوكبا
كوجوههم والنيرات شهود

● ● ● ●

تتجاوب الدنيا بعهد أخوة
هى للحياة سعادة وخلود

البقية ص ١٣٥

أفضل الناس المؤمن العالم

الأستاذ احمد واق

قوام العقيدة والشريعة فى الاسلام ، هو الايمان المحض بالله واحدا لا شريك له ولا معبود سواه والعمل الصادق بما جاء به كتاب الله وسنة رسوله .

ولا يتحقق ذلك على وجهه الاكمل والاشمل الا بالعلم ، ينفحه العقل السوى الراشد ، خالصا من الانحرافات والشوائب .

وحين يكون ثمه تفاضل بين مؤمن ومؤمن ، فان أفضلهما المؤمن العالم ، أو الاكثر علما ، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « افضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع ، وان استغنى عنه نفع نفسه » .

وكتاب الله وسنة رسوله ، هما معا جماع العلم والمعرفة ومصدر الخير كله للناس اذا ما التزماها عبادة وعملا وسلوكا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان أخذتم به ، لن تضلوا بعدى أبدا : كتاب الله وسنتى » .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن على الناس ، ويفسر لهم معانيه ويوضح مناهجه ويجلو سرائره ، فكان فيهم رسولا مبلغا ، ومعلما مرشدا ، وعلى يديه والاقتداء به فى اعماله وتطبيقاته ، تعلم اصحابه ما لم يكونوا يعلمون من حقائق الدنيا والدين ، وعرفوا ماكانوا يجهلون من العبر والعظات ، فى انباء من سلف من الامم ، ومن جاءوا قبله من الانبياء والرسل ..

وكان عليه الصلاة والسلام ، يدعو الى العلم ويحث الناس على طلبه فالله تبارك وتعالى يأمر بالعلم ويعظمه ، وكان أول ما تنزل من كتابه الكريم قوله عز وجل : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » وفى مفتتح السورة الثانية مباشرة أقسم بالقلم بقوله : « ن ، والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون » .

وعندما يأمر الله رسوله بالقرءة – وهو الامى فى قوم من الاميين – ويذكر القلم مقترنا بالعلم وخلق الانسان ، ويقسم به مزكيا رسوله ، فى مستهل وحيه وتنزيله ، فليس اعلى من ذلك تكريما ، للقراءة والكتابة ، ولا أصرح منه دعوة اليهما ، اذ هما مفتاح العلم ، وبابه والوسيلة اليه .

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتفى بنفسه فى هذا المجال الواسع الذى سيتجاوز حياته وعصره ، الى مستقبل قريب ، ثم يمتد الى آخر الزمان . فهؤلاء المسلمون القلائل سوف يخرجون من صحرائهم ، لينشروا الاسلام فى شتى آفاق الدنيا ، وسيؤتيهم الله نصره الموعود ، فيحكمون شعوبا ، ويعلمون أمما ، وتتسع عليهم الحياة ، وتختلف ألوانها ، فلابد من تأهيلهم لذلك بالعلم تثبيتا للعقيدة وتبيانا للحقوق والواجبات وتوجيها للفكر الى أسرار الكون ، والى المكنون من عناصر الطبيعة المتحركة والجامدة .

والمسلمون فى عصر الاسلام الاول ، كانوا عربا تتفشى الامية فيهم ، والقليل جدا منهم من كانوا يقرأون ويكتبون « كانوا سبعة عشر كما جاء فى كتب السيرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يضع اللبنة الاولى فى مكافحة هذه الامية الفاشية ، باعتبارها الحاجز المنيع بين الجهل والعلم . فكان يعهد الى القلة الكاتبة القارئة ، فى تعليم الاميين ، ومن ذلك موقفه فى اسرى بدر من المشركين ، وكانوا قد وزعوا على مقاتلة المسلمين

المجاهدين ، فلا يطلق أحد أسيرا عنده الا بفدية وكان المسلمون يغالون فى هذه الفدية لانهم يومئذ بأشد الحاجة الى المال ليعوضهم ما خسروه فى الهجرة ، وهو كثير ، وما أنفقوه فى عدوان المشركين وقتالهم ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعفى من الفدية ، من يعرفون القراءة والكتابة ، على أن يبقوا بالمدينة آمنين مرزوقين ليعلم كل منهم عشرة من الاميين المسلمين ، ففعلوا ، ونشأت بهذه الطريقة الطبقة الاولى من القراء والكتاب الذين حفظوا القرآن وكتبوه وفسروه ، ورووا الحديث ودونوا السنة وآدابها وتفقهوا فى الدين وكانت لهم الامامة والفتوى .

وأدخل رسول الله فى بيوته بعض القارئات الكاتبات ليعلمن الاميات من نسائه أمهات المؤمنين .

وهكذا كانت اهتمامات رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم المسلمين ، متقدما بهذه الخطوة الاولى على الطريق الطويل ، فالامية ظلام وضلال ، والعلم هدى ونور ، ولا يرى ثمة بأسا أو ضيرا فى أن يقوم بهذا التعليم طائفة من المشركين الذين يعادونه ويحاربون دعوته فالمجتمع بالمدينة صار مجتمعا اسلاميا مؤمنا يظلله كتاب الله وسنة رسوله ، فلا مخافة من شر هؤلاء المشركين الذين لم يلبثوا أن دخلوا فى الاسلام عن اقتناع وايمان بعد أن عايشوا أهله ، وتفيأوا ظلاله ، ووجدوا فيه الامن والسلام ، والاخاء والتراحم ، والعدل والمساواة .

وهنا نظرة للمراجعة والتأمل ، فيما نعانيه اليوم فى مصر ، وفى غيرها من الشعوب العربية والاسلامية ، بعد اربعة عشر قرنا من البعث المحمدى ، فقد انتشرت الامية هنا وهناك انتشارا مروعا حتى أنها لتبلغ الان فى مصر – وهى فى المنطقة كلها تمثل المجتمع الحضارى المتقدم – تبلغ أكثر من سبعين فى المائة ، بعد جهود متواصلة بذلت طوال عشرات السنين الماضية فى تقرير التعليم الالزامى ، ورغم التدابير والنشاطات المنوعة التى تنفق عليها الدولة سنويا مئات الالوف .

هذه المعضلة المعوقة لمسيرة الامة ، فى عصر بلغت العلوم الانسانية فيه أقصى المدى ، كان من الممكن – وما زال ممكنا – أن تحل وان تتخلص من عارها وسيئاتها باتباع الطريقة اليسيرة التى استنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بتكليف طلبة الجامعات والمعاهد الدينية والفنية والمدارس الثانوية ، بأن يقوم كل منهم فى موقعه أو بلده بتعليم عشرة من الاميين فقط ، ويعتبر هذا التكليف – فضلا عن كونه عملا وطنيا – شرطا لقبوله بالجامعة أو مسوغا من مسوغات التوظف ، ونحن نرى هذا الامر أكثر سهولة ويسرا فى فترة انتظار الوظيفة بعد التخرج ، فالملاحظ أن هذه الفترة تبلغ فى معظم الاحوال عدة سنوات ، يقضيها الخريجون فى عطلة وفراغ ، وربما فى لهو ضار ، فلو نيطت بهم مكافحة الامية تكليفا من الدولةوكان نجاحهم فيها شرطا لازما لمستقبلهم ، فانه قد لا يمضى سوى بضع سنين حتى تنمحى هذه الامية وتختفى صورتها القبيحة ، ذلك الى ما سوف يتحقق تلقائيا من ملء فراغ هؤلاء الشباب بالعمل الجاد النافع وتمرسهم بالمسئولية المبكرة وتحويلهم من طاقة معطلة الى طاقة منتجة ، وفى ذلك خير كبير لا شك فيه .

ونعود الى الحديث عما ينبغى أن نذكره دائما ولا ننساه من أمر الاسلام والعلم ، فقد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اهتمامه البالغ بتعليم الاميين من المسلمين فى عهده ، وكيف أنه أعفى بعض الاسرى من المشركين من الفداء ، لقاء قيام كل منهم بتعليم عشرة من المسلمين ، وفى هذا الموقف بالذات نجد مبررا لاستعانة الدولة الاسلامية بخبرات العلماء الاجانب غير المسلمين ، فالعلم ضالة المؤمن يطلبه حيث يكون ، والرسول الكريم يقول : « **اطلبوا العلم ولو فى الصين** » والصين حينذاك أبعد ما يذهب اليه الفكر العربى ، ويقول : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » فالعلم فى مستوى الفرائض : **بل هو أعلاها : فلا ايمان بغير علم** » ومن سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة .. ولان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة » وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

ومواقف رسول الله من العلم والدعوة اليه انما هى شعاعات متألقة من صفائه الروحى والعقلى ، ومن التلقى الاعلى الذى بين له وعلمه وأرشده الى ما ينفع الناس فى دينهم ودنياهم ، فقد قدس الله العلم فى مستهل الوحى ، وقدسه بعد ذلك فى آيات كثيرة من كتابه الكريم ، ورفع من شأن العلماء وميزهم بالفضل على سائر الناس كقوله عز وجل : « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط** » فالله سبحانه يبدأ بنفسه ويثنى بالملائكة ويثلث بأهل العلم ، وهذا منتهى التشريف والتعظيم ، وقوله تبارك وتعالى : « **انما يخشى الله من عبادة العلماء** » « **بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم** » والفرق الكبير بينهم وبين من لا يعلمون « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » ..

وبعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى مضى الخلفاء والولاة والقادة على سنته فى تعظيم العلم وطلبه .

ووجد المسلمون فى بلاد فارس والروم التى افتتحوها واستظلت براية الاسلام ، سمات شاحبة من حضارة قديمة متزايلة ، وعرفوا أن من ورائها علوما عبث بها ، وخرب معاهدها ، الطغاة ممن كانوا يحكمون هاتيك الشعوب بالجور والاذلال والجهل .

ويطول بنا القول اذا ما تحدثنا عن هذ الحضارة وهاتيك العلوم فى أطوارها التاريخية المختلفة ، فان لها لحديثا آخر يجمع أطرافها ويستجلى حقائقها .

وجملة ما يقال فى موضوعنا اليوم ، هو أن العرب دخلوا البلاد المفتوحة ، ومعهم الاسلام قرآنا وسنة ، وعقولا منورة بالايمان ، فأنقذوا تلك الشعوب المقهورة من ذل الاستعباد ، وأعطوا كل انسان فيها حقه وحريته ، وأقاموا موازين العدل والمساواة بين الجميع ، فأحبوا الاسلام واعتنقوه ، كما أحبوا لغة العرب ، فتعلموها وتفصحوا فيها ، ووجدوا فى المساجد منائر هداية وساحات عبادة ومعاهد علم ، فاقبلوا عليها اقبال الظماى على المورد العذب ، فصلحت أحوالهم ، وتنضرت حياتهم بأخلاقيات القرآن وآدابه وتعاليمه ، ومن ثم قامت فيهم حضارة اسلامية رائعة موادعة ، وازداد العقل العربى المسلم القائم على شرع الله ، تفتحا وتوهجا ، فانطلق باحثا عن العلوم الانسانية القديمة يلتمس فيها مزيدا من الخير للناس ، ووجد المسلمون بقايا من هذه العلوم عند قلائل كانوا بقية من أفلتوا من قبضة القياصرة والملوك الجهلاء الذين كرهوا العلم والعلماء فطاردوهم وشردوهم ، وكانت مكتوبة بلغاتها الاصلية القديمة كاليونانية والرومانية والهندية ، الخ فنقلوها الى العربية واستعانوا فى ذلك بمن يحذقون هذه اللغات فى الدولة الاسلامية من أهل الذمة ، ونظر علماء المسلمين فى العلوم المعربة وعرضوها على عقولهم وعقائدهم وشريعتهم فجردوها من الافكار الوثنية التى كانت تتخللها وأضافوا اليها ما ليس فيها من حقائق علمية صحيحة اكتشفوها بالبحث والتجربة ، وأقاموا لها المدارس

والجامعات ، فكانت بغداد ومصر ودمشق فى الشرق وطليطلة وأشبيلية وغرناطة فى الغرب ، مقصد الطلاب ، ومنتجع الوراد ، من كل أمة ومن كل جنس ، ومن كل لغة ، ومنها امتدت الى أهل أوربا الاضواء الاولى لفجر جديد .

ولما تفرقت وحدة المسلمين بالفتن وأطماع الامراء واستحالت دولتهم الواحدة الى دويلات وطوائف متعادية ، وهنت قوتهم ، وكان اعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، فوثبوا عليهم وغزوهم فى ديارهم ، وكان همهم الاول أن يطفئوا مشاعلهم الاسلامية والعلمية التى سادوا بها وعزوا ، فعاثوا فى المكتبات الاسلامية فى القصور ودور العلم تحريقا وتدميرا ، ويجمع المؤرخون من الفرنجة أنفسهم ، على أن الفرنجة أحرقوا واغرقوا ثلاثة ملايين مجلد بمكتبة طرابلس ومليون وستمائة ألف مجلد بخزانة العزيز بالله الفاطمى فى مصر ، وستمائة ألف مجلد بخزانة الحكم الثانى بقرطبة وثمانين ألف مجلد فى غرناطة ، عدا ما أحرقه التتار في بخارى وسمرقند ، وأغرقه هلاكو ببغداد ، الى آخر ما يروى عن تلك المحنة التى أصابت المسلمين ، ومن هنا توقفت المسيرة الاسلامية لتبدأ يقظة أوربا على تباشير نور العلم الذى تلقاه شبابها من الجامعات الاسلامية المدمرة بأيدى الجهال المتعصبين منهم ، وكان قد خلص اليهم من هذه الثروات المحروقة ثلاثون ألف من مؤلفات العلماء المسلمين الذين كانوا قد شأوا شأواً بعيداً في شتى العلوم والفنون ، من طب وصيدلة ورياضيات وفلسفة الخ ..

وقد بدأت هذه اليقظة الاوربية ، وتسمى تاريخيا بعصر النهضة ، من أربعة قرون فقط متخذة من هذه المؤلفات العربية مصدرا ومرجعا ، وراحت تنمو ويتسع نطاقها فى دولها المختلفة ، حتى بلغت ما يشبه الخوارق ، على نحو ما نرى اليوم ، وكانت قد استطاعت بعد محنة الغزو الصليبى والتتارى أن تغزوا العرب مرة أخرى استعماريا ، وباسم « المدنية والحضارة » وعلى امتداد قرنين من هذا الاستعمار ظل الصراع مشبوبا بينهم وبين المستعمرين فقد أبوا الا أن يعودوا أحرارا فى أوطانهم يستردون ما ضاع من تاريخهم وحضارتهم ، وقد تغلب ايمانهم بحقهم ، وصدق عزائمهم ، على هذه القوى الاستعمارية الشريرة ، فتحرروا وانطلقوا ، ليسددوا خطواتهم من جديد ، على طريق الحضارة العلمية التى وضعوا هم أساسها وكانوا أصحاب السبق والتقدم فيها .

وفى كل الشعوب الاسلامية والعربية فى عصرنا هذا خطوات واسعة لا تتوقف وعزائم قوية ، لا تنى ولا تتردد ، وبذل سخى لا ينقطع له مورد ولا مدد ، كلها تبنى وتعمر وتزرع ، لتحصد وتصنع ، وتسترجع حضارتها وأمجادها مزودة بالعلم والايمان .

وغنى عن البيان أن الانبعاث لذلك فى جهود متآزرة ، وارادة جماعية مصممة ، انما هو حق قرره الاسلام وحث عليه ، وجعله فى مرتبة العبادة ، وحكم الفرائض ، فالعلم والايمان متلازمين ، قوة عظمى تحفظ كيان الامة فى دينها ودنياها ، وتدفع عنها عدوان أعدائها الراصدين المتربصين بها .

ومن اجل ذلك فان رئيس الجمهورية المؤمن لا يفوته فى أية مناسبة أن يعلن - كما جاء فى خطبته الذى افتتح به المؤتمر الثالث لاكاديمية البحث العلمى بالقاهرة فى ١٤ من ديسمبر ١٩٧٦ - ان « قضية العلم والمعرفة بالنسبة لمصر والدول النامية انما تشكل قضية مصيرية ، وعلينا أن لا نسمح بأن نتخلف عن اللحاق بمسيرة العصر لنعوض ما فاتنا نتيجة التحديات التى فرضت علينا » .

ليكن هذا هو مطلبنا ومبتغانا جميعا ، تتلاقى عليه العقول المستنيرة والدراسات المستفيضة ، وتتحد فيه القوى والجهود والمسئوليات ، شعبا ودولة ، فى عمل ايجابى متصل ، وصبر لا يفارقه الايمان والامل .

ولنذكر دائما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الناس المؤمن العالم » .

بقية مقال « المؤاخاة فى الاسلام »

فليسعد المحروم وليستبشر الـ
مظلوم والمحزون والمكدود
وعمارة الاكوان بعد خرابها
قد حان فيها للعلا تشييد
بل عاد فى ابناء آدم بعده
فى ارضهم فردوسه المفقود
بهدى الاخاء نعم وليس بغيره
أمل ولا عمل ، ولا تجديد

● ● ● ●

قال النبى لقد بنيت اخاءكم
ووصيتى : ان تحفظوا بنيانى
فاذا تفرقتم تبدد عقدكم
كتفرق الحصباء فى الميدان
فى الخلق أوفى البعث كونوا واحدا
كالنفس واحدة بكل مكان
نار العداوة من عذاب جهنم
وحمى التآخى جنة الرضوان
هو ناثر الاموال فى حقل السلام
وناثر الارواح فى الميدان

● ● ● ●

جعلوا الاخاء قرابة موصولة
من دونها أمسى القريب بعيدا
فاعجب لمن يعطيك آخر قوته
مستخفيا ، كي لايهين الجود؟
ويموت ظمآنا ليروى ظامئا
وينال من حوض النعيم ورودا
ان المحبة يوم تغرس حبة
تدع الفضاء حدائقا وورودا
وترى كنوز العالمين كلاهما
لك فى ازدياد ان أردت مزيدا

● ● ● ●

يتبادلون دماءهم وقلوبهم
لو كان هذا البذل فى الامكان
واخاؤهم عمل وليس لغيرهم
الا أخوة منطق ولسان
فاذا سمعت من الحجاز مناديا
فجوابه لبيك فى (جرجان)
واذا استجار الحق فى (عموريا)
وثبت أسود الله من (بغدان)
بلغ الاخاء بهم أعز مكانة
ملكوا بها فى الارض كل مكان

فن التضحية في الإسلام

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة الاسلام ، ليحرر البشرية مما ترد ت فيه من وثنية طاغية ، ومادية جارفة ، وانحراف فى الفكر وفى السلوك . جاء الرسول العظيم بالدين الخالد الذى يقوم أساسا على توحيد الخالق ، فالله وحده هو الجدير بكل تقديس ، وله وحده الولاء الكامل ، لا تحنى الجباه الا لعظمته ، ولا تطأطأ الرءوس الا لعزته ، انه قيوم السموات والارض القائم على كل نفس بما كسبت ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل » ..

ودعوة الاسلام هى دعوة الحق . والحق يلقى دائما من اهل الباطل مقاومة ضارية ، بهدف اطفاء نوره ، وطمس معالمه ، ومطلوب من أصحاب الحق أن يواجهوا قوى الطغيان بمزيد من الكفاح والتضحية .

وتاريخ الاسلام مترع بالمشاهد الزاخرة بقداسة الحق ، وشرف التضحية ، أيام الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ، وفيما تلا عصره المشرق من عهود وعصور .. وقدم لنا سلفنا الصالح صورا مشرقة للبطولات الخالدة ، لتكون مشاعل على طريق الابد ، للمسلمين بخاصة ، وللبشرية الراشدة بعامة ، يتعلمون فى ضوئها الباهر ، أن الحق وحده هو المقدس ، وأن التضحية وحدها هى الشرف ، وأن الولاء المطلق للحق ، والتضحية فى سبيله ، هما اللذان يعطيان للانسان قيمته وللحياة معناها ...

وهذا هو الرسول العظيم نراه يواجه قوى البغى والعدوان بالاصرار على دعوة الحق ، وذلك حينما ظهر له من حديث عمه أبى طالب أنه يريد منه نوعا من أنواع المهادنة لعبدة الاصنام ، فيقول له فى عزة واصرار : « يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » .

ونستطيع بلغتنا الحديثة ، وبقدراتنا المحدودة أن نقول فى مواجهة المادية الطاغية : لن نترك دعوة الحق ولو جعل فى أيدينا ذهب الارض وفضتها ، والذهب يقابل الشمس ، والفضة تقابل القمر ..

ان كل هذه أعراض زائلة ، لا تنفع صاحبها شيئا . انما الذى يخلد الانسان فى دنياه الذكر الحسن ، ويجعل له درجة سامقة يوم القيامة . هو التمسك بالحق والاصرار عليه ، والصمود فى مواجهة الباطل .. ولقد كان المسلم فى فجر الاسلام يضرب بالسيف فى سبيل الله فتقع ضربة السيوف على جسده فتمزقه ، فما يحسها الا وكأنها تحيات أصدقاء من الملائكة يلقونه ويعانقونه ، وكان الواحد منهم يبتلى فى نفسه وأهله وماله ، فما يحس بأنه المرزأ المبتلى الذى يظهر فيه الحزن والانكسار ، ولكن كانت تظهر فيه الانسانية المنتصرة .. وكان شعار الواحد منهم وهو تحت مطارق التعذيب قول الحق تبارك وتعالى : « **وعجلت اليك رب لترضى** » .

• • •

وفن التضحية يصاحب المؤمن منذ صباه .. والتاريخ يسجل مشهدا رائعا من مشاهد غزوة بدر الكبرى ، مشهد فتيين حديثى السن ، تسابقا الى التضحية ابتغاء الاجر من الله ، لقد كانا فى عمر الزهور والحياة متفتحة أمامهما ، لكنهما آثرا الاشتراك فى معركة بدر ، وأبليا فيها بلاء حسنا ، ويذكر عنهما عبد الرحمن بن عوف ، رضى الله عنه قائلا : انى لفى الصف يوم بدر ، اذ التفت فاذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن ، فكأنى لم آمن بمكانهما ، اذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه : ياعم أرنى أبا جهل ، فقلت ، يا ابن أخى ما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله ان رأيته أن أقتله او أموت دونه . وقال لى الاخر سرا من صاحبه مثله ، قال : فما سرنى أنى بين رجلين مكانهما .. فأشرت لهما اليه ، فشدا عليه مثل الصقرين ، فضرباه حتى قتلاه . وقد استشهد البطلان الصغيران فى هذه الموقعة ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصرعهما يدعو لهما ويذكر صنيعهما .. هذا الجبار العاتى الذى طالما آذى الرسول الكريم بمكة . وقاد حملة ارهاب فكرى على من بدأ نور الاسلام ينفذ الى قلبه ، تكون نهايته على يد فتيين صغيرين ، بل بطلين كبيرين ببطولاتهما .. وأليس أبو جهل هذا هو الذى سد منافذ الايمان من قلب عمه الوليد بن المغيرة ؟ فلقد أتاه الله بسطقى المال والولد ، وكان للحق أحيانا انطلاق على لسانه . سمع الوليد القرآن يقرؤه رسول الله ، والرسول اذا قرأ القرآن خشعت له الارض والسموات . فقال لقومه من بنى مخزوم : « **والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ، ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه يعلو وما يعلى** » . قال الوليد ذلك ، وتسامع به قريش ، فحزن القوم وذهبوا الى أبى جهل ليعالج الامر فى حينه ، فذهب اليه أبو جهل ـ وكان

داهية ماكرا ـ وجلس أمامه حزينا مكتئبا ، ثم مازال به حتى هاجه ، وأحمى أنفه ، فانتقل الوليد الى مجمع قريش ، واذا هو قد اعد وهيأ مقالة السوء يقطر منها اللؤم ، فقام وسط الجمع وقال : تزعمون أن محمدا مجنون ، فهل رأيتموه يهوس ؟ وتقولون انه كاهن ، فهل رأيتموه يتكهن ؟ وتدعون أنه شاعر فهل سمعتموه يتعاطى الشعر قط ؟ وتزعمون انه كذاب ، فهل جربتم عليه شيئا من الكذب ؟ فقالوا فى كل ذلك : اللهم لا ثم صاحوا به ، اذا فما هو ؟ ففكر قليلا ثم قال : ماهو الا ساحر ، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ، والوالد وولده ، والسيد وعبده ، فصفق القوم فرحا ، لانهم وثقوا من أن الوليد لا يزال على دين الاباء والاجداد ، وكانت السماء تسجل هذا الموقف ليكون عبرة لاعداء الحق على مختلف العصور والازمنة ، ونزل وحى يتلى ما بقيت السموات والارض ، نزل قوله تعالى : « **ذرنى ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلا ٠ انه كان لاياتنا عنيدا ، سأرهقه صعودا ، انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال : ان هذا الا سحر يؤثر ، ان هذا الا قول البشر ، سأصليه سقر** »٠

● ● ●

وتجلى فن التضحية فى صورة تسابق بين أب وابنه ، وكل منهم يريد أن يسبق الى شرف التضحية ، لقد أراد الصحابى الجليل ابو خيثمة رضى الله عنه أن يشترك فى معركة بدر ، وأراد ابنه خيثمة أن يشارك هو فيها ، وكل من الاب والابن يصر على موقفه ، واخيرا اقترعا على من يخرج ، وخرج فى القرعة سهم الولد ، وقد رزقه الله الشهادة ، ومر العام ، وأذن مؤذن الجهاد لمعركة أحد فى السنة الثالثة من الهجرة ، فاسرع أبو خيثمة الى رسول الله يقول : لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وكنت ـ والله ـ عليها حريصا ، حتى ساهمت ابنى فى الخروج فخرج فى القرعة سهمه فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها يقول : أبتاه الحق بنا ترافقنا فى الجنة ، فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا ، ثم قال : وقد أصبحت يارسول الله مشتاقا الى مرافقته ، وقد كبرت سنى ورق عظمى ، وأحببت لقاء ربى ، فادع الله يارسول الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة خيثمة فى الجنة ، فدعا الرسول له ، ودخل المعركة وضرب أروع المثل فى الفداء ، وكأنه أراد أن يلقن البشرية درسا ليس كمثله درس فى تقديس مشيئة الله ، وتلبية ندائه وأمره ، حتى لقى ربه شهيدا ٠

● ● ●

ويتألق فى فن التضحية خباب بن الارت رضى الله عنه الذى كان رقيقا لسيدة تدعى « أم أنمار » ، وقد أعتقته ، وبقى لها عليه حق الولاء لقد كانت حرفته صناعة السيوف من الحديد ، ولما سمع بدعوة الاسلام تفتح لها قلبه ، وأعلن فى صدق واخلاص : لا اله الا الله محمد رسول الله ٠ وفى استبسال عظيم ، حمل تبعاته كمؤمن مدافع عن الحق والفضيلة ، ولقد كان حظه من العذاب عظيما ، ولكن مقاومته وصبره كانا أكبر من العذاب ٠٠ لقد حول كفار قريش جميع الحديد الذى كان بمنزله والذى كان يصنع منه السيوف ، حولوه كله الى قيود وسلاسل ٠ فقد كانوا يحمون عليها فى النار حتى تتوهج ثم يطوق بها جسده ويداه وقدماه ، وهو صابر محتسب أجره عند الله ، واستنجد القرشيون « بأم انمار » سيدته التى أعتقته ، فأقبلت واشتركت فى حملة تعذيبه ، وكانت تأخذ الحديد المحمى الملتهب وتضعه فوق رأسه ونافوخه ، وخباب يتلوى من الالم ، لكنه يكظم أنفاسه ، حتى لا تخرج منه زفرة يحس منها الاعداء أنه فى ضيق ، ومر به الرسول يوما والحديد المحمى فوق رأسه يلهبه ويشويه ، فطار قلبه رحمة وحنانا وأسى ، ولكن ماذا يملك الرسول يومها لخباب ؟ لا شىء الا أن يدعو له ، فيرفع يديه الى السماء ويقول : « **اللهم انصر خبابا** » وتستجيب السماء لدعاء الرسول ، وتنتصر لخباب فهو مضطر ، والله تعالى يقول : « **أمن يجيب المضطر اذا دعاه** ، فينزل الله بأم أنمار القصاص العاجل : **حيث أصيبت** بسعار غريب جعلها تعوى مثل الكلاب ، وقيل لها يومئذ : لا علاج لها سوى أن يكوى رأسها بالنار ٠ وهكذا شهد الحديد المحمى رأسها وهو يكويه صباحا ومساء ، انه انتقام من الله لرأس هذه المرأة الطاغية جزاء وفاقا عما كانت تصنعه بالبطل المؤمن خباب ٠٠

● ● ●

ومن النماذج الرفيعة لفن التضحية ، صورة هذا الاعرابى المؤمن الذى روى نبأه شداد بن الهاد رضى الله عنه فى قوله : جاء رجل من الاعراب البدو الى رسول الله فآمن به ، ثم قال له : أهاجر معك ؟ فأوصى به النبى بعض أصحابه وضمه الى جنده ، فكانت غزاة انتصر فيها المسلمون وغنم النبى فيها شيئا ، فقسمه على من معه ، وأرسل الى الاعرابى نصيبه ، فلما وصل اليه قال : ما هذا ؟ قال : حظك من الغنيمة قسمته لك ، قال : ما على هذا اتبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى بسهم الى هاهنا وأشار الى حلقه بيده ـ فأموت فأدخل الجنة ٠ ولعل هذا الاعرابى ما كان يجد الطعام الذى يكفيه . ولا الثوب الذى يستره ، ولا المأوى الذى يؤويه ، ولكنه الايمان المجرد ، والتضحية الخالصة لله رب العالمين ، وليس للدنيا نصيب فى قلبه ٠٠ ولقد قال له الرسول ردا على كلامه : **ان تصدق الله يصدقك** ٠ ثم نهضوا فى قتال العدو ، وما لبثوا الا قليلا حتى جىء بالاعرابى محمولا ، وقد أصابه سهم ـ فى حلقه ـ حيث أشار بيده ، قال النبى : **أهو هو ؟ قالوا : نعم** ، قال : **صدق الله فصدقه** ٠ ثم كفن فى جبة النبى ، ثم قدمه فصلى عليه ، وكان مما ظهر من صلاته عليه قوله : « **اللهم ان هذا عبدك ، خرج مهاجرا فى سبيلك ، فقتل شهيدا وأنا على ذلك شهيد** » ٠

بهذه النماذج الرفيعة مكن الله لدينه فى الارض ، وأصبح الاسلام الذى بدأ بعدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة ، أصبح دين الناس ودنيا العالم ، وانتشر نوره فى المشارق والمغارب ، وانطلقت فى أرجاء الارض كلمة التوحيد تعلن للبشرية كافة : أن لا اله الا الله محمد رسول الله ٠

قبسات من الإيمان

منذ أن خرج الانسان الى الوجود وعاش على ظهر البسيطة وهو يبحث عن السعادة ليتفيأ ظلالها ويتلمس طريق النور ليستضيء به وقد عاشت الانسانية عبر رحلتها الطويلة فى تجارب مع الحياة لتعثر على سر الطمأنينة فى هذا الوجود . وقد ركنت الى المادة لتستروح عندها نسمة السعادة .

وقدستها وغرقت فيها وجمعتها مالا ووصل بها الامر الى أن اتخذت منها آلهة تعبد . ولكن ذلك لم يجلب لها ما تنشده ولم يوفر لها ما تصبو اليه .

وها هى الان فى عصر تقدم العلم واكتشاف مجاهل الفضاء والسيطرة على المادة . لا يقر لها قرار ولم تستطع أن تنفى شبح الشقاء ولم تقض على النار المستعرة التى تتلظى بها . فالحروب تطحنها والنزعات الشريرة تعكر عليها صفو الحياة فتفقدها ما تتمتع به من لذائذ .

الدكتور السيد التمر

ان الانسان هو الكائن الفريد الذى جمع فى كيانه بين غرائز وعواطف وبين العقل . وهو بكل هذا يتفاعل مع الحياة ويؤثر فيها ويتأثر بها . والحياة بما فيها من ماديات ومنافع تلهب الغرائز وتشب أوارها . والعقل بازاء الغريزة المشبوبة قد يضعف . فيندفع مع الانسان الى لذة يحسب أن فيها سعادته فتكون مصدر شقائه . ومن ثم كان الايمان هو الميزان الذى يهذب الغرائز ويلوى عنانها فلا تجمح عن الطريق السوى وبذلك يتسنى للعقل أن يمارس نشاطه فى السيطرة عليها . وقد أشار بعض الكتاب الى تاثير الايمان فى ايجاد التعادل بين الغريزة والعقل فقال : وظيفة الايمان بالله هى التعادل بين الطبيعتين الاساسيتين وهما العقل والغرائز . فالايمان بالله بما له من قوة دافعة يحمل بها الانسان على اتجاه خاص طبقا لما رسم فى هداية الله وكتابه . يستطيع أن يكون دوما سندا لعقل الانسان وادراكه فى نشأته ونمائه . كما يكون عونا للابقاء على الغرائز وعدم افنائها ومساندة الايمان لنمو العقل نموا سليما . هى فى واقع الامر تهذيب للغرائز والحيلولة دون جموحها أو التحكم فى سلوك الانسان كله . فحيثما نزعت الغريزة الى شىء وجدت تقويما وتهذيبا وتنفيذا لما تنزع اليه فى حدود مرسومة طبقا لما هو مقرر فى شريعة الله وبالقدر الذى لا يتنافى مع مصلحة الجماعة ومع الخير العام .

والايمان بما له من هذه الهيمنة على الغرائز وتحقيق التوازن بينها وبين العقل يبث الطمأنينة فى قلب المؤمن والى هذا يشير القرآن الكريم فيقول تعالى : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » . والاية تقرر أن مجرد الايمان وحضور الله فى القلب يغرس الطمأنينة فى النفس ويودعها السكينة والاستقرار . ولم يكن ذلك ليتحقق . بأى سلطة أخرى غير سلطان الله ذلك أن الانسان محتاج الى قوة توفر له الطمأنينة من داخله وهذه القوة لا يمكن أن يكون مصدرها البشر لان البشر جميعا محكوم بقوانين بشرية من عقل وغرائز وجسم وروح . ونستطيع أن نوفر لشخص ما جميع ما يحتاجه من وسائل الراحة وكافة المتع الدنيوية . ولكن هل نستطيع أن نسعده بها . ان سعادته بهذه الاشياء تتوقف عليه هو فمن الجائز أن تكون هذه المتع محيطة به وهو غير سعيد . فمن الذى ينفذ الى باطنه ويجلى ملكاته ويوفر لها ما تحتاجه ويوفق بين نزعاته فلا يكون منها الا الانسجام انه لا يتأتى ذلك لكائن ما سوى الله . ومن ثم فالايمان هو صمام الامان للنفس يضرب على أوتارها فلا يكون منها نشاز .

وقد بين لنا القرآن الكريم ان الغريزة فى غيبة الالوهية الحقة وفى ظل المادة تسيطر حتى تكون الها يعبد وحينذاك لا يكون للعقل نصيحة تسمع ولاتوجيه ينفذ ويصبح الانسان عبدا لاهوائه ويتجرد من خصائصه ويصير حسبما توجهه نزعاته وتحكمه أهواؤه دون ضوابط . وبذلك يكون الانسان أحط شأنا

البقية ص ١٤٠

وحدة الصف والهدف

سبيل إعزاز المسلمين

الدكتور محمد جمال الدين على عواد

لقد ربطت الايام أيها القارىء الكريم بين طوائفنا وطبقاتنا ولعبت البيئة والوراثة والتربية دورها الفعال فى اندماجنا وتعايشنا جنبا الى جنب مسلمين ومسيحيين • ومرت بنا تجارب قاسية وأيام مريرة تشعرنا أكثر من ذى قبل بأن نقدر الاخطار الواقعية التى تحيط بكل دولة عربية ـ اذا بقيت وحدها بعيدة عن شقيقاتها حتى أصبح توحيد الصف والهدف ضرورة حيوية للامة العربية جميعا ومنطق حياة كل عربى على أرض عربية أو غيرها يصرح بأن الوطن العربى جسد واحد اذا شكا منه عضو تداعت له سائر الاعضاء •

واذا سيطر الاستعمار على احدى دوله اهتزت المصالح المشتركة وتهدد الامن والسلام (**ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) وتلك طبيعة الاسلام الذى ربط قلوب المسلمين على أخوة فى الله واحد فسكب فى ضمائر المؤمنين وحدة المشاركة فى العقيدة وفى التشريع وفى التفكير وفى العمل فى الدين والدنيا والباحث فى سير الحياة ودراسة الايام ليجد وحدة الصف والهدف أصل الايمان والثمرة ومنبت العزة والقوة وغرس العلوم والانتصار والرفعة والمهابة وتلك سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فقد جاء الاسلام والبشر متفرقون يتعادون فى الانساب والالوان والاديان والمذاهب والمشارب والشعور والقبائل والحكومات والسياسات يقاتل فريق منهم مخالفه فى شىء من هذه الروابط البشرية وان وافقه فى البعض الاخر فصاح الاسلام بهم صيحة واحدة دعاهم بها الى توحيد الصف فيسعدون ويبقى لهم العزة والانتصار) **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** (وقال سبحانه) **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين** « وان هذا التوجيه السامى الذى أتى به سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليحدد للناس معالمهم وليربط برباط السمو والسعادة وليدفع بهم الى مراقى الكمال دعوة الى جميع البشرية باليقظة والحزم والقوة والعزم ونداء للناس بالقبول) **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » •

فوحدة الهدف نور عليه يسير الجميع ونبراس به المجتمع يستضىء واليه يهتدى وهو الفة ومحبة ورابطة وقوة واعزاز وتكريم وسمو وغاية . جاء الخطاب الالهى مقررا هذا الوضع فلم يتجه للفرد وحده بالامر والنهى وانما تناول الجماعة كلها بالتأديب والارشاد ثم من الدرس الذى يلقى على الجميع قال تعالى) **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده** » •

فالمسلم اذا وقف بين يدى الله سبحانه ليناجيه ويتضرع اليه لم تجر العبادة على لسانه كعبد منفصل عن اخوانه بل كطرف فى مجتمع منسق مرتبط

يقول » اياك نعبد واياك نستعين لا « اياك أعبد واياك أستعين . ثم يسأل الله من خيره وهداه فلا يختص نفسه بالدعاء بل يطلب رحمة الله له ولغيره فيقول) **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** « .

ان وحدة الصف والهدف سبيل اعزاز المسلمين وعزة فعالة لرفع الراية وعلو المقام . فالمجتمع المناضل المستمسك بدينه المقبل على عمله له الفوز والسعادة) **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** (.

والعزة حق يقابله واجب وليس يسوغ لامرىء ان يطالب بما له من حق حتى يؤدى ما عليه من واجب . فاذا كلف الانسان بعمل فأداه على أصح وجوهه فلا سبيل لاحد عليه .

ويستطيع الانسان أن يحتفظ بعزة نفسه فى مجتمعه حين تسد الثغرات التى ينفذ منها اللوم .. بل ان الد الاعداء حين يلقاه يتهيبه .

(قال سبحانه:) **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** « .

فالاسلام عندما أوصى المسلم بالعزة هداه الى أسبابها ويسر له وسائلها وأفهمه أن الكرامة فى التقوى وأن السمو فى العبادة وان العزة فى طاعة الله عز وجل . والمؤمن الذى يعلم ذلك ويعمل به لابد وأن يأخذ نصيبه كاملا غير منقوص فى الحياة الرفيعة المجيدة . فاذا اعتدى عليه أحد أو طمع فيه باغ كان انتصابه فى الدفاع عن نفسه جهادا فى سبيل الله عز وجل . جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : أرايت ان جاء رجل لاخذ مالى – اغتصابه ؟ **قال عليه الصلاة والسلام** :) **لا تعطه مالك** (قال : أرايت ان قاتلنى ؟ **قال عليه الصلاة والسلام**) **قاتله** (قال أرأيت ان قتلنى ؟ **قال** : (**فأنت شهيد**) قال ارايت ان قتلته ؟ **قال** :) **هو فى النار** (.

لكن عزة المؤمن مشروطة بألا يكون صاحبها مستبيحا لكل طامع او غرضا لكل مهاجم بل عليه أن يستميت فى دفع الاعتداء عن نفسه وعرضه وماله واهله اذا وقع وأن أريقت فى ذلك دماء .

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يراق على جوانبه الدم

ومن هنا ومن غيره نجد أن الله سبحانه لا يرضى للمؤمنين الا عزة النفس وقوة اليقين والنصرة فى الدنيا والدين .

فعلينا ان نعتز بعزة الاسلام التى أمرنا بها من رب العزة سبحانه حتى نكون أمة تستحق أن تتبوأ مكانها تحت ظل الاسلام وأن تستعيد عزها السالف ومجدها القديم) **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** « .

والسلام على من اتبع الهدى .

بقية مقال « قبسات من الايمان »

من الحيوان الاعجم الذى يسير بمقتضى قوانين فطرته . يقول تعالى : « **أفرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون**

ويضرب الله لنا مثلا لمدى الطمأنينة التى تعود على المؤمن من وراء انتسابه الى اله واحد ومدى الحيرة التى تنعكس على من يعبد الهة شتى فيقول الله تعالى :

« **ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا** ؟ » .

فالله يشير فى هذه الاية الى أنه لا يستوى من يكون مملوكا لشركاء متنازعين ومن يكون مملوكا لسيد واحد .

فمن يكون مملوكا لشركاء متنازعين يكون حائر النفس لانه لا يدرى كيف يرضيهم وعلى اى وجه يسلم من مسئوليته نحوهم .

أما من يكون مملوكا لسيد واحد فهو يعرف مراد سيده وما يرضيه وما يغضبه فكذلك من يعبد الها واحدا ومن يعبد آلهة شتى .

وعبادة الالهة الكثيرة هى فى الواقع ترك لسلطان الاله الواحد وهيمنته على النفس وليس من اللازم أن يكون الانقياد لالهة شتى فى صورة شعائر وطقوس . بل هى تحكم لاهواء النفس ونزعات الانسان وتركها تسيطر . ومن ثم كان الايمان فى تطويع هذه الغرائز والاتجاه بأهواء النفس لما يريده الله ورسوله . يقول عليه الصلاة والسلام : « **فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** » . وهل بعد السيطرة على النزعات والتحكم فى الاهواء وسيرها سيرا سليما تبقى للانسان مشكلة ؟؟ ويدخل حياته سبح الالم ؟؟ لقد عاش المؤمن الحق فى ظل الايمان قرير العين رضى النفس آمنا على يومه وغده لانه وازن بين ظاهره وباطنه وبين نفسه ومجتمعه .

فكان حقا عليه أن يأمن على حاضره ومستقبله .

« **الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون** » .

حقا انه الحكم من الله للمؤمن الصادق الايمان بالامن المطلق من النزعات الشريرة ومن الاهواء الضالة . ثم بالامن من عذاب الضمير وبالامن من عقاب الله يوم القيامة . فما أعظمه من ايمان والى لقاء آخر فى ظل الايمان .

الحب في الله

الأستاذ
محمد النظامي

قدم الاسلام بكتاب يذكر الناس بأن خالقهم واحد ، وانهم نسلوا من عائلة واحدة ويدعوهم الى التمسك بمبادىء تقوى روابط الاخوة بين كل من آمن بالله واتبع هداه من عبادات تخلق الانسان الذى يعرف حق الله عليه وحق الناس عليه ويعطى لكل ذى حق حقه ، ومن معاملات اخلاقية تحيط الانسان بسياج من الخلق الكريم وتحقق له ولمجتمعه الرخاء والاخاء والحب

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) . وقال جل شأنه : وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا » .

وبما أن سعادة الامة وقوتها ورفعتها لا تكون الا بتآخيها واتحادها لذلك أقام الاسلام المجتمع الاسلامى وجمعه على مقومات ودعا المسلمين الى التمسك بها وممارستها ، لان التمسك بها يحقق القوة والعزة والسعادة الدنيوية والاخروية- جمعهم على عقيدة واحدة هى الايمان بالله ، وجعل لهم شعارا واحدا يوحدهم هو لا اله الا الله محمد رسول الله وجعل لهم نداء واحدا يجمعهم هو « الله كبر » وجعل لهم قبلة واحدة وعبادات واحدة تؤدى فى أوقات واحدة . جعل لهم دولة واحدة وقانونا واحدا هو القرآن ولغة للدين واحدة وهى العربية وزيا للاحرام بالحج واحدا ، وعمل على تثبيت فكرة الاخاء لدى المسلمين فتجمعوا عند كل شدة واتحدوا لدى كل محنة ، وأصبحوا باسم الله أخوانا متعاونين وصدق قول الله تبارك وتعالى :

لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم . ويقول عز من قائل : ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . ويقول جل شأنه : « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

ويقول الشاعر العربى موصيا أبناءه :

كونوا جميعا اذا اعتدى
خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا
واذا افترقن تكسرت افرارا

وبداية الاسلام انما قامت على الحب لله المنعم المتفضل واهب الحياة والنعم اليه المرجع والمآب .

واتسمت بالايمان والممارسة ، والتصديق والتطبيق والدراسة والتنفيذ فأصبحت خير أمة أخرجت للناس قال تعالى :

« كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ..

وقال عز من قائل « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ..

ومن أحب الله وأحب فى الله توطدت بالله علاقاته ، وتوثقت صلته به .. فأدى ما أمره به الله وغالب نفسه وشهواته والتزم الحدود فابتعد عن كل أمر يكون فيه اعتداء على حقوق الاخرين . وتمسك بالفضائل التى أمر الله بها والتى تمسك بها رسول الله ، وحارب الرذائل التى نهى عنها الله وحذر منها رسول الله فأصبح كأنه ملك يمشى على الارض ، له جلال فى ذاته ، وله تقدير عند كل من يشاهدون أعماله وتصرفاته وصدق قول الله سبحانه مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وقال عز من قائل : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

ومن أحب لله وأحب فى الله أحب عباد الله فعمل من أجل اسعادهم ، وتحقيق الخير لهم لانه يفهم ما يقتضيه الحب ، ويدرك مسئوليات الاخوة ، وواجبات التضامن فى مواجهة مشكلات الحياة فيبذل من نفسه للمحتاج حتى يسعد ، وللضعيف حتى يدفع الظلم عنه وللجاهل حتى يعرف وللمتخاصم حتى يبدأ ، ويسعى الى تفريج الكرب ، وتخفيف ازمات وزيارة المرضى ، ومشاركة أخيه فى السراء والضراء طلبا لرضوان الله تعالى قال سبحانه :

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة » .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » ..

ويقول صلوات الله عليه « ان الله قد خلق خلقا من رحمته لرحمته وهم الذين يقضون الحوائج للناس فمن استطاع ان يكون منهم فليكن » ويقول : « حق المسلم على المسلم ست :

اذا لقيته فسلم عليه . واذا عطس فحمد الله فشمته . واذا استنصحك فانصحه واذا احتاج فاعنه . واذا مرض فعده ، واذا مات فشيع جنازته . ويقول : من عاد مريضا او زار أخاه فى الله ناداه مناد من قبل الله ان طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا » . ويقول صلى الله عليه وسلم عن ربه

« حقت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتزاورين فى ، والمتبادلين فى »

ورحم الله سيدنا عمر بن الخطاب فانه كان يطوف متفقدا أحوال الرعية ليلا فشاهد رجلا أمام خيمة ، وسمع صوت امرأة تئن ، فسأل الرجل فذكر انه رجل غريب ، وان امرأتى تلد وحدها فذهب أمير المؤمنين مسرعا الى منزله وقال لزوجته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب هل لك فى أجر قد ساقه الله اليك ، قالت وما هو ؟ قال : امرأة تلد وليس عندها أحد . فخرجت معه تحمل ما يصلح للمرأة من طعام وملابس .. ودخلت أم كلثوم الى الخيمة وأخذ عمر ينضج للمرأة طعاما وولدت المرأة وقالت أم كلثوم بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام ـ فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين قال انى خجل مما فعلت معى يا أمير المؤمنين فقال عمر : من ولى شيئا من أمور المسلمين ، ينبغى أن يطلع على أمورهم فانه عنها مسئول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والاخرة .

وذلك على زين العابدين رضى الله عنه كان يزور صديقه محمد بن أسامة فى مرض موته فبكى ولما سأله عن سبب بكائه ذكر أنه مدين بأربعة آلاف درهم فضمن له أداؤها وقام فأداها عنه . وبدافع من الحب فى الله نام على كرم الله وجهه مكان رسول الله ليلة الهجرة مفتديا له بنفسه وهاجر أبو بكر مع رسول الله مفتديا له بنفسه ، وآخى رسول الله بين المهاجرين والانصار فتكون منهما أول دولة اسلامية قوية وصدق قول الله : « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وبدافع من الحب فى الله الذى يتصف بالمساواة نجد أن سيدنا عمر رضى الله عنه عندما كان مسافرا الى بيت المقدس لتوقيع المعاهدة مع المسيحيين واستلام بيت المقدس كان يتناوب ركوب الناقة مع غلامه ، وكانت نوبة الغلام عند دخول بيت المقدس فدخلاه والعبد راكب وعمر يمشى خلفه وصدق قول الله سبحانه : « أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »

والمتحابون فى الله يشملهم الله برضوانه ، يتغمدهم بغفرانه بنعم عليهم بكرمه ، يظلهم بظله يوم لا ظل الا ظله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة ، اين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى »

والحب فى الله حب روحى صادق ينبع من قلب عامر بمبادىء الله ، فهو يمتاز بالقوة ، والطهر والدوام والاستمرار .

١ ـ فهو أقوى من الحب القائم على القرابة لان هذا الحب قد يقطع بدافع الحقد ، وقد يقطع بخلافات على تركة أو ميراث يقول تعالى : « ان من أزواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم » .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة .
على النفس من وقع الحسام المهند

وهو أقوى من الحب القائم على المتع المادية لان الماديات تفنى وتنقص .. وينقضى الحب بانقضائها ، ويزول بزوالها .

٢ ـ وهو حب يتصف بالطهارة والنظافة ـ الانه لا يكون فيه حقد ولا حسد ، ولا يكون على معصية . ولا يجتمع مع قبيح ، أو عبث ، بل هو حب قائم على مبادىء الدين والاخلاقيات التى قدم بها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يقول الحق تبارك وتعالى :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا »

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان لله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء قالوا من هم يا رسول الله ؟ قال : هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا اموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ولا يخافون اذا خاف الناس » .

٣ ـ وهو حب يتصف بالدوام والاستمرار يكون مع العسر واليسر ، والصحة والمرض ، والشدة والرخاء ، وفى السراء والضراء يحدثنا عن مثال لهذا النوع من الحب الصحابى حذيفه الغنوى فيقول : انطلقت بعد موقعة اليرموك أبحث عن ابن عم لى بين الجرحى لاسقيه من ماء كان معى فلما وجدته قلت له أتشرب ؟ قال نعم . فلما هم بالشرب سمع صوت صحابى يتألم من جراحه ويقول اسقنى فقال اسقه أولا ، فذهبت لاسقيه فوجدته الصحابى هشام بن العاص فلما هم بالشرب سمع صوتا ثالثا يقول أريد ماء ، فقال اسقه أولا فذهبت اليه لاسقيه فوجدته قد مات ، فرجعت الى هشام فوجدته قد مات .. فرجعت الى ابن عمى فوجدته قد مات .. وصدق قول الله :

« اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا الى أن نعلن هذا الحب وأن نجهر به ولا نخفيه لان اعلانه يؤدى الى توطيد العلاقات وتقويتها . وذلك أحد الصحابة كان يجلس مع رسول الله فمر بهما رجل فقال الصحابى انى أحب هذا الرجل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اعلنته بحبك » قال لا فقال عليه الصلاة والسلام الحق به فاعلنه . فلحق الصحابى بالرجل فقال انى أحبك فى الله فاحتضنه الرجل قائلا : أحبك الذى أحببتنى من أجله .

ومن أحب الله وأحب فى الله أحبه الله . ومن أحبه الله وفقه الى الخير واغناه ماديا وروحيا وبارك فى صحته وذريته وماله، وهيأه روحيا بما يحبب الناس فيه ويهيىء الحب له فى قلوبهم . ويجعله دعامة حب واخاء وصدق قول الله : « والذين آمنوا أشد حبا لله » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الايمان فى قلبه : ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف به فى النار » .

فليحذر الانسان من ذاك العدو

الأستاذ عبدالله محمد كامل

ان الانسان بوجوده فى الحياة الدنيا يدخل فى صراعات ونضال ، وتكتنفه مواقف وتحديات ، من أجل تحقيق ما رسمه لنفسه من غايات وأهداف ، ولا تخلو الحياة ابدا من تلك الصراعات حتى ولو كان الانسان من الهامشيين المستسلمين للدنايا ، والبصير من جعل هدفه ما ترسمه له الالوهية الحقة من مثل ، وما تدعوه اليه الشريعة الغراء من علو وسمو شأن وارتفاع مكانة ، حينئذ يكون صراعه ونضاله محكوما بالعمل الصالح والجهاد النافع فيجنى أطيب الثمر من كده وعيشه

واذا ماالتزم الانسان بالشريعة وانتهج منهاج الحق ، ظهرت له فى صراعاته مع الباطل عداوة لا يستهان بها ، عداوة معلنة تقف فى سبيله وتعوق كفاحه وعمارته للارض وسعيه فى سبيل الله ، عداوة لا تقل ضراوة ولا عنفا عن أقصى ما يعرفه الانسان من عداوات فى حياته او فى تاريخ الانسان بأكمله ، غير أن الانسان لا يعبأ بها برغم يقظة العدو ، ويستهين بنتائجها مع خطورتها على مستقبله الدنيوى والاخروى .

وفى محاولاتنا للتعرف على تلك الخطورة انما نهدف أن تكون موضع اعتبار ومحل اهتمام من ابن آدم سيرا الى الله تعالى ، واقامة للمجتمع الفاضل المتواصى بالحق والصبر الامر بالمعروف والناهى عن المنكر والمؤمن بالله رب العالمين . لهذا قد نجد من يدرك هذه الاهمية ويعلمها ولا نجد فى سلوكه او فعله الا اتباع لهذا العدو الذى لا يضع سلاحا ، بل ربما وصل الامر أن يكون احد الاتباع او جنديامن الجنود فالامر اذن ليس مجرد معرفة ولكنه وعى وعمق يدفعان الى الحذر والعمل الجاد المخلص ، واعلان للحرب على ذلك الشيطان فى كل زمان ومكان ، بالمنطق والعمل ، بالاقوال والافعال .

ولعلنا لا نستهين بالامر اذا ما تاملنا فى اسلوب القسم الذى اقسمه هذا العدو ابليس حين لم يسجد لادم ودرجه التاكيد فيه ، انه قسم المطرود الموتور المتوعد الذى فقد مكانته ملعونا مخذولا مرجوما ، وفوق التأكيد نجده قد اقسم امام رب الارباب وهو العالم بعظمته المدرك لعزته ، وانظر معى الى الاية المصورة لهذا القسم « **فبعزتك لاغوينهم اجمعين** » ونستعيدها مرات كى ندرك الجو النفسى الذى قيل فيه هذا القسم ومدى التصميم ومبلغ الحسرة التى دفعته الى اعلان عداوته رغم أن ذلك من المفروض ان يكتم حتى ينجح فى الاغراء كما أقسم ولكنه الكبر والحقد والحسد ، انه يريد ان ينتقم من آدم وابنائه ويوردهم النار ويورثهم سخط العزيز الجبار ، وكان أمله كبيرا فلم يستثن الا المخلصين (بفتح الصاد) اى من اشتد اخلاصهم وتمكن منهم دينهم .

ولرحمة الله تعالى ومزيد فضله لا يتركنا له لقمة سائغة ولا يدعنا فريسة سهلة فيأتيه الرد بأنه لاسلطان له علينا ولانفوذ يؤثر به فينا « **ان عبادى ليس لك عليهم سلطان** ! هكذا نعرف من القرآن **ماأرغم الله به انف الشيطان** ومانلاحظه **ايضا** حيث لايملك الشيطان قوة اكراه بدنى او معنوى ولكن اغراءه الحقيقى فى نجاحه ان يجعلك من تابعيه انه يزين المعصية ويزخرف الفساد ويوسوس بالهلاك ولكن لا نفوذ له يجبرك على فعل شىء فان اتبعته وصدقته وتجاهلت عداوته فقد وضعت نفسك تحت أمره وفى حوزته ولهذا قال ربنا سبحانه « **الا من اتبعك من الغاوين** » والمسئولية اذن فى الاتباع على ابن آدم وحده لانه اساسا مكرم من الله عزيز بعزة الله فاذا ما انضم الى حزب الشيطان وترك حزب الله فلا يلومن الا نفسه حين يفيق على نتائج اتباعه فى الاخرة .

ماذا يتصور ابن آدم من حجة يحتج بها اذا كان وضوح العداوة بتلك الصورة الجلية ام يسمع او يقرأ قول الله تعالى ؟ **ان الشيطان لكم عدو مبين** ! وقوله تعالى « **ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا** » بكل ما تمثله العداوة من كراهية وبغض ومحاربة ومجاهدة ان هذه الاجابة هى نفسها التى سيرد بها على المحتج يوم لا تملك نفس لنفس شيئا حين يحاول الافلات من زلت قدمه ويلقى اللوم على غيره فيأتيه الجواب من الرحمن جلت حكمته « **ألم اعهد اليكم يا بنى آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم** » وحتى بفرض عدم البيان ألم تتعظوا بمن كان قبلكم من قرون وأمم وأنتم اصحاب التجارب والخبرات ألم تحكموا العقل وتخرجوا من جدران الاهواء وسجون الشهوات « **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون : هذه جهنم التى كنتم توعدون ، أصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** ! .

بل الادهى والامر ان الشيطان نفسه يتبرأ من فعاله ويتبرأ من أتباعه ولكن ذلك بعد ان يدخلوا فى دركات الجحيم سويا جزاء ما غفلوا وما ترفوا » وتخيل معى ذلك الخطيب الواقف ليشرح موقفه فى سورة ابراهيم والخصام على أشده داخل الجحيم ليزداد يقيننا بسلامة طريق الصالحين وعملنا لغاية المتقين ولنتخيل سويا ما تنبىء به الاية « **وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى : فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم** » .

انه يعترف بأن وعد الله حق والله لا يخلف وعده فالجنة لمن أطاع سبيلا والنار لم أوغل فى العصيان برغم أبواب التوبة

وجميل الغفران ويعترف الشيطان انه أخلف ما وعد به « **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا** » · ووعدة المزيف بجاه أو سلطان أو مال أو متعة انما ظهر أنه ظل زائل وخيال مائل فهو ليس صاحب رئاسة ولا سلطان انما أسلوبه اغواء فقط ولكن الهاوية فى استجابة البشرله ، ان من الحمق أن نجد أكثر أهل الارض اتباعا له وهو يقول لله « **لاتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** » ونعلم أن ذكر الله أكبر سلاح لصده ولا نستعين به فحديث النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان اذا سمع ذكر الله خنس » أى ارتد وانتكس ان من طرده الله من رحمته لاننجح فى حربه الا اذا لجأنا الى الله الذى أخرجه وطرده اما اذا اتبعنا المطرود المرجوم عرضنا أنفسنا والعياذ بالله للطرد معه ومن لطف الله بنا أن يوجهنا الى هذا المعنى مع وضوحه فى قوله تعالى « **واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستغذ بالله انه هو السميع العليم** » استعذ بالله لتكون كما يرضى الله سليم القلب نقى السريرة خير العمل والقرآن دليل والسنة بيان فمن صفات من حارب الشيطان أن يتصف بالقرآن وينشغل به وبالعمل على منهاجه فهو يستمد من القرآن أنوار الهداية واضواء السعادة فاذا ما قرأ فيه كان حريصا على قطع كل الصلة بشيطانه « **فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** » · **ان الذين أتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ، تذكروا دينهم وربهم تذكروا نبيهم وهديهم** » ·

ومن الانس من تبلغ به الضلالة أن يكون للشيطان عونا ، فيصبح شيطانا مريدا وصديقا سيئا « **شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا** » · فمن الحذر اذن ان نتجنب الشيطان فى أشخاص هؤلاء الناس الذين زين لهم وأضلهم حتى يصل الامر بهم الى الامر بالفحشاء والمنكر والافساد فى الارض بغير الحق « **ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر** ! ومن علامة الصدق فى اعلان العداوة للشيطان اعلان العداوة لاولياء الشيطان « **واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين** » ·انه مجرد القعود مع من ظلموا أنفسهم وقومهم بعد نصحهم والاخلاص لهم يمثل مهادنة للباطل ومداهنة لمن قست قلوبهم وربما وقع الانسان فى المحظور دون ان يدرى « **ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** » ·

ان هناك حشداً هائلاً من الكتاب والسنة يحذر ويبين وكل ما يحدث من نزغات وعداوات وفرقة وبلاء فتش وراءه تجد جنود ابليس واتباعهم من الجن والانسان فلم لا تكن عداوتهم على هذا القدر من الفساد ولم لا يصبح الانسان فى حماية مولاه ومن أنصاره **الا ان حزب الله هم المفلحون** « **أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير** » انهم أى الشياطين لا يجدون متنفسا الا عند كل مريض للقلب كذوب أفاك يضع نفسه فى صفتهم « **هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم** » فالاولى ارشادهم أو حربهم فضحهم أوجهادهم ، صدهم أو طردهم · انها تعبئة ضد كل سلاح يستخدمه هؤلاء ان من أسلحتهم الكلام الفاحش ربما يستغرب الرجال ولكن هذا أسلوب دراه يؤدى الى كثير من المهالك والدمار وقد تؤدى كلمة جارحة الى نزيف الدماء وازهاق الارواح وهنا لابد أن يظهر قول الله تعالى « **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا** » ان الكلام الطيب لن يكلف الانسان شيئا والكلمة الطيبة صدقة ولكنها دعوى الجاهلية وحجة الحفاظ على الكرامة الا فليعلم الانسان أن الخرامة للتقوى وأول سقوط الكرامة بسقوط اللسان ولايورد الناس ويكبهم فى مهانة العذاب وغضب التواب الا حصائد ألسنتهم ·

ناهيك عن اسلحة الدمار الشامل ومن خمر وقمار واشراك بالعزيز الغفار : « **انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون · انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** » ·

ومن الايتين ندرك ادراكا عميقا ان ذكر الله عامل حاسم فى الوقاية والانطلاق نحو فضل الله والبعد عن الشيطان وأتباعه والانتصار عليهم لان ذكر الله تعنى مراقبته ودوام مرضاته والصلة بالله تعالى فيما فرض من صلاة وسن من نوافل توجه البشر لما ينفع وترشدهم لما يفيد حاضرهم ومستقبلهم وحياتهم ومماتهم ومعاشهم ومعادهم ·

ونقترب من الختام مع ما يحتاجه الموضوع من مزيد فنقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم من العروق فضيقوا مجاريه بالجوع** » · **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون** » ·

املأ هذا الكوبون وارسله الى ص.ب ٢٠٩٣ يصلك الكتيب التفصيلى دون مسئولية أو ارتباط

الإسم ________

العنوان ________

المهنة ________ السن ________

تليفون ________

الفن
الإسلامي

النسيج في العصر الاسلامي في مصر والبلاد العربية

لقد ذاعت شهرة مصر في المنسوجات قبل ظهور الاسلام ولقد وصلت هذه الشهرة الى بلاد العرب في الجاهلية ، ولذلك نجد العرب عندما فتحوا هذه البلاد كانوا يعملون على الاستفادة منها في هذه الناحية .

ولقد كان من تقاليد العرب وميولهم ما ساعد على تقدم صناعة النسيج على أيديهم في العصور الوسطى ، فنجد كسوة الكعبة ، ومنح الخلع ، وميلهم الطبيعي الى التكثير من الثياب والى اقتناء الفاخر منها وذلك لاعتقادهم انها تضفى على من يلبسها قيمة وعظمة ، وكان من شان هذه العوامل أن تمهد السبيل للوصول الى درجة الكمال في هذه الصناعة .

الأستاذة ثريا سيد احمد نصر

وكان منح الخلع تقليدا عرفه المصريون القدماء ، كما عرفه ملوك ايران قبل الاسلام . وقد أحياه في الاسلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وسار على طريقه الخلفاء من بعده .

ومن حيث الميل الى التكثير واقتناء الفاخر من الملابس فقد زاد عند العرب على أثر تدفق الثروة بين ايديهم من الاقطار التى فتحوها ، فأقبلوا على المنسوجات يسرفون في اقتنائها ويحملون النساج على التسابق في اجادة نسجها ، وابتداع الانواع المختلفة منها .

وكانت الاقمشة من السلع التى تفضل عند الاهداء في المناسبات المختلفة قبل الاسلام وبعده .

وكانت المنسوجات أيضا يتصدق بها الخلفاء والامراء والاغنياء على المحتاجين في المواسم والاعياد ، وكانت لها مكانة ممتازة بين صادرات البلاد الاسلامية .

وقد كانت صناعة النسيج في الدلتا صناعة منزلية ، فكان النساء يغزلن والرجال ينسجون ، وكان تجار القماش يدفعون لهم أجرهم .

وكانت تجارة المنسوجات الخارجية تحت رقابة شديدة ، تكاد تكون محتكرة من الحكومة .

ولم تكن دبيق وحدها المركز الهام لصناعة المنسوجات في مصر في العصر الاسلامي ، بل كانت هناك مراكز أخرى منتشرة في البلاد منها أسيوط واهناس والبهنسا والفيوم واخميم والاسكندرية ودمياط ..الخ .

ولم يحدث فتح العرب لمصر تغييرا يذكر في حياة القبط ، وقد كان هؤلاء صناعا مهرة استخدمهم العرب في العمل بمصانع النسيج الجديدة التى أنشأها العرب وهى المسماه بدور الطراز ، وكلمة « طراز » اطلقت على الشريط المحتوى على كتابة منسوجة أو مطرزة ، وأطلقت ايضا على الاقمشة المزخرفة بهذه الطريقة ، وايضا على المصانع التى تنتج هذه الاقمشة .

وقد كان لانشاء دور الطراز في جميع البلاد الاسلامية اهمية كبرى عند حكام العصرين الاموى والعباسى ، ولقد جرت عادة الخلفاء خلع هذه الثياب على كبار أصحاب الوظائف مرة كل سنة على الاقل ، واعتبرت هذه الخلع بمثابة الاوسمة والنياشين في العصور الحديثة ، وقد كان ينقش اسم الخليفة في شريط « الطراز » تسجيلا لحكمة وسلطانه .

ولقد ذاعت شهرة دور الطراز في مصر بما أنتجته من المنسوجات الكتانية والحريرية التى صدرت منها في العهد الاسلامى الى البلاد الاسلامية كسوريا والعراق .

ولقد ورث العصر الايوبى والعصر المملوكى عن العصر الفاطمى أساليب صناعة الاقمشة ذات الزخارف المنسوجة ، ولكنها كانت أقل شيوعا عن العصر الفاطمى .

على أن أقمشة العصر الايوبى والعصر المملوكى المطرزة كانت اكثر بساطة اذا ما قورنت بأقمشة العصر الفاطمى المطرزة بخيوط الذهب والحرير المختلف الالوان .

وقد ازدهرت صناعة النسيج في الامبراطورية العثمانية . وكان اهم منتجاتها الديباج والقطيفة . ومعظم هذه المنتجات كان فيما بين القرنين « ١٦ - ١٨ م » العاشر والثانى عشر بعد الهجرة .

ومن أنواع المنسوجات في العصر العثمانى اقمشة من الحرير عليها

كتابات او أشرطة افقية ومتعرجة وكانت تستخدم للقبور والاضرحة . وتشمل كتاباتها بعض الايات القرآنية او العبارات المألوفة فى الدين الاسلامى كالشهادتين او أسماء الخلفاء الراشدين .. الخ .

أما منسوجات العراق : فلم يصلنا من المنسوجات العباسية فى العراق ما يفيدنا بمميزات هذا النسيج ، ومعظم ما نعرفه عن هذه المنسوجات عبارة عن كتابات بأسماء بعض الخلفاء العباسيين مطرزة بالحرير المختلف الالوان . القطعة الاولى محفوظة فى احدى الكنائس باسبانيا والقطعة الثانية محفوظة فى دار الاثار العربية بالقاهرة وترجعان الى القرن « ١٠ ـ ١١ م » .

لوحة [رقم ١] قطعة من نسيج الصوف مصر فى العصر الطولونى [القرن ٩ م]

اما المنسوجات فى صقلية : فقد انتشر نظام الطراز فيها وازدهرت صناعة النسيج فيها على يد حكامها المسلمين فيما بين القرنين « ٩ ـ ١١ م » الثالث والخامس بعد الهجرة . وكانت المنتجات تشبه الاقمشة المنسوجة فى مصر والشام والاندلس . فقد كانت الاقمشة المنسوجة بصقلية عبارة عن موضوعات زخرفية . واتسع نطاق صناعة النسيج فى صقلية حتى اقبلت سفن البنادقة على الاتجار بمنتجاتها وتوزيعها على العالم المسيحى .

أما المنسوجات فى الاندلس فقد ادخل العرب فى الاندلس نظام الطراز ، وقد ازدهرت على أيديهم صناعة النسيج فى مراكز مختلفة من شبه الجزيرة الاسبانية . وقد أشار بعض المؤرخين فى العصور الوسطى الى أن تربية دودة القز قد أدخلت الى الاندلس فى القرن الرابع الهجرى « ١٠ م » على يد اسرة من الشام ثم ازدهر استخراج الحرير فى الاندلس وأصبح يصدر منها الى سائر البلاد فى اوروبا والعالم الاسلامى .

أما المنسوجات الحريرية فى الشام ، فكانت زخارفها تصنع بواسطة المكوك على نول السحب . وهذا بخلاف الاقمشة ذات الزخارف المطرزة التى كانت تدمج خيوط اللحمة فيها مع النسيج بواسطة البكرة والابرة .

مما سبق بلا شك يتضح لنا أن صناعة النسيج فى العصر الاسلامى فى مصر والبلاد العربية وفى جميع العصور قد وصلت الى قمة المجد والازدهار .

لوحة [رقم ٣] قطعة نسيج من العصر العثمانى ـ [القرن ١٦ م]
محفوظة بمتحف [فكتوريا والبرت بلندن]

الملابس الاسلامية فى العصر الفاطمى

امثلة من ملابس الرجال فى العصر الفاطمى . .

الأستاذة
زينات احمد طاحون

ينسب الفاطميون الى عبيد الله المهدى ، وقد قام زعيم منهم هو « أبو عبد الله الشيعى » ببث الدعوة للفاطميين فى بلاد المغرب حيث وجدها منبتا خصيبا فى أفريقية لبعدها عن الخلافة العباسية فى بغداد . فملك أبو عبد الله القيروان ونزل برقادة فى رجب ٢٩٦ هـ فأمر ونهى وبث العمال فى الاعمال وقتل من يخاف شره ، ونقش على السكة فى أحد الوجهين « بلغت حجة الله » وفى الاخر «وتفرق أعداء الله» ونقش على السلاح «عدة فى سبيل الله» ووشم الخيل على أفخاذها « الملك لله » .

فلما كان شهر رمضان سار من « رقادة » فى جيوش عظيمة واستولى على « سلجماسة » فدخلها وأخرج عبيد الله وابنه ومشى فى ركابهما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول « هذا مولاكم » وهو يبكى من شدة الفرح وأمر أن يذكر ذلك فى خطبة الجمعة ولقبه « بالمهدى امير المؤمنين » فدعى له فى جميع البلاد بذلك ، وبعد الصلاة دعوا الناس الى مذهبهم فمن أجاب قبل منه ومن أبى قتل ، ومات عبيد الله عام ٣٢٢ هـ بالمهدية من القيروان .

وقام من بعده ولى عهده القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ، وقام من بعده ابنه المنصور بنصر الله أبو الظاهر اسماعيل ، ثم قام من بعده ابنه المعز لدين الله أبو تميم معد سنة ٣٤١ هـ وعمره ٢٤ عاما وهو الخليفة الرابع

بالدولة الفاطمية بالمغرب واختص من مواليه بجوهر الصقلى وأعد له جيشا عظيما سار به الى مصر عام ٣٥٨ هـ وخط جوهر ليلة نزوله مدينه جديدة شمالى الفسطاط وسماها القاهرة ، وشيد بها قصرين استعدادا لقدوم الخليفة المعز ٣٦٢ هـ ، كما بنى بالقاهرة الجامع الازهر العظيم ٣٥٩ _ ٣٦١ هـ .

وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل الجيزة فعقد له جوهر جسرا فسار عليه ودخل القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر عبيد الله المهدى فى رمضان عام ٣٦٢ هـ ، وأمر فكتب فى سائر مصر « خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين على بن ابى طالب » ومازال فى الخلافة الى أن توفى سنة ٣٦٥ هـ ومدة خلافته بالمغرب وديار مصر ٢٣ سنة . وكان المعز عالما فاضلا وجوادا حسن السيرة منصفا للرعية ، وهو أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر .

ولقد قام الفاطميون منذ دخولهم مصر بدور هام فى صناعة النسيج تدل عليه اثارهم ، ولعل عنايتهم بهذه الناحية كانت نتيجة للشك الذى حام حول أصلهم . ذلك لانهم عندما أدركوا أن معظم المصريين على المذهب السنى وهم على المذهب الشيعى ، وعرفوا أن انتسابهم الى بيت النبوة موضع شك وريبة أرادوا أن يقربوا مسافة الخلف بينهم وبين القوم الذين يحكمونهم ، فأقبلوا على الحياة العامة يوجهون اليها عنايتهم وجهدهم حتى يصرفوا الناس بذلك عن التحدث فى أصلهم الى التحدث فى أعمالهم .

امثلة من ملابس الرجال فى العصر الفاطمى . .

والمنسوجات كانت من أبرز النواحى التى اعانتهم على تحقيق سياستهم ، واظهرتهم فى أعين الشعب بالمظهر الذى يتوقون اليه : وترجمت عما كان يجرى بين أيديهم وأيدى وزرائهم من الثروة الضخمة والغنى العظيم ، أما انواع الملابس التى كانت شائعة فى العصر الفاطمى ـ فاننا نجد مجموعة من العاج قد زخرفت بصور تمثل حياة الخلفاء والامراء ، كما ادى انتشار اسلوب زخرفة الاوانى الخزفية بصور آدمية تمثل حياة الشعب ، خدمة جليلة للباحثين والدارسين للفن الفاطمى حيث أمكن التعرف منها على الكثير من أنماط الزى الفاطمى .

زى الخليفة :

تميزت مواكب الخلفاء الفاطميين بفخامة وعظمة لم تعرف فى تاريخ مصر . ولقد أفاض المؤرخون فى وصف هذه المواكب وفى وصف الملابس التى كان يرتديها الخليفة فى الاعياد المختلفة التى منها : موسم أول العام الهجرى ، وعيد الفطر ، وعيد النحر ، وعيد فتح الخليج ... الخ كذلك المواكب التى كان يذهب فيها الى الجوامع للصلاة .

وكانت ملابس الخلفاء الفاطميين بيضاء بعكس ماكان متبعا فى عهد الولاة الذين حكموا مصر ويدينون بالولاء للخلافة العباسية فقد كانت سوداء . وكان موكب الخليفة يمر فى أبواب القصر الفاطمى الشرقى ويخرج الى ميدان كبير يعرف بميدان « ما بين القصرين » وكان كبار القوم يجتمعون فيه لانتظار الخليفة ، ويتبع الخليفة حامل المظلة وفى الغالب كان نسيجها من قماش ثمين يشبه قماش ثوب الخليفة كما تزخرف أحيانا بالدر والياقوت والزبرجد ، ويتقلد الخليفة فى هذه المواكب السيف المغربى ويمسك بيده قضيب الملك .

واذا ما رجع الخليفة من هذه المواكب دخل الى خزانة الكسوة الخاصة ونزع عنه ثياب الموكب ولبس ثيابا غيرها مناسبة ، ويرتدى الخليفة فى عيد النحر زيا أحمر مزخرف ويقوم بنفسه بذبح الاضحية ، واذا عاد الى القصر بصحبة وزيره خلع عليه ثيابه الحمراء ثم دخل الحمام واستبدل بملابسه ثيابا مناسبة تصلح للجلوس على الاسمطة .

ويرتدى الخليفة فى عيد الفطر ثوبا طويلا مطرزا بزخارف مستديرة من

نسيج مذهب له أهداب يعرف « بالبدنة » ومن تحته ثوب دبيقى حريرى وعلى الجسد غلالة منسوجة من القماش الرقيق الشفاف الدبيقى المطرز بالحرير ، ويرتدى تحت هذه الاثواب الثلاثة سروالا دبيقى يشد على الجسد بتكة مصنوعة من الحرير ، كما كان للخليفة منديلان للكم أحدهما مذهب والاخر حريرى ٠

ويرتدى الخليفة فوق رأسه عمامة منظومة بالجواهر النفيسة تتكون من شاشين من الديباج المذهب ، كما كانت العمامة ترصع أحيانا بالجواهر ويتولى ربط العمامة شخص مقرب من الخليفة ، وفى المواسم الخاصة كانت تثبت فى العمامة جوهرة عظيمة تعرف باسم « التميمة » وقد قيل أن وزنها سبعة دراهم ويحيط بها الياقوت على شكل هلال ٠

ويتمنطق الخليفة بحزام عريض يعلوه حزام آخر مطرز بالذهب يعقد ويتدلى جزء منه من الامام وربما استمد الفاطميون هذا الاسلوب من ملوك الساسان ، كما يرتدى الخليفة فى قدميه حذاء من الجلد قصير الرقبة ٠

زى الوزير :

يلى الوزير الخليفة فى السلطة ، أما المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى أيامه ، واول من قيل له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبى المنصور نزار بن المعز ، ولقد ظهرت قوة بعض الوزراء فى النصف الثانى من عهد الدولة الفاطمية كما لقب بعضهم بالملك ٠

وكان من زى هؤلاء الوزراء أنهم يلبسون المناديل الطبقيات بالاضاك تحت حلوقهم ، وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذراريع (واحدها ذراعة) وهى مشقوقة من الامام الى قريب من رأس فتحة الفؤاد بأزرار وعرة ، ومنهم من تكون ازراره من ذهب مشبك ومنهم من تكون أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة ٠

ويشد الوزير حول وسطه طوقا من الذهب ، ويكون هذا الطوق مرصع بالاحجار الكريمة ، كما كان بعض الخلفاء يخلعون على وزرائهم العقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق الذهبى ، وفى أيام الضيق يبدل العقد الجوهر بقلادة من عنبر يقال لها العنبرية ، وقد زيد لامير الجيوش بدر الجمالى الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضى القضاة سنة ٤٦٧ هـ ، ويرتدى الوزير تحت ثيابه القصيرة سروالا يضيق عند القدمين ٠ أما فوق رأسه فيضع عمامة تتكون من منديل يلف حول الرأس يتدلى منها من الخلف جزء له أهداب يعرف بالعذبة ٠

زى الامراء :

كانت هناك طبقة من الامراء مقربة الى الخليفة من بينهم مدير القصر وصاحب بيت المال وحامل سيف الله (الخليفة) وصاحب الباب الذى يتلقى الرسائل الواردة من الدول ٠٠٠ الخ ٠ وكان هؤلاء يختلطون بالخليفة فى مجالسه الخاصة ومن بينهم بعض الارمن والروم ٠ وكانت ثياب الامراء طويلة وتصنع من أفخر المنسوجات الدبيقية المنسوجة بخيوط من الحرير ، كما كان قماش العمامة يصنع من القصب المطرز بالخيوط الذهبية ، وكان هناك بعض الامراء مقربون من الوزير ولهم منزلة رفيعة عند الخليفة فكانوا يتميزون بلبس أطواق من الذهب حول وسطهم ٠

وكانت خلع الخلفاء على الامراء الثياب الدبيقية والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ، ويخلع على أكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف المحلاة ٠

ومن أمثلة ماكان يوزع على الامراء من خزانة الكسوات فى العصر الفاطمى ما يأتى ، الامير أبو القاسم بدلة مذهبة ، والسيدة العابدة العمة حلة مذهبة ، والبنون والبنات من بنى الاعمام كل منهم بدلة حريرية ، ويؤخذ من أقوال المقريزى أن البدلة كانت خاصة بالرجال ، أما الحلة فهى ماكانت خاصة بالسيدات ٠ وقد تميزت ثياب الفاطميين بأكمامها الفضفاضة ٠

ويرتدى قاضى القضاة بدلة مميزة عند الخطبة أمام الخليفة وتميزت عمامته بكبر حجمها وزيادة الذؤابة طولا ، وتتكون هذه العمامة من طاقية يلف حولها منديل كبير من الشاش مزخرف وكذلك قماش العمامة ٠

زى النساء :

تتكون ملابس النساء من سراويل طويلة وقميص يلتصق بالجسد ٠ وكانت تكة السروال تصنع من الحرير أو من الحرير المطرز بالجواهر ، وترتدى السيدة فوق القميص ثوبا قد يكون طويلا أو قصيرا ٠ وتميزت هذه الثياب بأن أكمامها فضفاضة ٠ وتشد المرأة الفاطمية حول وسطها حزاما من الحرير يربط فوق الثوب وينسدل من الامام ٠

وتتميز ثياب النساء من قريبات الخليفة بأنها تصنع من قماش منسوج بخيوط الذهب أما باقى السيدات فان ثيابهن تزخرف بالخيوط الحريرية وقد تشترك النساء والرجال فى نوع واحد من القماش المزركش ، وترتدى النساء فى الشتاء ثيابا من الخز وتضع السيدة فوق رأسها عمامة تشبه عمامة الرجل ، كما كانت بعض النساء يرتدين طرحة تنسدل على الصدر وتلف حول الطرحة عصابة تشد حول الرأس ويتدلى جزء منها على جانب الرأس ، وكانت هذه العصائب تصنع من الحرير أو من قماش مرصع بالجواهر ، وكان قماش العمامة والطرحة يزخرف بالطراز الذهب وكانت العصائب والقمصان والقلانس والمناديل تزين فى بعض الاحيان بكتابات شعرية ، والواقع أن الشعر لعب دورا هاما على الملابس يتجلى فيه تعاون الشاعر العربى مع النساج المسلم على اخراج قطع من الفن رائعة ومن أمثلة هذه الاشعار ما يأتى :

زنارها فى خصرها يطرب
وريحها من طيبها أطيب
ووجهها أحسن من حليها
ولونها من لونها أعجب

ووجد على مخدة لبعض الظرفاء :

ياراقد الليل ممن شفه السقم
وهذه قلق الاحزان والالم
جد الوصال لمن أمسيت تملكه
يا أحسن الناس من قرن الى قدم

وعادة تزيين الملابس والمنسوجات بالكتابة العربية قد وجدت طريقها الى الغرب فى العصور الوسطى يوم كان الغرب يستوحى من الشرق فنونه وصناعته ويترسم خطاه فى جميع مرافق حياته ٠ فقلد النساج الغربيون الكتابة العربية وطرزوها على ثيابهم وتنافس الاغنياء والعظماء من الاوربيين فى الحصول على المنسوجات الاسلامية ذات الكتابات العربية ، وكثيرا ما كانوا يهبونها الى كنائسهم ، فكان رجال الدين فى بعض الاحيان يؤدون خدمتهم وعليهم ثياب مطرز فيها « **لا اله الا الله محمد رسول الله** » ٠

زى العامة :

وكان باقى أفراد الشعب يلبسون جبة مصنوعة من الكتان المحشو بالقطن ويرتدون فوق رؤوسهم العمامة التقليدية ، أما أهل الذمة فيتميزون فى بعض العهود بعلامات معينة فمثلا ، فى عهد الحاكم بأمر الله الزم اليهود بتعليق أجراس فى أعناقهم اذا دخلوا الحمام وأن يكون فى أعناق النصارى صلبان وذلك تمييزا لهم عن باقى المسلمين وهم عرايا

صناعة الحلى والجواهر

فى العصور الإسلامية

الدكتورة سعاد احمد جمعة

عرف العرب الحلى وبعض أنواع الاحجار الكريمة منذ عصورهم الاولى وكان أكثر ما رأوه فى فارس عندما فتحها العرب فى زمن الخلفاء الراشدين كما وجدوا الكثير من الحلى الذهبية المرصعة بالاحجار الكريمة والاوانى والملابس الحريرية المسنوجة بالذهب المنظوم بالجواهر فى « المدائن »

ومن الحلى التى عرفها الناس قديما للزينة ، الاقراط ودلايات الانف والخواتم والاساور والعقود والخلاخيل والمشابك والسلال والازرار والتيجان . والخواتم من أكثر أنواع الحلى شيوعا وقد استخدمها العرب ذكورا واناثا لاغراض كثيرة فكانت تلبس لمجرد الزينة والتحلى بها كما استخدمت كعلامة للنفوذ والسلطان

وقد حل الخاتم فى الشرق محل التوقيع وهو الذى يكسب الوثيقة صفتها الشرعية كما كان يستعمل أيضا فى ختم متاع الافراد للدلالة على الملكية كالكتب وغيرها واتخذ الخاتم أشكالا عدة منها البسيط الذى صنع على شكل حلقة من المعدن أو من الحشائش المجدولة ومنها ماهو مقعد متخذا أشكال رؤوس الحيوانات أو الصور الادمية ومنها ما رصع بالاحجار الكريمة كالماس أو الياقوت أو الزمرد وغيرها . وقد بذل الصائغ غاية مهارته فأبدع أشكالا متعددة دلت على حسن الذوق والرغبة فى الابتكار .

وهناك عدة خواتم ارتبطت بأحداث

تاريخية هامة ، فقد جاء فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم رغب فى أن يرسل كتبا الى ملك الروم فقيل له أنهم لا يقرؤون كتابه الا اذا كان مختوما ، فاتخذ له خاتما من الفضة نقش عليه (محمد رسول الله) ومما يقال أن النبى عليه الصلاة والسلام اتخذه فى المحرم فى السنة السابعة من الهجرة وكان يضعه فى يده اليمنى . وقد توارث الخلفاء من بعده هذا الخاتم واستخدموه الى جانب أختامهم ، وظلت الحال على ذلك حتى عهد الخليفة عثمان فاضاع خاتم النبى عليه الصلاة والسلام فى بئر عند رأس زمزم أو فى نهر دجلة بالقرب من الموصل فى روايات أخرى .

ومن أشهر الاختام التى عرفت عند المسلمين خاتم عمرو بن العاص والى مصر وكان على شكل رأس ثور ، ولكن بعد فترة تخلى المسلمون عن رسوم الكائنات الحية على أختامهم الا ان الوالى قرة بن شريك كان لا يزال حتى عام ٨٨ هـ يتخذ خاتما عليه رأس ذئب . وقد أصبحت أختام أبى هاشم بن يحى وراشد بن خالد صاحب بيت المال (المعتمد على الله) من الاختام المألوفة . ومن الاختام المشهورة أيضا خاتم الجابى ناجد بن مسلم وقد نقش عليه اسمه باللغتين العربية واليونانية . وظهرت الاختام ذات اللغتين مرة أخرى فى سوريا وآسيا الصغرى خلال القرن العاشر .

واستخدم الترك الاختام منذ عهد الخليفة عثمان وأول مبدعى هذا النوع من الصناعة هو محمد حجازى ومن الاختام الشهيرة التى قام بحفرها ختما عثمان وعلى وعليهما اسمائهما مشفوعة بالكنية (عبد الله) .

وكانت الاختام تصنع من الفضة وفصوصها من حجر الدم . وقد كان للسلطان العثمانى ثلاثة أختام مختلفة الاحجام ، جميعها من الزمرد المركب على الذهب وعليها كتابة واحدة هى الطغراء وعبارة دينية مأثورة . والخاتم الاول صغير الحجم يحمله السلطان دائما ويعطيه الى كاتم سره عند الحاجة والثانى أكبر من الاول بقليل ويكون فى عهدة أمين الحريم ليستخدمه فى الامور المتعلقة بالحريم ، أماالخاتم الثالثفهو خاتم الدولةوكان فى عهدة الصدر الاعظم كما كان لدى كل رئيس مصلحة حكومية خاتمه الخاص ليستخدمه فى الشئون الخاصة بمصلحته ولم يكن علية القوم وأصحاب النفوذ يضعون أختامهم فى أصابعهم بل كان لكل منهم شخص يلقب « بالسهر دار » يكون محل ثقة

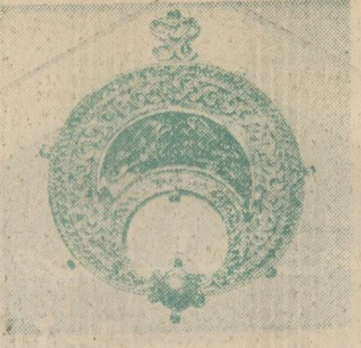

حلية ذهبية مطعمة بالمينا . من مصر فى العصر الفاطمى القرن ١١

١٧٣ — قطعة من قماش الحرير من ايران [القرن ٨ — ٩]

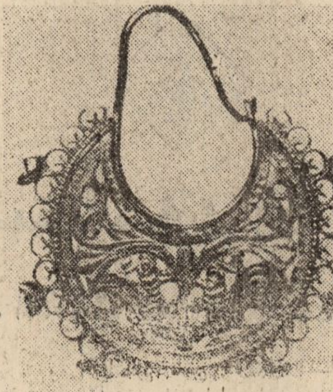

قرط ذهبى من ايران

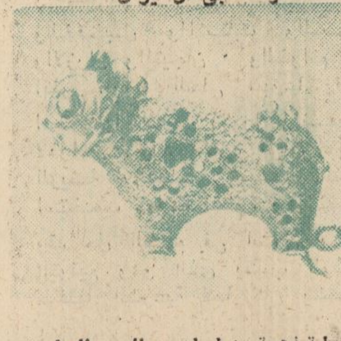

حلية ذهبية من ايران فى العصر السلجوقى القرن ١٢

ويحمل ختم الشخص المسئول موضوعا فى كيس صغير يضعه فى جيب قميصه ويعطيه لصاحبه عند اللزوم مغموسا فى المداد أو نظيفا اذا كان سيستعمل فى الشمع » .

وأشهر الاختام السلطانية ، خاتم السلطان مصطفى الثامن (١٢٠٦ هـ - ١٦٩٤ م) وقد عثر عليه فى ساحة معركة زنتة سنة ١٦٩٧ وهى المعركة التى قتل فيها الصدر الاعظم الماس محمد باشا وكان يحمل هذا الختم . وقد كان منقوشا على خاتم سنان باشا الكبير الذى ولى الصدارة العظمى فى تركيا خمس سنوات العبارة الاتية :« يارب ياواسع الرحمة المعز لعبدك سنان بن على)

الاقراط : ومن الحلى التى عرفها العرب أيضا اقراط الاذن وقد انتقلت اليهم من آسيا الصغرى وهم بدورهم نقلوها الى اسبانيا وأوروبا بصقلية . ويتخذ القرط عادة شكل حلقة بسيطة أو دلاية صغيرة وفى كثير من الاحيان تحلى بقطعة من الاحجار الكريمة كبيرة أو صغيرة .

العقود : كما عرف العرب العقود واستخدمتها النساء لتزيين جيدهن ومنه الانواع البسيطة والمركبة ومنه ما يحتوى على دلايات جميلة . ويتخذ اشكالا متنوعة . ومنها ما يصنع من الذهب فقط أو يرصع بالاحجار الكريمة . وبعض الانواع كانت ذات صفوف متعددة متشابكة أو منفصلة .

الدلاية : وتعتبر الدلاية من أجمل أنواع الحلى ولها أشكال متعددة فمنها ما هو على شكل هلال أو نجوم ومنها ما يتألف من آيات قرآنية كريمة او عبارات دعائية . ومنها مايتخذ أشكال الحيوان أو الاقفال الصغيرة أو حدوة الفرس . وقد تصنع من الذهب أو الفضة فقط ومنها ما يرصع بالاحجار الكريمة كالماس والفيروز والزبرجد

الاساور : هى حلى تستخدم لتزين الذراعين وأبسط أنواعها ما كان على شكل حلقة معدنية تستدير أو تلف حول المعصم ويسهل تحركها ، وتكون هذه الحلقة مغلقة أو يمكن فتحها وغلقها حسب الرغبة واتخذت عدة أشكال عرف منها ما انتهى طرفاه برأس حيوان أو رأس ثعبان . أو غزال أو وحش كاسر ، وكانت تصنع الاساور على شكل صفائح سميكة أحيانا تنقش عليها رسوم رمزية أو هندسية وتحلى بفصوص من الاحجار الكريمة .

الخلخال : هو حلية الساقين وتميز بها الشرق عن سائر انحاء العالم

وتعرفها نساء افريقيا وآسيا جيدا ، وهو عبارة عن قطعة مستديرة من النحاس أو الذهب أو الفضة ينتهى طرفاها بقطعتين كرويتين ويثبت به بعض الجلاجل الصغيرة . الا ان عادة لبس الخلخال بدأت تنقرض فى كثير من البلاد العربية .

من البلدان العربية والاسلامية التى ازدهرت فيها صناعة الحلى ما يأتى :

أولا : مصر

تعتبر مصر غنية بمعدن الذهب منذ العصور الفرعونية وفى النقوش الاثرية ما يدل على ذلك كما أن التحف الفرعونية تتضمن العديد من الحلى الذهبية المرصعة بالاحجار الكريمة ممايؤيد أن صناعة التعدين والصياغة كانت من الصناعات المزدهرة فى ذلك العهد . الا ان العصر الرومانى قد أهمل هاتين الصناعتين . ولكن الفتح العربى لمصر أعاد لها مكانتها وذلك باستغلال مناجم الذهب فى الصحراء الشرقية فى « العلاقى » قرب أسوان حيث استوطنت اقوام بنى ربيعه من بنى حنيفة من أهل اليمامة .

ثم أهملت هذه المناجم بعد ذلك حتى القرن التاسع عشر فاتجهت العناية الى البحث عن الذهب بواسطة البعوث والحملات التى دونت التقارير المفيدة عن هذه الكشوف التعدينية مما كان له أكبر الاثر فى بحوث من بعدهم .

وقد اشتهر العصر الطولونى بمصر بثرائه وحبه لجمع الحلى والمجوهرات ومما يحكى عن ذلك : انه كان من جملة جهاز قطر الندى ابنة خماروية عندما زفت الى الخليفة المعتضد ببغداد (٨٩٢ – ٩٠٢) دكة مكونة من أربع قطع من ذهب عليها مشبك فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة من جواهر لا تقدر قيمتها ، ومائة هاون من الذهب لدق العطور ومواد الزينة وعشرة صناديق ملأى بالجواهر وشمعدانات وأوان من الذهب والفضة .

الا ان عصر الفواطم قد فاق غيره من العصور فى جمع التحف والحلى . وقد وصف المقريزى فى خططه كنوز الفاطميين موضحا ما كانت عليه مجموعات الخليفة المستنصر بالله (١٠٣٥ – ١٠٩٥ هـ) والتى تدل على ما كانت تتمتع به مصر من ثروة ويسر ساعدها على تنفيذ سياستها الداخلية والخارجية وقد اشتهر الفاطميون بخزائن جواهرهم والتى كانت احداها تضم قطعة من الياقوت الاحمر تزن احد عشر مثقالا وهى على شكل هلال وكانت تعرف باسم الحافر وهى تخاط فى قطعة من الحرير ذات طواف من الزمرد الذبابى وهى توضع فى وجه فرس الخليفة عندما يركبها فى الاحتفالات الرسمية .

وقد تركت الاميرة « بنت المعز » (التى توفيت سنة ٤٤٢ هـ – ١١٠٥ م) ثروة طائلة ومن التحف التى تركتها ما يقرب من أربعمائة سيف محلى بالذهب ونحو أردب من الزمرد وغير ذلك من الجواهر والتحف .

ومما يذكر فى هذا الشأن أن عملية استخراج الزمرد كانت نشطة فى عصر الفاطميين حيث كان يوجد بمغارة قرب مدينة قوص بالوجه القبلى وظل يستخرج منه حتى زمن الناصر محمد بن قلاوون الذى توفى (عام ٧٤١ هـ – ١٣٤١ م) .

ثانيا : العراق :

لقد تسابق الخلفاء العباسيون فى الحصول على المجوهرات ولا سيما الدر والياقوت الاحمر القانى كما نظموها فى عصائب نسائهم كما فعلت أخت الرشيد ، ورصعوها فى أخفافهن كما فعلت أم جعفر .

ومن أهم العوامل التى ساعدت على غلو منزلة فن صناعة الحلى والاحجار الكريمة فى العراق ابان عصر العباسيين وجود مناجم الذهب والفضة فى خراسان ، أما أنواع الياقوت واللازورد والازوريت فكانت ترد من اقليم ما وراء النهر ويستجلب الرصاص من ايران ، واللؤلؤ من البحرين والفيروز من نيسابور والعقيق الاحمر من صنعاء والحديد من جبل لبنان وذلك بالاضافة الى ما كان يرد اليها من الهند وسيلان والشرق الاقصى .

الا أن غارات التتار على العراق قد أضاعت كثيرا من هذه الحلى والتحف كما حدث تماما عندما سقطت الاندلس وهزمت دولة بنى عامر وفقد ما فى قصور الخلفاء المسلمين فى طليطلة واشبيليه وغرناطة وقرطبة .

ثالثا : فى ايران :

كانت صناعة الحلى المعدنية فى ايران قبل العصر الاسلامى ذات مستوى رفيع ذوقا وأداء ، فالايرانى بطبعه ميال الى الترف والزينة مغرما بالالوان البراقة . ولا شك أن التحول من عقيدة الى أخرى بعد أن دخل الاسلام ايران كان له أثر تدريجى فى تطور تقاليد صناعة الحلى . حيث كان يغلب على زخرفة المشغولات المعدنية الموضوعات الرمزية وبدخول الاسلام ايران ازدهر أسلوب جديد فى زخرفة الحلى هو الاسلوب المخرم الذى حل تدريجيا محل الاسلوب الحبيبى وأصبحت الحلى تحلى بالاحجار الكريمة وتطعم بالمينا كما لجأ الصانع الى استخدام الاسلاك سواء كانت مستقيمة أو مجدولة فى أشكال هندسية رائعة ، وعم استخدام الاسلوب المخرم فى الحلى ابان القرنين الثانى والثالث عشر . وهذا الاسلوب يعتبر تطويرا ناجحا للزخرفة بالاسلاك الذهبية ذلك الاسلوب الذى كان منتشرا فى الشرق أثناء العصور المسيحية كما أتقن أسلوب الحبيبات الصغيرة الذى كان معروفا منذ عرفت صناعة الحلى المعدنية ووصل الى درجة عالية من الدقة والكمال ، كما استعمل الحفر أيضا فى زخرفة بعض المشغولات الذهبية . وقد لجأ الصائغ أيضا فى تحلية جميع الحلى التى يعتمد فى تزيينها على الالوان الى أحجار الفيروز والياقوت والعقيق وعين الهر ، كما استخدم أيضا اللؤلؤ واستخدم الخرز المزجج فى القلادات العادية ولا سيما ذات اللون الفيروزى ، واستخدم الايرانيون الجواهر بسخاء لا سيما فى تزيين أسلحتهم وأعمدة نصالهم ، ومن الجدير بالذكر أن نساء ايران أكثر نساء العالم ولعا باستخدام الخواتم ووضعها فى جميع أصابعهن .

وقد تأثرت صناعة الحلى الايرانية بالاسلوب المغولى أيضا فى العصر التيمورى ذلك الاسلوب المخرم والارابسك مع الزخارف النباتية .

أما فى العصر السلجوقى فتعتبر صناعة الحلى من أرقى الصناعات حيث بلغت درجة فنية عالية ويمتلك متحف متروبوليتان بأمريكا مجموعة من الحلى الايرانية التى تنسب الى هذا العصر ومنها قرط على شكل طائر مصنوع بالاسلوب المخرم . ومن الجدير بالذكر أن موضوع الطائر كثيرا ما يستخدمه الصائغ فى زخرفة الحلى ثم يحيطه بنقش تبقا للاسلوب المفرغ . وتتكون معظم مجوهرات العصر السلجوقى من أقراط ودلايات شكل البعض منها على شكل حيوانات وطيور . ومن مقتنيات متحف المتروبوليتان ايضا قرط على شكل هلال تزينه زخرفة مفرغة لطيور تفصلها بعضها عن بعض شجرة نخيل ويمكن نسبة هذه القطعة الى النصف الاول من القرن الحادى عشر ، كما يحتفظ المتحف أيضا بقرط مفرغ تفريغا دقيقا على شكل طائر وكذلك يحتفظ المتحف بدلاية على شكل أسد محور تحويرا شديدا وتفاصيل وجهه ولبدته محلاة بزخارف من أسلاك الذهب يزيدها جمالا تلك الاحجار الكريمة المرصعة بها وبعض زخارف الدلاية مفرغ ومن بينها دريدان مكونة من سبعة دوائر صغيرة وتنسب هاتان

« البقية ص ١٥٦ »

مصادر الفن الإسلامي للنسيج وزخارفه

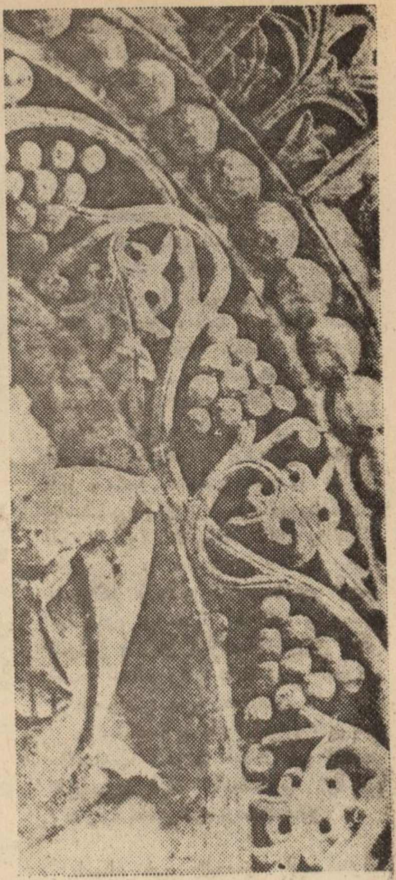

شكل ـ ٢.

خاتم ذهبي للتوقيع من ايران فى العصر التيموري بداية القرن ١٥

ذاعت شهرة مصر فى المنسوجات قبل ظهور الاسلام ووصلت هذه الشهرة الى بلاد العرب فى الجاهلية . لذلك نجد أن العرب عندما فتحوا هذه البلاد عملوا على الاستفادة منها فى هذه الناحية .

الاستاذة حميدة محمد البقلي

ـ نسيج حريرى من سوريا القرن ٦ ـ ٧]

فخلفاء الدولة العباسية كانوا يشترطون على عمال مصر أن يمدوهم بالاثواب الدبيقية والمقاطع الشرب الاسكندرانية والطرز الصعيدية ·

ولقد كان من تقاليد العرب وميولهم ما عاون على تقدم صناعة النسيج على أيديهم فى العصور الوسطى فكسوة الكعبة ومنح الخلع ـ وميلهم الطبيعى الى الكثرة من الثياب واقتناء الفاخر منها ـ هذه العوامل كان من شأنها أن تمهد السبيل للوصول الى درجة من الكمال والجمال فى هذه الصناعة قلما نجدها فى ناحية من نواحى النشاط التى عند المسلمين ·

ولقد كانت المنسوجات فى أوائل العصر الاسلامى تنسج وفق الاساليب التى اتبعها الاقباط والساسانيون فى تلك الصناعة ، غير أن أسلوبا اسلاميا صحيحا أخذ ينمو ويتطور تدريجيا ويسود جميع البلاد التى خضعت لحكم العرب ·

فلم يكن للعرب فى عهد النبى « عليه الصلاة والسلام » فن خاص بهم يستحق الذكر ، ولكنهم عندما فتحوا سوريا والعراق وايران تبينوا الفنون الراقية فى هذه البلاد ·

وتشير المراجع التاريخية الى أن خلفاء الدولة الاموية الذين تولوا الحكم من سنة (٦٦١ ـ ٧٤٩) م جلبوا مواد البناء واستقدموا مهرة الصناع واستعانوا بالعمال السوريين والبيزنطيين لتجميل مسجد دمشق بالفسيفساء وقد أشرف على العمارة فيه مهندس ايرانى واتبع العباسيون (٧٤٩ ـ ٩٤٥) هذا التقليد فى استجلاب المواد والصناع من مختلف الاقاليم ·

وبدأ الاسلوب الاسلامى ينمو تدريجيا على وجه الخصوص من مصدرين فنيين هما الفن البيزنطى

والفن الساساني ويلاحظ اقتباس التعبيرات الفنية من هذين المصدرين في الاثار الاسلامية الاولى ٠

وكانت الاثار المسيحية في مصر وسوريا والعراق مصدرا لعدد من الموضوعات الزخرفية التي وجدت في آثا رالعصر الاسلامي الاول ولقد حلت العناصر القبطية محل العناصر الاغريقية وكان نبات الاكنتس وورقة العنب هي أكثر العناصر الزخرفية شيوعا في الفن المسيحي في مصر وسوريا على ان فتح العرب لمصر لم يقض على الفن القبطي وانما استمر في الازدهار فقد وجدت منسوجات كثيرة يرجع تاريخها الى أوائل العصر الاسلامي رسمت عليها موضوعات مسيحية محورة من الطبيعة مع موضوعات زخرفية أخرى ٠

كما كان الاقباط فيما قبل العصر الاسلامي يستخدمون طريقة ختم الزخارف وطبعها على المنسوجات وقد تقدمت هذه الطريقة واتقنت صناعتها في مصر في العصر الاسلامي ومنها انتشرت بعد ذلك في أوربا وخاصة في ألمانيا وعندما أنشأ الخلفاء دور الطراز في كثير من المدن المصرية أكثروا من استخدام العمال الاقباط لما عرف عنهم من مهارة في صناعة النسيج مما أدى الى استمرار التأثير القبطي على الفن الاسلامي قائما سنوات طويلة وظل أثره واضحا في المنسوجات وغيرها من الفنون الاسلامية حتى القرن الحادى عشر والثامن عشر ٠ أما الفنون الايرانية فقد بدأت في الازدياد وأخذ يظهر عليها التأثير الشرقي في عهد الاسرة الساسانية وظهر فيها بوضوح الجمع بين الاساليب الفنية الهلينيسية والشرقية ٠

ومع ان كثيرا من العلماء في العهود أدركوا مدى تأثير الفن الساساني في تكوين الفن الاسلامي الا أن أهمية الفنون الساسانية لم تقدر حق قدرها الا في الايام الاخيرة ويعد العصر الساساني (٢٢٦ – ٦٢٧) م من أزهى عصور الفن الايراني فقد احتكر الايرانيون في العصر الساساني تجارة الحرير بين الصين وبلاد العرب وأنشأوا أنوالا خاصه بهم لصناعة المنسوجات الحريرية التي ذاعت شهرتها في جميع بلاد الشرق الادنى – ووجدت أهم مراكز الحرير الساساني بأقليم « خوزستان » المشرف على حدود العراق

وتحوى الكنائس الاوربيه على كثير من المنسوجات الحريرية التي ترجع الى العصر الساساني كما عثر في مصر ولا سيما مقابر الشيخ عباده على قطع من الحرير الساساني ويتضح من المنسوجات الحريرية التي يرجع تاريخها الى القرنين السادس والسابع مدى تطور الطراز الساساني كما في الشكل وقد تأثر الفن الاسلامي – الى حد ما ٠ في تطوره بفنون الايرانيين وصناعتهم كما تأثر بفنون قبائل الترك الرحل في شرق ايران ووسط آسيا واكتسب الفن الاسلامي عناصر وأساليب زخرفية جديدة لم تكن معروفة للمسيحيين الشرقيين أو للفن الساساني وذلك بفضل الاتصال بهذه القبائل المتنقلة ومن أمثلة ذلك طريقة الحفر المائل (المشطوف) التي ظهرت في فن المنحوتات الحجرية والخشبية في أوائل العصر العباسي ٠

ونتج عن هجرة الايرانيين وقبائل الترك الرحل دخول أشكال زخرفية جديدة مثل التفريغات الهندسية ذات الاوراق المستديرة ٠

وغالبا ما تنسب الى ايران المنسوجات الحريرية التي عثر عليها في أخميم بصعيد مصر وزخارف تلك الاقمشة من لونين فقط هما البرتقالي المصفر مع البرتقالي المحمر – أو الاحمر والاسود أو الاحمر والارجواني ويتكون أشكالها من زخارف نباتية محورة ٠

ويلاحظ أن الفن الاسلامي تأثر في تطوره ايضا بفنون الايرانيين كما تأثر بفنون قبائل الترك الرحل في شرق ايران ووسط آسيا واكتسب عناصر وأساليب زخرفية جديدة لم تكن معروفة للفن القبطي أو للفن الساساني ٠

بقية مقال « صناعة الحلى »

القطعتان (القرط والدلاية) الى القرن الثاني أو الثالث عشر ٠

ويحتفظ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة بمجموعات من الحلي ينسب معظمها الى القرن الحادى عشر وما بعده نذكر منها :

١ – حليه صغيرة من الذهب مستديرة وعلى أحد وجهيها طبقة من الميدا متعددة الالوان بها رسم طائرين متجهين في اطار مستدير ويفصل كل لون عن الاخر جدار من الذهب وهذه الحلية تنسب الى القرن الحادى عشر ورقمها بالمتحف ١٣٢٤٤) ٠

٢ – مدلاة من القصة المذهبة على شكل دائرة تنقصها من داخلها دائرة أخرى تمس محيطها فتجعل التحفة على شكل هلال ، تتكون زخارفها من رسوم نباتيه وهندسية دقيقة وعلى أحد وجهيها دائرة صغيرة بها رسم طائر في منقاره فرع نباتي بالمينا الملونة وتنسب الى القرن الثاني عشر (رقمها ١٢١٣٧) ٠

٣ – مدلاة من الذهب عليها كتابة بخط النسخ نصها (عز دائم) وزخارف بالمينا الملونة تنسب الى القرن الثالث عشر (رقمها ٩٤٦٠) ٠

٤ – سوار من الذهب مكون من أسلاك ذهبية مجدولة له محبس مستدير عليه شكل نجمة مسدسة مكتوب بوسطها « عز من قنع وذل من طمع » وهذا السوار ينسب الى القرن الرابع عشر (رقمه ١٦٤٣٥) ٠

٥ – قرط كبير من الذهب على شكل دائرة يتوسطها شريط مستطيل به زخارف نباتية وهندسية مفرغة وتتدلى من أسفله حليتان تكتنفان دائرة صغيرة بها زخارف مفرغة وهذا القرط ينسب الى القرن الرابع عشر (رقمه ١٤٩٩١) ٠

وهكذا نرى أن العقيدة الاسلامية قد بثت في نفوس المسلمين حب العمل وروح الابتكار وحب التطور والاتقان فأوجدت نشاطا في جميع المجالات واستغلت كل الامكانات المتاحة ودفعت عجله التقدم في مجالات الحرف والفنون والصناعات فأوجدت صناعات جديدة واحيت حرفا خامدة وطورت فنونا كانت سائدة بطريقة تقليدية ، فالاسلام يوصي بالعمل والعمل المتقن وقد قال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » فيجب علينا أن نعمل بهذه الاية الكريمة لنعود بأمتنا الى المكانة اللائقة بها في المجال الصناعي والفني العالمي وفقنا الله لما نحبه ونرضاه ٠

قصة متحف الفن الاسلامى فى برلين الغربية

الأستاذ كمال حمدى

تحتفل مدينة برلين الغربية فى هذا العام بمرور ٧٢ عاما على انشاء « متحف الفن الاسلامى » الذى يجتذب سنة بعد أخرى ، مزيدا من الزوار والسياح بحيث أصبح اليوم أحد المعالم الرئيسية فى العاصمة الالمانية القديمة : وقد أعلنت ادارة المتحف ، بهذه المناسبة ، أن عدد زوار المتحف قد بلغ ، منذ اعادة تجديد المتحف وافتتاحه عام ١٩٧١ حوالى مليون شخص من مختلف أنحاء العالم .

والواقع أن قصة اعادة افتتاح هذا المتحف الاسلامى العريق قبل خمس سنوات لا يعتبر تدشينا أوليا له ، اذ أن هذه القصة تبدأ فى عام ١٩٠٤ عندما قام اثنان من خبراء المتاحف الالمان هما « فريدريش بوده » و « فريدريش ساره » بانشاء قسم خاص بالفن الاسلامى فى المتحف الالمانى الذى كان يعرف ، آنذاك ، باسم « متحف القيصر فريدريك ! ، ما لبث أن اتسع وازدادت موجوداته بصورة تدريجية حتى أصبح خلال الثلاثينات الماضية من أبرز متاحف الفن الاسلامى خارج العالمين العربى والاسلامى ، ولكن الحرب العالمية الثانية ساهمت فى تخريب المتحف وتناثر محتوياته فى مناطق مختلفة داخل ألمانيا وخارجها احتاجت عملية اعادة جمعها وتقييمها سنوات طويلة قبل أن تعود لتحتل مكانها من جديد فى « متحف التاريخ القديم » ببرلين الغربية .

ويقدر عدد القطع الاثرية الموجودة فى هذا المتحف الاسلامى فى الوقت الحاضر ، الذى تشرف عليه مبرة المانية خاصة تهتم بجمع الاثار القديمة والحفاظ على الثروات الثقافية الاجنبية ووضع الدراسات ونشر المعلومات التفصيلية عنها ، بحوالى ٦٥٠ قطعة تم عرضها بأسلوب فنى حديث تجتذب كل قطعة منها اهتمام الزائر بصورة منفصلة دون أن يتأثر بوجود المعروضات الاخرى ، وقد حاول القائمون على المعرض جعل أسلوب العرض مبسطا جدا وبعيدا عن أسلوب

العرض المدرسى أو التعليمى التى درجت عليها المتاحف الاخرى .

ومن أثمن القطع الاثرية الموجودة فى متحف الفن الاسلامى فى مدينة برلين الغربية هى نسخة قديمة من القرآن الكريم يعود عهدها الى القرن السابع عشر تعتبر معجزة فى الخط العربى الجميل ، وقد عرضت هذه النسخة فى واجهة زجاجية أنيقة منعا من مسها أو العبث بها ، الى جانب محراب قديم يعود تاريخه الى القرن السادس عشر الميلادى وأحضر من ايران فى أوائل القرن الحالى ويمتاز بجماله ودقة صنعه وجمال الحفر الخشبى الذى يحمل آيات من القرآن الكريم ، الى جانب بعض الرسوم القديمة لمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وخارطة كبيرة للعالم الاسلامى من وضع عدد من الفنانين الهنود فى عهد الامبراطورية الاسلامية .

ويضم متحف الفن الاسلامى هذا أيضا مجموعات كبيرة تحمل معنى الثقافة الاسلامية وتعتبر صورة لتطور الحضارة الاسلامية القديمة ، منها بعض المجموعات الاثرية والكتب والمخطوطات المكتوبة بالخط الكوفى ، وقطع الموزاييك الذى تميز به الفن الاسلامى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وبعض الاشغال الفنية اليدوية والحلى والاسلحة القديمة التى عثر عليها فى اليمن والجزيرة العربية ..

ويقول البروفسور الدكتور « بريش » مدير المتحف الاسلامى ببرلين الغربية أن هذا المتحف الذى يقع فى منطقة دالم من العاصمة الالمانية القديمة يجتذب المزيد من الزوار عاما بعد آخر وقد أثبتت فكرة عرض موجودات التاريخ القديم للحضارات الاجنبية فى ألمانيا الاتحادية نجاحها التام ، على الرغم من أن خبراء المتاحف والاثار الالمان قد توقعوا ، فى أوائل الستينات الماضية ، انخفاض عدد زوار المتاحف بشكل عام وبأن المتاحف والمعارض الاثرية قد قاربت على النهاية والزوال كهيئات ثقافية فى العصر الحديث ، ولكن الواقع أثبت العكس تماما ، **اذ أثبتت السنوات الاخيرة زيادة اهتمام المواطنين الالمان بالاثار القديمة وثقافات الشعوب الاخرى : وأشار الى النجاح الكبير الذى حصل عليه معرض « نفرتيتى – اخناتون » الذى طاف فى عدد كبير من المدن الالمانية قبل ان يحل فى مدينة برلين الغربية مؤخرا قبل ان ينتقل الى الدول الاوربية الاخرى .**

وقد أكد البروفسور « بريش » أن عدد زوار متحف الفن الاسلامى قد سجل رقما قياسيا بالنسبة للسنوات الخمس الاخرى التى مضت على اعادة افتتاحه ، اذ بلغ عدد زوار هذا المتحف فى العام الماضى ١٩٧٥ حوالى ٣٠٠ ألف زائر وأنه يتوقع ازدياد هذا العدد خلال العام الحالى ١٩٧٦ الذى أطلق عليه اسم « عام العلاقات الالمانية – العربية » والاعوام القليلة القادمة كما أشار هذا العالم التاريخى الكبير الذى أشرف على تنظيم المتحف واعادة افتتاحه فى شهر يونيو – حزيران من عام ١٩٧١ الى أن هذا العدد لا يمثل سوى « الزيارات الفعلية » التى تمت للمتحف ، وأن هناك « زيارات » من نوع آخر تظهر بوضوح مدى اهتمام المواطنين الالمان بالفن الاسلامى وتطور الحضارات الشرقية ، هى الرسائل المختلفة التى تتلقاها ادارة متحف الفن الاسلامى من مختلف أنحاء ألمانيا وأوربا الغربية تطلب تزويد أصحابها بالصور والمعلومات والوثائق المتعلقة بالتاريخ الاسلامى والقطع المعروضة فى هذا المتحف ، كما أشار الى أن هذا الوعى التاريخى والانسانى الكبير يظهر بصورة خاصة لدى أبناء الجيل الجديد الراغبين فى توسيع معلوماتهم واطلاعهم على الثقافات الاجنبية ، خاصة الاسلامية والعربية منها .

وقد أعلنت ادارة المتحف الاسلامى فى برلين الغربية مؤخرا عن برنامجها الثقافى الذى ستقوم بتطبيقه خلال السنوات القليلة القادمة والذى يقوم على دعم التعاون بينه وبين الهيئات الثقافية والفنية فى ألمانيا الاتحادية وأوربا الغربية للقيام بانشاء متاحف متنقلة لعرض بعض القطع الاثرية والفنية الموجودة فى متحف الفن الاسلامى فى المدن الالمانية والاوربية الاخرى ، الى جانب التعاون مع المتاحف المحلية فى الدول العربية والاسلامية لتبادل الافكار والمعلومات والقطع الاثرية المختلفة التى تساهم فى ابراز ميادين الفن الاسلامى العريق على مر العصور : وذلك فى اطار التعاون الثقافى الاوربى – الالمانى – العربى فى المستقبل القريب .

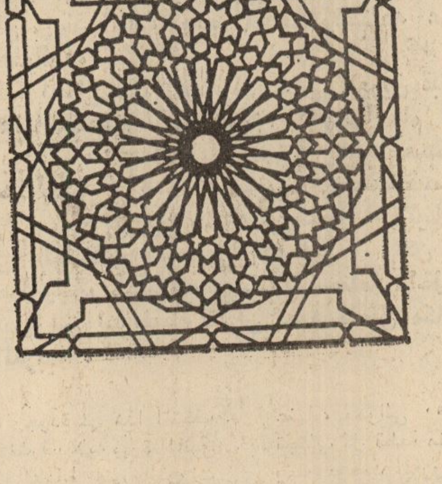

القصة
الإسلامية

رجل ومعارك

الأستاذ محمد صالح

أبو ذر الغفاري

● قال عنه رسول الله صلى اللهعليه وسلم) ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء أصدق لهجةمن أبى ذر .

● كان رابع أربعة أو خامس خمسة أسلموا والاسلام لايزال فى أيامهالاولى ، وهو أول من حيا الرسول صلوات الله عليه بتحية الاسلام .

● عاد بعد اسلامه وتحمله بعض أذى قريش الى قبيلته غفار وبقى بها يعلم أفرادها الاسلام ويبلغهم تعاليمه وبعد أن أسلمت قبيلته على يديه ، انتقل الى قبيلة أسلم التى تجاور قبيلته فدخلت الاسلام على يديه أيضا .

● ذهب الى المدينة بعد غزوة الخندق على رأس قبيلتى غفار وأسلم ، وظل فى يثرب مصاحبا للنبى صلوات الله عليه حتى انتقل الرسول الى الرفيق الاعلى .

● اشترك منذ قدومه الى المدينة فى الغزوات التى قادها النبى صلوات الله عليه ، كما أشترك فى غيرها ومن بينها غزوات جرت فى شهر ربيع الاول ، وكانت احداها بقيادة عكاشة بن محصن الاسدى فى السنة السادسة الهجرية .

......

انه أبو ذر الغفارى أو جندب بن جنادة الذى نقل عن النبى صلوات الله عليه الحديث القدسى القائل : ــ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام ، عن الله ـ سبحانه وتعالى انى قد حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا ياعبادى انكم تخطئون بالليل

١ = ٣

وهذا صحيح
ولأول مرة في تاريخ التأمين

مبالغ التأمين الأساسية

المستثمرة تتضاعف إلى اكثر من

ثلاثة أضعافها

هذا هو أكبر استثمار تأميني
توفره لك
الوثيقة

الماسية

لكافة الاستعلامات إملأ الكوبون المرفق
وارسله إلى :

شركة التأمين الأهلية المصرية

القاهرة ٢٣ و ٢٤ شارع قصر النيل تليفون ٩٧٩١٠٠
الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ٨٠٢٣٢٨
القاهرة ص.ب ٥٨٠ الاسكندرية : ص.ب ٤٤٦

الاسم - - - - - - - - - - - - - - -

العنوان - - - - - - - - - - - - - - -

شاهندة

والنهار ، وأنا الذى أغفر لكم ، يا عبادى كلكم جائع الا من أطعمته ،فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار الا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكى شيئا ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا فى صعيد واحد فسالونى ، فأعطيت كل انسان ما سأل لم ينقص ذلك من ملكى شيئا ، الا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة، ياعبادى انما هى أعمالكم أحفظها عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه .

ولننظر بعض جوانب حياته بالتفصيل :
فى مكة أمام الحرم نجد هذا المشهد :

أبو ذر :) صائحا (أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

أصوات : من هذا الرجل ، عليك لعنة الالهة ، الويل لك ..

أحد المشركين : ماذاتقول يارجل ومن أنت ؟
أبو ذر : انا جندب بن جنادة الغفارى ،

واقول : (اشهد الا اله الا الله ، واشهد ان محمدا رسول الله (.

أحدهم : متى جئت ؟
أبو ذر : جئت لتوى واسلمت لتوى .

أحدهم : أضربوا، اضربوا الغفارى، قاطع السبيل .

أبو ذر : أتضربوننى أتؤذون من يتبع الحق ياعبدة الاصنام ، اننى والله قد تركت عبادتها قبل قدومى ، كفرت بها منذ سنين وكنت اعبد الها واحدا حتى سمعت بمحمد فجئت اليه .

البقية ص ١٦٦

الشعر
الاسلامى

أصـــداء

الوحــدة

الشاعر رشاد يوسف

انا من هنـاك من الربوع الناضرات الزاهرة
انا من هناك من الصحارى والسهول الناضرة
انا من هناك من الجبال الشامخات الكاشرة
من كل شـبر فيه معركة التحـرر دائرة
من كل شـبر فيـه ابطال العروبة ثائرة
انا من هناك ومن هنـا فالكل حول القاهرة

■ ■ ■

انا من روابى المغـرب العربى روح عامـرة
خاضت غمار الحادثات بعزمـة متضـافرة
من تونس الخضراء مـن اصـداء مجد غابرة
انا ثائر لعروبتى رغـم العـدا وسماسرة
اشدو لكل مناضـل ادعـو ابارك خاطـرة
واطوف حـول القيروان مغـردا للقـاهرة

■ ■ ■

انا فى الجزائر ثورتى نبض الدمـاء الطاهرة
عصفت بكل الغـادرين وكل نفس جـائرة
وقضت على حلم العـدا رغم الحتوف الماكرة
وسـلوا فرنسـا والمعارك فى ربانا قاهـرة
وهـوى جميلـة يستحث من الفؤاد مشاعره
انا من هناك ومن هنا وهـران اخت القاهرة

■ ■ ■

انا منك يا بغداد يابلد الرشيد الساحـرة
من دجلة الاحرار أشـواقى تطـوف زائرة
من بعـد قاسـم لن تقطـع للعروبة آصره
سنسـير صـفا واحـدا وعروبة متآزرة
سنسـير للهـدف الكبير لوحدة متضافرة
وترد بغـداد الرشـيد على نداء القـاهرة

■ ■ ■

انا منك يا مهـد الجمال من الجبال السامرة
انا منك يا لبنان من سـحر البقـاع الناضرة
من شعبك الجياش من قلب الجمـوع الزاخرة
هيهات يبعدنى دخيـل او ذيول صـاغرة
فلكل مجنـون يقـامر بالعـروبة آخره
بيروت معقـل ثورتى بيـروت اخت القـاهرة

■ ■ ■

انا منك يا بـردى الحبيب من الضفاف الشاعرة
من صرح مروان العظيم من الربوع العاطرة
من وحـدة الامـال والالام روحى عـامرة
حطمت وهم الانفصـال دفنت فيه اظـافره
وسموت باسم عروبتى فـوق الجراح الفائرة
انا من هنـاك ومن هنا فدمشق اخت القاهرة

انا موريات يا فلسطين السليبه سـاعرة
انا زاد معركة الخـلاص انا الحشود الكاسرة
انا صـحوة العملاق ثورى بالكلاب الغـادرة
سنعود للوطن السـليب نعيد فيه سـوامره
ونعيد عز المسجد الاقصى ومجـد الناصرة
سنعود نعمر ارضنا فالقدس اخت القـاهرة

■ ■ ■

انا منك يا مصر العظيمة من تراثك خاطـرة
انا بسمة الامس المجيـد اتى يبارك حاضره
انا مشرق الامل الحبيب انا الحشود العـابرة
انا ومضة من زندك الوارى تدمـدم قـادرة
انا صرخة من صوتك الثورى تعصـف زائرة
انا من شبابك من معـارك نصرك المتواترة
انا من هناك ومن هنـا فالكل حـول القاهرة

السر المقدس

الدكتور يوسف نوفـل

السحب تركض فى الفضاء كأنها تسعى لغاية
والكون يأخذ فى الغموض وسره صعب البداية
والعقل حار . فياترى أين الطريق الى الهداية ؟
رباه .. ياسر الحياة مصيرنا فى أى غاية ؟

●●●

العرش عرشـك يا قـدير فلامراء ولا جدال
والملك ملكك يا بديع فما عـداك الى زوال
والاى تترى دالة أن البقاء لنـا محـال
فلك البقاء السرمدى لتوهب الكون الجمال

●●●

ناداك موسى .. : [ربنا ارنواليك الى بهاك] !
(انظر الى الجبل الاشم أن استقرانا هناك)
وجعلتـه دكا بقدرتك الجليلة فى عـلاك
قد خر « موسى » يا جليل القدر ياباني السماك

●●●

لما أفاق استـغفرك : مولاى انى لن أعـود
قد قال : تبت اليك انى مؤمن لك لن أحيد
سـأكون أول مؤمن يارب ياسر الخلـود
وصفحت يا تواب يا رحمن يا رب الوجـود

●●●

ورأى خليلك شمس هذا الكون تسطع فى السماء
ورأى بها قمرا يشع النور فى كل الفضـاء
طفقت جوارحه مع التقوى بفيض من نقـاء
قد قال : هـذا ربى المعبود رب الانبيـاء

●●●

أفل الهـلال فقـال : انى لا أحب الافلين
يا قوم زولوا . قد برئت من الضلالة والظنون
يممت وجهى للـذى أنتم بـه لا تؤمنـون
فطر السما والارض علام الغيوب ومايكون

يارب

الشاعر احمد عثمان المراغي

يارب : انى قد نظرت بدقـــة
لليل عنـد الظلمـة الظلمـاء

ودنوت للصمت الرهيب فخلته
بحرا يموج بغضـبة صـماء

فعجبت للكون الـذى قد حفه
صمت يحـوط بعالم الاحيـاء

غشـاهم بسكونه فرأيتهم
متدثرين بغفلـة خرسـاء

هذا هو الليل البهيم بصـمته
هـو آية يا خالـق الاكـوان

هو موئل للنـاس يارب الورى
دلت عـلى رب عظيم الشـان

وجعلته يارب انت لباسـنا
من بعـد جهـد مثقل الاوزان

ياتى فيجمعنـا بسـتر مطبق
فيريحنـا من مطمـع الابـدان

ومع السكون دعوت يارب الورى
انت القـوى على العباد واقدر

انت السميع ومن يجيب لدعوتى
الاله انت : انت رب اكبـر

وهتفت باسمك شاكرا ومرددا
وسر ذاتك قـد هرعت اكبر

سبحانك اللهم : يارب الـورى
يا مـن هو للكائنـات يصـور

يارب : انى قد شكرتك خاشعا
والناس فى الليل البهيـم نيـام

وبقيت وحـدى راكعا بل ساجدا
وجفت عيـونى كلها الاحـلام

ورضيت بالحب النقى مؤمـلا
عفـوا هو للمؤمنيـن سـلام

فانا عبدتك : يا الهى مؤمنـا
وبحسبى دينى : انه الاسـلام

اصوات : اضربوه اضربوه

أبو ذر : اضربونى يا عبدة الاصنام ، اضربوا كما يحلو لكم يا عبدة الاصنام .

العباس بن عبد المطلب : يا معشر قريش ، اتركوه فانتم تجار ، وطريقكم على غفار ، وهذا رجل من رجالها ان لم تتركوه ، يحرضه قومه عليكم ، يقطعوا على قوافلكم الطريق .

أحدهم : العباس على حق ، فلنتركه .

اصوات : عدالى قومك فاننا لا نريد ان نراك بعد اليوم بيننا .

أبو ذر : لقد كنت والله ذاهبا اليهم لارشدهم الى الحق ، ولكننى اردت قبل ذهابى ان اطلقها بينكم ، لكنكم قوم مكابرون .

أصوات : اذهب ، اذهب .

مشهد بعد سنين فى يثرب : المدينة المنورة .

احد أهل المدينة : ماهذه الجموع القادمة ؟

آخر : انهم رجال ونساء يحملن أطفالهن وصبية ، هيا بنا نقترب ونستطلع حالهم ولاى شىء جاءوا ، الجموع القادمة) تبدو أصواتهم تقترب (الله أكبر ، الله أكبر ، نشهد أن لا اله الا الله ونشهد أن محمدا رسول الله

أحد اهل المدينة : من أنتم ؟

أبو ذر : الا تعرفنى .. الا تذكرنى .. انى لازلت اذكرك .

أحد اهل المدينة : والله لقد تذكرتك انت الغفارى ، انت أول من جهر بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله امام قريش فى الحرم .

أبو ذر : نعم يا أخى تلك أيام بعيدة ، واليوم جئت ومعى قبيلتى غفار واسلم لننضم اليكم ، والحمد لله على ما انعم الله به عليكم من نصر ، لقد كنا نتابع غزواتكم واليوم جئنا نشارككم الجهاد والغزو فى سبيل الله ..

أحد أهل المدينة : مرحبا بكم ، هيا بنا الى رسول الله

وتذهب الجموع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقدمها أبو ذر وعندما يرى صلوات الله عليه جموع القبيلتين أمامه ويحكى له أبو ذر ينظر صلوات الله عليه الى الجموع ثم يقول [غفار : غفر الله لها ، واسلم : سالمها الله] .

فى غزوة تبوك ، غزوة العسرة فى رجب من السنة الثامنة الهجرية تخلف ابو ذر عن الجيش لارهاق اصاب بعيره فى الطريق نتيجة لقلة الطعام والماء وحر الطريق فترك بعيره ، وصار مسرعا فى الهجير ليلحق بالجيش حتى لا يفوته الجهاد .

وبينما الجيش يستريح رأوا غبارا يثيره راكب فى الطريق ، وعندما نقلوا خبره الى رسول الله قال صلوات الله عليه ، انه أبوذر .

وعندما أهل أبو ذر على جيش المسلمين والتعب يكاد يقتله نظر اليه صلوات الله عليه ثم قال : (**يرحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده**) .

ويكمل الجيش رحلته وأبو ذر جنديا بين جنوده .

وفى ساحة المعركة المنتصرة يحارب أبو ذر فى بسالة .

وفى يوم سأله رسول الله قائلا) يا أبا ذر ، كيف أنت اذا أدركت أمراء يستأثرون بالسفى .

يرد أبو ذر : اذا والذى بعثك بالحق ، لاضربن بسيفى .

يرد صلوات الله عليه قائلا : أفلا أدلك على خير من ذلك : اصبر حتى تلقانى .

كان يحتقر المال ويرفض السلطة ويردد عباراته القوية فى كل مكان يذهب اليه ، وحذر الذين يكتنزون الذهب والفضة من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة ، وذلك فى خلافة عثمان عندما اتسعت الدولة الاسلامية .

وكان يردد أيضا قول الله سبحانه وتعالى :) والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم (.

وعندما يضيق والى الشام معاوية بن أبى سفيان بأبى ذر ويرى فى ما يقوله تحريضا للشعب على الامراء الذين أثروا وأكثروا من اقتناء القصور والضياع يكتب معاوية الى الخليفة عثمان بن عفان بخبر أبى ذر وأقواله التى تثير عامة الناس .

ويرسل عثمان الى أبى ذر يطلب منه القدوم عليه ، ويلبى الرجل مطلب الخليفة ، ويذهب ويعرض عثمان على أبى ذر المال فيرفض قائلا : لا حاجة لى فى دنياكم ، ولكنى أبغى الخروج الى الربذة لاقيم بها .

ويوافق عثمان ، وفى الربذة يحرض الناس أبا ذر للثورة على الخليفة ، لكنه يرفض ولا يستمع الى دعاة الفتنة ثم يقول :) والله لو أن عثمان صلبنى على ، احلول خشبة أو احلول جبل لسمعت وأطعت واحتسبت ولرأيت ذلك خيرا لى ، ولو سيرنى ما بين الافق الى الافق لاطعت وصبرت واحتسبت ورأيت ذلك خيرا لى .

الطب
فى
الإسلام

الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة

الدكتورة ابتسام عبد الحليم

انه لمن المبهر حقا والمثير للاعجاب حقيقة عظمة ديننا الاسلامى الحنيف وسبقه العلم بحوالى أربعة عشر قرنا من الزمان . ولعل نبى الامة - صلوات الله وسلامه عليه - ومعلم البشرية جمعاء وعلمه من عند الله - سبحانه وتعالى - قد رسم لنا الطريق السوى مما جعل علماء العالم يدخلون فى دين الاسلام بعد أن تبين لهم أن أبحاثهم واكتشافاتهم سبق أن تحدث عنها النبى - صلوات الله وسلامه عليه - وتبين لهم أن هذا الدين يهدى للتى هى أقوم .

وكما ذكرنا فى المقالات السابقة التى نشرت فى الاعداد السابقة من مجلة منبر الاسلام» الغراء التى تحمل عنوان «الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة ان من واجبنا التبشير الى الدين الاسلامى بالطريقة المثلى التى تتلاءم وروح العصر . وذلك بربط أحاديث النبى - صلوات الله وسلامه عليه - بما جاء بالنظريات الحديثة التى انكب عليها العلماء المحدثين عدة قرون من الزمان .

فكيف استطاع النبى الامى محمد - صلوات الله وسلامه عليه - ان يصل الى هذه النتائج قبل اكتشافها بعدة قرون ؟

والاجابة أن هذا هو الاعجاز العلمى فى ديننا الاسلامى الحنيف ولان علمه - صلى الله عليه وسلم - من عند الله - سبحانه وتعالى - خالق الكون ويعلم سر ما خلقه . والذى يهمنا فى هذا المقال هو تفسير قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم : «**قص الظفر وانتف الابط يوم الخميس واجعل الطيب واللباس والغسل يوم الجمعة**» .

وقوله صلى الله عليه وسلم أيضا عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غذاؤه واذا رفع » .

والمراد بالوضوء فى هذا الحديث هو غسل اليدين .

ففى هذا الحديثين نوع من التثقيف الصحى الذى يعتمد عليه علم هام من علوم الطب وهو الطب الوقائى . ففيه يوصى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن يقص المسلم ظفره بانتظام فى الحديث الاول وبأن يقوم بغسل اليدين قبل الاكل فى الحديث الثانى وكيف أن بهذين العملين نقى الجسم من الطفيليات والميكروبات التى قد تكون عالقة بهم من أهمهم :

أولا : الاكسيورس « الديدان الدبوسية » .

ثانيا : الهيمنوليس نانا « الديدان الشريطية الصغيرة » .

ثالثا : الانتاميبا هستلوتيكا « المسببة لمرض الدوسنتاريا الاميبية » .

وقد قمت بمشيئة الله - سبحانه وتعالى - فى مجلة « منبر الاسلام » الغراء فى العدد « ١ » سنة ٣٥ محرم سنة ١٣٩٧ هـ يناير ١٩٧٧ م بالتحدث عن اصابة الانسان بديدان « الاكسيورس » وعن دورة حياتها وعدم وجود عائل وسيط لها الا الانسان وكيف أن استمرار اصابة الانسان بها تعنى تكرار بلعة للبويضات المعدية وأن المريض يقوم بعدوى نفسه لاحتواء البويضات الخارجة مع برازه على اليرقة الناضجة التى لا تحتاج الى وقت خارج الجسم لتكملة نموها . وأن معيشة الدودة فى منطقة الاعور من الامعاء الغليظة والزائدة الدودية وأن الانثى تقوم بوضع بويضاتها حول فتحة الشرج فيحس المريض برغبته فى « الهرش » حول فتحة الشرج فتعلق البويضات بيده وأظافره ويقوم ببلعها مع الاكل وبخاصة عندما تكون أظافره طويلة ولم يقم بتقليمها بانتظام أو لم يقم بغسل يديه قبل الاكل . وبينا أن التغيرات المرضية التى تتسبب عن الاصابة بدودة « الاكسيورس » منها تقرحات الامعاء . مما يؤدى الى العدوى الثانوية بالبكتريا . ومنها أيضا الارق وعدم القدرة على الانتباه والتركيز وبخاصة الاطفال . كما أن معظم حالات الزائدة الدودية الملتهبة سببها وجود « الاكسيورس » مما يؤدى الى استئصالها بدون مبرر .

يأتى بنا الامر الى التحدث عن طفيل أخر وهو :

الهيمنوليس نانا .

التوزيع الجغرافى :

فى جميع انحاء العالم .

الشكل الخارجى :

يعتبر من الديدان الشريطية الصغيرة اذ يتراوح طوله من ١ - ٣ سم وعرضه ٥ر مم . وتحتوى قطعة الرأس على دائرة من الخطافات بها من ٢٤ - ٣٠ خطافا وبها أربعة ممصات . يلى الرأس العنق ثم القطع الناضجة .

والطفيل خنثى يحتوى على كل من الجهاز التناسلى الذكرى والجهاز التناسلى الانثوى فى نفس القطعة . وتتمزق القطعة الناضجة فى الامعاء ويخرج منها البويضات .

تاريخ الحياة :

يعيش الطفيل فى الامعاء الدقيقة للانسان فى الجزء السفلى من المعى ويقوم بتثبيت نفسه فى الغشاء المخاطى المبطن للامعاء بواسطة ممصاتها . وتنفصل القطعة الناضجة عن الدودة وهى فى طريقها فى الامعاء وتتمزق ويخرج منها البويضات والبويضة كروية الشكل قطرها ٣٠ - ٥٠ ميكرون ولها غطاءان والغشاء الداخلى يحتوى على الجنين وهى عديمة اللون شفافة وتكون ناضجة عندما تمر فى براز الانسان الى الخارج وقادرة على العدوى فعندما تتلوث أصابعه أو أظافره أو أكله أو شرابه بواسطة البراز المحتوى على البويضات المعدية .

عندما يبتلع الانسان البويضات نجد أن البويضة تفقس فى الامعاء ويخرج منها « الاونكوسفير » الذى يخترق الغشاء المخاطى المبطن للامعاء ويستقر فى النسيج الضام تحت الغشاء المخاطى المبطن للامعاء ويتحول هناك الى طور اليرقة « السيستسير كويد » وينضج الطفيل فى خلال ٤ - ٦ أيام ويخترق الغشاء المخاطى المبطن للامعاء وتأخذ طريقها مرة أخرى الى فراغ الامعاء وتثبت نفسها بواسطة الممصات فى الغشاء المخاطى المبطن للامعاء وتنمو الى أن يتم نضجها وتبدأ البويضات فى الظهور فى البراز بعد اسبوعين من بدء العدوى .

يتضح مما سبق أن الانسان يقوم بدور العائل الاساسى والعائل الوسيط فى نفس الوقت وهذا ينتج عنه ما يسمى « بالعدوى المتزايدة » ومعناها « أنه طالما أن المريض يحمل العدوى فانه يصبح قادرا على الاستمرار فى عدوى نفسه أكثر وأكثر مما يزيد من عدد الطفيليات التى بامعائه » .

والعدوى فى الاطفال تكون أكثر شيوعا من العدوى فى الكبار فيبدوا أن هناك نوع من

المناعة عند الكبار . قد يحدث أن بعض الحشرات مثل «الخنافس يرقات البرغوث» تقوم بأكل بويضات الطفيل فتفقس البويضات في أمعاء الحشرة ويخرج منها «الاونكوسفير الذي يخترق جدران الامعاء ويقع في فراغ جسم الحشرة ويتحول الى « السيستسيركويد » وقد يحدث أن تبلغ تلك الحشرات بواسطة الانسان فيخرج « السيستسيركويد » في الامعاء يتحول الى الطور البالغ وفي حالة يرقة البرغوث فان السيستسيركويد » يستمر حيا الى أن تتحول اليرقة الى برغوث بالغ به «السيستسيركويد » في فراغ الجسم . وقد يحدث أن يقفز البرغوث في الطعام أو الماء ويبتلعه الانسان فتهضم أنسجته في الامعاء ويخرج منها « السيستسيركويد » الحى وهو على استعداد للنمو والبلوغ .

ونجد أن عدوى « الهيمينوليبس » تكون في معظم أفراد الاسرة وذلك لسهولة العدوى بالبويضات الناضجة ما لم نتبع الطرق الوقائية التي ذكرناها أعلى .

التغيرات المرضية :

تعتمد على شدة العدوى :

١ - في حالات العدوى الخفيفة نجد أنها لا تعطى تغيرات معينة .

٢ - سجلت في بعض الحالات أربعة آلاف طفيل في أمعاء مريض ويحدث نتيجة تلك الاصابة تقرحات في الغشاء المخاطى المبطن للامعاء مع التأثير على غدد الامعاء اللمفاوية .

٣ - قد يحدث اضطرابات ونزلات معوية .

٤ - أعراض عصبية تصل الى حد حدوث تشنجات أو نوبات من الصرع .

٥ - قد تحدث آلام بالبطن أو اسهال .

تشخيص المرض :

أ - بواسطة اكتشاف البويضات النموذجية « ميكروسكوبيا » في براز المصاب .

ب - كما يوجد أيضا زيادة في عدد « لاوزينوفيل » وهو جزء من كريات الدم البيضاء الموجودة بالدم .

العلاج :

بواسطة الكلوركين فوسفات وتعطى جرعة واحدة مرة كل أسبوع لمدة ٣ أسابيع . والسبب في أعطاء العلاج في هذه المدة الطويلة هو أنه عند اعطاء العلاج قد يوجد «السيستسيركويد » في الانسجة تحت الغشاء المخاطى المبطن للامعاء . فلا تتأثر بالعلاج وبعد أيام آخرى تجد طريقها الى فراغ الامعاء وتتحول الى الطور البالغ الذى يتأثر بالدواء . كما أنه يجب علاج كل أفراد الاسرة في نفس الوقت والخدم أيضا .

الوقاية :

قد تؤدى النظافة الشخصية فقط الى الشفاء وذلك لان الطفيل البالغ يعيش شهورا قليلة فقط .

- استمرار عدوى المريض تعنى استمرار بلع البويضات عن طريق عدم تقليم الاظافر بانتظام وعدم غسل الايدى قبل الاكل .

للحديث بقية ان شاء الله تعالى

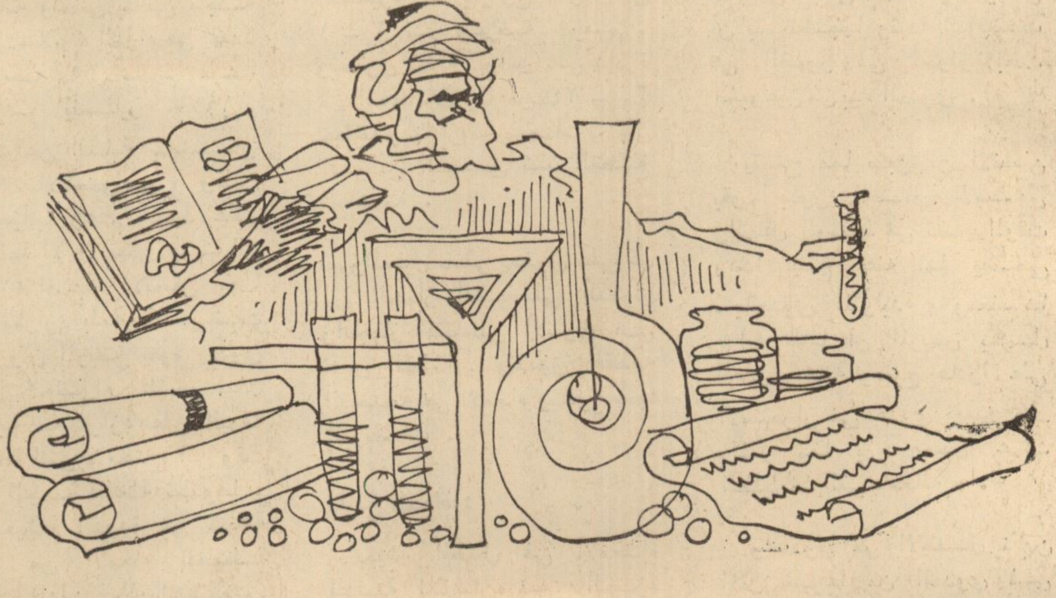

شخصيات
إسلامية

لمحة إلى آثار الأفغاني

الدكتور احمد الحوفي

كان جمال الدين الافغانى لا يملك الا عقلا مفكرا ، وذهنا ثاقبا ، وثقافة واسعة ، ولسانا طلقا ، وقلبا جريئا ، وشغفا باصلاح أحوال الامة الاسلامية .

ولقد تنقل بهذه العدة بين الافغان وايران والهند ومصر وتركيا والحجاز ولندن وباريس ، فلم يتخفف من سلاح يتسلح به ، ولم تفتر شجاعته فى بلد من البلاد او فى ظرف من الظروف .

وكان الى هذا جذاب الحديث ، قديرا على توليد المعانى ، بارعا فى الاسترسال والاستطراد والاستدلال شائق الالقاء ، لا يمل أحد سماعه .

وان اثاره لعظيمة فى مصر وفى خارج مصر .

فاذا مددنا نظرنا خارج مصر رأيناه قد أيقظ كثيرا من الشرقيين من سباتهم ، وحرضهم على مقاومة الاحتلال ، وعلمهم كيف يكتبون ويخطبون داعين الى الحرية والى الاستقلال .

كذلك رأيناه قد كتب بنفسه فى الدعوة الى الجامعة الاسلامية والى الرابطة الشرقيه ، كما كتب فى المسالة السودانية والمسالة الهندية ، وعالج كلا منهما باخلاص وحماسة وادراك للسياسة الدولية العامة .

ولم يكتف بهذا كله ، بل أثار بعض حكومات الشرق على الاحتلال .

واذا ما تتبعنا جهوده فى مصر فى السنوات الثمان التى قضاها بها وجدناها احفل سنى حياته بالدعوة والتوجيه والعمل والثمرات ، ووجدناها أنضج أيامه .

ومازالت مصر تذكر بالتقدير الكبير والوفاء العظيم هذا المفكر الحر الثائر الغيور على العالم الاسلامى كله ، المشغوف باصلاح شئون المسلمين ، المشتاق الى استقلالهم والى تقويض الاستعمار الجاثم على ربوعهم .

واذا كان الشرق كله مدينا لجمال الدين بنهضته فان مصر تذكر انه ربى اشبالها ، ونفخ من روحه القوى فى رجالها فتقرن اسمه بتاريخها الحديث .

لقد قضى بمصر ثمانى سنوات ينشر آراءه فى تصحيح العقائد ، وتهذيب الافكار ، واستنهاض العزائم ، والدعوة الى الحرية والى الحياة الدستورية ومناضلة الاستعمار ، والاعتزاز باللغة العربية وبالدين الاسلامى .

وكانت الفترة التى قضاها بمصر مواتية لنشر

آرائه ، لان الديون تضخمت : وانشىء صندوق الدين ، فكانت فى مصر حكومة أجنبية تسيطر على الخديوى وعلى الحكومة المصرية وكان فى وزارة نوبار وزيران أجنبيان أحدهما انجليزى والاخر فرنسى .

وقد تبرم المصريون بهذا واشباهه ، وطالما وفد كثير منهم الى دار جمال الدين والى مجالسه واستمعوا لدروسه وآرائه ونقده وتوجيهه فى تقدير واعجاب ، ومنهم اساتذة وطلاب وقضاة ورؤساء فى أعمال حكومية .

ومن مهارته أنه كان يلقى عليهم دروسا فى الشريعة وعلم الكلام والفلسفه ويمزج بها دعواته الاصلاحية فى السياسه والاجتماع ، وكان يدرب الشباب على الكتابه ، والخطابه فى موضوعات سياسية ، ويرسم لهم طرق الاستدلال والاستنباط . وهم جميعا مبهورون بعلمه الواسع ، وتعبيره الحار ، وشخصيته الاخاذة ، كما شجعهم على انشاء الجرائد فهو الذى حض تلميذه اديب اسحاق على انشاء جريدة « مصر بالقاهرة ، ثم جريدة « التجارة » بالاسكندرية ، وكان لهما صوت مسموع وتاثير قوى فأغلقهما رياض رئيس الوزراء .

وكان يكتب فى الجرائد باسم مستعار احيانا ، ويستكتب القادرين من تلاميذه فى موضوعات تتصل بحقوق الشعب ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول ، وخف حجاب الغفلة .

وهو الذى شجع يعقوب صنوع على انشاء مجلة فكاهيه اسمها « أبو نضارة » كانت تنتقد سياسة الخديوى اسماعيل . وساعد سليم عنحورى على اصدار مجلة « مرآة الشرق » ووجه كتاب جريدة الوقائع المصرية » .

ومن توفيق الله تعالى أنه بذر فى مصر بذورا أنبتت بعضها فى حياته ، وعلى مشهد منه ، وأنبت بعضها بعد وفاته بقليل .

ويكفى أن نذكر من تلاميذه فى مصر أحمد عرابى وعبد الله النديم ومحمود سامى البارودى ومحمد عبده وسعد زغلول وابراهيم الهلباوى وعبد الكريم سلمان وابراهيم اللقانى وعبد السلام المويلحى وابراهيم المويلحى وأديب اسحاق وعلى مظهر وأحمد الجداوى وسليم عنحورى .

ولن ينسى المصريون حضه لهم على الثورة جهارا بقوله سنة ١٨٧٨ م : أنظروا أهرام مصر وهياكل منف وآثار طيبة وحصون دمياط تجدوها شاهدة بمنعة ابائكم وعزة أجدادكم .

انتبهوا من غفلتكم ، اصحوا من سكرتكم ، عيشوا كباقى الامم أحرارا سعداء أو مأجورين شهداء .

فلا عجب من أن شهد بتأثيره العميق كثير من تلاميذه وكثير من دارسيه .

قال سعد زغلول فى احدى خطبه : لست خالق هذه النهضة كما قال بعض خطبائكم ، لا أقول هذا ولا أدعيه ولا أتصوره ، ان نهضتكم قديمة من عهد محمد على وعرابى ، وللسيد جمال الدين الافغانى وأتباعه وتلاميذه اثر كبير فيها ، وهذا حق يجب ألا نكتمه لانه لا يكتم الحق الا الضعيف .

وقال مسيورينان : كنت وانا أحدث الافغانى كأننى احدث ابن سينا او ابن رشد او أحد أولئك العظام الذين ظلوا خمسة قرون يعملون على تحرير الانسانية من الاسار .

وقال بردكلمان : مهما يكن من امر فقد كان الاسلام – وما زال – المهيمن على الحياة الدينية فى مصر ، وانما يرجع الفضل فى ذلك الى تأثير جمال الدين الافغانى .

وقال الكاتب الكندى وليام مكلورى : كانت أقوى مشاعل حركة التنوير القومى والفكرى والادبى فى الشرق هى التى حملها جمال الدين الافغانى ، الذى تخرج على يديه وفى مجالسه كثير من أبناء مصر والبلاد العربية .

رحم الله جمال الدين .

لقد كانت الثورة العرابية أثرا من آثاره .

وكانت مناضلة الاحتلال البريطانى والفرنسى قبسا من نوره وناره .

كان عظيم التأثير فى الحركات الدستورية والفكرية التى ازدهرت فى البلاد الاسلامية .

فمن حقه علينا أن نشيد به ، وأن نمجد آثاره ، ومن حق تلاميذه أن نباهى بهم ، وأن نصل ما بين نهضتنا وجهودهم ، طيب الله ثراه وثراهم ، وجزاه وجزاهم خير الجزاء .

علي ابن إسماعيل ابن سيده صاحب المُحْكم والمُخصَّص

ـ ٢ ـ

والامر فى تجلية فضل هذا العالم الكبير يوجب أن نبين للناس كل أثر تركه ، وأن نوضح جدارته بما قدته الاجيال المتعاقبة من صفات التعمق الاصيل فى البحث ، والكفاءة النادرة فى الدرس ، ولا ريب أنه كان دفقة من دفقات الروح المتوهجة ، وتوقدا من توقدات الذهن المبدع ، واشراقة من اشراقات النفس الصافية التواقة الى الكمال الاسمى فى الفكر ،

الدكتور حامد محمد شعبان

والخير المطلق فى المعرفة وحسبنا أن نعرض أبرز ما يجلى الفضل ، وأصدق ما يزكى مكانته ، فهو من الاعلام الافذاذ الذين فهموا روح اللغة واتجاهها القويم وأحاطوا بأصولها وبقضاياها وأغنوا درسها باعتبارات دقيقة وثروة عظيمة وثمرات وفيرة ، ولا يبدو فى أجل آثاره الا مقتحما لجة بحر اللغة العميق ، يخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور ، ويتوغل فى كل مظلمة ويتهجم على كل مشكلة ، مستخلصا المزايا والخصائص ، ومحددا وسيلته فى التحقيق والترجيح حتى ندرك ما فى مناقشته من أصالة وابتكار وما فى جمعه من بحث وهضم وفطنه واختيار وفضـله يدفعنا أولا الى معـرفة تلاميذه ، والحق اننا كنا نود أن نعرفهم ولكن المراجع التى بين أيدينـا لم تذكر أحدا منهم فى ترجمته ، وانفرد كتاب التكملة) ١ ـ ١٤٠ (بتعيين أحد هؤلاء الذين أخذوا العلم منه وهو ابراهيم بن أبى الفضل بن صواب المتوفى سنة ٥٠٦ هـ ، تلميذه الذى كان يتجول فى البلاد معلما بها . ويبدو أن انقطاعه للموفق وابنه اقبال الدولة لم يساعد على أن يكون له كثير من الطلاب ، وان كنت أعتقدأن عالما كابن سيده لابد أن يترك أثرا كبيرا فىعدد لا يستهان به من التلاميذ مهما أحاط بسيرته ، يقول صاحب المغرب فى حلى المغرب : لا يعلم بالاندلس أشد اعتناء من هذا الرجل باللغة ، ولا اعظم تواليف ، تفخر مرسية له اعظم فخر ، أحرزت به برد الدهر ، وهو عندى فوق أن يوصف بحافظ أو عالم ، وأكثر شهرته فى علم اللغة » . وحسبه ذلك . ثم يدفعنا تجلية فضله الى الحديث عن مؤلفاته وكنا نود أيضا أن يكون بين أيدينا جميع ما ألفه ابن سيده ، ولكننا لا نجد له من كتبه التى وصلت الينا سوى ثلاثة كتب هى :

١ ـ **شرح مشكل شعر المتنبى** وهو يتناول الابيات التى يرى أنها تحتوى على مور جديرة بالتعليق عليها .

٢ ـ **المخصص** . ٣ ـ **المحكم** . والكتاب الاول مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية أما المخصص فقد طبع وهو من المعاجم اللغوية الموضوعية اى التى تجمع فيها الالفاظ التى تنتمى الى موضوع ما ، وتوضع معا وهلم جرا . وكتاب المحكم طبعت أجزاء منه وما زال تحقيق باقى الاجزاء يمضى فى الطريق المرسوم ..

أما بقية مؤلفاته فتعتبر مفقودة وان ذكر أصحاب التراجم عنوان بعضها ، كما أشار الى بعضها ابن سيده فى كتبه التى بين أيدينا اشارات مجملة بالنسبة لعدد منها ، ومن هذه الكتب المفقودة ما لا نعرف عنه أى شىء . والكتب التىأشار اليها من أرخوا لابى الحسن بن سيده ، وذكر بعضها المؤلف فى مقدمةكتبه هى ما يأتى :

١ ـ **كتاب شرح العالم والمتعلم ، على المسألة والجواب** .

٢ - كتاب شرح كتاب الاخفش . ويقرر بالنثيا فى كتابه تاريخ الفكر الاندلسى الترجمة العربية أن هذين الكتابين كانا من اذيع كتب النحو على أيام ابن حزم وبذكر انه يغلب ان الاخفش هو على بن فضل الذى توفى فى بغداد حوالى سنة ٣١٤ هـ ... .

٣ - كتاب الانيق فى شرح الحماسة .

٤ - كتاب شرح أبيات الجمل لابى القاسم الزجاج .

٥ - شرح المختصر .

٦ - شرح اصلاح المنطق ، ولعله الذى أشار اليه ابن سيده فى المحكم فى المقدمة .

٧ - كتاب الوافى فى علم القوافى او الوافى فى احكام علم القوافى وهو ملخص عالج فيه الضرائر الشعرية ، ونقد عيوب الشعر وطوائف قوافيه من كتاب الغريب المصنف لابى عبيد القاسم بن سلام .

٨ - كتاب فى التذكير والتانيث قال عنه ابن سيده واما ما أتركه من الاشعار بالتذكير والتانيث فانما ذلك لانى قد أفردت له كتابا ، لم يوضع فى معناه ما يوازيه فاضلا عما يساويه وكذلك المحدود والمقصور » . ونجد ذلك فى المقدمة .

٩ - كتاب فى المقصور والممدود وتشير اليه العبارة السابقة .

١٠ - كتاب شاذ اللغة فى خمسة مجلدات .

وتذكر بعض المصادر أنه ألف فى المنطق ونقول : كان مع توفره على علوم العربية متوافرا على علوم الحكمة وألف فيها تواليف كثيرة » .

وفى اعتقادى أن كتاب المحكم هوأعظم مؤلفاته ، فهو معجم يضم ثروة جليلة تعطى العمل المعجمى الخصب والغنى ، أخرجه للناس مستقلا بنفسه ، مستغنيا عن مثله مما ألف فى جنسه ، فيه ثقابة النظر واصابة الفكر ، لا يعدل عن الصواب فى جميع ما يحتاج اليه من الاعراب ، وفيه مباحث لغوية طريفة مفيدة للحياة الاندلسية وللدارسين مسيس الحاجة اليها ، يلم اطرافها وينسعها ويوضح مقاصدها ويحررها ويقدمها للطالبين ثمرا ناضجا له لون جميل ومذاق حلو وفيه غذاء يأخذ بيدهم ويمنحهم كل ما يرجونه من معارف وثقافة علمية واسعة تناسب عصرهم ومداركهم . ان صاحب المحكم وضح زلات اللغويين فى النحو والتصريف والتفسير وشاهدنا قوة ساعده ورسوخ قدمه لانه لا يعتبر نفسه أقل منزلة من مشاهير كبار العلماء ، ويبدو ذلك بارزا فى مقدمة المحكم فى نقده اللغويين ووصف بعضهم بضعف المنة وسخافة الجنة وبعضهم بالوقوف مواقف فخرية والوقوع فى أخطاء لا تحصى وبعضهم بأنه لا يعلم باسرار الصيغ كعلمه ولا يفهم غوامض تاولها كفهمه .

ولا يمكننا ان ننكر أن فى هذا الكتاب فهما طيبا يؤكد أن ابن سيده اعرف الناس بأن علم اللغة مفهومه واسع شامل يضم كل الفروع الدراسية التى تتناول اللغة من أى جانب ، فهو يؤمن بأن الدراسات المعجمية يجب أن تكون مادتها خلاصة البحوث السابقة فى الاصوات والصرف والنحو جميعا كما تؤكد الدراسات الحديثة فى علم اللغة ، ولذا نجد درسه يذوب فى هوى الدراسات الصرفية والنحوية ويعتز بموقفه منها ، حيث توسع آفاق اللغة ، وتعالج جوانب متعددة يسرت له حظا عظيما من ادراك جوهرها الاصيل ، وهو يبغض ان يمارس اللغة كما يفعل بعض الدارسين فى المعاجم ، فجهدهم لم يحقق ما يتمناه ، ولا يحب أن يقف عند حد ما جاءوا به ، بل يعتصم بتوسيع الدراسة اللغوية والاستفادة بجميع وسائلها ومقوماتها ليغنى المعجم ، ويعطى أكبر المكاسب حين يسنده حس لغوى عميق وتؤازره عناصر شتى من الاحاطة بعلوم اللسان ، ان تمسكه بأن مفهوم الدرس المعجمى يجب ان يكون واسعا يشمل كل ما يؤدى الى معرفة كلام العرب - خليق أن يرفع قدره ويشيد بمنزلته الرفيعة . وسر اقبال الحركة المعجمية على أحكام المحكم انها جاءت فى نظام ثابت مشفوع المثل بالمثل لا يفصل بينهما غريب ولا أجنبى بعيد ولا قريب فى اكثر الامر وكيف لا تؤثرها على غيرها وهى لا تأتى غالبا الا بدرس مهذب الفصول مرتب الفروع بعد الاصول تحلى بالتهذيب والتقريب والاشباع والاتساع والايجاز والاختصار مع السلامة من التكرار والمحافظة على جمع المعانى الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة وقد يكون هذا الدرس تد ضل عن السبيل أحيانا الا أنه كان الاولى بالاقبال والايثار واتخاذه منهلا مد وارف ظله وبذل مكنون علمه ونأى عن الاختلال ما استطاع الى ذلك سبيلا .

ومما يدل على ما قلناه اعتماد ابن منظور صاحب لسان العرب على الاحكام التى أتى بها ابن سيده وحكمه بأنها تتضمن علما نافعا كثيرا وفهما دقيقا صحيحا ، وشهادته أن المحكم أكمل المعاجم ، جمع فأوعى وأتى بالمقاصد ووفى ، وهو فى رأيه مورد عذب بديع الاتقان صحيح الاركان ، وأحكامه هى العليا يؤثرها ويسير على هداها فهى الاساس الاول الذى يعتمد عليه ، اما الفيروز بادى فانه يعتقد أن كتاب المحكم هو أعظم المؤلفات فى اللغة وأعمها فائدة لانه جاء وفق البغية ، وقاموسه يعول على دراسات ابن سيده لميزاته التى ينفرد بها ، ومن الطبيعى أن يعتمد الزبيدى صاحب تاج العروس على هذى الدراسات لان التاج شرح للقاموس . ان اثر هذا الكتاب جلى فى معظم المعاجم والكتب اللغوية ، **وحسب المحكم أن يقرر المستشرق الانجليزى لين انه أنفع المعاجم وأعظمها وأن قيمته لترتفع الى الذروة من حيث الصحة والاشارات الانتقادية والامثلة الكثيرة والشواهد العربية الصحيحة . ولعل فضل ابن سيده هو الذى دفعنى الى الكتابة عنه ليعرف قارىء منبر الاسلام هذا العالم الذى خدم لغة القرآن وعرض ما قاله المفسرون فى كثير من آياته وتناول القراءات القرآنية كثيرا فى قوة وغزارة مستفيدا من حصيلة بحوثه . رحم الله صاحب المحكم والمخصص وجزاه عن لغة القرآن خير الجزاء .**

اتحاد الإذاعة والتليفزيون
شركة صوت القاهرة
صوت القاهرة
SONO CAIRO
تقدم
بمناسبة عيد راس السنة الهجرية
• المصحف المرتل والمجود كاملا للشيخ عبد الباسط عبد الصمد
اسطوانات وكاسيت
• المصحف المجود كاملا للشيخ محمود خليل الحصري شيخ المقارئ المصرية
اسطوانات ٣٣ لفة
• تسجيلات للشيخ محمود على البنا كاسيت
• تسجيلات للشيخ محمد رفعت كاسيت واسطوانات
• تسجيلات للشيخ محمد الطوخى كاسيت
• تسجيلات للشيخ محمد محمود الطبلاوى كاسيت
عبد الباسط عبد الصمد
محمود الحصري
محمود على البنا
محمد رفعت
محمد الطوخى
الطبلاوى
يباع بفروع الشركة وجميع محلات بيع الاسطوانات

عامر ابن ربيعة ابن مالك

ثانى مهاجر إلى المدينة

الأستاذ عبد المنعم حسن الأدفوى

لم يكن فى مكة بعد ان اشرقت شمس الاسلام على رباها منافق يظهر الايمان ويبطن الكفر لان الكثرة كانت للمشركين وهم لا يرضون عن مسلم أبدا ، ومن هنا كان الحال على العكس من ذلك ، كان هناك فى مكة مؤمنون يكتمون ايمانهم .. أما فى المدينة ، فقد كان هناك منافقون يظهرون الايمان ويبطنون الكفر لان الكثرة كانت للمسلمين والمنافقون يخشونهم .

والمؤمنون الذين كتموا ايمانهم فى قلوبهم هم الذين نزل فيهم قوله تعالى فى صلح الحديبية .

وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم الى أن تقول الايه الكريمه .. ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء . لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما .

أى ان أولئك المؤمنين والمؤمنات لم يكونوا معروفين ، ولو كانوا معروفين لسلط الله المؤمنين على الكافرين

ولو تابعنا مواقف السابقين الى الاسلام فى مكة لتاكد لنا أنهم تساموا فى الاستمساك بعقيدتهم على كل عنت واذلال ، لان العقيدة فى القلب والقلب لا سلطان لاحد عليه غير الله .

لذلك كان ايمان السابقين فى مكة صادر عن القلب والوجدان والشعور من داخل النفس ، لا تستطيع عوامل القهر والجبروت ولا المغريات أن تقف فى وجه الايمان .

ومن هؤلاء السابقين الى الاسلام عامر بن ربيعة بن مالك ، ومع أنه كان حليفا للخطاب بن نفيل والد عمر رضى الله عنه ، أى لم يكن من البطون العشرة التى تحكم مكة آنذاك ـ فقد أسلم قديما قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم بن أبى الارقم وقبل أن يدعو فيها .

وذكر ابن سعد فى الطبقات الكبرى وابن الاثير فى أسد الغابة أنه هاجر الى أرض الحبشة الهجرتين جميعا ومعه امرأته ليلى بنت أبى خثعمة العدوية .

وروى عن عامر قوله : ما قدم أحد المدينة للهجرة قبلى الا أبو سلمة بن عبد الاسد ، كما روى عنه ، ماقدمت ظعينته المدينة أول من ليلى بنت خثعمة يعنى زوجته .

وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عامر بن ربيعة ويزيد بن المنذر الانصارى

وعامر بن ربيعة كان شجاعا لا يهاب الموت وانما يسترخص روحه فى سبيل الله ويبيعها من أجل ذلك ، والدليل على ذلك أنه شهد بدرا وأحدا . الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى عامر عن أبى بكر وعمر ، وجاء فى الاثر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعامر : سيكون أمراء بعدى يصلون الصلاة لوقتها ويؤخرونها عن وقتها فصلوها معهم ، فان صلوها لوقتها وصليتموها فلكم ولهم أى الثواب لكم جميعا ، وان أخروها عن وقتها فصليتموها معهم فلكم الاجر ـ وعليهم ـ الاثم ـ ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية ومن نكث العهد ومات ناكثا للعهد جاء يوم القيامة ولا حجة له .

وروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لعامر : اذا رأى أحدكم الجنازة ، فان لم يكن ماشيا معها فليقم ـ يقف مكانه ـ حتى تخلفه أو توضع .

وهكذا يعلمنا الرسول الكريم أن للموت جلالا واعظاما لانه سبيلنا الى السلوك السوى ، ذلك أن الموت يغرس فى نفس الانسان كل القيم الباقية الخالدة كالتواضع والاحسان الى الغير وفعل الصالحات والنهى عن السيئات ، ويحيل الحياة الدنيا الى مزرعة للاخرة ، فلا آخرة بغير دنيا ، ولا دنيا بغير آخرة وكفى بالموت واعظا .

يقول الله تبارك وتعالى : **وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لايحب المفسدين »**

وكان عامر بن ربيعة من أوائل الصحابة الذين ساهموا مساهمة فعالة وايجابية فى بناء الاسلام والتمكين له فى الارض ، عن طريق مشاركته فى غزوات الرسول كلها .

وكان عامر بن ربيعة يخشى تفرق كلمة المسلمين أشد الخشية ، وكان مستجاب الدعوة لتقواه وزهده وورعه ، فقد قام من الليل يصلى حين تكلم الناس فى أمر عثمان بن عفان رضى الله عنه والطعن عليه ، ثم نام فأتى فى المنام فقيل له : قم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التى أعاذ منها صالح عباده فقام فصلى

ثم دعا ثم اشتكى فما خرج بعدا الا بجنازته .

وعامر هو ابن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن دحيله بن أسد بن ربيعه

وهناك اختلاف فى نسبه روته كتب السير وسبب الاختلاف جاء ممن نسبه الى عنز بن وائل وعنز بسكون النون هو آخر بكر وتغلب بن وائل .

وكان عامر بن ربيعة حليفا للخطاب والد عمر كما ذكرنا ، وكان الخطاب لما حالفه عامر تبناه وادعاه اليه ، فكان يقول له عامر بن الخطاب حتى نزل القرآن .. ادعوهم لابائهم ، فرجع عامر الى نسبه وهو صحيح النسب فى وائل .

وقد توفى عامر بعد قتل عثمان بن عفان بأيام وكان قد لزم بيته ، فلم يشعر الناس الا بجنازته قد أخرجت .

ابن عطاء الله السكندرى

للأستاذ سالم عرفات سالم

هو أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عيسى بن الحسين بن عطاء الله واشتهر ب (ابن عطاء الله السكندرى) ولقب ب (ابو الفضل تاج الدين احمد بن عطاء الله) ·

ولد فى عام ٦٥٨ هـ فى مدينة الاسكندرية فى أسرة اشتهرت بالتفقه فى علوم الدين الظاهرة وهى دراسة الشريعة الاسلامية والفقه وما اليهما عمل طريق الائمة الاربعة · وقد حفظ القرآن الكريم وهو ما يزال حدثا صغيرا ، وأعدته أسرته ليصبح عالما فى هذه العلوم ، غير أنه تحول على يد استاذه ابى العباس المرسى الى دراسة علوم الباطن ، وهو اسم اطلق على علوم التصوف فى ذلك الحين · وبهذا فقد نال منزلة كبيرة حيث أصبح من فقهاء علوم الظاهر وحامل لواء التصوف الذى بدأه القطب الجليل ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ·

عاصر ابن عطاء الله فترة زمنية من أحلك فترات مصر ، بدأت من عام ٦٥٨ هـ حتى توفى فى القاهرة عام ٧٠٩ هـ اماما ورائدا للصوفية فى عصره حتى قيل فيه (حلف الزمان ليأتين بمثله ، حنثت يمينك يازمان فكفر) ·

أما أحداث عصره فقد بدأت حقيقة عام ٦٥٦ هـ عام سقوط بغداد على أيدى التتار وانهيار الدولة العباسية ، وما استتبع ذلك من خلط فى الاجناس (تتار مغوليين ، وفرنجة ، وأتراك مماليك وغيرهم) وفيهم من دخل الدين الاسلامى الحنيف وكانت لهم شرائعهم المنافية حقيقة وجوهرا للدين الاسلامى الحنيف مثال ذلك (ياسة التتار) او الياسة كما سماها العرب ، والتى حوت قتل من قتل وكذلك قتل من بال فى الماء الراكد وغيرها من سائر العادات والرذائل · كما حوى ذلك العصر ايضا على تمزقات اجتماعية خطيرة مست الدين والناس فى الصميم ·

وفى ذلك الحين وخلال تلك السنين تعرض العالم الاسلامى لاشد أنواع المحن والازمات ، فقد وقع بين شقى الرحى والتتار فى الشرق ، والصليبيون فى الغرب ، واخذت أسنة الرمال تدق الابواب من كل جانب ، محذرة المسلمين ، فاما التمسك بحبل الله تعالى ، واما الاسترقاق وسفك الدماء وحلول البلاء ·

وفى هذا الجو هب قادة الفكر الصوفى من رجال الدين قضاة وفقهاء ومتكلمين فلاسفة ومتصوفين فى كل مكان ، للدعوة الى التمسك بأوامر الله والحض على الجهاد فى سبيل الله ·

واتجه ابن عطاء الله بقلبه الى الله تعالى ، ولكنه كان يرنو ببصره الى وطنه وبلاده ، فما أن دوى النفير للجهاد فى سبيل الله ، لصد أعداء الله ، حتى كان أول الملبين والداعين الى الجهاد والزود عن أرض الاسلام من اعتداء المعتدين · فلم يكن ابن عطاء الله ذلك الصوفى الذى يجلس متربعا على كرسيه يلقى الدرس لحوارييه ومريديه ، ولكنه ذهب الى ميدان القتال ليشارك الجنود فى الحرب ويرد روحهم المعنوية ·

وبعد أن تعرضت بلاد المسلمين لمذابح التتار الهائلة المدمرة ، وهدمت بغداد وتحولت على يد التتار الى خراب ، وبركة من دماء اكثر من مليون شهيد ، وجه البرابرة عاصفتهم الدموية الى شمال سوريا وحلب فدمروهما والغريب أن هذا الوباء التترى فى الشرق ، كان معاصرا للخطر الصليبى فى الغرب ، وكان هناك إتفاقا بين الطرفين أوجدته وحدة الهدف ، وهو القضاء على العالم العربى والاسلامى حينئذ ، ولكن الدعوة الخالصة الى الوحدة ، ونبذ الخلافات والتمسك بحبل الله تعالى ، والجهاد فى سبيل الله وحدت الصفوف ، وجمعت القلوب على كلمة واحدة هى (الله اكبر) دوت قوية نقية ، فهزت أركان الظلم وزعزعت دعائم البغى والطغيان ، واحرز المسلمون نصرا تلو نصر ، الى أن كان النصر الاكبر ، وكان لابن عطاء الله الفضل فى هزيمة أعداء الله من التتار والفرنجة ، اذ دخل القطب الجليل على السلطان الاشرف خليل بن قلاوون ، ودفعه الى الجهاد وحاصر معه حصن عكا حتى تم النصر للمسلمين · وبفتح عكا سنة ٦٩٠ هـ ١٢٩١ م انتهت الحروب الصليبية فى الشام فى العصر الوسيط ·

وإذا كان ابن عطاء الله ملهب الحماس الدينى ، والداعى الى الجهاد فى سبيل الله ، فانه ايضا دافع داء كل صنوف الفساد الاجتماعية والفكرية عن بلاد الاسلام · فهو لم يكن ذلك الرجل الذى ينافق السلطة ويرائيها ويتملق الحاكم ويقف الى جانبه ضد المحكوم ، ولكنه كان الرجل الذى لا يخاف فى الحق لومة لائم ·

لقد وقف موقفا شجاعا من السلطان الاشرف خليل بن قلاوون وكشف سوءاته وفساده وظلمه لرعيته رغم انه كان منتصرا فى حروب التتار والصليبيين ·

ومنذ هذه اللحظة لم يغفل المجاهد الثائر ابن عطاء الله السكندرى عن الدعوة الى طريق الله ، والى الجهاد فى سبيل الله ، والذود عن الاسلام ، وفى أواخر أيامه عاد الى القاهرة ليعلم فى المدرسة الناصرية حتى توفاه الله عام ٧٠٩ هـ ودفن بمدينة القاهرة ·

جمشيد غياث الدين الكاشى

الدكتور احمد سعيد الدمرداش

توطئة

فرية يرددها المستشرقون من حين لاخر ، اذ يقولون ان العلوم الاسلامية من طب وفلك ورياضيات ، انما الفضل كل الفضل فى ازدهارها يرجع لعلماء من الفرس والاعاجم مثل الرازى وابن سينا والفارابى والخواجة نصير الدين الطوسى والكاتبى القزوينى وركن الدين الاستراباذى وقطب الدين الشيرازى وغيرهم فى الطب والفلكيات ، وكذلك البيرونى وجمشيد الكاشى والخوارزمى فى الرياضيات ..

وعاد البعض فى غفلة منهم الى اثارتها عندما كنت القى بحثا عن رياضيات البيرونى فى المؤتمر العلمى الرابع عشر الذى عقد فى دمشق عام ١٩٧٤ ، اذ قالوا، ان البيرونى تتنازعه قوميات عديدة فالاتحاد السوفيتى يحتفل بذكراه لانه من مواليد خوارزم وهى الان تقع فى احدى الجمهوريات الاسلامية الست فى وسط آسيا ، وتخضع للاتحاد السوفييتى باعتبارها قوميات فى داخله ، والهنادكة يحتفلون بذكراه ايضا حيث عاش ما يقرب من ثلاثين عاما بينهم مستشارا علميا للسلطان مسعود الغزنوى ، والاتراك يحتفلون به أيضا باعتباره تركيا من أبوين تركيين ، وهلم جرا ..

وتصدى للرد عليهم الدكتور حسنى سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق وكان رئيسا للجلسة وقتئذ ، اذ ذكرهم باحدى خطب محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، فقد خطب عليه السلام فى المسلمين خطبة جامعة ، حدد فيها من هو العربى فقال :

« يا أيها الناس ، ان الرب واحد ، والدين واحد ، والاب واحد ، ومن أسرع به عمله ، لم يبطيء به نسبه ، ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه : ومن دخل فى هذا الدين فهو من العرب » .

ولهذا التعريف مناسبة وسبب ، فلقد روى ان الصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ، دخل المسجد ليصلى فى عهد الرسول ، فوجد فيه سلمان الفارسى ، وصهيبا الرومى ، وبلالا الحبشى ، وسالما الفارسى مولى أبى حذيفة مجتمعين فى حلقة يتحدثون ، فدخل سعد فى الصلاة ، وبينما هو فى صلاته سمع اعرابيا يقول لهم ساخرا :

« تحلقتم يا معشر العلجة ، كأنكم من الاوس والخزرج » .

فهو بهذا يقصد أنكم يا معشر العجم والروم تريدون ان تجالسوا اشراف العرب من الاوس والخزرج ، فهال سعدا ما سمع من الاعرابى فعجل فى صلاته حتى اذا ما انتهى منها أسرع الى الاعرابى وأخذ بتلابيبه ، وهو يعنفه ، ويقول له : يا عدو نفسه ، تقول هذا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سحبه وذهب به الى النبى فأخبره بما قاله للصحابة فعظم ذلك على النبى ، فجمع المسلمين وخطبهم الخطبة التى سبق ذكرها

وبناء على ذلك يمكننا اعتبار علماء الدولة التيمورية وهم قاضى زاده رومى وجمشيد الكاشى وملا علاء الدين قوشجى وميريم جلبى وعلى رأسهم السلطان أولوغ بيك علماء عربا ، وقديما قال عمر بن الخطاب ان العرب هم مادة الاسلام ، فمن هو جمشيد الكاشى هذا !!

« تاريخ جمشيد الكاشى

ولد الكاشى فى أواخر القرن الرابع عشر فى مدينة قاشان ، وتلقى العلم فى أماكن كثيرة بأواسط ايران ، وكان والده عالما فى الرياضيات والهيئة (جيومتريا) ويتضح ذلك من رسالة جمشيد اليه بالفارسية بعد وصوله الى سمرقند ، حيث أمضى بقية حياته عضوا فى هيئة العلماء الذين يحيطون بالسلطان « أولغ بيك » الذى كان يحكم باسم « معين الدين سلطان شاه » .

وفى سمرقند وجد جمشيد مناخا صالحا للتأليف والرصد ، وهما سبب شهرته وتعريف الناس به ، ومنذ أن استقر فى سمرقند وهو يداوم مراسلة والده . فيشرح فى احداها ما وجده من الرعاية السلطانية له ، وما حازه من ظفر وتفوق على منافسه العتيد « قاضى زاده رومى » العالم المخضرم فى بلاد السلطان خصوصا فى « الحساب هوائى »

وقد ترجمت هذه الرسالة من الفارسية الى الانجليزية بمعرفة المستشرق الامريكى « كيندى » الاستاذ بالجامعة الامريكية فى لبنان ، وحققها كاتب المقال الى العربية نقلا عن الفارسية والانجليزية معا ، ونشرت الترجمة لاول مرة فى مجلة الجمعية المصرية لتاريخ العلوم عام ١٩٦٣ باعتبارها تراثا اسلاميا فى حقبة من الزمان اى القرن الخامس عشر

وواقع الامر ان حياة الكاشى العلمية النابضة تقع عام ١٤٢٩ م ، وتذكر بعض المصادر انه توفى عام ١٤٣٦ م قبل البدء باجراء عمليات الرصد فى المرصد الكبير ، كما أن قاضى زاده رومى توفى قبل تمامه ، وعلى هذا سلمت أمور المرصد الى على قوشجى .

واشتهر الكاشى فى علم الفلك حيث حوادث الكسوف التى حصلت عام ٨٠٩ هـ ، ٨١١ هـ ، وله فى ذلك مؤلفات بعضها باللغة الفارسية والبعض الاخر باللغة العربية ،

« مؤلفاته الفلكية »

« كتاب الزيج الخاقانى فى تكميل الايلخانى » وكان القصد من وضعه تصحيح الزيج الايلخانى للطوسى ، وفى

هذا الزيج الخاقانى دقق فى جداول النجوم التى وضعها الراصدون فى المراغة تحت اشراف نصير الدين الطوسى .

ولم يقف جمشيد عند حد الدقيق ، بل زاد على ذلك بالبراهين الرياضية ، والادلة الفلكية مما لا تجد له سوابق فى الازياج التى عملت قبله ، وقد أهداه الى السلطان « أولغ بيك » ونشر الزيج الخاقانى عام ١٤٣٦ م ، فتلقفه الناشرون فى أوروبا وطبعه « توماس هيد » فى اكسفورد عام ١٦٦٥ م ولكن أولى الدراسات والطبعات لهذا الزيج عملها « جون جريفز » ونشرت فى لندن عام ١٦٥٢ ـ ١٦٥٦ م ، مما هيأت لعلم الفلك فى انجلترا المناخ المناسب والمراجع المرصدية التى استنفذت من العقل الانسانى عدة سنين ، فسهلت بذلك دراسات ومقارنات جديدة ، ثم استقراء للنتائج السالفة ، ومن هذه الدراسات نشأت القوانين الفلكية ، وحركات الاكر السماوية لينقولا كوبرنيق ثم كيلر ، وبعدها استنبتت قوانين الجاذبية على يد اسحاق نيوتن فيما بعد ، اذ لولا هذه الحقائق المسجلة فى سنوات متعاقبة لازمان بعيدة لابتدأ هؤلاء من جديد ، وعبروا ذلك السرداب الطويل على غير هدى ، ولتناثرت الجهود فى متاهات شتى .

« مؤلفاته فى الحساب والرياضيات »

١ ـ كتاب نزهة الحدائق ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، وتوجد نسخة أخرى له محفوظة فى المكتب الهندى بلندن تحت رقم ٢١٠ ، وتحتوى المخطوطة على توضيح لطريقة استخدام جهاز لحساب المناطق الفلكية ، ولقد حقق المخطوط المستشرق الامريكى كيندى ، وبعد أن ينتهى المخطوط يكمله الكاشى بموضوع آخر حيث يقول :

« لما فرغت عند تحرير الرسالة المسماة بنزهة الحقائق فى صيغة الالة التى استنبطناها ، وسميناها بطبق المناطق ، ومضى عليها زمان ، وردت على قريحتى اشياء اخرى اردت ان الحقها على سبيل الذيل ، فأوردتها فى عشرة الحاقات منها :

الالحاق الاول : وهو أن منطقة القمر يمكن أن نرسمها شبيها بالاهليلجى

الالحاق الثانى : فى كيفية رسم اهليلجى القمر وعطارد ومن هذا يتضح أن جمشيد الكاشى قد نادى بأن مدارات القمر وعطارد أهليلجية ، مما يعتبر سبقا لنظرية « يوهان كيلر » فى هذا الصدد فى القرن السابع عشر

٢ ـ رسالة سلم السماء : وهذه تبحث فى بعض المسائل المختلف عليها ، فيما يتعلق بأبعاد الاجرام السماوية .

٣ ـ الرسالة المحيطية : وتبحث فى كيفية حساب نسبة المحيط للدائرة الى قطرها ، وقد أوجد تلك النسبة الى درجة من التقريب لم يسبقه اليها أحد ، بل أن علماء أوروبا فى عصر التنوير لم يصلوا الى هذه الدقة ، وهذه النسبة هى : ط يساوى ٣ر١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢

٤ ـ رسالة الجيب والوتر :

ذكرها أيضا فى كتابه مفتاح الحساب قائلا :

وذلك مما صعبت على المتقدمين ، كما قال صاحب المجسطى فيه (وهو بطليموس القلوذى) ان ليس الى تحصيله من سبيل » .

٥ ـ زيج التسهيلات

٦ ـ رسالة فى استخراج جيب درجة واحدة ، حيث انتهى فيها الى الاتى :

« أقول فاذن اذا علم جيب قوس وأريد معرفة جيب ثلاثة أمثالها ، يضرب مكعب ذلك الجيب فى اربع ثوان ، وينقص من الحاصل ثلاثة من أمثاله ، فالباقى هو الجيب المطلوب . »

وبالتعبير الحديث حا ٣ هـ يساوى ٤ حا٣ هـ ـ ٣ حا هـ

ويوجد هذا المخطوط بالمكتبة التيمورية ـ دار الكتب المصرية ـ وورد فى مؤلف ميرم جلبى المسمى « قواعد العمل وتصحيح الجداول »

٧ ـ كتاب « مفتاح الحساب »

وهو مخطوط توجد نسخة منه بلينجراد وأخرى بجامعة ليدن ، ونسخة ثالثة فى مكتبة برلين العلمية ، ونسخة رابعة فى مكتبة باريس الاهلية ، ونسخة خامسة فى المتحف البريطانى بلندن ، ونسخة سادسة فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية .

وقد حققت نسختا ليدن ولينجراد بمعرفة الاكاديميين الروسيين روزينفلد ويوسكفيتش الى اللغة الروسية ، ثم حققت عن الروسية والعربية الاصلية لاول مرة مشروحة شرحا وافيا بمعرفتى بمزاملة د . حفنى الشيخ ـ دار الكتاب العربى منذ خمس سنوات تقريبا ، ومن هذا المخطوط تتضح الحقائق التالية :

١ ـ ان اكتشاف الكاشى للكسور العشرية هو من أهم منجزاته العلمية التى حقق بها سبقا علميا رائعا ، ولقد كان غرضه من اختراعها انشاء نظام جديد للكسور يمتاز بسهولة الاستخدام ليكون بديلا للنظام الستينى الذى كان واسع الانتشار حينئذ فى الفلكيات والتنجيم ، وهكذا نرى رغبة الكاشى فى نشر حساباته بكلا النظامين الستينى والعشرى ليوضح مميزات النظام العشرى ، وهكذا فعل عندما حسب طول محيط الدائرة الى قطرها والمعروفة حاليا ط وسلك هذا فى كتابه الشهير « الرسالة المحيطية » .

لقد كان أول داعية للكسور العشرية فى اوروبا « استيفن » الهولندى ، الف ملزمة كاملة عنها باللغتين الفرنسية والهولندية فى عام ١٥٨٥ م بعد الكاشى بنحو مائة وسبعين عاما ، أما فى روسيا فان « ماجينتسكى » كان أول من استخدم الكسور العشرية فى كتابه الذى الفه عام ١٧٠٣ م .

فى القرن الحادى عشر أدمج العالم العربى « كوشيار بن لبان الجيلى » الحساب الهندى بالحساب الستينى وفى القرن الخامس عشر أدمج جمشيد النظام الستينى بالنظام العشرى ، وهكذا تطور علم الحساب العربى مع متغيرات الزمن ومتطلبات العصر لسهولة التعامل .

٢ ـ ان القاعدة العامة لنظرية « ذات الحدين » لاى أس صحيح لم تكتشف لدى أى رياضى ممن سبقوا الكاشى ، الذى يقرر فى مقدمته تقريرا للامانة العلمية ان جذورها كانت تظهر باهتة قبل أن يسجلها فى كتابه ، وأكبر الظن ان يكون عمر الخيام الرياضى الفيلسوف قد طرقها من قبل وكذلك العالم العربى أبو الوفاء البوزجانى ولو ان ذلك لم يثبت بعد .

وأول من أشار الى اسبقية الكاشى فى هذا القبيل هو ج . تاتلر فى كلكتا عام ١٨٢٠ م ويقال ان منطقة « كييف » الروسية كانت وثيقة الاتصال تجاريا وثقافيا بالنشاط التجارى والعلمى بسمرقند ، ومنها تسربت بحوث الكاشى الى بولندا ومن ثم الى اوروبا ولما أصاب مرض الطاعون لندن عام ١٦٦٤ م تركها « اسحاق نيوتن » وهاجر الى مسقط رأسه فى الريف الانجليزى ، واختفى لمدة ستة أشهر خرج بعدها الى الوسط العلمى بنظريته « ذات الحدين » الى أى أس حقيقى (كسر أو عدد صحيح موجب أو سالب) ولا تظن ان نيوتن قد اخرج النظرية من فراغ كما يقرر الاكاديميان الروسيان السابق ذكرهما ، ولا نظن انهما يجاملان الكاشى على حساب التاريخ العلمى .

ومدينة سمرقند كانت على صلة وثيقة بالحضارة الصينية التى سبق لها ان عرفت متسلسلة ذات الحدين من الدرجة الثامنة ، ونجد ذلك عند الرياضى الصينى « جوش ذى »

« البقية ص ١٨٥ »

المكتبة
الإسلامية

قراءات جديدة

لكتب قديمة

لا صلاح للمجتمع إلا بالعودة إلى الدين

الأستاذ
صبري أبو المجد

الافغانى ورأيه فى العدميين والاجتماعيين والدهريين

يقول السيد جمال الدين الافغانى فى رده على الماديين « النتشريين » انهم ذهبوا الى انه لا حياة للانسان بعد هذه الحياة ، وانه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت فى الربيع مثلا ، وتيبس فى الصيف ثم تعود ترابا والسعيد من يستوفى فى هذه الحياة حظوظه ، من الشهوات البهيمية وبهذا الرأى الفاسد ، أطلقوا النفوس من قيد التأثم ، ودفعوها الى أنواع العدوان من قتل ، وسلب ، وهتك عرض وبسروا لها الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع فى كل رذيلة وأعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشرى وأعدموها الرغبة فى كشف الحقائق وتعرف أسرار الطبيعة ، ويقول الافغانى عن الماديين « النتشريين » انهم الوباء المهلك ، والطاعون المجتاح الذى لا يصيب أهل الحياء لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم وابائها ، عن وضع أقدامها فى منازل الحيوانية المحضة ، وأنفها ، عن الاشتراك فى الاموال والضياع واباحة التناول مما يختص بالغير منها : لقد عمد هؤلاء المفسدون الى قلة الحياء ، ليزيلوها ، أو يضعفوها ، فقالوا أن الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت النفوس ، وتم لها كمالها ، لم يغنها الحياء فى عمل ما كائنا ما كان .

فمن الواجب الطبيعي - فى زعمهم - أن يسعى الانسان فى معالجة هذا الضعف - الحياء - ليفوز بكمال القوة - قلة الحياء . وبهذه الدسيسة يخلطون بين الانسان والعمل ويمزجون بأنها بحار من النعم ، ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام ، من اباحة كل عمل والاشتراك فى كل شهوة ويهونون عليه اتيان ما تأتيه فى نزواتها ، ولا يخفى أن الامانة والصدق منشأهما فى النفس الانسانية أمران : الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء . وقد ظهر أن من أصول مذاهب الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم فى اذاعة الخيانة ، وترويج الكذب أشد من تأثير دعوة داع فى نفس الخيانة والكذب فان منشأ الفضيلتين مادام فى النفس أثر منه يبعثها على مقاومة الداعى الى الى الرذيلة فيضعف اثر دعوته ، والمؤمن بالجزاء ، المبرقع بالحياء أن سقط فى الخيانة أو الكذب مرة ووجد من نفسه زاجرا عنهما مرة أخرى ، أما لو محى الامانة والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلا يبقى منها وازع عن ارتكاب ضديهما ويقول الافغانى ان مما يزيد فى شناعة ماذهب اليه الدهريون - النتشريون - أن فى أصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون ان جميع المشتهيات حق شائع ولا اختصاص بشىء منها يعد اغتصابا فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لا يعد خيانة ومثلها الكذب فانه يكون وسيلة للوصول الى حق يغتصب - فى زعمهم - فلا يعد ارتكابا للقبيح : لا جرم ان آراء هذه الطائفة مروجة للخيانات باعثة على افتراء الاكاذيب حاملة بالانفس على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنايا والخبائث وان أمة تنشأ فيها هذه الخوالق جديرة بالفناء جالبة عن اباحة البقاء . فقد انكشف الخفاء

بها بينا عن فساد مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوى الهلكة والدمار .. وعن سعى النتشريين والدهريين لتقرير الاشتراك فى المشتهيات ومحو حدود الامتياز ، ودرس رسوم الاختصاص حتى لا يعلو أحد عن أحد ولا يرتفع شىء عن غيره ، فى شىء ما ويعيش الناس كافة على حد التساوى لا يتفاوتون في حظوظهم عن هذا السعى يقول الافغانى : ان ظفرت هذه الطائفة بنجاح فى سعيها هذا ولاق هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل ، والافضل فلا نجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى الحرف الخسيسة طلبا للمساواة فى الرفقة فان حصل ذلك اختل نظام المعيشة وتعطلت المعاملات ، وبطلت المبادلات وافضى الى تدهور هذا النوع فى هوة الهلاك . نعم أن انكار المصابين بالمانخوليا لا تنتج أحسن من هذه النتيجة ولو فرضنا محالا وعاش بنى الانسان على هذه الطريقة الهوجاء فلا ريب أن تمحى جميع المحاسن وضروب الزينة وفن الجمال العملى ولا يكون لبهاء الفكر الانسانى أثر ، ويفقد الانسن كل كمال ظاهر ، أو باطن صورى ، او معنوى ، ويعطل من حلى الصنائع ، وتغرب عنه انوار العلم ، والمعرفة ويصبح فى ظلام الجهل ، ويلاء الازل ويتغلب كرسى مجده ، وينثل عرش شرفه ويصحر فى فى بادية الوحشية كسائر انواع الحيوان ليقضى فيها أجلاقصيرا مفعما بضروب من الشقاء محاطا بأنواع من المخاوف محشوا بأخلاط من الاجول ، والاهوال ، فان المبدا الحقيقى ، لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة فى الامتياز ، فهما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة ، والمسابقة فلو سلبتهما أفراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالى الأمور واغمضت العقول عن كشف اسرار الكائنات وأكتناه حقائق الموجودات وكان الانسان في معيشته على مثال البهائم البرية ان أمكن له ذلك وهيهات ، هيهات !!

وعن مسالك هؤلاء الماديين « النتشريين » فى طلب غاياتهم يقول الافغانى ، انهم من اجل بث أوهامهم الفاسدة يلجأون الى العديد من الطرق ، فاذا ما سكنوا الى جانب أمن جهروا ، بمقاصدهم بصريح المقال ، واذا أزعجتهم سطوة العدل أخذوا طريق الرمز ، والاشارة فكنوا لما يقصدون ولوحوا الى ما يطنبون ومشوا بين الناس مشية التدليس ، وقد يكتفون بانكار الصانع جل شأنه وجحد عقائد الثواب والعقاب ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين على ان فساد الاعتقاد بالله ، والاعتقاد بالثواب والعقاب لا محالة يفضى الى مقاصدهم وكثيرا ما سكتوا عن ذكر المبادىء وتسقطوا على ذات المقاصد وهو « الاباحة ، والاشتراك » وأخذوا فى تحسينه وتزيينه واستمالة النفوس اليه وقد يلجأون الى الغدر والاغتيال فيقتلون الالوف من الارواح البريئة وقد يريقون سيولا من الدماء الشريفة بطرق من الحيل وضروب من الختل .

وعن « ضرر مذاهب النتشريين والماديين حتى يقول من لا يأخذ بها اذا ما خالطهم يقول السيد الافغانى : « ان اغلب الناس مقلدون فى عقائدهم ، منقادون للعادة فى اخلاقهم دخل التشكيك وأدنى الشبهة يكفى علة لزعزعة قواعد التقليد ، وضعضعة قوائم العبادة وانهم بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبذرون بذور المفاسد فلا تلبث أن تنمو فى تراب الغفلة فتكون ضريعا ، وزقوما .

ويذكر الافغانى فى رسالة الامم التى خنقت للذل وصرعت للضيم بعد العزة والشرف بما افسدهم النتشريون « الدهريون » ومن الامم التى تحدث عنها الافغانى « اليونان » وفرنسا ، والامة العثمانية والامة الاسلامية والامة الفارسية و .. و .. عن الامة الفارسية مثلا قال الافغانى : فلما ذاعت هذه النزعات الخبيثة بين الامة الفارسية تهتك الحياء ، وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات البهيمة على نفوسهم وفسدت أخلاقهم ورذلت طباعهم . ويشير الافغانى ، وهو يتكلم عن الدولة الاسلامية الى ظهور الباطنية فى عصر القرن الرابع بعد الهجرة ويقول ان الباطنيين ماهم الا نتشريون او طبيعيون ويقول الافغانى : جدت طائفة الباطنية فى افساد عقائد المسلمين زمانا غير قصير اخذا بالحيلة، ونفاذا بالخدعة حتى انكشف أمرهم لعلماء الدين ورؤساء المسلمين فانتصبوا لدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا كثرة معارضيهم شحذوا شفار الغيلة فضلوا بكثير من الصالحين امكنه الفرجة . ووجد من نفسه ريح القوة اظهر مفاسده على منبر الموت ـ فلسفة فى خراسان ـ وجهر بآرائه الخبيثة فقال : اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق ، ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية ، الظاهرة أو الملكات النفسية الباطنة ، والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق وأنا القائم الحق ، فليعمل عامل ما أراد فلا حرج بعد اليوم اذ رفعت التكاليف ، وخلصت منها الذمم ، ويقول الافغانى مفسرا ذلك القول ، بأنه يعنى اغلاق ابواب الانسانيه وفتح ابواب البهيمية ويشير الافغانى الى ما ذهب اليه المؤرخون أن بداية الانحطاط فى سلطة المسلمين ، كانت من حرب الصليب ، ولكنه يعلق على ذلك القول بأن الاليق أن يقال أن ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الاراء الباطلة ، والعقائد النتشرية « الدهرية » فى صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة فى نفوس أهل الدين الاسلامى وعن الامة العثمانية يقول الافغانى انما رفعت حالتها فى الازمنة المتأخرة بما دب فى نفوس بعض عظمائها وأمرائها ، من وسائل الدهريين فان القواد الذين أخرجوا اسم الخيانة فى الحرب الاخيرة بينها وبين « الروسية » كانوا يذهبون مذهب النتشريين « الدهريين » وبذلك كانوا يعدون أنفسهم من ارباب الافكار الجديدة أبناء العصر الجديد ، لقد خان اولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنيه واستناموا الى الخسة .

وعن الشوسياليست « الاجتماعيين »، والنيهالست العدميين والكوموتيست الشيوعيين، يقول الافغاني : هذه الطوائف الثلاثة تتفق فى سلوك هذه الطريقة « الدهرية » وزينوا ظواهرهم بدعوى أنهم سند الضعفاء، والطالبون بحقوق المساكين والفقراء وكل طائفة منها وان كونت وجه مقصدها عابوهم بمخالفتهم عوض الاخرى الا ان غاية مايطلبون انما هو رفع الامتيازات الانسانية كافة واباحة الكل للكل، واشراك الكل في الكل، وجمعهم على اتفاق في أن جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة وغيض من فيوضها، والاحياء فى التمتع بها سواء واختصاص فرد من الانسان بشىء منها دون سائر الافراد بدعة فى شرع الطبيعة سيئة يجب محوها، والاراحة منها ومن مزاعمهم أن الدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين ابناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة والاباحة والاشتراك وليس من مانع اشد منهما فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعى أن ينفضوا هذين الاساسيين ريبيدوا الملوك ورؤساء الاديان ثم يعتمدوا الى الملاك واهل السعة فان دانوا بشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك والاخذ باعناقهم مثلا، وباكظامهم خنقا، حتى يعتبرهم من يكونوا امثالهم فلا يلوون رءوسهم كبرا على الشريعة المقدسة وشريعة الطبيعة ولا تزور اعناقهم عصيانا لاحكامها ويناقش الافغاني طائفة النشريين « الدهريين » فى انكارهم الالوهية وجحودهم يوم الدين يوم العرض والجزاء فيقول : قد نظن بعض ضعفة العقول أن فى ذلك بسطة الفكر وسعة الحرية لهذا أحببت أن ابين أن هذه النزعة وحدها كافية فى افساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع اركان المدنية وليس من ضروب الباطل ما هو اشد منها تأثيرا فى محو الفضائل واثارة الخبائث، والرذائل، وليس من الممكن أن يجتمع بشخص واحد، وهو الدهرى، وفضيلة الامانة والصدق، وشرف الهمة وكمال الرجولية، ذلك ان كل فرد من نوع الانسان من اودع بحسب فطرته وبناء بنيته شهوات تميل الى مشتهيات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتهياته ولا يستطيع تسكين هواه، ولا كسر سورة نفسه الا بنيل ما يمكنه من تلك المشتهيات كأنه يعالج الم الكلب بما يصل اليه من المطلوب ولم تحدد الطبيعة طريقا معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغباتهم فسبيل حق، وسبيل باطل، وسبيل الفتنة والفساد، وسبيل الهدى والرشاد، وكلها ييسر للطالب، غير ممتنع على السالك .

ويقول الافغانى أن قصر على طريقة محدودة وتوقيف أهوائها عند حدود معينة ومنعها من تجاوز حد الاعتدال فى آثارها واعمالها وارضاء كل ذى شهوة بحقه وكفه عن الاعتداء والاجحاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون بأحد أمور أربعة : أما أن يحمل كل ذى حق آلة حربه فينخرط سيفه، ويعتقل رمحه ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم احدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعا عن حقه واما شرف النفس لما يزعمه أرباب الاهواء نعى الحكمة نفى الاعتقاد بأن لهذا العالم صانعا قادرا محيط العلم، نافذ الحكم، وانه يوفى كل عامل جزاء عمله، من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثوابا جزيلا، او عقابا ويتلاقى حيا بعد هذه الحياه وعن الامر الاول ـ المدافعة الشخصية يقول الافغانى أنه براز، وضراب، ونصال وقتال وجلاد تسيل به الاودية مهما وتخضل به الربى دما، وتتفانى به النفوس طلبا للحقوق، أو دفاعا عنها وتكون الدائرة للاقوياء على الضعفاء حتى اذا قوى الضعفاء يوما ثاروا على الاقوياء فلا يزال صاحب القوة بطحن الضعف والاقرار بسحق بعضهم بعضا الى أن يعم جميعهم الفناء، وينقرض النوع الانسانى من وجه البسيطة .

والامر الثانى من الامور التى يمكن بها الزام النفس حدود العدل فيما يرى الافغانى فهو شرف النفس وهى صفة تنكب بصاحبها ما يذم عند قبيلته وعشيان ما يقبح فى انظار عشيرته، ويقابلها خسة النفس وهى صفة لا يتأثر معها صاحبها من التشنيع ولا تنفعل نفسه من التقبيح، وعن الامر الثالث الحكومة يقول الافغانى : ليس يخاف أن قوة الحكومة انما تأتى على كف العدوان الظاهر، ورفع الظلم البين أما الاختلاس والزور المموه، والباطل المزين والفساد الملون يصبح من الصلاح ويحق ذلك مما يرتكبه ارباب الشهوات فمن اين للحكومة أن تستطيع دفعه وانى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل وكامنات الدسائس، ومطويات الخيانة ومستورات الامور حتى تقوم بدفع ضرره، على ان الحاكم واعوانه قد يكونون بل كثر ما كانوا . ويكونون ممن تملكهم الشهوات فأى وازع يأخذ على يد أصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم واى غوث ينقذ ضعفاء الرعايا، وذوى المكنة منهم من شر اولئك المتسلطين وحرصهم لا جرم قد يكون الحاكم فى خفى أمره رئيس السارقين، وفى جلى حاله قائد الناهبين واعوانه آلات يستعملها فى الجور، وادوات يستعين بها على الفساد والشر فيعطلون من حقوق عباد الله ويهتكون من اعراضهم، ويغنمون من أموالهم يروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء ويفرشون قصورهم بمهج الفقراء، بالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد، ودمار البلاد .

وعن الامر الرابع يقول الافغانى اذن لم يبق للشهوة قامع ولا للاهواء رادع الا الايمان بأن للعالم صانعا، عالما بمضمرات القلوب ومطويات الانفس، سامى القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بأنه قدر للخير والشر جزاء بوفاء مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة، وفى الحق ـ كما يقول الافغانى ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان . ظاهرة وخفية وحاسمان صارمان يمحوان اثر الغدر ويستأصلان مادة التدليس وهما افضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد

وهما مجلبة الامن ومتسم الراحة ، وبدون هذين الاعتقادين لا تقرر هيئة للاجتماع الانسانى ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفو صلات البشر من شائبات الغل ، وكدورات الغش فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين ، لسكنتها شياطين الرذائل وسدت عليها طرق الفضائل ، ومن اين لمنكر الجزاء ان يكف نفسه عن خيانة او يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق ، وقد تقرر ان العلة الغائية لاعمال الانسان انما هى فى نفسه فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب ، وعتاب فى يوم بعد يومه فما الذى يمنعه عن ذمائم الفعال خصوصا اذا تمكن من اخفاء عمله ، وامن من سوء عاقبته فى الدنيا او راى منفعته الحاضرة فى ركوب الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة واى حامل يحمله على المعاونة والمرادفة ،والرحمة والمروءة وعلو الهمة وما يشبه ذلك من الاخلاق التى لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها ويقول الافغانى : ان اول تعاليم النتشريين « الدهريين » أبطال هذين الاعتقادين الاعتقاد بالله ، والاعتقاد بالحياة الابدية وهما اساس كل دين وآخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك . ويقول الافغانى بعد ان يناقش هدف الدهريين من نسف بناء الانسانية وسعيهم الى ضعضعة اركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية وتقويض ما رفعه العلم وشادته المعرفة ، يقول الافغانى : « قد يوجد بين الناس من تغره نعومة لمس هذه الافاعى ، وتروقة رقطة جلودها ، وانتظام الرقش فيها فينخدع بهم بما يلتبس عليه من امرهم ، فيصغى لزخرف قولهم ، ويظن ان هؤلاء القوم من طلاب التمدن والاعوان على الاصلاح او من الراغبين فى بث المعارف او المنقبين عن الحقائق او يتخيل ان منهم من يكون غوثا عند الضيق او عونا فى الشدة ، او مخزنا للاسرار عند الحاجة فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يبكى عليه ، ويضحك منه فالضحك عجبا من غروره والبكاء حزنا على ضلاله ويخرج الافغانى من مناقشته الطويلة لتلك النقطة الى القول بأن الدين وان انحطت درجته بين الاديان وهى أسانه فهو افضل من طريقة « الدهريين » وامس بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية واجمل اثرا فى عقد روابط المعاملات بل فى كل شأن يفيد المجتمع الانسانى ، وفى كل ترق بشرى الى اية درجة من درجات السعادة فى هذه الحياة الاولى ، الى أن يقول الافغانى طيب الله ثراه : لم يبق ريبة ان الدين هو السبب لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر ، الالهى الحق ولم يخالطه شىء من اباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب انه يكون سببا فى السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه فى جواد الكمال الصورى ، والمعنوى ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتدينين من ديم الكمال العقلى والنفسى ما يظفرهم بسعادة الدارين ، وحول مقارنه مذهب الدهريين بالدين على وجه عام وعن اثر كل من الامرين فى بنية الاجتماع الانسانى يفرد الافغانى فى رسالته فصلا هو آخر فصول تلك الرسالة وانا لنامل فى أن نستطيع فى العدد القادم ان شاء الله تكملة الحديث عن ذلك الفصل ، مع ابداء رأينا بالتفصيل فى تلك الرسالة على ضوء الاراء الحديثة .

بقية مقال « جمشيد غياث الدين »

عام ١٣٠٣ م ولكن الكاشى كان له الفضل فى تعميمها وتسجيلها فى كتابه بأسن موجب .

٣ – ان الباب التاسع من كتاب مفتاح الحساب له أهمية بالغة لا من وجهة نظر الرياضة فحسب ، وانما من ناحية تاريخ « الهندسة المعمارية » فهو يحتوى على شرح لطرق انشاء وتصميم وقياس الاشكال المعمارية ، مثل العقود المدببة والقباب وغيرها ، التى لم تلبث ان انتشرت وشاعت فى العمارة الغربية بعد ذلك اما المقرنصات فقد بقيت طابعا مميزا للتفاصيل المعمارية فى العصور الوسطى فى الشرق ، بل لا تزال تستخدم حتى وقتنا هذا .

٤ – ان « قاعدة الخطائين » تعتبر احدى الاسس التى بنيت عليها التكنيكات الابتدائية لعملية وضع البرنامج الرياضى المستخدم فى حل المسائل الرياضية على الالات الحاسبة الرقمية .

وما قاعدة الخطائين الا صورة من صور الاستكمال الخطى للحصول على قيمة دقيقة لكمية مجهولة ، ولا يزال الاستكمال الخطى الى وقتنا هذا يحتفظ بمكانته الرياضية الحديثة فى الطرق العددية للتحليل الرياضى والاحصاء وغيرها من فروع الرياضيات العالية .

٥ – يطرق الكاشى فى كتابه بعض المسائل التى تحل بطريقة الجبر والمقابلة ، ففى احدى هذه المسائل ما يلى :

« حلى مركب من ثلاثة جواهر كالذهب واللؤلؤ والياقوت وزنه ثلاثة مثاقيل ، وقيمته ستون دينارا ، وقيمة مثقال من الذهب اربعة دنانير ، ومن اللؤلؤ عشرون دينارا ، ومن الياقوت ثلاثون دينارا ، نريد ان نعرف وزن كل واحد منها »

ويتضح من هذا المثال أن سعر الذهب كان اقل من سعر اللؤلؤ ثم الياقوت ويصل الكاشى الى الحل ويثبت ان هذه المسألة ليس لها حل واحد بل جملة حلول

٦ – وفى مسائل الوصايا نجد جملة مسائل يؤول حلها الى معادلات جبرية ، ففى احداها :

رجل خلف ثلاثة بنين ، واوصى لرجل بمثل نصيب احد بنيه الا ثلث ما يبقى من الثلث بعد الوصية ، فبالجبر والمقابلة فرضنا الوصية شيئا ، فيكون التركة ثلاثة انصباء وشيئا ، يكون ثلثه نصيبا وثلث شىء ، نقصنا عنه الوصية وهى شىء بقى نصيب الا ثلث شىء ، أخذنا ثلثه فكان ثلث نصيب الا تسع شىء ، وهو المستثنى من نصيب للموصى له نقصناه عن نصيب بقى ثلثا نصيب وتسعا شىء يعادل شيئا .

وبعد اسقاط تسعى شىء من المتعادلين بقى ثلثا نصيب يعادل سبعة اتساع شىء . قسمنا العدد على عدد الاشياء فخرجت ستة أسباع نصيب . وهى الشىء المجهول ، فاذا كان نصيب واحد سبعة تكون الوصية ستة والتركة سبعة وعشرين .

فى النظام السياسى للدولة الإسلامية

عرض الدكتور
فؤاد عبد المنعم

كان المؤلف الدكتــــــور محمد العوا موفقا فى دراسته ، حصل على ليسانس الحقوق من جامعة الاسكندريه فى يونية ١٩٦٣ بدرجة أهلته للاشتغال بالنيابة العامة فور تخرجه ، وهى من الاعمال القاصرة على المتفوقين من خريجى كليات الحقوق والشريعة فى مصر ، وقد تابع دراسته العليا مباشره ، فحصل على دبلوم الدراسات العليا فى الشريعة الاسلاميه فى يونيه ١٩٦٤ بتقدير « ممتاز » من جامعة الاسكندرية ، ولم يحصل على هذا التقدير أحد من قبله كما لم يلحقه أحد من بعده فى هذه الكلية من تلك الجامعة ، ونال دبلوم الدراسات العليا فى القانون العام فى يونيه سنة ١٩٦٥ بتقدير جيد جدا » . وقد اكمل دراســته العليـــا فى انجلترا حيث حصــل على رسالة الدكتوراه بتقدير « ممتاز » فى موضوع « فلسفة العقوبة فى الاسلام » فى سنة ٧١ و١٩٧٢ ، ثم عمل مدرسا « بموريتانيا » على اثر حصوله على الدكتوراه لمدة أقل من عام ، مضى بعدها الى المملكة العربية السعودية حيث يعمل أستاذا مساعدا بجامعة الرياض الان ، وقد نشر العديد من الابحاث فى المجلات العلمية العربية والانجليزية منها :

- تطبيق العقوبات الشرعية للسرقة والحرابة فى ليبيا ، بمجلة الفكر الاسلامى التى تصدرها دار الافتاء فى بيروت فى يولية وسبتمبر ١٩٧٣ .
- العرف ومكانه فى النظرية القانونية الاسلامية فى المجلة الاسلامية الانجليزية فى عدد ديسمبر ١٩٧٣ م .
- جريمة الشرب وعقوبتها فى المجلة العربية للدفاع الاجتماعى ، التابعة لجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- قضاء المظالم فى الشريعة الاسلامية ، مجلة ادارة قضايا الحكومة القاهرة ١٩٧٤ .
- السنة التشريعية والغير تشريعية ، المسلم المعاصر ، بيروت ١٩٧٤ .
- التقرير فى الفقه الجنائى الاسلامى ، المجلة العربية للدفاع الاجتماعى القاهرة ١٩٧٤ .

ونشهد له بالاسلام وايمانه ، لحرصه على صلاة الجماعة دواما ، وجميل خلقه ، ووده لاساتذته واخوانه ، وهو يفقه الواقع الذى يعيش عليه ، ويقدم دواما ما يراه صالحا للمسلمين بل والانسانية .

والكتاب الذى نعرضه « فى النظام السياسى للدولة الاسلامية » صدر فى رمضان ١٣٩٥ هـ ـ سبتمبر ١٩٧٥ والناشر المكتب المصرى الحديث بالاسكندرية والقاهرة .

ويشير الباحث فى مقدمته الى الهدف من دراسته فيقول : « تصحيح الواقع المعاصر للامة الاسلامية وربط تطورها السياسى بقيمها المتصلة بالنظام السياسى اخراجا لها من

دائرة التقليد المطلق لغيرها من الامم ، واعتناء بالعودة بها الى استلهام توجيهات الوحى ، ودروس الحكم النبوى ، وحكم الراشدين للارتقاء بواقعها المعاصر » ٠

ويبين منهجه فى الدراسة فيقول : « تبدأ من الواقع التاريخى مستصحبة القواعد العامة والاصول الكلية للشريعة الاسلامية لتستخرج من القواعد ومن الفصول العامة للشريعة الاسلامية القيم الاصلية فى النظرية الاسلامية للقواعد العامة للنظام السياسى ٠٠ » ٠

ويقسم الدكتور محمد العوا دراسته الى أربعة مباحث :

المبحث الاول :

عن الدولة الاسلامية ونشاتها ٠ يعرض فى المطلب الاول منه الى الحالة فى جزيرة العرب قبل الاسلام ويثبت غياب السلطة السياسية فى مجتمعات البدو فى الصحراء والحضر فى المدن على سواء ، وان المناصب التى وجدت كالحجابة اى خدمة الكعبة ، والسقايه والرفادة اى سقاية الحجيج واطعامهم كانت مناصب دينية ٠

وفى المطلب الثانى ، اثبت أن قيام الدولة الاسلامية كان فى المدينة بعد هجرة المسلمين اليها بناء على بيعة العقبة الثانية التى كانت فى السنة الثالثة عشرة من بداية الوحى٠ وان الرسول وضع دستور المدينة ، وهو يعد أول وثيقة سياسية فى الاسلام ، تدل على عبقرية الرسول فى السياسة والصياغة على سواء ، فهى على غير مثال سبقها ، وشملت نصوصها أغلب متطلبات الدولة الناشئة فى المدينة ٠ « فالمؤمنون امة مندون الناس » ، كرابطة الاسلام تحل محل القبلية ٠ والشعب ليس قاصرا على المؤمنين فقط بل يشمل جزءا منه مشركو المدينة ويهودها « ان يهود بنى عوف أمة من المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » ٠٠ فيتضمن أيضا النص الحرية الدينية كما بينت هذه الوثيقة رئيس الدولة ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم « ان ما اختلف فيه من شىء فان مرده الى الله والى محمد » كما تضمنت مبدأ المساواة ، ان ذمة الله واحدة ، يجير عليها ادناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ، « وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم » ٠٠ وانتهى الى أن دولة المدينة قد مارست السلطات التى تمارسها اية دولة فى العالم ـ قديمة او حديثة ـ وهى سلطات التشريع والقضاء والتنفيذ ٠

والمبحث الثانى :

فى نظام الحكم بعد وفاة الرسول ، فتناول فى المطلب الاول ـ اجتماع السقيفة ، والمناقشات التى دارت فيه ووجهات النظر ، وكيف استقر لها راى المجتمعين على مبايعة ابى بكر بالخلافة ٠ لان الرسول قد ارتضاه لامر الدين بتكليفه بالصلاة بالمسلمين والمسلمون قد ارتضوه فى امر الدنيا ، وانتهى الى «ان بيعة السقيفة بمثابة ترشيح أولى الراى من المسلمين لابى بكر لتولى أمور الدولة الاسلامية ، وكانت البيعة العامة فى اليوم الثانى بمثابة الاستفتاء على الترشيح الذى ابدى فيه المسلمون اراءهم فى اختيار رئيس الدولة » ٠ وقد ناقش فى هذا المطلب رأى المستشرق « ماكدونالد » الذى صنف المشتركين فى اجتماع السقيفة الى أحزاب أربعة وبين بأدلة قوية فساده ، وان آراء اجتماع السقيفة لم تزد عن كونها ثمرة الشورى التى حض عليها القرآن ومدح المسلمين بها ولم تكن ثمرة مواقف جماعية مسبقة أو حزبية ٠

وفى المطلب الثانى : عرض لاهم الاراء السياسية التى ظهرت فى عهد عثمان « رضى الله عنه » من المطالبة بعزل الولاة واجابة عثمان الطالبين اليها ، وما انتهت اليه من الثورة عليه بطلب خلع نفسه فلما رفض قتلوه لمظان اخذوها عليه ٠ وظهرت المناقشة فى حق قريش فى الخلافة والولاية فالخوارج وفرقها تكاد تجمع على اعتناق هذا الرأى القائل بأنه ليس لقريش حق فى الخلافة والولاية دون بقية المسلمين ، وان آراء ابى ذر فى سياسة المال ليست متاثرة بفكرة مزدك الفارسى ، كما انها لايمكن اسناد المذهب الاشتراكى فى العقد الماضى اليها لاختلاف الاساس العقدى والفكرى بينهما ، وانما رأى أبى ذر فى سياسة المال وليد فهمه واجتهاده ٠ وظهور عبد الله بن سبأ اليهودى الاصل ، الذى اعتنق آراء خاصة فى الخلافة والنبوة وبشر بها وعمل على نشرها واذاعتها ٠

وعرض للتحكيم بين على ومعاوية ، فاجلى وقائعه وانتهى الى ان المحكمين قد اتفقا على أن يردا أمر الخلافة الى الامة وقد ادى التحكيم الى ظهور الفرق ذات الاراء السياسية :

وهى الخوارج والمعتزلة والشيعة

وبجانب هده الفرق بقى جمهور المسلمين ، والغالب من فقهائهم وعلمائهم وحملة السنة منهم يمثلون السواد الاعظم او الجماعة ويطلق عليهم « أهل السنة » يفضلون الاعتدال فى الرأى والعمل ويلتزمون ما فهمه سلفهم من الصحابة وعامة التابعين من أى القرآن وأحاديث الرسول فاذا ذكر ما كان بين الصحابة من الاختلاف والحروب فمذهبهم « دماء طهر الله منها اسيافنا فلا تلوث بها السنتنا » ، واذا ذكرت صفات الله يقولون « امروها كما جاءت » ، واذا ظلم الحاكم او جار فلا يخرج عليه الا بشروط منها امن الفتنة وتحقيق الافضل للمسلمين ومعظمهم لا يرى الخروج الا اذا كان ثمة كفر بواح عندهم من الله فيه برهان ، بل أن منهم من رأى أنه لا يجوز القتال فى الفتنة لا مع الحاكم ولا مع الخارجين عليه ، وكان من هذا الرأى الحسن البصرى ثم مالك بن أنس ، ومن مجموع آراء علماء هذا الفريق تكونت المذاهب الاسلامية التى تعرف بمذاهب أهل السنة ٠

والمبحث الثالث :

فى الحكومة وغايتها فى الاسلام ـ

يمهد لهذا البحث بأن الخلافة لاتدل على نظام حكم معين محدد التفاصيل وانما جاءت الشريعة الاسلامية بالقواعد العامة ٠ ويعرض فى المطلب الاول ـ الدين والدولة فيعرض للراى القائل بان الاسلام دين فحسب اى رأى الشيخ على عبد الرازق ، وبين البواعث على هذا الرأى والكتب التى الفت فى الرد على الشيخ على عبد الرازق وانتهى الى حقيقة أن الاسلام دين ودولة ولم تكن هذه الحقيقة محل خلاف قبل كتاب « الاسلام واصول الحكم » للشيخ على عبد الرازق ولم تصبح كذلك بعد كتابه محل خلاف ٠

والمطلب الثانى : فى غاية الحكومة فى الدولة الاسلامية ، التى تتحصل فى اقامة الدين ، وتدبير مصالح المحكومين ، وانه شرط ابتداء وبقاء اى شرط لتوليها الحكومة واستمرارها فيها ، وان هذا الالتزام وحده كاف فى ايجاب الطاعة على المحكومين لها ، وسواء بعد ذلك وسعها ان تؤدى ماالتزمت

به او حالت بينها وبين ذلك عوامل خارجة عن ارادتها او ضرورات كان عليها مراعاتها والخضوع لها .

والمبحث الرابع :

فى القيم الاسلامية فى المجال السياسى .

فالقرآن والسنة التشريعية هما المصدران الاساسيان لجميع أحكام الاسلام فى جميع المجالات ، وكل ما ورد فيهما من أحكام يعتبر واجب الاتباع فى الدولة الاسلامية أى ملزما للمسلمين ، فهى حق للامة المسلمة تطالب حكامها باحترام هذه القيم السياسية والنزول عليها فى سياستهم للدولة ، وتعتبر كذلك « واجبا » على هذه الامة عليها كمجموع وعلى كل فرد مستطيع فيها كفرد ــ ان يتمسك بهذه المبادىء .

وان اهم هذه القيم او المبادىء هى : الشورى والعدل والحرية والمساواة .. وجواز مساءلة رئيس الدولة ومدى وجوب الطاعة .

وفى الحديث عن الشورى : يبين أدلتها من القرآن والسنة وان نطاقها يتحدد بما لم يرد فيه نص قطعى الثبوت والدلالة بمسالة تعد من الشئون العامة ، كما يعرض لوجهات النظر فى مدى الالتزام بالشورى ويناقشها وينتهى الى تاييد الرأى القائل بلزومها ووجوب العمل بها من الحاكم ويستدل بدليل عقلى يقوم على أساس ان الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد فى الاكثر والخطر على الامة فى تفويض امرها الى الرجل الواحد أشد واكبر .. وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستشير أصحابه ويرجع عن رأيه الى رأيهم .

والعدل : يبين أدلته ، وشمول العدل فى شريعة الاسلام فى علاقات الحياة جميعها وسيطرته عليها ، وسواء كانت هذه العلاقات بين الحاكم او المحكومين او بين خصوم يقفون معا بين يدى القاضى .. أو كانت علاقة أسرية بين المسلم وزوجته او بينه وبين أولاده .. وينهى الى سمو شريعة الاسلام فى شمول العدل لديهاعن اىنظام قانونى قديم أو معاصر .

والحرية : ويقصد بها عدم استبداد الحاكمين بالمحكومين ويقول : ان التشريع الاسلامى يذهب الى احتفائه بحرية الرأى الى مدى ندر أن تصل اليه المذاهب السياسية او النظم الدستورية الوضعية .. لان فطرة الله التى فطر الناس تضمن « حقهم فى الاختيار ، فى اختيار الرأى ، واختيار الفعل الذى يترتب على هذا الرأى ويستدل بقصة آدم وزوجته فى القرآن الكريم ، ويجعل التفكير فى مصاف الفرائض الواجبة على الانسان ليهتدى بعقله الى خالقه من خلال تامله فى مخلوقاته ، وان القيد الوحيد على حرية الراى هو التزام حدود الشريعة الاسلامية ، فلا يجوزان يكون الرأى الذى يبديه المسلم اعمالا لهذه الحرية طعنا فى الدين أو خروجا عليه فذلك مخالف للنظام العام فى الدولة الاسلامية ، يهجر ــ لذلك ــ على صاحبه ، وقد يجوزاذا توافرت شروط معينة ان يعاقب عليه .

وبين أن لحرية الرأى شقين : الاباحة والايجاب ، فمجرد الاباحة لامر من الامور لا تلزم الناس باتيانه ولا توجب عليهم فعله ، بينما الواجب هو ما يطلب على وجه اللزوم فعله بحيث يأثم تاركه » .

وفى ذلك يفترق تشريع الاسلام لحرية الرأى ــ بشقيها ــ عن التشريعات الوضعية التى تكتفى بشق الاباحة ولا تعرف أصلا امكان ايجاب ابداء الرأى على الافراد ، خصوصا وواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر يشمل فى عموم أدلته واطلاقها كل ما يتصور من امور تتعلق بالحياة العامة للامة .

والمساواة : ويقصد بها أن يكون الافراد المكونون لمجتمع ما متساوين فى الحقوق والحريات والتكاليف والواجبات

« البقية ص ١٩٠ »

الدر المنثور

ولد الامام السيوطى فى أول رجب سنة ٨٤٩ هـ وكانت وفاته فى جمادى الاولى سنة ٩١١ ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة بالقاهرة .

أفرد الحافظ الداودى ــ وهو تلميذ الامام السيوطى ــ ترجمة فى كتاب مستقل عن أستاذه الحافظ السيوطى ، وقد ترجم الحافظ السيوطى لنفسه فى كثير من كتبه يذكر فى أحدها ما لم يذكره فى الاخر ، وترجم له كثيرون من محبيه ومن خصومه ، ومن المعتدلين بين هؤلاء وهؤلاء ومن ترجم له من القدماء ابن اياس فى تاريخه ، وصاحب الكواكب السائرة ، وعبد الغنى النابلسى ، وترجم له من المحدثين العالم المحقق الثبت السيد عبد الحى الكتانى .

ولقد كان السيوطى قمة من القمم التى أثارت الكثير من الحديث عنها فيما بين ذام ومادح ، وقد كان خصبا فى التاليف ، وكان صاحب ذاكرة قوية وجد واجتهد منذ صغره ، فحفظ القرآن الكريم وما بلغ الثمانية من عمره بعد .

ودرس على مشايخ وتتلمذ على أساتذة ، وصل بعضهم بعددهم الى ستمائة ، أما مشايخه فى الرواية سماعا واجازة فقد وصل الى مائة وخمسين .

وكتبه بلغ تقديرها أكثر من خمسمائة ، وهذه الكتب منها المؤلف الاصيل ، ومنها ما هو مختصر من كتب سابقة ، ومنها ما هو جمع أو تنسيق ، والسيوطى فى كل ذلك له طابعه الموجود فى كل كتبه ، وأعنى به طابع السهولة ، فكتبه لاتعقيد فيها ، سواء أكانت تاليفا ام جمعا وتنسيقا .

يقول ابن العماد فى الشذرات :

« ان تلميذه الحافظ الداودى استقصى أسماء مؤلفاته الحافلة الكبيرة الكاملة الجامعة ففاقت عدتها على خمسمائة مؤلف ، وقد اشتهر أكثر مؤلفاته فى حياته فى أقطار الارض شرقا وغربا وكان آية كبرى فى سرعة التاليف ، قال تلميذه الداودى :

عاينت الشيخ وقد كتب فى يوم واحد ثلاث كراريس تاليفا وتحريرا ، وكان مع ذلك يملى الحديث ، ويجيب عن

في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي

عرض
الدكتور منيع عبد الحليم محمود

المتعارض منه بأجوبة حسنة « ا هـ .

ويقول أبو الحسنات : محمد عبد الحى اللكتوى فى حواشيه على الموطأ بعد أن ذكر السيوطى :

« وتصانيفه كلها مشتملة على فوائد لطيفة ، وفوائد شريفة ، تشهد كلها بتبحره وسعة نظره ودقة فكره ، وأنه حقيق بأن يعد من مجددى الملة المحمدية فى بدء المائة العاشرة ، وآخر التاسعة ، كما ادعاه بنفسه ، وشهد بكونه حقيقا به من جاء بعده ، كعلى القارى المكى فى المرآة شرح المشكاة »

ويقول السيد محمد عبد الحى الكتانى :

« وقد ظفرت » فى مصر بكراسة من تاليف السيوطى عدد فيها تاليفه الى سنة ٩٠٤ قبل موته بسبع سنين أوصل فيها عدد مؤلفاته الى ٥٣٨ ، فعدد ماله فى علم التفسير ٧٣ وفى الحديث ٢٠٥ ، والمصطلح ٣٢ ، والفقه ٧١ ، وأصول الفقه ، والدين والتصوف ٢٠ ، واللغة والنحو والتصريف ٦٦ ، والمعانى والبيان والبديع ٦ والكتب الجامعة من فنون ٨ الطبقات والتاريخ ٣٠ ، الجميع ٥٣٧ » . هـ

وفى فترة من فترات حياته كان له مثل عليا يجب أن يصل الى مكانة علمية تماثلها :

فهو يتحدث قائلا : انه لما حج شرب من ماء زمزم لامور منها :

١ - أن يصل فى الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى .

٢ - وفى الحديث على رتبة الحافظ بن حجر .

ولكن السيوطى فيما بعد كتب يقول :

« وقد كملت عندى الان آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى ، أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا . ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا باقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها القدرة على ذلك من فضل الله لا بحولى ولا بقوتى فلا حول ولا قوة الا بالله »

ومن استكمل آلات الاجتهاد يكون مثله الاعلى فى الفقه الشيخ سراج الدين البلقينى وفى الحديث : الحافظ بن حجر ، وذلك ان من استكمل آلات الاجتهاد يكون قد تربع على القمة فى مختلف الفنون .

ورتبة الاجتهاد قد ادعاها الامام السيوطى فجرت عليه مشاكل وأثارت حوله جدلا واضطر هو أن يدافع وأن يهاجم ، وأن يدخل معركة تتعلق بجدارته وكفاءته كان فى غنى عنها ، لقد قال بعضهم - وهو قول باطل - أن من يبلغ رتبة الاجتهاد لابد وأن يكون عالما محققا فى فن المنطق ، والسيوطى ليس من أئمة المنطق فهو ليس مجتهدا .

ورغم أن هذه الدعوى باطلة وذلك أن الكثير من أئمة الاجتهاد توفاهم الله قبل أن يترجم المنطق الارسطى الى اللغة العربية ، وكثير من أئمة الاجتهاد نأوا بأنفسهم عن المنطق بعد أن ترجم ولم يتهمهم أحد بنقص فى اجتهادهم .

ولكن بمجرد أن وجه هذا النقد الى الامام السيوطى كتب يرد عن نفسه وفى كتابه الجميل : « صون المنطق والكلام » عن « فنى المنطق والكلام » .

اخذ يدافع عن نفسه ويعلن انه أتقن علم المنطق اتقان ائمته وأنه لذلك مستوف شرائط الاجتهاد ، ولكن السيوطى لم يدع الاجتهاد فحسب ، وانما ادعى أنه مجدد للقرن العاشر .

لقد روى أبو داود وغيره بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله يبعث الى هذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »

والناس من قديم يتنازعون فى شخصية المجدد لكل قرن ويختلفون على اسمه ، وقد أرضى الامام ابن كثير أغلب العلماء حين عمم فى الموضوع وجعله شاملا لكثيرين ، انه يقول :

« وقد ادعى كل قوم فى امامهم أنه المراد بهذا الحديث والظاهر أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة وكل صنف من مفسر ومحدث وفقيه ونحوى ولغوى وغيرهم » .

وعن ذلك وعن تقدير الامام السيوطى يقول القارى فى شرح المشكاة :

« شيخ شيوخنا السيوطى هو الذى احيا علم التفسير فى الدر المنثور ، وجمع جميع الاحاديث المتفرقة فى جمعه المشهور ، وما ترك فنا الا فيه له متن أو شرح مسطور ، بل وله زيادات ومخترعات يستحق ان يكون هو المجدد فى القرن العاشر كما ادعاه وهو فى دعواه مقبول ومشكور »

ونختم هذا بقول العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التيجانى اطال الله فى عمره :

« ولما بلغ العلامة السيوطى أربعين سنه من عمره أخذ فى التجرد للعبادة والانقطاع الى الله تعالى والاشتغال به صرفا والاعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحدا منهم وشرع فى تحرير مؤلفاته التى سبقت الاشارة اليها وترك الافتاء والتدريس واعتذر عن ذلك فى مؤلف الفه فى ذلك وسماه بالتنفس ، وأقام فى روضة المقياس فلم يتحول منها الى أن مات ، لم يفتح طاقات بيته التى على النيل من سكناه ، وكان

الامراء والاغنياء يأتون الى زيارته ويعرضون عليه الاموال النفيسة فيردها وأهدى اليه الغورى خصيا وألف دينار فرد الالف وأخذ الخصى فأعتقه وجعله خادما فى الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية فان الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك ·

وكان لايتردد الى السلطان ، ولا الى غيره وطلبه مرارا فلم يحضر اليه ، وقيل له : ان بعض الاولياء كان يتردد الى الملوك والامراء فى حوائج الناس فقال : **اتباع السلف فى عدم التردد عليهم أسلم لدين المسلم** » أ · هـ

ونأتى الان الى السيوطى والتفسير لقد ذكر السيوطى أنه ألف فى التفسير وما يتعلق به ٧٣ رسالة وكتابا ·

ويقول الامام السيوطى فى مقدمة كتابه : « الدر المنثور »

« وبعد : فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، وتم بحمد الله فى مجلدات فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ورغبتهم فى الاقتصار على متون الاحاديث دون الاسناد وتطويله فلخصت منه هذا المختصر مقتصرا فيه على متن الاثر مصدرا بالعزو والتخريج الى كل كتاب معتبر ، وسميته : بالدر المنثور فى التفسير بالمأثور » ·

والله أسأل أن يضاعف لمؤلفه الاجور ويعصمه من الخطأ والزور ، بمنه وكرمه انه البر الغفور » ·

والدر المنثور هو أجمع كتاب للتفسير بالمأثور ، لم يبد فيه الامام السيوطى رأيا ، ولم يقل فيه كلمة مفسرة ، أو جملة شارحة ، وانما التزم التزاما كاملا أن يكون تفسيره جمع لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاية ، وسرد لبعض أقوال الصحابة رضى الله عنهم ·

وهو فى جمعه هذا لم يلتزم صحة الاحاديث والنقل ، ومن أجل ذلك فان هذا الكتاب الجليل فى حاجة ماسة الى عمل متقن ، فى التحقيق والتخريج ، وبيان الصحيح من الاحاديث والحسن منها والضعيف ·

ونورد الآن نموذجا يغنى عن غيره:

يقول فى :

اياك نعبد واياك نستعين »

« أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : أ **اياك نعبد** » يعنى اياك نوحد ونخاف ونرجو ربنا لا غيرك ، « **واياك نستعين** » على طاعتك وعلى أمورنا كلها ، واخرج وكيع والغريابى عن أبى رزين قال : سمعت عليا قرأ هذا الحرف وكان قرشيا عربيا فصيحا « **اياك نعبد واياك نستعين** » فهمز ومد وشد ·

وأخرج أبو القاسم البغوى والماوردى معانى معرفة الصحابة والطبرانى فى الاوسط وأبو نعيم فى الدلائل عن أنس بن مالك عن أبى طلحة قال : **كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلقى العدو فسمعته يقول : « اياك نعبد واياك نستعين » قال : فلقد رأيت الرجال تصرع تضربها الملائكة من بين يديها ومن خلفها** ·

هذا وبالله التوفيق ·

بقية مقال « فى النظام السياسى للدولة الاسلامية »

العامة لاتمييز بينهم بسبب الاصل او الجنس او العقيدة او اللغة ويعرف هذا المبدأ بالمساواة امام القانون فى الدساتير الوضعية ومن تطبيقاته المساواة أمام القضاء ، والمساواة فى تولى الوظائف العامة والمساواة امام المصالح العامة فى الشريعة الاسلامية فان مبادئها التسوية بين الناس جميعا فى القانون الذى يطبق عليهم ، وتسوى بينهم أمامه ، فالقضاء فى الشريعة الاسلامية واحد للناس جميعا ، ولا تعرف هذه الشريعة نظام المحاكم الخاصة فى تشكيلها او اجراءاتها كما تعرفه القوانين الوضعية · وكان الخلفاء ورعاياهم من المسلمين وغير المسلمين يمثلون امام القاضى الذى يمثل أمامه عامة الناس ويتبع فى اجراءات التقاضى ما ينطبق على هؤلاء · ويشير الى أدلة المبدأ من القرآن والسنة وكيف أنه يعد انقلابا اساسيا فى مفاهيم العرب عن أسس التفاضل بين الناس وأسباب الفخر التى تحوزها بعض القبائل او البيوت دون بعض « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » وقول الرسول « كلكم لادم وادم من تراب » ·

ومساءلة رئيس الدولة ومدى وجوب الطاعة : ويستدل على حق الامة فى مساءلة رئيس الدولة بالنصوص القرآنية التى تصف بأوصاف الذم بعض افعال الحكام منها « واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » «البقرة ٢٠٤ » كما ورد فى السنة « الامير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته » ·

وبين حدود الطاعة « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وبين أن غير قليل من الفقهاء فى مختلف المذاهب يقرر جواز عزل رئيس الدولة عن ولايته اذا أتى ما يعتبر اخلالا بواجبات وظيفته او اذا ظهر منه ما يعد فسقا او جورا او مخالفة لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ·

ويعرض فى الخاتمة الى الدولة الاسلامية فى العصر الحديث وينتهى الى أن تفاصيل النظام السياسى للدولة الاسلامية تركت اصلا لكى يختار فيها المسلمون ما يوائم العصور المختلفة والظروف المختلفة وان الدولة الاسلامية واجهزتها تلتزم بقواعده العامة ، فالاسلام قد ألزم المسلمين بقيمة الشورى ومصدر الالزام بهذه القيمة أعلى من الجماعة ذاتها لان تشريع الالتزام بها صادر عن الله عز وجل ·· وليس فى النصوص المتعلقة به بيان الطريقة التى تتبع فى تطبيق الشورى ولا الامور التى يجب أو يجوز ان تكون محلا للشورى ولا الصفات الواجب توافرها فى من يستشارون من الناس ولا القاعدة التى يجب أن تحسم بها مداولات اهل الشورى ·· فالاغفال فى التفاصيل مقصود حتى يتاح للمسلمين الملاءمة فى التطبيق بين القيمة والالتزام بها ، وبين الظروف التى يعيشها مجتمعهم والتى تختلف ـ ضرورة من جيل الى آخر ·

وينتهى الى أن الدولة الاسلامية هى التى تقوم فيها حكومة مسلمة تؤمن بالله واليوم الاخر ، وتطبق قوانين المسلمين التى تنبع من الشريعة الاسلامية وتتطور لمواجهة متطلبات العصور المتطورة ·

بعد هذا العرض لموضوع الباحث فمن الانصاف ان نقول ان مصادره كانت متنوعة بين المصادر القديمة والمراجع الحديثة ، وكان موفقا الى قدر كبير فى الاختيار بينها · ووضح بجلاء قدرة الباحث على استخلاص الحقائق واستقلاله فى بعض المسائل بآراء خاصة به ·

الإفتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

س ١ : من السيد عبد القادر ولد خلف الله بوعلام ـ بالقطر الجزائرى ـ وهران .

كنت أصلى خلف امام شككت فى عدالته وجهلت والده ، وصليت وراء امام عادل وسنى زيادة عن مصافحة أبيه ومعرفته غير أن هذا الامام غاب عنا هو وأمثاله فهل تجوز الصلاة خلف الائمة الذين يجوز فيهم الشك والظن والاوهام ؟

الجواب :

شروط صحة الامامة هى الاسلام والبلوغ والعقل والذكورة والقراءة والسلامةمن الاعذار والطهارةمن الحدث والخبث فاذا توفرت فى الشخص هذه الشروط صحت امامته وصحت الصلاة خلفه ـ والشك والظن والاوهام حول الامام وجهالة حاله أو حال والده لا تبطل امامته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « **صلوا خلف كل بر وفاجر** » .

س ٢ : من نفس السائل :

خلق آدم من لون واحد كيف يوجد الان الابيض والاحمر والاسود ؟

الجواب :

اختلاف الالسنة والالوان مع أن الانسان من أصل واحد آية من آيات قدرة الله تعالى ونعمة عظمى أنعم بها على عباده لحكمة بالغة والله سبحانه قادر منعم حكيم ميز الالوان وخالف بينها ليتم التمايز والتعارف ولولا هذا التمايز فى شكل من الاشكال أو صفة من الصفات لجهل الناس بعضهم بعضا يقول تعالى : « **ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لايات للعالمين** » ٢٢ سورة الروم . يقول الامام الزمخشرى تعليقا على هذه الاية الكريمة « خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعهاولاختلاف ذلك وقع التعارف ، ولو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رأيتتوأمين يشتبهانفى الحلية فيعروك الخطأ فى التمييز بينهما فتعرف حكمة الله فى المخالفة بين الحلى وفى آية بينة حيث ولدوا من أب واحد وفرعوا من أصل فذ وهم على الكثرة التى لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون » جـ ٣ تفسير الكشاف .

س ٣ : من نفس السائل :

ترتكب أمور لا ترضى الله تعالى فى بعض المساجد فما رايكم فى هجر هذه المساجد لما يرتكب فيها من هذه الافعال ؟

الجواب :

لا تهجروا بيوت الله بل اعمروها بذكر الله وعبادته وطهروها مما يرتكب فيها من المنكرات ..

« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين » ..

وعلى علمائكم أن يقوموا بحملة نصح وارشاد ليبصروا الناس بما لبيوت الله من حرمة وما يجب أن يوفر لها من صيانة ورعاية وأن ارتكاب المنكر فيها عدوان على العقيدة وانتهاك للشريعة فالمساجد بيوت الله أذن الله لها أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله . والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

س ٤ : من الطالبة فاطمة أحمد محمد ـ بور سعيد .

ما هو المعنى الصحيح للتدين ؟

الجواب :

الدين عقيدةومنهج أو عقيدة وشريعةفالعقيدة هى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والايمان بالقضاء والقدر ، أما منهج الاسلام وشريعته فيتمثل فى أركان الاسلام الخمسة وهى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا ثم الاحسان فى معاملة الانسان لربه ومعاملته للناس والتزام الحدود الاسلامية بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه والتأدب بآداب الاسلام

مع الافراد والجماعات . **وقد جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ما الايمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وأن تؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .**

ثم سأله : ما الاسلام ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : **الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا .**

ثم سأله ما الاحسان فقال صلوات الله وسلامه عليه : **الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك « وهذه هى مراقبة الله تعالى فى السر والعلن . ان لا يراك الله حيث نهاك وان لا يفتقدك حيث امرك مع اخلاص النية لله فى كل مايفعل العبد وما يدع »**. فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى .

وهناك آداب اسلامية يجب أن يتأدب بها المسلم ليصح تدينه كان يحب المسلم لاخيه المسلم ما يحبه لنفسه وان يكون حبه لله وبغضه لله والتعاون على الخير والبر وعدم التعاون على الاثم والعدوان . وحب الجار والاحسان اليه فليس من الايمان ان يبيت الانسان شبعان وجاره جائع وأمور كثيرة يضيق المجال عن سردها وحسبنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » .

وقوله « **الناس بخير ما تعاونوا** » وقوله صلوات الله وسلامه عليه «**من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه**» هذا هو منهج الاسلام وهذا هو السلوك الاسلامى الصحيح « **وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » .

سؤال ٥ : من نفس السائلة

١ - صلاة الجمعة فى الجامع ركعتان حيث انها جماعة فكم تكون صلاة الجمعة فى البيت اذا صلاها الانسان منفردا هل هى اربعة كما نصلى الظهر ؟

ب - هل هناك فرق بين صلاة الفجر وصلاة الصبح ؟

الجواب

١ - صلاة الجمعة لا تصح الا بجماعة وهى ركعتان وخطبة يخطبها الامام قبل الصلاة فاذا لم تؤد مع الجماعة لسبب من الاسباب فقد سقطت الجمعة وعاد الظهر هو الفرض الواجب الاداء فيصليه من فاتته الجمعة اربع ركعات ظهرا لا جمعة سواء أكان فى البيت أو فى المسجد .

ب - صلاة الفجر هى صلاة الصبح ووقتها من طلوع الفجر الصادق حتى شروق الشمس وفرضها ركعتان ولها سنة مؤكدة ركعتان كذلك قبل اداء الفرض فالفجر والصبح وقتهما واحد وفرضهما واحد وهما اسمان لشىء واحد غير ان بعض الناس اعتاد ان يسمى ركعتى السنة بصلاة الفجر والواقع انها سنة الفجر أو سنة الصبح .

سؤال ٦ : من محمد فاروق محمد وحمدى عبادى على من الاسماعيلية

ما حكم الشريعة الاسلامية فى أكل اللحم غير المطهى على النار ؟

وما الحكم فى أكل « البسطرمة واللانشون - والبلوبيف » .

الجواب

اللحم اذا كان مما أحل الله أكله كالبقر والغنم والابل وغيرها مما أحله الله وكان مذكى تذكية شرعية اى مذبوحا ذبحا شرعيا فأكله حلال مطهيا على النار أو غير مطهى على النار فان كان غير مطهى أصلا وكان أكله بهذه الحالة يضر الجسم فانه يحرم بسبب الضرر اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

أما البسطرمة واللانشون والبلوبيف فان تحقق لنا على سبيل اليقين انها من اللحوم المحرمة لذاتها كالميتة والخنزير او اختلط بها شىء من ذلك أو انها مذبوحة ذبحا غير شرعى فأكلها حرام فان لم نتحقق من شىء من ذلك فأكلها حلال .

سؤال ٧ : من الجندى ابو زيد ابراهيم صالح الوحدة ١١٧٩ ج ٧٦

ما رأى الدين فى الحبوب التى يتعاطاها بعض الناس لزيادة رغبتهم الجنسية وتقوية نشاطهم فيها ؟

الجواب

اذا كان يدخل فى تركيب هذه الحبوب شىء محرم كمخدر ونحوه فهى حرام لان المخدر حكمه المسكر فى تحريم تعاطيه وما اسكر كثيره فقليله حرام والمخدر ان لم يكن مسكرا فهو مفتر وقد روت أم سلمه رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم « **انه نهى عن كل مسكر ومفتر** » .

وقد نص الامام ابن القيم على متعاطى المخدرات كالحشيشة ونحوها وسماها لقمة الفساق ورأى ان حرمتها أشد من حرمة تعاطى الخمور لانها تورث متعاطيها الذلة والانكسار والدناءة وعدم الغيرة على عرضه وحريمه .

فان لم يكن فى تلك الحبوب شىء مخدر أو شىء مما حرم الله تعاطيه فهى مباحة لان الاصل فى الاشياء الاباحة الا اذا كانت تحدث ولو على المدى البعيد ضررا بالرجل او المرأة فحينئذ يحرم تناولها لانه لا

ضرر ولا ضرار . ولذلك فاننا ننصح بترك الامور على طبيعتها وكما خلقها الله سبحانه وتعالى ما لم يكن هناك مرض او ضعف فانه حينئذ يعالج طبيا وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتداوى فقال صلوات الله وسلامه عليه « **تداووا فان الذى خلق الداء خلق الدواء** » غير أن التداوى بواسطة الطبيب المختص شيء واخذ تلك الحبوب شيء آخر .

س ٨ من محمد سليمان الشيخ ـ كفر حمام مركز تلا

١ ـ أسرة أخرجت زكاة الفطر فى النصف الاول من رمضان فهل تجزىء على مذهب الشافعى :

٢ ـ هل الصلاة فى المساجد التى بها أضرحة مثل ضريح الامام الحسين والسيدة زينب باطلة ؟

٣ ـ اذا حلف شخص بالنبى أو الحسين أو السيد البدوى أو والده فهل حقيقة يخرج من الاسلام ويكفر ؟

الجواب

١ ـ الاصل ان زكاة الفطر تجب من طلوع فجر أول يوم من شوال حتى صلاة عيد الفطر وهى افضل الاوقات لاخراج زكاة الفطر ليشعر الفقير بأن هذا اليوم عيد فيكون عيدا عنده كما هو عيد عند غيره من الاغنياء وليشعر كذلك بالتكافل والتعاون فى هذا اليوم وقد قال صلى الله عليه وسلم « **اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم** » وقال صلوات الله وسلامه عليه « **زكاة الفطر طهرة للصائمين وطعمة للمساكين** » غير انه يجوز عند الامام الشافعى رضى الله عنه اخراجها . قبل هذا الوقت وفى اى يوم من أيام رمضان وقد يكون فى ذلك نفع للفقير ليتدبر أمره ويجهز لاولاده ما يحتاجونه ليوم العيد .

٢ ـ لا تبطل الصلاة فى المساجد التى بها اضرحة لغيرانها تكره اذا كان القبر أمام المصلى ولا حائل بينه وبينه فان كان هناك حائل كجدار ونحوه كما هو الحال فى مسجد الامام الحسين أو كان المسجد أمام الضريح كما هو الحال فى مسجد السيدة زينب رضى الله عنها فلا كراهة .

٣ ـ لا يكفر ولا يخرج عن الاسلام من حلف بالنبى أو الحسين أو السيد البدوى أو والده وان كان ذلك مكروها لقوله صلى الله عليه وسلم « **من كان حالفا فليحلف بالله أو ليذر** » والله أعلم .

س ٩ من م . س . ع ..

هل أخذ الفائدة على المال المودع فى صندوق البريد حرام أم حلال وهل تخرج الزكاة عن المال فقط أم تخرج عنه وعن الفائدة ؟

الجواب

أجاب هذا الباب من المجلة عن هذا السؤال كثيرا وقرر أن الفائدة على المال المودع فى صندوق التوفير بالبريد حرام لانها ربا والربا محرم قليله وكثيره لقوله تعالى : « **فان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** » . وهذه الفوائد مال حرام والمال الحرام سبيله الصدقة فمن اخذ شيئا من هذه الفوائد وجب عليه أن يتصدق بها على الفقراء ومادام الامر كذلك فلا تخرج عنها الزكاة والزكاة على المال المودع فقط لان الزكاة عبادة والعبادة لا تكون بمال محرم والمال المحرم مال خبيث والله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ..

س ١٠ لنفس السائل

لا تعد الى هذه العادة السيئة المرذولة مرة أخرى فان هذه الايمان التى تعود عليها لسانك ستؤدى فى النهاية الى تحريم زوجتك عليك وقد تؤدى غفلتك عن خطورة هذه الايمان ان تعيش مع زوجتك عيشة محرمة وانت لا تدرى فتب الى الله ولا تعد الى هذه الايمان مرة اخرى .

س ١١ من ضيف الله عبد الكريم معمل الزجاج كفر الدوار محافظة البحيرة

يسأل عن الاصناف التى تجب فيها الزكاة مما تخرجه الارض وما المقدار الذى يجب اخراجه ..

الجواب

اننى ارجح الاخذ برأى الامام ابى حنيفة رضى الله عنه فى وجوب زكاة الزروع والثمار عن كل ما تخرجه الارض ومهما بلغ الخارج وذلك لمصلحة الفقير لقوله تعالى « وآتوا حقه يوم حصاده » واما القدر الواجب اخراجه فهو العشر ان كانت الارض تسقى بلا مئونة ولا مشقة ونصف العشر ان كانت تسقى بمئونة او مشقة لقوله صلى الله عليه وسلم « **ما سقته السماء ففيه العشر وما سقى بقرب أو آلة فنصف العشر** » **واما** المصروفات التى تنفق على الزرع كالسماد والمبيدات واجور العمال وغيرها فالحنفية يرون عدم حسابها ويقولون ان الواجب اخراجه هو العشر او نصف العشر من كل الخارج فقد روعى التخفيض حسب السقى فلا تخفيض بعد ذلك وهناك رأى اخر لبعض الفقهاء يقول بحساب هذه المصروفات واسقاط ما يقابلها ثم اخراج الزكاة على الصافى بعد ذلك عشرا او نصف عشر .

على ان الزكاة عبادة لله سبحانه وهى احد أركان الاسلام الخمسة وهى تطهير للمال وتزكية للنفس باعطاء الفقير حقه فى مال الغنى والله تعالى يقول « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم » .

والاخذ برأى الحنفية فيه مصلحة الفقير بل ومصلحة المزكى كذلك لان الله سبحانه يضاعف له الاجر والمثوبة فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

الأسرة المسلمة

المرأة العربية في ظل الإسلام

المستشار احمد محمود خليل

المرأة نصف المجتمع فهى تشكل فى الاطار الانسانى نصف الخليقة بما لازمها من مشاكل الحياة ومتاعبها شقاءها وسعادتها ، حربها وسلامها • وفى كل هذه الشئون تحتل المرأة مكانها البارز وتمارس نشاطها الفعال ، ايا كان مظهر الدور الذى تلعبه على مسرح الحياة ، خلف الاستار ووراء الحجب أم سافرة ظاهرة متقدمة الصف •

وسواء رضى الرجل أم كره ، فللمـرأة طبيعتها التى يفرضها حقها فى الحياة ولها دورها الذى يمليه وجودها بين الاحياء ، منذ الازل وحتى الابد • ولا يغير من هذه الحقيقة الواضحة ان يقال انها كانت يوما ضعيفة فصارت قوية ، أو كانت مسالمة رضية فصارت مشاكسة عصبية ، انها فى كلا الحالين تقوم بدورها الطبيعى فى الوجود وتؤثر فى مصير العالم وتهز كيانه مع اهتزازات الحياة بنشاط

فيختلف الناس اذن فى طبيعتها اى اختلاف يشاءون ، وليجتمعوا أويتفرقوا على أمر لها أو عليها ، فهى هى المرأة •• هى الام والاخت والزوجة والابنة لنا منها الارحام ولها منا الاصلاب • ولها كأم حق وكأخت حق ، وكزوجة حق وكابنة حق ، وعليها هى ايضا واجب تنكره أو ترضاه ترغب عنه أو تقبل عليه ، فهو أمر تفرضه عليها طبيعتها وستؤديه راضيـة أو كارهة ، مقبلة أو معرضة •• أليس منها الاب والاخ والزوج والابن •

فالمرأة كفرد لها من الحقوق ما للرجال سواء بسواء فهى بهذه الصفة تمارس نشاطها العـام بنفس الطريقة التى يمارس بها الرجل نشاطه وتخضع فـى علاقاتها بغيرها من الافـراد نسـاء ورجالا للقـواعد أو القوانين الخاصة التى تحكم مثل هذه العلاقات بغض النظر عن جنس طرفى العلاقة سواء كانا من الذكور أم من الاناث ، قبل ذلك العلاقات المدنية والتجارية وما شابهها كالتعامل والتعاقد بالبيع أو الشراء او الهبة وكل ما يتعلق بأهلية الالتزام أو الادارة ، كما تتمتع المـرأة بمقـومات الشخصية التى يتمتـع بهـا الرجل ، فلها الحق مثله ان يكون لها اسم وان تنتسب الى اسرة وأن يكون لها موطنا و محـل اقامة وان تنتسب الى وطـن وتتمتع بحق الجنسية وبالجملة كل ما يتعلق بأهلية الوجوب •

مكانة المرأة عند العرب قبل الاسلام :

كان النظام القبلى هو النظام السائد لدى العرب فـى عصر الجاهلية وكانت القبيلة تتكون من الاسرة أو العشيرة بمعنـاها الواسـع وتضم جميع الاقـارب ومن تربطهم صلة الدم أو علاقة الولاء . وكانت الاسـرة فـى أول الامر تنتسب لقبا الى اسم الام •

كما كان الرجل يلقب باسم أمه ، مما يدل على ماكان للمرأة من مكانة عند العرب لم تكن لها لدى الرومان على البعد الشاسع بين الحضارتين فى ذلك الوقت .. فضلا عن آلهة العرب وأصنامهم كانت تسمى باسماء الانثى كاللات والعزى ومناة وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم . غير ان العرب وان كانت هذه نظرتهم للمرأة ، فانها مع ذلك كانت تخضع لسلطة أبيها ولزوجها خضوعا مطلقا . وكانت المرأة العربية تعانى وطأة القيود التى كانت تفرضها بعض التقاليد والعادات الهمجية وكان مركزها يختلف عموما باختلاف القبائل والبيئات التى تعيش فى كنفها . فمثلا كانت عادة وأد البنات سائدة بين بعض القبائل « كتميم » بسبب الفقر أو خشية العار ، وهاتان العلتان تدلان على أن وأد البنات لم يكن مرجعه أصلا امتهان انوثتها أو شخصيتها ، بقدر ما كان مرجعه – لدى اقلية ضئيلة من قبائل العرب – اما الى اعتبارهم المرأة شخصا غير عامل أو غير منتج فهى عالة على أهلها ، وبهذا برروا وأد البنات خشية الفقر بدليل ان الكثير من الاباء كانوا يمتنعون عن الوأد اذا افتدى البنت أحد كرام العرب أو رتب لها مالا ، واما الى شدة غيرتهم عليها وعلى عرضها ان يدنس باعتبارها عورة . وقد تكون مجلبة للعار اذا لم تجد من يحميها بماله من الفقر والحاجة وبجاهه وقوته من الرق .

ولم يكن وأد البنات عادة جماعية حتى يقال انها بلغت لدى العرب فى الجاهلية مبلغ العرف ، والا لادى تطبيقها الى انقراض النسل ، وانما ظلت هذه العادة محصورة فى نطاقها الفردى والشخصى بين الوالد وابنته ، بمعنى ان الوأد لم يكن منصبا على المرأة بوصفها امرأة ، أما أو زوجا أو أختا ، وانما قاصرا على الابنة وحدها ، ولم يكن يقدم عليه سوى الاب وحده ، باعتباره المسئول الاول عن اعالتها والانفاق عليها والذود عن عرضه فى شخصها ، فكان الوأد يخضع لتقديره الشخصى . وقد يختلف هذا التقدير من أب الى أب بل قد يختلف الاب الواحد من ابنة الى أخرى تبعا لما بداخله من الشعور بالعجز عن الانفاق على ابنته وتحمل عبء حمايتها وقد لا يئد الاب ابنته الاولى والثانية ولكنه يئد الثالثة عندما يشعر بازدياد العبء وفداحته .

وكانت المرأة العربية فى الجاهلية تعانى أمرين لهما أهمية بالغة فى بيان مركزها الاجتماعى والقانونى فى ذلك العصر . **أولهما** انها كانت محرومة من الميراث اذ كانت التركه تنتقل الى البالغين من الذكور دون الصغار والنساء . **ثانيهما** : تعدد نظم الزواج وعدم خضوع هذه الانظمة لاية قيود أو قواعد أو عرف ثابت أوعام ، فقد كان **للرجل مطلق الحرية فى الجمع** بين اكثر من زوجتين اثنتين أو ثلاث أو عشر .. كما كان له مطلق الحرية فى تطليق زوجته أو زوجاته وقت ما يشاء ، وله ان يرجعها وقت ما يشاء أو يطلقها لاجل محدود ثم يعيدها اليه ، ويسمى طلاق الايلاء ويتم بأن يقسم الزوج الا يقرب امرأته سنة أو سنتين أو أكثر . وله ان يطلقها نهائيا كطلاق الظهار فيقول لها أنت على كظهر أمى . كما كان زواج المتعة منتشرا بين عرب الجاهلية وكذلك زواج الشغار وهو ان يتبادل الرجلان منهما ابنة الاخر أو اخته أو موليته بدون مهر . وذلك كان عن المرأة الحرة . أما الجارية أو الامة أو الرقيق ، فكانت تعتبر مالا مملوكا لسيدها له عليها كل ماله من سلطة أو حقوق على ماله فله ان يبيعها أو يهبها غيره ، أو يعتقها أو يتزوجها أو يعاشرها ويضيفها الى حريمه أو محظياته دون ان يقيده فى ذلك اى قيد ودون ان تخضع فى علاقته بها

وقد تطور مركز المرأة العربية كما تطورت شخصيتها ومكانتها فى المجتمع العربى **بعد ظهور الاسلام** . وذلك سواء من الناحية الاجتماعية أو النواحى العامة الاخرى ، ولم يكن هذا التطور تطبيقا لما نزل خاصا بالمرأة من نصوص القرآن أو مما صدر على لسان النبى عليه الصلاة والسلام من احاديث وما استنه من سنن فى شئونها فحسب ، بل انه يرجع كذلك الى ما نزل من آيات تنظم المجتمع الاسلامى من أساسه تنظيما شاملا فى مختلف الشئون السياسية والمالية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

فالشريعة الاسلامية لم تطور الشخصية القانونية للمرأة فقط ، وانما طورت معها ايضا مركزها فى الاسرة ومكانتها فى المجتمع . وقد جاء القرآن الكريم بمبادىء عامة تحدد الوضع العام للمرأة سواء بالنسبة للرجل أو بالنسبة للمجتمع البشرى تنظم شئون المرأة وعلاقاتها عموما ، كما جاء بقواعد خاصة بالرجل أو بالاسرة فى نطاق ما يعرف حاليا بالاحوال الشخصية كما حدد حقوقها والتزاماتها وخاصة كزوجة وكأم .

فقد قامت دعوة الاسلام على أساس مبادىء الحرية والمساواة والشورى والتآخى فى الرأى والعمل . واختلفت خطته فى الدعوة الى الايمان بعقيدته وفى تطبيق تعاليمه الجديدة بين نهجين .

أولهما : قصد به الى التغيير الاساسى لافكار الناس ومعتقداتهم وتطهير افكارهم القديمة وفى هذا النهج كان التطوير انقلابيا ، لم يصطنع الاسلام التدرج فيه أو يأبه بالعادات أن التقاليد التى درج عليها العرب فيما يتعلق بعقائدهم من ذلك انه دعا الى نبذ العبادات الوثنية والى الايمان بالله الواحد وبانبيائه ورسله وملائكته وباليوم الاخر ..

ثانيهما ، قصد به الاسلام

التدرج فى تطبيق ما نزل من التعاليم وتفادى الطفرة فى تطوير المجتمع البشرى خاصة فى الشئون الشخصية والعائلية الاجتماعية والمعاشية فالناس يناقشون ما يعرض عليهم من افكار واخبار ولا يعصمون انفسهم من سماعها وتدبرها ايا كان وقعها لديهم، حتى اذا ما اقتنعوا بما يقال لهم آمنوا به ودافعوا عنه ودعوا اليه مع الداعين، ولكنهم ليسوا بنفس الاستعداد فى مناقشة أو تقبل ما يعرض عليهم من تغيير محسوس فى واقع حياتهم بما يصيب مصالحهم المادية ويؤثر فيها.

لذلك كانت دعوة الاسلام فى الناحية العامة وهى ناحية المبادىء صريحة وواضحة وكانت فى الشئون ذات الصلة بالمصالح الشخصية والمادية متدرجة، تجنح الى تفادى الطفرة والعنف. ففى الحريات والحرمات دعا الاسلام الى كفالتها وعدم الاعتداء عليها ... فلا عدوان الا على الظالمين. كما نهى عن الاعتداء على الانفس « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** » أو الاموال « **يا أيها الذين امنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ». وفى تحديد العلاقة العامة بين الجنسين قال تعالى « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون** ».

وفى هذا ما يدل على ما للمرأة من مكانة فى نظر الاسلام، وما يجب أن يكون لها من مكانة فى نظر المجتمع. مكانة بصر بها القرآن حين جعل أساس العلاقة بين الجنسين مودة ورحمة وسكنا وأمنا.

وقد بلغت المرأة المسلمة بفضل المبادىء الجديدة التى أتى بها الاسلام، مركزا ممتازا جعل لها شأنا ملحوظا فى توجيه السياسة العامة للمجتمع الاسلامى الاول، فاشتركت بطريق مباشر أو غير مباشر فى مناقشة هذه السياسة وساهمت برأيها فيها بل واشتركت فى الحروب وتولت فى بعض الاحيان مركز الصدارة والتوجيه. وقد ساعدها على ذلك بروز الشخصية القانونية لها ومنحها كامل الحرية والحق فى مباشرة أى نشاط مالى أو تجارى أو اقتصادى أو سياسى واستقلال ذمتها المالية مما اكتسبت بعملها أو ما آل اليها بطريق الميراث.

فقد تطور المركز القانونى للمرأة فى الاسلام، فقد كانت محرومة من الميراث فجعل الاسلام لها حق الارث فرضا وتعصيبا كما خصها بالحظ الاكبر من نظام الارث بالفرض، فهى كأم ترث ابنها بحق السدس ان كان له ولد أو اخوة، والثلث ان لم يكن له ولد أو اخوة. وهى كابنة واحدة ترث أباها أو أمها بحق النصف فرضا والثلثين اذا كانت أكثر من واحدة. أما تمييز الرجل عن المرأة من حيث مقدار حصة كل منهما فى الميراث وجعل نصيب الرجل ضعف نصيب الانثى، فهو أمر كانت ولا زالت تفرضه طبيعة ما يلقى على الرجل من أعباء سواء فى علاقته بأسرته عموما أو فى علاقته بالمرأة أيا كان نوع هذه العلاقة بصفة خاصة. ثم ان هذا التمييز أقرب لحفظ حقوق الاسرة المالية، اذا ما انتقلت البنت من بيت أبيها الى بيت زوجها، ومن العدل أن يظل الجانب الاكبر من مال المورث فى أسرته وذريته لا أن ينتقل الى أسرة أصهاره.

كما وحد الاسلام نظم الزواج والطلاق، فحرم زواج المتعة وزواج المقت وأوجب أن يكون الزواج بعقد يتوافر فيه رضا كل من الزوجين وارادته ووضع لصحته شروطا وقواعد محددة وموحدة، كما بين حقوق والتزامات كل من الزوجين قبل الاخر، وأفرد للزوجة حقوقها الخاصة بها سواء بوصفها زوجة أو بوصفها اما. وقيد حق الطلاق وجعله من المباحات المبغضة، وقيد بثلاث مرات « **الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان** ».

كما قيدت الشريعة تعدد الزوجات ووضعت للجمع بين اكثر من زوجة قيودا أو شروطا تكاد تجعله محظورا لحكمة تقتضيه أو لضرورة تدعو اليه، ووضع حدا أقصى للتعدد بجعله لا يزيد على أربعة. فالاسلام لم يبح التعدد لان الاباحة لا تقع الا على شىء كان محظورا، ولم يقره كما هو والا لتركه على اطلاقه كما كان فى الجاهلية، ولكنه أجازه بعد أن ضيقه تضييقا شديدا بالنسبة لما كان عليه فى الجاهلية وجعله رخصة استثنائية لا يجوز استعمالها الا فى حدود وبشروط معينة « **فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم** » ... « **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** ».

وخلاصة القول أن الاسلام جعل للمرأة شخصية قانونية مستقلة وكيانا اجتماعيا لم يكن لها من قبل وأنشأ لها حقوقا ترقى بها الى مستوى الرجل، ولم يعد يميزه عنها الا نوع من القواعد العامة للرجل عليها تقتضيها بالضرورة الاجتماعية فى توافر قيادة مسئولية كل أسرة، وطبيعى أن يتولى الرجال هذه القيادة « **بما فضل الله بعضهم على بعض وما أنفقوا من أموالهم** ». فهى قيادة تفرضها طبيعة الالتزام الشخصى للرجل ومسئوليته عن حماية أسرته والانفاق عليها والمحافظة على مصلحة أفرادها.

والله الموفق لما فيه رضاه

الارتقاء النفسي الاجتماعي للأطفال حديثي الولادة

يخرج الوليد الى الحياة وعنده درجة عالية من العجز الشديد عن القيام بأى خدمة بالنسبة لبقائه ، بحيث لو ترك وشأنه هلك . ولكنه فى نفس الوقت مزود بخاصية المطاوعة أو التشكل التى تساعده على التكيف الإجتماعي والاندماج فى المجتمع . والمقصود بالوليد هنا ، الوليد الذى أكمل فترة العمر الجنيني ، اذ يحتاج الجنين الى أربعين أسبوعا داخل بطن أمه . وهى مدة كافية لاكتمال النمو العضوى . وهناك أجنة أعمارها تتراوح بين ٣٢ و ٣٥ أسبوعا . ولكن جنين ٣٢ أسبوعا ليس له كل خصائص جنين ٤٠ أسبوعا . ولكننا سنقصر حديثنا هنا على وليد ٤٠ أسبوعا .

الأستاذة سهير محمد الحلبى

فاذا قارنا الوليد البشرى بالويد الشمبانزى نجد الوليد البشرى شبه عاجز تماما عن رعاية نفسه ، ومن دلائل هذا العجز ما يلى :

ا - **الوليد الشمبانزى** ، يستطيع بعد ولادته بثلاث ساعات أن يتشعبط (يتعلق) بشعر بطن أمه بصورة تمكنه من الرضاعة أثناء سير أمه أو وقوفها .. بينما الوليد البشرى لا يستطيع القبض بيديه الا بعد شهرين من ولادته ..

ب - **يستطيع الوليد الشمبانزى** تحريك رأسه وهو متشعبط بالشعر المتدلى من بطن أمه بحيث يتمكن من الرضاعة فى يسر وسهولة ، بينما الوليد البشرى لا يتمكن وحده من تحريك رأسه لامتصاص ثدى أمه قبل نهاية الشهر الاول من عمره ، وبشرط أن تحمله أمه وتضع رأسه على مقربة من الثدى .

جـ - **يستطيع الوليد الشمبانزى** بمجرد ولادته تحريك شفتيه ولسانه واستخدام بلعومه فى الرضاعة ، بينما الوليد البشرى لا تتوافر له القدرة على تحريك الشفتين واللسان والبلعوم بشكل منتظم الا بعد ٤٨ ساعة أو ثلاثة أيام من ولادته . وقبل

ذلك لا تكون لديه هذه القدرة الا فى شكل أفعال منعكسة ، وتبدأ فى الانتظام فى اليوم الرابع ٠

هذا ويوصف سلوك الطفل حديث الولادة بانه سلوك كتلى بمعنى ان الطفل يستجيب لكل منبه أو مثير خارجى ككتلة واحدة ، أى أن استجابته لهذا المنبه أو المثير تتجسد فى الصياح المصحوب بحركات منتشرة فى كل أجزاء جسمه ٠ وتختلف استجابة الطفل من منبه أو مثير الى آخر ، فالتنبيه اللمسى للشفتين يثير أرجاعا امتصاصية ٠ أما اذا كان المنبه مصدرا ضوئيا فان جسم الوليد ينتفض فجأة بعكس الحال مع الشخص الراشد الذى يستجيب للضوء المبهر بتضييق انسان العين فحسب بشكل آلى ٠ ويرجع ذلك لدى الوليد الى انه لا يدرك فى هذه المرحلة ادراكا فرديا وانما اجماليا ، فهو على سبيل المثال يدرك الاشياء القائمة فى محيطه على أساس أنها مساحات ضوئية مهوشة الحدود لعدم قدرته على السيطرة على العضلات الدقيقة للعين ، وبالتالى لا يفرق فى مدركاته بين كائنات حية أو جمادات ، كما أنه لا يفرق بين وجه الام ووجوه الراشدين الاخرين المحيطين به وبتعبير آخر فان الوليد فى هذه السن لا يحمل فى نفسه « أنا » على اعتبار أن « **الانا هو مركز الشخصية الموجهة لمظاهر سلوكها المختلفة ، والقادر على أن يقف فى وجه بعض مؤثرات البيئة أو يتجنبها ، ويستجيب لبعض المؤثرات البيئية الاخرى التى تتفق مع ظروفه** ٠ وبالتالى فانه لا يستطيع التفرقة بين احساسات مصدرها هو « **الانا** » واحساسات أخرى مصدرها منبهات خارجية ٠ غير انه مع النمو والارتقاء يتقدم تقدما مطردا نحو اكتساب « **الانا الشعورى والانا السلوكى** » ويلاحظ أن الانا السلوكى يسبق فى اكتسابه الى حد ما الانا الشعورى ، لان الوليد يعجز عن توجيه كافة أعضائه ، ومن ثم تبدو حركاتها شبيهة بالافعال المنعكسة ، **ويرجع ذلك الى سببين أحدهما عضوى والاخر اجتماعى وهما :**

ا ـ **السبب العضوى** ويتجسد فى نقص ملينة محاور الخلايا العصبية فى هذه الفترة من العمر والتى من شأنها أن تحيط الالياف العصبية بغشاء وظيفته عزل الشحنات العصبية بعضها عن بعض ، أى تقوم بنفس الدور الذى تقوم به المادة العازلة المحيطة بأسلاك الكهرباء ٠ ونتيجة لعدم وجود المادة الملينة أو نقصها الشديد تنتشر الشحنات العصبية فتؤدى الى هذا السلوك الذى نسميه السلوك الكتلى ٠

ب ـ **السبب الاجتماعى** ويتجسد فى نقص التدريب الاجتماعى ، ذلك أن الوليد البشرى يلقى فى بيئته الاجتماعية كثيرا من أنواع النشاط الحركى والحسى والتعبيرى مع تمرينه عليها ٠ غير أن هذا التمرين لا يكون فقط على النشاط الايجابى ، ولكنه يشتمل كذلك على التمرينات السلبية ، أى التمرينات التى تعمل على منع أنواع معينة من النشاط من أن تظهر وتستند عملية المنع والاباحة لمختلف أنماط السلوك هذه على خلفية من القيم الاجتماعية والمبادىء الدينية السائدة فى محيط الاسرة ٠

ويلاحظ أن الوليد البشرى يقضى معظم ساعات يومه نائما ٠ ومعنى ذلك أن لحظات الشعور المتيقظ لديه تكون عابرة وضئيلة جدا ، وبالتالى تكون مكتسباته الاجتماعية سطحية فى آثارها ٠ ولما كان وضوح الشعور يعتمد الى حد ما على وضوح موضوعاته ، فان شعور الوليد يكون مبهما لغموض مدركاته وسطحية التأثر فى لحظات اليقظة وعدم وضوح الحدود الفاصلة بين هذه الموضوعات ، وذلك لانه لا يمارس شعور « **الانا المتميز عن البيئة الفيزيقية** » ٠

وبالتدريج بعد الاسبوعين الاولين من عمره يبدأ سلوكه المتخصص فى الظهور مع اطراد النضج واستمرار التدريب ، حيث يبدأ فى التفرقة بين وجه الام ووجوه غيرها فيخصها عادة بعدد من الابتسامات يفوق ما يقدمه للوجوه الاخرى اذا اقتربت منه ولكنه لا يستطيع التفرقة بين وجوه المألوفين والغرباء عنه ، حيث يلقى المألوفين له والغرباء عنه بنفس الهدوء ٠ ولكنه يستطيع التفرقة بينهم عندما يصل الى الشهر السادس من عمره ، بحيث اذا اقترب منه أحد الغرباء تراه يفزع ويبكى ، كما يستجيب لحنو الام بالابتسامات وربما الضحكات فضلا عن دلائل السرور والرضا ، وكذلك تبدو عليه علامات الخوف والقلق وربما البكاء ردا على غياب الام أو غضبها ٠

ولما كان الانا هو مركز الشخصية المتفاعلة مع المجتمع ، فانه من خلال هذا التفاعل سوف نوجه معظم اهتمامنا الى ظهور « الانا وارتقاء استجاباته الاجتماعية » غير انه لا يمكننا ذلك الا من خلال « أربعة مظاهر للارتقاء الاجتماعى وهى :

ا ـ ظهور بوادر التآزر العضلى العصبى واطراد تقدمه ودلالته الاساسية هى تدعيم وحدة الشخصية والشعور بها ٠

ب ـ نمو القدرات التخيلية ٠

جـ ـ نمو القدرات التعبيرية الصوتية وخاصة القدرات اللغوية ٠

د ـ الاستجابات التكيفية العامة للمواقف الاجتماعية ٠

وتلك هى المظاهر الاربعة الرئيسية لارتقاء الشخصية الانسانية من خلال تفاعلاتها الاجتماعية ٠٠ وهذا هو موضوع مقالنا التالى

الأسرة في الإسلام

الأستاذ صلاح عزام

في مؤتمر اجتماعي .. عربي .. عقد أخيرا في بغداد .. وقف أحد العلماء الغربيين الذين حضروا المؤتمر ممثلين للامم المتحدة يعقب على دراسات وأبحاث العلماء العرب فاذا به ينسى (نفسه) ويوجه عتابا علميا الى العلماء .. ويقول لهم .. انه استمع الى ابحاثهم ودراساتهم .. ولكنه لم يقف طويلا أمام أى منها لانها قد تصلح لبلد آخر .. ومنطقة أخرى .. غير هذه الارض الطيبة ذلك أنه نظرفوجد أن عند الدول العربية رصيدا هائلا من الامكانيات والاخلاقيات ما لو تمسكت بها فانه لا يمكن أن تصل اليها فتنة المدنية .. وتلوث الحضارة .. وانهيار الاخلاق .. وتفكك الاسرة ..

ثم نظر الى المؤتمرين وقال لهم فى ايجاز : عندكم دين حمى الناس .. وعلمهم .. فعلموا أولادكم دينكم تأمنون كل شرور الانهيار الاخلاقى .. وتحفظون عليكم مجتمعاتكم .. وأسركم .. وليت لدينا مثل دينكم اذا ما شكونا وما عانينا .. » .

لقد وقفت طويلا .. أمام هذه العبارة .. والمؤتمر الذى أعنيه كان يعالج مشاكل للشباب والاسرة من بعض الجوانب فى المنطقة العربية ..

وتطلعت عبر تاريخنا الرائع يوم كنا نتمسك بأخلاقيات القرآن الكريم .. ونحسن اتباع أحاديث سيد الخلق صلوات الله عليه .. يومذاك لم تكن لمجتمعاتنا مشاكل .. ولم نكن بحاجة لمؤتمرات ..

فالاسلام قد احسن فأكمل تربية الانسان كفرد .. فعمق مفهومه بالوحدانية المطلقة لله وحده حتى صارت ايمانه .. ثم من بعد ذلك علمه سبيل المساواة بين البشر ..

وبدأ أول ما بدأ .. فنظر الى الاسرة .. فقرر لها أمورا لو طبقت لكانت النواة الصالحة للمجتمع .. وبالتالى ليكون لدينا المجتمع الفاضل .

وعلماء اليوم مدعوون بلا شك الى مراجعة دراساتهم وعرضها على التعاليم المحمدية ..

وابناء اليوم أيضا مدعوون وبالحاح الى التعرف على معالم دينهم حتى تثبت هدايتهم .. وليكونوا خير أمة أخرجت للناس ..

ومن أبرز ما اهتم به الاسلام وهو يربى به الاسرة المسلمة أن يشيع الرحمة بين أفراد الاسرة الواحدة وبالذات ما كان بين الاباء والابناء وهنا يعلمنا سيد الخلق « **من لا يرحم لا يرحم** » ..

● « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا .. » .

وجاءت الاحاديث الشريفة كثيرة ومضيئة عن علاقة الاباء بالابناء .. لترسى قواعد الاسر .. ولتمم تربية الرجال ومنها .. قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

● « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه » .

● و .. « رحم الله والدا أعان ولده على بره » .

● و .... « ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن » .

● و .. « لان يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين » .

● و .. « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » .. وكان العدل هنا فى أحكم صوره حتى ليروى أنس رضى الله عنه) أن رجلا كان جالسا مع النبى فجاء ابن له فقبله وأجلسه فى حجره ثم جاءت ابنة له فأجلسها الى جنبه فقال صلى الله عليه وسلم فما عدلت بينهما » .

... فاذا تربى الرجل المسلم على أحاديث معلم البشرية صلوات الله عليه وقدر له أن يكون أسرة لم يتركه فى فراغ بل وضع له الاسلام قواعد خالدة فى اختيار الزوجة ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

● « .... فعليك بذات الدين والخلق تربت يداك » .

● « ... ان من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها » .

● « ... خيركم خيركم لاهله .. وانا خيركم لاهلى » .

ثم وضع الرسول أسس الاسرة الصالحة فيقول :

● .. « ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امراته وتفضى اليه ثم ينشر احدهما سر صاحبه » .

● « انى لابغض المراة تخرج من بيتها تجر ذيلها تشكو زوجها »

● « لا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت

● « بعد ذلك تدور الدائرة فيعلم الابوان ابناءهما بما تعلماه من قبل .. ولتبدا مرحلة أخرى وهامة فى حياة الاسرة وهى ارتباطها بغيرها .. وهنا .. ايضا .. وحتى لا نقع فى هاوية الارتجال والتقليد الاعمى .. والتجربة بين الخطا والصواب مكان الارشاد العظيم من الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم ومن ذلك

● « تعلموا من انسابكم ما تقتلون أرحامكم »

● .. الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان .. صدقة وصلة رحم .

● .. « لا يؤمن احدكم حتى يامن جاره بوائقه » واحاديث كثيرة ..

و .. يوم ان نسلك طريق الاسلام فى بناء مجتمعنا فلن نكون فى حاجة الى ان نسمع صوتا قادما من الغرب يذكرنا بديننا بل لن نكون فى حاجة اساسيا الى مؤتمرات لدراسة مشاكلنا فلدينا كتاب الله وسنة رسوله فيهما الهداية الى كل الحلول المبتغاة فنحن «خير أمة اخرجت للناس » .

مع القراء

إعداد : فؤاد هيبة

التاريخ خير شاهد على مكانة الامة العربية عبر الاجيال المتلاحقة ، ومن هنا كان اصرار الاستعمار — بجميع أشكاله — على السعى دائما فى الايقاع والوقيعة ، واقامة الحدود والحواجز المصطنعة بين الدول العربية التى يربطها رباط خالد مقدس يتركز فى وحدة اللغة والالام والامال ..

وبالتالى ، كان قيام الثورات المتتالية ، المعبرة عن اصرار الشعوب على مواجهة المستعمر والتخلص منه وتطهير الارض العربية من رجسه وآثامه ..

ويدور التاريخ دورته ، وتتوالى الثورات ، وتبرز البطولات ، ويتسابق الفدائيون الى ساحة الاستشهاد بالالاف ، الى ان كانت حرب العاشر من رمضان ، وما حققته للامة العربية على جميع الابعاد والمستويات ..

واستردت الامة العربية كرامتها وعزتها ، حيث غسلت عار الهزيمة ووصمة الاستكانة والاستسلام .

وهنا تحركت الدول الكبرى التى كان قد اصابها الصمم تجاه مشكلة الشرق الاوسط ، ايمانا منها انه لا مشكلة ولا شرق ، وان الامور قد استقرت تماما بسيطرة اسرائيل على المنطقة جويا وعسكريا حتى قناة السويس ..

وبات معلوما ان الرئيس السادات هو الذى استطاع — لاول مرة فى التاريخ المعاصر — ان يجمع الامة العربية حول هدف تحرير الارض ومحو العار فسارع الملوك والرؤساء الى المساهمة والمشاركة بجميع الامكانيات ، استعدادا للمعركة التى سبقها تحرك سياسى دبلوماسى ناجح ، احاط بعنق اسرائيل ، ودخل البترول المعركة ، وكانت حرب العاشر من رمضان ..

واليوم ، وبعد مضى ثلاث سنوات على حرب العاشر من رمضان ، استطاعت الامة العربية ان تحقق العديد من الانتصارات الدولية ، من أجل تحرير الارض العربية واقامة الدولة الفلسطينية وكسب صداقات دولية ، مما أصبح يشكل خطرا جسيما بالنسبة لاسرائيل ، يكشف عنه موقفها من مؤتمر جنيف ..

وتاتى انباء التحركات العربية ، ونجاح مؤتمر الملوك والرؤساء بجدة فى القضاء على الحرب اللبنانية ، مثار تقدير واعجاب الاصدقاء والاعداء على السواء .. لما له من أثر فعال فى تصفية وتطهير الجو العربى من معوقات وحدة الصف والتضامن الفعال فى مواجهة الاحداث .. وهكذا استطاع الرئيس السادات ، بما وهبه الله من قدرات ، تحليل المواقف واستخلاص الحقائق ، وسط العواصف السياسية الهوجاء ، ان ينطلق الى منطلقات ارحب فى مجال التضامن العربى ووحدة الصف ، استعدادا لمواجهة العدو فى مؤتمر جنيف ، مواجهة تضعه أمام الامر الواقع ، وتسلبه زمام المبادأة الذى طالما تباهى بملكيته ولم يهنأ به منذ حرب العاشر من رمضان .. « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » ..

وعلى الامة العربية ، فى الآونة الحاضرة والقادمة ان تاخذ حذرها ، وان تعد نفسها لكافة الاحتمالات .. وان تعلم علم اليقين ان فى الوحدة انتصارها على طريق السلام ، وعلى مشارف الحرب سواء بسواء ..

فاما سلام يؤكد للعرب كرامتهم وعزتهم وحرية أراضيهم وحرمة مقدساتهم ، ويحقق للفلسطينيين قيام دولتهم حرة أبية .. واما حرب تعيد لكل ذى حق حقه ..

وسبيل الامة العربية الى هذا كله ، اعتصام بحبل الله ، وتضامن وتضافر ، من أجل نصرة الحق ، مصداقا لقوله تبارك وتعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها »

« صدق الله العظيم »

والى اللقاء ..

رسالة الجزائر

بقلم الاخت حواتيس الزهراء

٢٣ شارع على عياد ــ قصر النجارى

ولاية التيطرى ــ الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. اما بعد ..

سلامى الحار من الجزائر البيضاء الى مصر الحبيبة ، سلامى الى كل المسؤولين فى مجلة منبر الاسلام الغراء واشكرهم على ما يبذلونه من مجهودات جبارة فى سبيل ارضاء قرائها . كما اننى معجبة جدا بما تقدمه لنا .. واخيرا اتمنى ان يوفقكم الله على ما تبذلونه من مجهودات ، كما اطلب منكم بأن تنشروا أسمى وعنوانى فى مجلتكم مع أجمل تمنياتى لكم بالتوفيق وارجو مرة اخرى من الله عز وجل ان يوفقكم فى اعمالكم النبيلة الجبارة .

رسالة تونس

بقلم الصديق احمد رازقى

مصفف حروف بمطبعة وزارة النقل والمواصلات

يسعدنى جدا ان اكتب اليكم هذه الرسالة لاول مرة فانا من عشاق المجلة واسمحوا لى ان اعبر عن صادق اعتزازى وتقديرى لجهوداتكم ومجهودات الاخوة اعضاء اسرة المجلة امد الله فى اعماركم وانى اقدم لكم شكرى وامتنانى لاهتمامكم بالقراء وبرسائلهم واتضرع الى الله العلى القدير ان يطيل اعماركم وعمر مجلتنا الغنية بمعلوماتها الاسلامية ومواضيعها الدينية القيمة واحاديثها الفذة .. والمجلة بالنسبة لى كالجنة المثمرة التى لا تبخل على بثمارها الناضحة .

ومن رسالة بقلم الصديق

عاطف عوده بكير عيد ــ الطالب بتجارة القاهرة يقول :

لا يسعنى سوى ان استهل خطابى بمزيد من تحياتى الطيبة الى جميع الاساتذة والدكاترة الذين شاركوا ويشاركون فى اعداد وانجاز هذه المجلة الاسلامية الرائعة منبر الاسلام ... التى تعتبر احدى الدعائم العظيمة للاسلام . حيث انها تحتوى على عدد كبير من الاحاديث النبوية الشريفة والاحاديث الدينية وكذلك تفسير الايات القرآنية الكريمة الى جانب المقالات الادبية الرائعة والدراسات الممتعة فى جميع المجالات .. واننى اذ اشبهها .. اشبهها بينبوع صاف يمد المسلمين فى جميع بقاع الارض بالاراء والاستفسارات التى تنير الطريق وتعالج كثيرا من المشاكل العديدة التى يواجهها المسلمون فى كافة أرجاء العالم .. واننى بصراحة من المعجبين بها وانتظرها بفارغ صبر واواظب على شرائها فى اول كل شهر . وفى ختام رسالتى ادعو الله العلى القدير ان يوفقكم وجميع المسئولين فى هذه المجلة الى مافيه خير الاسلام وان يسدد خطاكم ويكللها بالنجاح الباهر من اجل حماية الاسلام فى شتى بقاع الارض .

ومن رسالة بقلم الصديق

مجدى محمد عقباوى الطالب الثانوى يقول

انه ليسعدنى اشد سعادة ، ويبهجنى اعظم بهجة ، ان ارسل لكم ، واعبر عما فى صدرى يجيش ، وفى قلبى يمكث ويعيش . فان منبر الاسلام تحمل قدسية سامية ، ورفعة وسموا يندران فى غيرها .. وانها لنور براق ، وشيعاع وهاج .. فيه الهداية لمن لا يعرف للهداية سبيلا ، فهى توضح معالم الطريق الاسلامى ، وتسلط اشعتها نحو النور النبوى ، والهدى القرآنى . ذلك غير انها تفتح الابواب المغلقة ، وتوضح كل خفى .. مما يجعل الاسلام فى النفوس يدب ، وفى القلوب يستقر ويستحب . وانى ارى فى ذلك قدسية رسالة ، وعمق تقدم وازدهار ، وروعة مجهود وانتشار .

منبر الاسلام يا صرح الفلاح
يا شموع الليل يا امل الصباح
منك نجنى العلم والهدى الذى
يرتقى بالنفس يهدى للصلاح

ومن مقال بعنوان [من اعجاز القرآن]

بقلم الصديق محمد سليم طه النجار ــ واعظ مركز الحسينية شرقية يقول

القرآن الكريم هو كلام الله الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم المعجز فى اسلوبه ، المتعبد بتلاوته . فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم . هو حبل الله المتين والصراط المستقيم لا يشبع منه العلماء ولا تنقضى عجائبه . من قال به صدق ، ومن عمل به اجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم . لهذا كان القرآن اعظم المعجزات لانه المعجزة الخالدة الدائم التحدى بها الى يوم القيامة وحفظه الله من التغيير والتبديل . واخبر القرآن بحقيقة الامم السابقة واخبر بمغيبات صدقها حوادث الكون ووقعت كما أخبر [الم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون] وعن تصديق الرؤيا لنبى الرحمة [لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين] ويستنبط منه الاحكام الشرعية والعلوم : انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ــ ونزل القرآن هداية الخلق الى طريق الحق [كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور] .

بريد التعارف

الإسم : محمد خير مرعى حيفاوى
البلد : الاردن
السن : ١٧ عاما
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : قراءة الكتب الدينية والمراسلة
العنوان : المملكة الاردنية الهاشمية ــ اربد

الاسم : حكيم ادريس
البلد : المغرب
السن : ١٨ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الاراء والبطاقات البريدية
العنوان : حانوت المسجد رقم ٨ عين قادوس ــ فاس

الاسم : ابو الحجاج صابر احمد
البلد : مصر
السن : ٢٥ عاما
المهنة : موظف
الهواية : الاطلاع والمراسلة
العنوان : شبين الكوم منوفية

الاسم : حسين مواجى
البلد : الجزائر
السن : ٢٦ عاما
المهنة : موظف
الهواية : القراءة الدينية والمراسلة وتبادل الاراء
العنوان : حى بن بولعيد عمارة ٧ رقم ٩٦ قسنطينة

الاسم : محمود دش
البلد : تونس
السن : ٢٨ عاما
المهنة : عامل دهان
الهواية : قراءة الكتب والمجلات الاسلامية
العنوان : القصرى الورشة الفلاحة

الاسم : حناوى عبد الفتاح
البلد : المغرب
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب
الهواية : تبادل الاراء ــ المراسلة ــ كتابة الشعر
العنوان : ٧٥٧ سيدى يوسف بن على شارع همان ــ مراكش

الاسم : الشربينى موافى حافظ
البلد : مصر .
السن : ٣٠ عاما .
المهنة : مساعد بالقوات المسلحة .
الهواية : القراءة الدينية وتاليف الزجل والمراسلة .
العنوان : كفر الوسطانى — دمياط .

الاسم : وحيد عبد الله جمعة عجلان .
البلد : ج.م.ع
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب جامعى
الهواية : قراءة الكتب والمجلات الاسلامية
العنوان : كفر الشيخ — شباس عمير — عزبة عجلان

الاسم : ابراهيم محمد شحات
البلد : ج.م.ع
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب ثانوى صناعى
الهواية : المراسلة وقراءة الكتب والمجلات الدينية .
العنوان : مدرسة قنا الثانوية الصناعية — قنا .

الاسم : عبدالرافع أحمد محمد
البلد : مصر .
السن : ١٧ عاما .
المهنة : طالب .
الهواية : القراءة الدينية وتبادل الصور الرياضية .
العنوان : الشرقية — الحسينية — عزبة ابو صرار .

الاسم : خضير كاظم خضير
البلد : العراق
السن : ١٧ عاما
المهنة : مكوى الرافدين
الهواية : المراسلة وتبادل الصور والمناظر
العنوان : بغداد مدينة الثورة حى الاكراد قطاع ١٧

الاسم : سيد محمد محمد عيد
البلد : ج.م.ع
السن : ٢٢ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الكتب الدينية
العنوان : عزبة الهرماوية بالحوامدية — شارع جوهر القائد

الاسم : ناصر رشاد محمد
البلد : ج.م.ع
السن : ١٩ عاما
المهنة : طالب جامعى
الهواية : القراءات الدينية وتبادل الافكار
العنوان : ٧ شارع المدارس — الواسطى — بنى سويف

الاسم : ممدوح عبد العزيز عقصه
البلد : ج.م.ع
السن : ٢٠ عاما
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة وتبادل الصور والطوابع
العنوان : محافظة البحيرة — مدينة حوش عيسى شارع على بن أبى طالب

اقــرأ في هذا العدد

■ **معالم الطريق :**

لقـاء على طريق التضامن العربى بين الرئيس انـور السـادات وجلالة الملك حسين ... ٣

■ **دراسات قرآنية :**

تفسير سورة آل عمران ... ... — الاستاذ احمد حسين ٨
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ... ... — الشيخ عبد الجليل عيسى ١٥
خصائص القصة القرآنية ... ... — الاستاذ فتحى رضوان ١٧
من امثال القرآن ... ... — الشيخ احمد كامل الخضرى ٢٢
العلم فى القرآن من نطفة خلقه فقدره ... ... — الدكتور احمد حسنين القفل ٢٥
الفروق بين المتشابهات من الكلم فى القرآن ... — الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ... ٢٨
قضايا فكرية فى فهم العربية ... ... — الدكتور محمد البدرى عبد الجليل ... ٣١
هداية سورة الملك لحسن الحال والمآل ... ... — الشيخ محمد مصطفى ابو العلا ٣٣
من اخلاق القرآن : القصد ... ... — الدكتور احمد الشرباصى ٣٨
تأملات فى البيان القرآنى والصورة القرآنية — الدكتور ابراهيم عوضين ٤١
حول كتاب الله ... ... — الدكتور محمد محمد خليفة ٤٣
بعضهم اولياء بعض ... ... — الدكتور مصلح سيد بيومى ٤٤
من بديهيات الاعجاز العلمى فى القرآن ... ... — الدكتور مقداد يالجن ٤٦

■ **التشريع الاسلامى :**

من احكام الشريعة الاسلامية ... ... — الشيخ محمد خاطر ٥٠
المتوكلون والمتواكلون ... ... — الاستاذ عبد العظيم منصور ٥١
العودة الى الدين طريق خلاص الانسان ... ... — الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ٥٦
الاعجاز العلمى للسنة النبوية ... ... — الدكتور عبد الرزاق نوفل ٥٨
اصول الاجتهاد فى الفقه ... ... — الدكتور محمد سعاد جلال ٦٠
البيوع فى الاسلام ... ... — الدكتور محمد عبد المنعم خميس ٦٢
فى مدرسة الرسول ... ... — الاستاذ ابراهيم مصباح ٦٣
من هدى النبوة وطلب الحلال واجب ... ... — الشيخ محمد هلال عبد الرسول ٦٥
الرفق بالحيوان فى الاسلام ... ... — الاستاذ ابراهيم الفحام ٦٧
الصلح فى القانون المدنى ... ... — الدكتور ياسين محمد يحيى ٦٩
سجود التلاوة ... ... — الشيخ احمد منصور ٧١
القصاص فى الفقه الاسلامى ومدى صلاحيته الان — الدكتور فكرى عكاز ٧٥

■ **مع الدعوة والدعاة :**

يشرف على تحريره منصور عبيد / فؤاد هيبة / على عياد

● حديث الى الائمة ٧٨

□ بأقلام الدعاة :

● منهج الاسلام فى تربية الشباب ... ... — الشيخ منصور عبيد ٨٠
● الاسلام وعنايته بالفرد ... ... — الشيخ عبد الفتاح احمد مصطفى ... ٨٢
● القرآن يدعو العقل الى توحيد الله ... ... — الشيخ محمد حافظ سليمان ٨٣
● دور المسجد فى بناء دولة العلم والايمان ... — الشيخ مرتضى محمد متولى ٨٥
● ادب الاسلام فى البيع والشراء ... ... — الشيخ عبد المؤمن مجاهد ٨٧
● الشريعة الغراء احكام ومرونة ووفاء ... — الشيخ عبد الفتاح عثمان ابراهيم ٨٩
● المؤمنون لايكذبون ... ... — الشيخ على فريج حسنين ٩٠
● الحرب النفسية فى غزوة الاحزاب ... ... — الشيخ محمد جمعة العدوى ٩٢
● الدعوة واهميتها فى ماليزيا ... ... — الاستاذ دسوقى الحاج احمد ٩٣
● الدعوة الاسلامية والاعلام ... ... — الاستاذ محمد كمال ٩٧

□ قرأت لك :

● القيم الاسلامية واثرها فى المجتمع ٩٨
● دعاء ٩٨

■ التصوف : والفلسفة الاسلامية :	الصوفية فى الهامهم = العلم والمعرفة	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	١٠٠
	مع تجليات اسماء الله الحسنى	الاستاذ زكريا عامر البكرى	١٠٤
	بين الحقيقـة والشريعة	الدكتور على صافى حسين	١٠٨
■ العلم والايمان :	هذا هو الاسلام قوام البشرية	الشيخ محمود طيره	١١٠
	عدالة السـماء	الاستاذ احمد زين	١١٣
	الدين النعمة الكبرى	الدكتور ابراهيم هلال	١١٦
	ادباؤنا وحياة الرسول الكريم	الاستاذ مأمون غريب	١١٨
	الشيطان والانسان والملائكة	الاستاذ محمد عبد اللطيف بن الخطيب	١٢٠
	آخر البعوث النبوية	الاستاذ عبد المعطى عبادة	١٢٢
	الدين حسن الخلق	الدكتور زكى مشعل	١٢٣
	من ملامح واخلاق مجتمع العلم والايمان ...	الشيخ مصطفى الجندى	١٢٦
	الاسلام يصنع الحياة والتقدم	الاستاذ عبد الحكيم النجار	١٢٩
	ثروة الامة وكيانها فى اخلاقها واعمالها ...	الاستاذ عبد السلام القوصى	١٣٠
	المؤاخاة فى الاسلام	الشيخ الصاوى شعلان	١٣٢
	افضل الناس المؤمن العالم	الاستاذ احمد وافى	١٣٣
	فن التضحية فى الاسلام	الشيخ عبد الرحمن النجار	١٣٦
	قبسات من الايمان	الدكتور السيد النمر	١٣٨
	وحدة الصف والهدف سبيل اعزاز المسلمين	الدكتور جمال الدين عواد	١٣٩
	الحب فى الله	الاستاذ محمد النظامى	١٤١
	فليحذر الانسان من ذاك العدو	الاستاذ عبد الله كامل	١٤٣
■ الفن الاسلامى :	النسيج فى العصر الاسلامى فى مصر والبلاد العربية	الاستاذة ثريا نصر	١٤٦
	الملابس الاسلامية فى العصر الفاطمى	الاستاذة زينات طاحون	١٤٨
	صناعة الحلى والجواهر فى العصور الاسلامية	الدكتورة سعاد جمعة	١٥١
	مصادر الفن الاسلامى للنسيج وزخارفه	الاستاذة حميدة البقلى	١٥٤
	قصة متحف الفن الاسلامى فى برلين الغربية	الاستاذ كمال حمدى	١٥٧
■ القصة الاسلامية :	رجل ومعارك ابوزر الغفارى	الاستاذ محمد صالح	١٦٠
■ الشعر الاسلامى :	اصـداء الوحـدة	الشاعر رشاد يوسف	١٦٤
	السـر المقـدس	الدكتور يوسف نوفل	١٦٤
	يـــارب	الشاعر احمد عثمان المراغى	١٦٥
■ الطب فى الاسلام :	الطب الوقائى بين الهدى النبوى ونظريات الطب الحديثة	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٦٨
■ شخصيات اسلامية :	لمحة الى آثار الافغانى	الدكتور احمد الحوفى	١٧٢
	على بن اسماعيل بن سيدة صاحب المحكم والمخصص	الدكتور حامد محمد شعبان	١٧٤
	عامر بن ربيعة بن مالك ثانى مهاجر الى المدينة	الاستاذ عبد المنعم الادفوى	١٧٧
	ابن عطاء الله السكندرى	الاستاذ سالم عرفات سالم	١٧٨
	جمشيد غياث الدين الكاشى	الدكتور احمد سعيد الدمرداشى	١٧٩
■ المكتبة الاسلامية :	قراءات جديدة لكتب قديمة	الاستاذ صبرى ابو المجد	١٨٢
	فى النظام السياسى للدولة الاسلامية	عرض الدكتور فؤاد عبد المنعم	١٨٦
	الدر المنثور فى التفسير بالمأثور	عرض الدكتور منيع عبد الحليم محمود	١٨٩
■ الافتـاء :	انت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود	١٩٢
■ الاسرة المسلمة :	المرأة العربية فى ظل الاسلام	المستشار احمد محمود خليل	١٩٦
	الارتقاء النفسى الاجتماعى للاطفال حديثى الولادة	الاستاذة سهير محمد الحلبى	١٩٩
	عن الاسرة فى الاسلام	الاستاذ صلاح عزام	٢٠١
	مع القـراء	اعداد فؤاد هيبة	٢٠٣
	بريد التعارف	... ...	٢٠٥

...دك
...مانة فى
عنقك

وثيقة الشرق الجديدة تحقق الأمان لأسرتك

فهى الوثيقة ذات المزايا العديدة

- فى نهاية مدة التأمين تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة الوفاة العادية تدفع الشركة للمستحقين فوراً مبلغ التأمين الأصلى مضافا إليه زيادة قدرها ٥٪ عن كل سنة من بدء التأمين حتى الوفاة .
- فى حالة الوفاة بحادث تدفع الشركة للمستحقين مبلغ التأمين الأصلى بالإضافة إلى مبلغ التأمين المستحق فى حالة الوفاة العادية .
- فى حالة الإصابة بعجز كلى دائم تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- تأمين إضافى على الأرملة بمبلغ التأمين الأصلى بدون دفع أقساط .
- تغطية أخطار الحرب للمدنيين بدون قسط إضافى .
- تمنح الشركة قروضا بعد سداد أقساط سنتين معفاة من الفوائد فى حالة الحج والتقديس والعمليات الجراحية .

(أنظر الكوبون صفحة ١٤٢)

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسى ١٥ شارع قصر النيل - القاهرة

يسرى